

كلية الشريعة

السنة الثانية

الفصل الأول



التاريخ الإسلاميّ


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO



جامعة حلب
كلّيّة الشّريعة

التّاريخ الإسلاميّ

❋

د. علي محمود عكّام

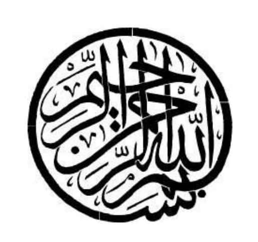
لطلّاب السَّنة الثَّانية

مديريَّة الكتُب والمطبوعات الجامعيَّة

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

* ثَبَتُ المَوضُوعات *



اِسْتِهلالُ

لِكلِّ مَنقُولٍ مِن العُلومِ جِهَتانِ لِدَرْسِه؛ جهةُ الرِّوايةِ وجهةُ الدِّرايَة، والدَّرسُ المُستقيمُ للمَنقولاتِ والأَخبارِ يُلازمُ بينَ الجهتَينِ في غيرِ انفكاكٍ، فلا يذهبُ مذهبَ الرِّوايةِ والإخبارِ في ذُهولٍ عن فَحوَى الخبَرِ وعِبرَتِه، ولا يذهبُ مذهبَ الدِّرايةِ والتَّدبُّر في مَعزلٍ عن ثُبوتِ الخبَرِ وصحَّتِه، بلْ يَعتبرُ الجهَتَين معاً، ويُبالي بِهما جَميعاً، كلٌّ بحقِّهِ وقدَرِه.

والتَّاريخُ - بوَجهٍ عامٍّ - من زُمرةِ عُلومِ المَنقولِ، ودَرْسُهُ على وَجهِه لا يتمُّ بغَيرِ التَّوفُّرِ علَى كِلْتا الجِهَتَينِ، أمَّا جهةُ الدِّرايةِ فيهِ فطَورٌ متقدِّمٌ، وشأنٌ ليسَ يبلُغهُ إلَّا الواقفونَ على الرِّواياتِ والنَّاظرونَ فيها بإنعامٍ وإمعانٍ، وتلكَ جهةٌ قد تَعدُو المَطلُوبَ مِن طَلَبَةِ السِّنيِّ الجامعيَّةِ الأُولى، الذين هُم مُخاطَبونا في هَذا الكتاب، فَضلاً عن كَونِها - في النَّظرِ المَنطقيِّ - جهةً تاليةً لجهةِ الرِّوايةِ واطِّلاعِ أيَّامِ التَّاريخ وصُرُوفِه.

لأَجلِ هَذا، كانَ المُبتَغى الذي حاوَلْنا مُقاربَتهُ في الصَّفحاتِ الآتيةِ لا يُجاوزُ حدودَ الرِّوايةِ والسَّردِ والإخبار، وهَذا أمرٌ عَصيٌّ بطَبيعتِهِ علَى الإضافةِ والجديدِ، وأَعني الإضافةَ علَى ما يدَّخرُهُ التَّأريخُ من أَحداثٍ جرَت، بلْ إنَّ الإضافةَ هاهُنا مُتعذِّرةٌ، أَو هيَ ضَربٌ مِن تَحريفِ الكَلِمِ مِن بَعدِ مَواضِعِه، على أنَّ شأنَ الرِّوايةِ في التَّأريخِ قد يُضارعُ شأنَ الدِّرايةِ فيه، فَبِقَدرِ ما تكونُ الرِّوايةُ صَحيحةً ثابتةً تأتي الدِّرايةُ على قدَرِها من الأهمِّيةِ والاعتبار[1].

(١) - وتأتي أهميَّةُ الرِّواية في التَّاريخ بمقدارِ مقاربتِها ودنوِّها من هذِه القاعدةِ العُنوان: غايةُ التأريخ هي إدراكُ الماضي كما كان لا كما نتوهَّمُ أنَّه كان، وكذلك ليسَ هوَ تصويرَ الماضي كما يجبُ أن يكونَ أو كما نريدُ أن يكونَ.

ومن ثَمَّ، كانَتْ غايةُ القَصدِ مِن هذَا القِرطاسِ في تلكَ المَرحَلةِ الجامعيَّةِ المبكِّرةِ أن يَجيءَ عَوناً لطلَّابِها على استِحْواذِ مَرويَّاتٍ مَقبولَةٍ تكونُ لهُم - في قابِل الأيَّام - هادِياً صادِقاً في تفهُّمِ التَّاريخِ، وسَماداً لاستِصلاحِ الحاضرِ المَعيشِ واستِنْباتِ الغَدِ المُرتقَب، يَحدُوهُم إلى ذلكَ وَعيٌ تاريخيٌّ عَميقٌ، وبَصيرةٌ بسُنَنِ اللهِ في الزَّمان، وافْتِلاتٌ من إسَارِ الرِّوايَة، وانفِتاحٌ علَى أَسرارِ الدِّرايَة: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾[٢].

أمَّا **الزَّمانُ** الذي انتشَرنا علَيهِ في إلمامةٍ واجِزَةٍ فيَمتدُّ مِن مَبدأ التَّاريخِ الأُمويِّ سنةَ (٤٠هـ-٦٦٠م)، إلى مُنتهَى التَّاريخِ العُثمانيِّ سنةَ (١٣٤٢هـ- ١٩٢٣م)، أَو عَقِيبَهُ بقَليلٍ، وهو-كما ترَى- زَمانٌ عَريضٌ طَويلٌ، عديدُ الأَنحاءِ مَديدُ الآناءِ، غاصٌّ بالنُّوَبِ والأَنباءِ، يَعسُرُ تفصيلُهُ في كتابٍ، لذا رَغِبنا في عَرضِه عَن الإسهَابِ والإطنابِ، وتحرَّينا الإجمالَ والاقتِضاب، في مَشاهِدَ (بانُوراميَّة) شُموليَّة، تَسهيلاً وتَقريباً.

ونَهَجْنا في العَرضِ **مَنهجَ** الرِّوايةِ والسَّردِ، وأَدرناهُ في التَّاريخ الإسلاميِّ المبكِّر - أَي في التَّاريخِ الأُمويِّ والتَّاريخِ العبَّاسيِّ الأوَّل- على الدَّولةِ بما كانَ لها من امتدادٍ وذُيولٍ في العالَمِ الإسلاميِّ أيَّامَذَاك، إذْ كانَ مردُّ الوَلاءِ في ذَيْنِكَ العَهدَينِ إلى سُلطةٍ واحدةٍ في عَاصمةٍ مَركزيَّةٍ ذاتِ وُلاةٍ علَى سائرِ البلادِ.

أمَّا العَرضُ عُقْبانَ هذَين العَهدَينِ فقَد دارَ علَى البُلدانِ والبِقاعِ، وذاكَ أنَّ المراكزَ القياديَّةَ في المُحيطِ الإسلاميِّ بعدَ العصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل تَوزَّعَتْها ممالكُ وسَلطَناتٌ وإماراتٌ كثيرَة، حتَّى قامَتْ في بَعضِ البِلادِ دولٌ مُستَقِلَّةٌ عَن الخليفةِ العبَّاسيِّ واقِعاً، وباتَ لها زَعيمُها الخاصُّ ونِظامُها القائمُ بِرَأْسِه، وإنْ تَكُ زامَنَت العهدَ العبَّاسيَّ أَو تاخَمَتْ وُجودَه في بَغداد، وإذا تغيَّرَ السُّلطانُ تغيَّرَ الزَّمانُ، لهذا ارتأَينا أنْ نَسيرَ في عَرضِ تاريخِ تلكَ الحِقبةِ وما تَلاها علَى حسَبِ الجُغرافيَة، وأَعني أَن نتناوَلَ كلَّ بُقعةٍ إسلاميَّةٍ على حدَتِها، فَنعرِضَ لِما تعاوَرَ علَيها مِن دُولٍ وممالكَ أَردَفَت العصرَ العبَّاسيَّ الأوَّل، وفي مثلِ هذا مُظاهَرةٌ للدَّارسِ علَى ضَبطِ الصُّورةِ التَّاريخيَّةِ في ذهْنِهِ تبَعاً للمكانِ،

(٢) - آل عِمران: ١٤٠

أَي بحسَبِ المناطقِ والأَقاليمِ، لا تبَعاً للزَّمانِ الذي تداخلَتْ في كلِّ مُدَّةٍ منهُ وُجُوداتٌ وتَحوُّلاتٌ إلى حدِّ التَّشابُكِ والتَّمازُجِ.

وعَمَدنا كذلكَ إلى إسْقاطِ أَسماءِ البُلدانِ في تلكَ الأَزمنةِ الغابرَةِ علَى أَسمائِها ومَحالِّها منَ العَصرِ الحاضِرِ وعلَى صُورةِ الأَرضِ فيهِ، ونَحنُ في هذَا نُرافِدُ المُطالِعَ بِتَصوُّرٍ جُغرافيٍّ مُعاصِرٍ ضَميمٍ للتَّصوُّرِ التَّاريخيِّ المُرادِ تَحصيلُهُ.

ثمَّ لا يخفَى أنَّ لِتاريخِ كلِّ أمَّةٍ أَوجُهاً متكثِّرةً تَصوغُ ملامحَ سيرورَتِها عبرَ الزَّمن، ولعلَّ أبرزَها وَجهان:

الأوَّل: الوَجهُ السِّياسيُّ: وهو الأَبلغُ أثراً في تاريخِ الأمَّة، بما يَعنيه من حركةِ نشأةِ الدَّولة ونهايتِها، وتَرادُفِ الحكَّام، وتسلسُلِ الأحداثِ والماجَرَياتِ السِّياسيَّة؛ من تنصيبٍ وخَلعٍ وثوراتٍ وحروبٍ وعهودٍ، ونحوِ هذا ممَّا يدورُ معهُ سُلطانُ الدَّولةِ ووجودُها.

الثَّاني: الوَجهُ الحضاريُّ: بما شاعَ وذاعَ مِن تَجلِّيه في حركةِ العلومِ والعُمرانِ والأَثرِ الثَّقافيِّ عموماً، ولهذا الوَجهِ شأنيَّةٌ تُضاهئُ الوجهَ السِّياسيَّ وتَسيرُ معهُ في قدَرٍ مشترَكٍ.

فكانَ مِن تَمامِ الوفاء العِلميِّ في هذا الكتابِ ألَّا نَقِفَ بِه عند حدودِ السِّياسةِ وأطوارِها، فالسِّياسةُ وإنْ تكُ الجانبَ الأبرزَ في حركة التَّاريخ على ما يَسوقُه المؤرِّخون، غيرَ أنَّها ليسَت كلَّ شيءٍ فيه، فثمَّة جوانبُ حضاريَّةٌ أخرى تَحكيها الأحوالُ العِلميَّة والثَّقافيَّة والتَّنظيميَّةُ والعُمرانيَّةُ والاقتصاديَّة في كلِّ طورٍ مِن أَطوارِ هذا التَّاريخ، ومعلومٌ أنَّ الوقوفَ على تلكَ الجوانبِ الحضاريَّة في تاريخ الإسلامِ المديدِ عبرَ كلِّ مراحلِه ممَّا تَضيقُ عنهُ طبيعةُ الكتاب، فكانَ أَن ارتأيْنا بيانَ الملامح الحضاريَّة للتَّواريخ المركزيَّة الكبرَى، وأعني التَّاريخَ الأمويَّ والعبَّاسيَّ والأندلسيَّ، ففي ذلك كفايةٌ تناسبُ المقامَ والقَصد، على أنَّنا لم نُغفل الإلماعَ إلى أهمِّ الشَّواهد الحضاريَّة لدَى سائر الدُّول في المَساقِ التَّأريخي.

وقد أثبَتنا آخرَ هذا الكتابِ مَسردَين؛ أوَّلهما يحكي أهمَّ الأحداث والماجَرَيات في التَّاريخ الإسلاميِّ، والآخرُ يَنسُقُ أهمَّ المُنجَزاتِ الحضاريَّة لذاك التَّاريخ الجليل.

وهكذَا، تاحَ لَنا العَرَضُ في فَصلٍ تمهيديٍّ وستَّةِ فُصولٍ رئيسةٍ، هيَ علَى التَّالي:

- **فَصلٌ تمهيديٌّ**: مداخلُ في مَعنى التَّاريخ والحضَارة.

- **الفصلُ الأوَّل**: التَّاريخُ الأُمويُّ.

- **الفَصلُ الثَّاني**: التَّاريخ العبَّاسيُّ.

- **الفَصلُ الثَّالثُ**: التَّاريخُ الأندلُسيُّ.

- **الفَصلُ الرَّابعُ**: التَّاريخُ المَغاربيُّ.

- **الفَصلُ الخامسُ**: التَّاريخُ المَشارقيُّ (في مصرَ والشَّامِ وجَزيرةِ العرَب).

- **الفَصلُ السَّادسُ**: التَّاريخُ المَشارقيُّ (في العراقِ وتركيَّا وإيران وجَنوبِ آسيا ووَسَطِها وشَرقِها والدَّولة العثمانيَّة).

- **مَسردٌ** لأهمِّ الأحداث والماجَريات في التَّاريخ الإسلاميِّ.

- **مَسردٌ** لأهمِّ المنجزات الحضاريَّة في التَّاريخ الإسلاميِّ.

ولكلِّ فَصلٍ تَفاصيلُ ومَباحِثُ أثبَتناها في ثبَتِ المَوضُوعاتِ، فلتُنظَر في محلِّها.

واللهُ المُستَعانُ وإلَيهِ المآبُ

د. علي محمود عكّام

حلَب: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

فَصلٌ تَمهيديٌّ



مَداخِلُ
في مَعنَى التَّاريخ والحضَارة


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

المدخلُ الأوَّل:

في مَعنَى التَّاريخ

* - المبحثُ الأوَّل: مَفهومُ التَّاريخ وأهمِّيةُ المعرفةِ التَّاريخيَّة عُموماً:

اكتَنفَ كلمةَ (التَّاريخ) أو مفهومَ (التَّاريخ) لَبسٌ وغُموضٌ امتدًّا امتدادَ البحثِ في المعرفةِ التَّاريخيَّةِ التي ظَهرتْ عندَ قُدماءِ العَربِ، وفي صَدرِ الإسلام، ولَدى الحضارات والشُّعوبِ الأخرى كذلك، على أنَّنا نستطيعُ أن نُجمِلَ تلك المعانيَ المتشعّبَةَ لِهذا المفهوم في محاورَ خمسةٍ:

– **أوَّلها**: سيرُ الزَّمن والأحداث: بمَعنى التطوُّر التَّاريخيِّ، وهو ما يُقابلُ كلمة The history of ، وهي تَعني ما يُمكنُ أن نفهمَهُ من كلمةِ: تاريخِ حضارةٍ ما ، أو بلدٍ معيَّن، أو علمٍ مِن العُلوم.

– **ثانيها**: تاريخُ الشَّخصيَّات والرِّجال: أو التَّراجمُ والطَّبقاتُ، وما يُقابلُ المصطلَح الأجنبيَّ The biography.

– **ثالثُها**: عمليَّة التَّدوينِ التَّاريخي ووَصفُ التطوُّر التَّاريخي وتحليلُه: وهُو ما يُقابلُ Historiography.

– **رابعُها**: علمُ التَّاريخ ومعرفتُه، وما هو مَبسوطٌ في كتُبِ علم التَّاريخ: وهُو مُقابلٌ لكلمةِ The history المفرَدة.

– **خامسُها**: تحديدُ زمنِ الواقعةِ أو الحادثِ باليومِ أو الشَّهر أو السَّنة: وهو ما نَعنيهِ بكلمةِ The date[1].

ويُمكنُنا القولُ بأنَّ (التّأريخَ) في ماضيه المعرِفيِّ كان (مجرَّدَ ذكرٍ للأخبار الخاصَّة بعصرٍ أو

(١) – انظُر : التَّاريخ العربيّ والمؤرِّخون: مُصطفى شاكر: ١/ ٥٠، بيروت، دار العلم للملَايين ، ١٩٧٩م.

جيلٍ أو عَلَم)، وهو ما أشارَ إليه ابنُ خلدونٍ على أنَّه (ظاهرُ التّاريخ)[1]، وما أَرتَئي تَسميتَهُ (تأريخاً) لا (تاريخاً)، إذ التَّأريخ بمظهرِهِ البرَّاني يَهدفُ أساساً إلى سردِ أخبارِ الأَيَّام والقرونِ الخاليةِ على سَبيل القَصِّ والتندُّر، أو ابتغاءَ تنميَةٍ كمِّيّةٍ للمعرفةِ الإنسانيَّة ليسَ غير، بلْ هوَ أقربُ إلَى ما يُشبِهُ فنَّ (الرِّوايةِ) في الأدبِ المُعاصِر.

أمَّا مفهومُ (التَّاريخ)[2] الذي نقصدُ التَّعويلَ عليهِ وحُسنَ تعقُّلِه في سَردِ أنباءِ التَّاريخِ ووقائعِ الدُّهورِ، فهُو ما أَلمَحَ إليهِ ابنُ خلدونٍ بـ (باطن التَّاريخ)، أو قُلْ: التَّاريخ الجُوَّاني، وهو مَا ينطَوي على (نظَرٍ وتحقيق، وعِلمٍ بكيفيَّاتِ الوقَائعِ وأسبابِها عميق، فهو لذلك أصيلٌ في الحكمةِ عَريق)[3]، ولعلَّ هذا المعنَى هوَ أقرَبُ المَعاني إلَى المفهُومِ الأصلي للفظِ التَّاريخ عند الإغريق، ألا وهوَ (الاستِعلامُ أو الاستِفهَام)[4].

وبهَذا المعنَى يَستطيعُ التَّاريخُ أن يكونَ مصدرَ إضافةٍ نوعيَّةٍ وفلسفيَّةٍ بالغةِ الأهمِّية والخطُورة إلى رَصيدِ المعرفةِ الإنسانيَّة، بل إنَّ المعرفةَ الإنسانيَّةَ بغيرِ هذه الإضافةِ تبقَى معرفةً

---

(١) - انظُر: مقدّمة ابن خلدون: لعبدِ الرَّحمن بن خلدون (ت:٨٠٨ هـ): ص٢٨٢، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضَة مصر، ط٣، د.ت. ويَضربُ ابنُ خلدون مثالاً لِهَذا الاتّجاه في التَّصنيف بكتاب (مرُوج الذّهب) للمَسعوديّ.

(٢) - تفعيل أصلُه الهمزُ وأسهَلوه تَفرقة. وأَقترحُ هاهُنا تفريقاً دلاليّاً بين كلماتٍ قد تتداخلُ مع مفهوم التَّاريخ، منها على سبيل المثال: (الوقتُ): وهو مدَّةٌ مجرَّدةٌ من الحدَث أو الحركة، وهناك (الزَّمان) الذي هو: مدَّةٌ مقرونة بحدَث أو حركة، أو هو: مقدارُ الحركة، وبهذا المعنى لا يُستَعمَلُ إلا مُضافاً، أمَّا إذا أُطلِقَ فيرادُ به الوقتُ، ويأتي التَّأريخُ هنا بمثابةِ منقولٍ عُرفيّ ليُفيدَ تعيينَ وقتٍ لِيُنسَبَ إليه زمانٌ ما، سواءٌ أكانَ ماضياً أم حاضراً أم مستقبلاً. وانظُر: المختصَر في علم التَّاريخ: للكافيجي (ت:٨٧٩هـ): ص ٥٥.

(٣) - مقدِّمة ابن خلدون: ص٢٨٢، وقد انتقدَ ابنُ خلدونٍ مسلَكَ الذين عُنُوا في مصنَّفاتِهم بالتّأريخ (ظاهرِ الحدَث)، دونَ التفاتٍ إلى التَّاريخ (باطنِ الحدَثِ وأسبابِه وغَاياتِه). وبهذا الباطِن يتقاطع علمُ التَّاريخ وعلمَ الاجتماع بنَحوِ ما عبَّر به فيلسوفُ التَّاريخ المجريُّ (ماكس نوردو Max Nordau ت:١٩٢٣هـ): (إنَّ علمَ الاجتماع هو التَّاريخ ولكن بدونِ أسماءِ أعلام، والتَّاريخُ هو علمُ الاجتماعِ مجسَّداً). انظُر: المذاهب الكبرَى في التَّاريخ: ألبان ج. ويدجري:ص٢٧٧، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٩م.

(٤) - انظُر : فلسَفة التَّاريخ: محمَّد الطَّالبي وآخَرون: ص٦٠، عالَم الفكر (مجلَّة)، الكويت ، مجلد ٥/ ١، ١٩٧٤م.

مُبتَسَرَةً ومُفتَقِرةً إلى ركنٍ رَئيسٍ من أركانِهَا الحقيقيَّة، فالتَّاريخُ في هذا الجوِّ المعرفيِّ هو معرضُ الماضي والحاضِرِ والمستقبلِ بكلِّ ما يتَّسعُ له من حضَارةٍ وحَياة.

ولِهَذا توسَّع معنى التَّاريخِ في الدِّراسات الغربيَّة والعربيَّة، ولَم يعُد كمَا كانَ شأنهُ بالأمْس، سلسلةً من حوادثَ مُتعاقبةٍ في زمنٍ منَ الأزمان، أو سَرداً لِحقَبٍ زمنيَّةٍ وما دارَ فيها ، بداعٍ أو بغَيرِ داع، بل أصبحَ مدرسةً يتلقَّى الإنسانُ فيها أحداثَ ماضيه، لِيدرِكَ من خلالها أحوالَ حاضِرِه، ويُفيدَ منها في صَوغِ مستقبلِهِ المنشود[1].

فإذا عَلِمنَا كلَّ هذا استطَعنا أن نقدِّمَ بين يدَي دراسَتِنا هذِه تعريفاً لِمَفهُومِ التَّاريخ أو لِعِلْمِ التَّاريخ علَى النَّحو الآتي: **وعيٌ بدياليَّةِ -تَفاعُلِ- ثلاثيَّةِ الزَّمانِ والمكانِ والإنسَانِ ، ماضِياً وحاضِراً ومُستقبَلاً ، عَن طريقِ تَشخيصِ العِلَلِ، ودَرْكِ الغَايات.**

وهاكَ شَيئاً من الإيضَاح :

- **الزَّمانُ**: وتَنفتحُ حدُودُهُ انفِتاحَ الأزَلِ والأبَد، لِتَستوعبَ الدُّنيويَّ منهُ والأُخرَويَّ معاً، وتأكيداً لِهذا الإطلاقِ في فَهمِ التَّاريخ، وتحرُّزاً عن سَكبِهِ في قالَبٍ ماضَويٍّ فحَسْب، عاوَدنا البيانَ مفصَّلاً فقُلنا: ماضياً وحاضِراً ومُستقبلاً، فالحاضرُ اليومَ سيغدو تاريخاً ماضياً في الغد، وكذلك المستقبلُ بعدَ حين، وعليه تكونُ صناعةُ الحاضر والمستقبلِ مُستنِدةً بنحوٍ أَساسٍ على وَعي الماضي.

- **المكانُ**: ويتَّسعَ اتِّسَاعَ الكَونِ كلِّهِ، بآفاقِهِ الأرضيَّةِ والسَّماويَّة.

- **الإنسَانُ**: ويَصحُّ أن تُحِلَّ محلَّهُ (الكائِنَ الحيَّ) بكلِّ أشكالِ شُخوصِهِ، ولكنَّنا قصرناهُ هاهُنا علَى الشُّخوصِ الإنسَانيِّ باعتِبارِ ما نُعنَى بهِ في هذِه الدِّراسَة ، ومُرادُنا بِهِ جنسُ الإنسَانِ أو الإنسَانُ الجَمعيُّ، وليسَ يقتصِرُ علَى إنسَانٍ بعينِهِ أو حضَارةٍ بذاتِهَا إلَّا إذا خُصَّ فقيلَ: تاريخُ فلانٍ، أو تاريخُ حضارةِ كذا. أمَّا اعتناؤُنا بالإنسَانِ فلِكَونِهِ المَخلُوقَ المكلَّفَ بوَعي التَّاريخِ

---

(١) - بهذا المَعنَى لوحِظَ أنَّ دراسةَ التَّاريخ كعِلم (Discipline) ظاهرةٌ حديثةٌ تقرَّرتْ في جامعات غرب أوروبا وشمال أمريكا في القرنِ التَّاسع عشَرَ فقط ، متأخِّرةً بذلك تأخُّراً كبيراً عن دراسَات الفلسَفةِ واللُّغاتِ القديمَةِ والرِّياضيَّاتِ والعلُوم الطَّبيعيَّة.انظرُ:المصدَر السَّابق:ص٦١.

واقتِناصِ عِبَرِه والإفادَةِ منهَا، فعلمُ التَّاريخِ ليسَ قصَّاً أو تندُّراً، بَلْ هوَ علمٌ إنسَانيٌّ يُمِدُّ المسيرَةَ البشَريَّةَ بذَخيرَةٍ طافِحةٍ بالحقائقِ والنَّواميسِ، تلكَ التي لا يجدُ الإنسَانُ العاقِلُ بُدَّاً من فهمِهَا والاسترشَادِ بهَا .

- **أمَّا الدِّياليَّةُ**: فتعني التَّفاعُلَ بينَ تلكَ الثَّلاثةِ الأركانِ، وهذا التَّفاعلُ هو مُنشِئُ ما يُسمَّى بـ (الحضَارَة)، والحضَارةُ هذِه هي مادَّةُ علمِ التَّاريخ، أو قُلْ: هي وحدة الدِّراسةِ التَّاريخيَّة، علَى حدِّ تعبير (توينبي)، أو مجلَى التَّاريخِ وميدانُ شُخوصِه، ومَبدأ الحضَارةِ هو تلكَ الدِّياليَّةُ المركَّبةُ من أقدارٍ تاريخيَّةٍ تُسيِّرُهَا إرادةُ الغَيبِ، ومِن جهُودٍ بشَريَّةٍ تُبدِيهَا إرادةُ الإنسَانِ في عالَمِ الشُّهود.

بهذِه الدِّياليَّةِ أو بهذا التَّفاعُلِ يكتسِبُ التَّاريخُ حركةً لازِمَة دائِبةً[1]، وتوتُّراً حيويَّاً مُستمِرَّاً، فيَّاضَاً بِما يُسمَّى بِالأحداثِ أو الوقائعِ أو الماجَرَيات، التي تتنقَّلُ بالتَّاريخِ من مكانٍ إلى مكان، مثلَما تنتقِلُ بِهِ من زَمانٍ إلى زمَان، وتُحيلُهُ من حَالٍ إلَى حَال، وتُصرِّفُهُ بينَ وِجهَةٍ وأخرَى.

- **الوَعيُ**: ومناطُ السُّؤالِ فيه هُو: كيفَ يحصُلُ هذا الوَعيُ المأمولُ؟، أو مَا مبادئُ تكوُّنِه في هذا السِّياق؟. لعلَّ الوَعيَ في سياقِهِ التَّاريخيِّ والحضَاريِّ يرتدُّ إلَى لحظِ مبدأيْنِ رئيسَيْن وتفعيلِهِما علَى الدَّوام:

أوَّلهُما: مبدأ النِّظام: وأقصِدُ به النِّظامَ السُّننيَّ الذي أقامَ اللهُ علَيهِ الوجودَ بأكمَلِه، ببُعدَيهِ؛ التَّاريخيِّ النَّاجزِ المحتُوم، والحضَاريِّ التَّكليفيِّ المَشرُوط: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2]، ولولا هذا النِّظامُ لَعسُرَ الوقوفُ علَى معالِمِ المعقوليَّةِ في التَّاريخ، ولَغَدا البحثُ التَّاريخيُّ ضَرباً منَ اللَّهوِ والعبَث. ولَسنا نغلُو إذ نقولُ: إنَّ القُرآنَ الكريمَ هوَ المَجلَى الأصدَقُ لهذا النِّظام، فهو لا ينفكُّ يبُثُّ الدَّليلَ تِلْوَ الدَّليلِ والشَّاهِدَ إثرَ الشَّاهِد، منبِّهاً علَى مَبدأ النِّظامِ وحاضَّاً علَى استِجلاءِ معالمِهِ واقتِفاءِ آثارِهِ وسُنَنِه: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

(١) - إذْ يعسُرُ تصَوَّرُ إنسانٍ بلا زمانٍ أو مكان، كما يعسُرُ تصوَّر مادَّةٍ أو جِرمٍ بلا مكانٍ أو زمان، أو تصوُّر مكانٍ بلا زمان، أو زمانٍ بلا مكان، وهو ما عبَّر عنهُ الفلاسفةُ بتلازُمِ الخَلاء والمَلاء.

(٢) - النِّساء: ٢٦.

تَرَى مِن فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[1] .

وثانيهما: مبدأ التَّذكُّرِ والسَّعيِ والتَّوقُّعِ : فالتَّذكُّر هوَ بابةُ الولُوجِ إلَى المَاضِي، والسَّعيُ هوَ أداةُ اغتِنامِ الحاضِر، والتَّوقُّعُ هوَ فحوَى الرَّجاءِ ومَعنَى تَرقُّبِ المُستَقبَل. والمبدأ النَّاظِمُ لذلكَ كلِّه هوَ (التَّفكُّرُ أو النَّظَر)، الذي يَعني ديمُومَةَ المُحاسَبَةِ، واستِمرارَ الجُهدِ في تحصيلِ التَّوازُنِ بينَ هاتيكَ الثلاثةِ المبادِئ .

- **تشخيصُ العِلَل**: وأعنِي بهِ محاولَةَ تلمُّسِ عِلَلِ الحرَكة التَّاريخيَّة بأبعادِهَا الأربعَة[2].

- **دَرْكُ الغاياتِ**: وليسَ يقتَصِرُ علَى معرِفَةِ الغايةِ المَرجوَّةِ فحَسْب؛ سواءٌ منَ التَّاريخِ وأحداثِهِ بنَحوٍ عامٍّ أو من واقعةٍ بعينِهَا، وإنَّما يحتَوي ذلِكَ ويتعدَّاهُ إلَى الحكمَةِ في استحداثِ نمطٍ من أنماطِ الاستِجابةِ الإنسَانيَّة حيالَ هذِه المَعرِفَة، بالكَيفِ الذي يتلاءَمُ والغايةَ التي أنيطَ بِها وجودُ الإنسانِ في التَّاريخ.

فالمعرِفةُ التَّاريخيَّةُ معرِفةٌ علميَّةٌ وعمليَّةٌ في آنٍ، فإنَّ التَّاريخَ لَم يَعُدْ سرداً لسِيَر أشخاصٍ ودُول، أو رَصداً لأعمالٍ وإنجازَات، بل تخطَّى ذلكَ كلَّه تحرِّياً للحقيقَةِ، وسَعياً لفهمِ الأسبابِ والنَّتائج، إذ الحياةُ في سَيرورَتِها تقتضي التَّفاعلَ والتَّكامل، ومواقفُ الماضي - بلا رَيب - مؤثِّرةٌ في معتَقداتِ الحاضِرِ وآمالِ المستقبل، ولذا كان علمُ التّاريخ متداخلاً مع سائر العلوم، و(محتاجاً إلى مآخذَ متعدِّدةٍ ، ومعارفَ متنوِّعة)، كما يقُولُ ابنُ خلدون[3]، بل إنَّ خائضَ عُبابِ هذا العلمِ الزَّاخِرِ لَيحتاجُ إلى رَصيدٍ معرفيٍّ واسِعٍ ومُتكاملٍ ضمنَ دائرةِ العلُومِ الحياتيَّة عمُوماً، والإنسانيَّةِ منها خصُوصاً، ولِهَذا كلِّه، كان التَّاريخُ فنّاً (عزيزَ المذهب، جمَّ الفوائد، شريفَ الغَاية)[4].

إنَّ فائدةَ التَّاريخ - مِن حيثُ هوَ عِلمٌ معتبَر - كامنةٌ في قُدرتهِ علَى توظيفِ حركةِ الأحياءِ

(١) - المُلك:٣-٤.

(٢) - الفاعليَّة ، والمادِّيَّة ، والصُّوريَّة ، والغائيَّة .

(٣) - مقدِّمة ابن خلدُون : ص ٢٩١

(٤) - المصدر السَّابق ، والصَّفحة ذاتها .

وأسبابِ تطوُّرِ الفردِ وارتقاءِ الجماعةِ في خدمةِ الإنسانِ والمجتمعِ كافَّة، فيما يُقدِّمهُ لهمَا مِن حقائقَ عَرِيَّةٍ عَن الغشِّ والتَّزوير، ويأتي دورُ الدَّارسِ أو الباحثِ هاهُنا لِيجعلَ من ذلك التَّاريخ سَماداً للحاضرِ والغَد .

* - المبحثُ الثَّاني: الغرَضُ من درَاسةِ التَّاريخ الإسلاميّ خُصوصاً:

الإنسانُ بطَبعهِ ذو مُيولٍ تاريخيَّة، بمعنى أنَّ لديه إحساساً بالماضي وتعلُّقاً به، ولكنَّ هذا الإحساسَ لدى ذَوي الألباب لا يقفُ عند حُدودِ الاسترجاعِ والتَّرداد، وإنَّما يتعدَّاه إلى التَّساؤل وطلَبِ الحكمَة، واستجلاءِ المعاني والعِبَر، على نحوٍ يخفِّفُ من وطأةِ القلقِ حول المآل والمصير .

ولِهَذا تجدُ (فرعَونَ) مثلاً ، ومِن موقِعِهِ الإنسَانيِّ – بصَرفِ النَّظرِ عن صبغتِهِ الإيمانيَّة – يَسألُ ويَتساءلُ عن التَّاريخِ وأيَّامِ القرونِ الخاليَة مُستَخبِراً ومستَفهِماً: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[1]، ويجيءُ مثلُ هذا السُّؤالِ في طيِّ القَصَصِ القُرآنيِّ ليُثيرَ اهتمامَ السَّامِعِ بالتَّاريخِ وأيَّامِهِ وسُنَنِه وعِبَرِه، وليُحرِّضَ فيهِ منزَعاً تاريخيَّاً أصيلاً ذا خيرٍ جَزيلٍ، حذَرَ غيبوبَتِهِ أو تبلُّدِه .

إنَّ هذا المنهجَ في تناولِ التَّاريخ هوَ ما تتبنَّاه الرُّؤيةُ الإسلاميَّة ، فهوُ الموقفُ الذي ما برِحَ القُرآنُ الكريمُ يؤكِّدُه مراراً في ثَنايا القَصَصِ وفي أعقابِهِ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[2]، وعلى هذا المنهَجِ يُحمَلُ مثلُ قولِ الشَّافعيِّ: (مَن عَلِمَ التَّاريخ زادَ عقلُه)[3]، وكذا قولُ شَوقي:

غَالِ بالتَّاريخِ واجْعَلْ صُحْفَـهُ　　مِن كتَابِ اللهِ في الإجلَالِ قَابَا

وقولُ آخر:

مَنْ لَـم يَـعِ التَّـاريخَ في صَـدرِه　　لَـم يَدرِ حُلوَ العَيشِ مِن مُرِّهِ

ومَن وعَى أَخبَــارَ مَنْ قدْ مَضَى　　أَضَـافَ أَعـماراً إِلَـى عُمْـرِهِ

هذَا على مُستوى التَّاريخ الإنسانيِّ بنحوٍ عامٍّ، فإذا ما أَتَينا إلى دراسةِ التَّاريخ الإسلاميِّ

---

(١) – طَه:٥١.

(٢) – يوسُف:١١١.

(٣) – انظُر: عجائب الآثار: لعبدِ الرَّحمن بنِ حسَن الجبَرتي (ت:١٢٣٧هـ):١/ ٩، بيروت، دار الجيل، د.ت.

بنحوٍ خاصٍّ، وجَدنا دواعيَ أُخرى لدراستِه والاهتمامِ بهِ فوقَ ما ذكرنا، ومن دَاعياتِ هذَا الاهتمام أُمورٌ كثيرَة، هاكَ بعضَها:

١- تاريخُ الإسلامِ يُمثِّلُ حلْقةَ الوصلِ في المَجرَى الحضاريِّ والتَّاريخ الإنسانيِّ العامِّ، فقَد ورِثَ الحضاراتِ البشريَّةَ القديمةَ في وادي الرَّافدين ووَادي النِّيل والهندِ والصِّين وإيران واليونان والرُّومان، وصبَّها في قالَبِهِ الحضاريِّ الخاصِّ، وبعدَها عادَ وأعادَ الأمانةَ إلى الحضارةِ الغربيَّة الجديدةِ بعدَ أن أفلَ نجمُه وتراجعَتْ مكانتُه التَّاريخيَّة والحضاريَّة، وبهذا يكونُ الإسلامُ ناقِلاً للتَّجاربِ المادِّية والمعنويَّة للإنسانِ القديم إلى إنسانِ اليَوم.

٢- في تاريخ الإسلامِ يَعثُر عالمُ الاجتماع -ولا سيَّما عالمُ الاجتماعِ التَّاريخيِّ- على أكثرِ المجتمعاتِ التَّاريخيَّة غَناءً وسَعةً، ذلكَ أنَّ المجتمعَ الإسلاميَّ -وعلى مدَى ما يُنيفُ علَى ألف عام- كان مركزاً لتلاقي شتَّى الاتِّجاهاتِ القوميَّة والعرقيَّة، وفيه امتزجَتِ التَّجاربُ والحضاراتُ المختلفةُ في مساحةٍ واسعةِ النِّطاق، فمِن الطَّبيعيِّ -إذاً- أنَّ عِلمَ الاجتماع -المعرُوفَ بمَسيسِ حاجتِه للتَّاريخ- سيعثُر هاهُنا على أضخمِ مُختبرٍ علميٍّ من شأنِهِ أن يُقدِّم لهُ خدَماتٍ جليلةً في مضمارِ البحثِ العلميِّ والعملِ على استنباطِ القواعدِ والقوانينِ العامَّةِ لعلمِ الاجتماع، وعلَى كشفِ طبيعةِ العلاقاتِ الخافيةِ والجوانبِ المُبهَمةِ في منظومةِ المجتمع الإنسانيِّ وعُقَدِه، وذلك لما يتَّصفُ به المجتمعُ الإسلاميُّ من سَعةٍ وتنوُّعٍ يبلغُ مبلغَ التَّعقيدِ، خاصّةً وأنَّ التَّاريخَ الإسلاميَّ أقربُ إلينا زماناً مِن سائرِ التَّواريخِ القديمةِ، ويتحلَّى بدرجةٍ أكبرَ من الشَّفافيةِ والثُّبوتِ تجعلُ دراستَه أيسرَ تناوُلاً وأجدرَ بالثِّقةِ والاعتماد .

٣- ويَستميزُ التَّاريخُ الإسلاميُّ ممَّا عداهُ من التَّواريخ بوُضوحِ العلاقةِ فيهِ بين الدِّين والحضارةِ، الأمرُ الذي يُعدُّ اليومَ من القضايا الجادَّة والمهمَّة في العلومِ الإنسانيَّة، ونحنُ نؤكِّد هاهُنا -على سَبيل الإيجاز- أنَّ تعميمَ الحُكمِ القاضي بأنَّ الدِّينَ عقبةٌ في وَجهِ التقدُّمِ والمدنيَّة حكمٌ يفتقدُ الصحَّةَ أو الدقَّة، لأنَّه يَستندُ إلى مَوردٍ جُزئيٍّ واحدٍ (الدِّينِ المسيحيِّ)، وحكمٌ كهذا يُعدُّ من أضعفِ أنواعِ الأَحكام وأَوْهَى أشكالِ الاستِدلال، إذ لا يَخفَى أنَّ الأحكامَ الكُلِّيَة لا يُمكنُ

إصدارُها إلَّا بعدَ مُلاحظةِ أَو استقراءِ جُزئيَّاتٍ كثيرةٍ جدّاً.

ونحنُ نرَى -فوقَ ذلكَ- أنَّ الدِّينَ في التَّاريخِ الإسلاميِّ وفي الحضارةِ الإسلاميَّة قَد أَبرَزَ شخصيَّتَه وحضورَهُ المؤثِّرَ ودورَه الفاعلَ في بناءِ المُجتمعِ ورُقيِّهِ وحركتِه عموماً، ويكتسبُ الإسلامُ هاهُنا أهمِّيَّةً مُضاعَفةً من حيثُ كونُه مُشيِّداً لحضارةٍ ومُؤسِّساً لأمَّةٍ وليسَ مُعتَنقاً من قِبَلِ حضارةٍ، بنحوِ ما كانَ علَيهِ الأمرُ بالنِّسبةِ للحضارةِ الرُّوميَّةِ التي اعتنقَت المسيحيَّةَ.

٤- من خلالِ الإمعانِ في مُعطَياتِ الحضارةِ الإسلاميَّة نكتشفُ -نحنُ المُسلمينَ- شخصيَّتنا ومدَى قدُراتِنا في تكوينِ حضَارةٍ وإدارةِ شُؤونها، ومن ثَمَّ، يستقيمُ لَنا أن ندحضَ الأُحدوثةَ التي نَسجَها نفرٌ من الغربيِّين نظَريّاً وقرَّرُوها عمليّاً، إذْ قالُوا: (إنَّ الشَّرقيَّ وعقليَّته لا يُناسبانِ عصرَ الآلَةِ وعصرَ سيطرةِ النُّظُمِ الإداريَّةِ المعقَّدةِ اليومَ)، ولهذا يجبُ أَن يَبقى الشَّرقيُّ -في زَعمِهم- مُنتِجاً للموادِّ الأوَّليَّةِ ومُستهلِكاً للمُنتجَات الصِّناعيَّةِ، وبالتَّالي، تابِعاً للحضَارةِ الغربيَّةِ الكُبرى علَى الصَّعيدِ الإداريِّ والصِّناعيِّ[1].

وازدادُوا في هذَا الظنِّ الكَسيفِ حتَّى بلغُوا بِهِ مبلَغَ القناعَة، وغرَّروا بالشَّرقيِّين قائلينَ مثَلاً: إنَّ الشِّعرَ والأدبَ والعِرفانَ هي الإمكانيَّاتُ والمواهِبُ المتأصِّلةُ في الإنسانِ الشَّرقيِّ والمنسجمةُ ورُوحيَّتَه، ولعلَّهم لأجلِ ذلكَ -وتكريساً لزَعمِهم هذا- يَقصُرونَ اهتمامَهم على إحياءِ تراثِ الشَّرقِ الأدبيِّ والعِرفانيِّ، ويُردِّدونَ الحديثَ عنهُ في الدَّاخلِ والخارجِ مُتجاهلينَ الإشارةَ إلى المُنجزاتِ الكبيرةِ التي تَنطوي عليها ألفُ عامٍ من الحضارةِ الإسلاميَّة، على الصُّعُدِ العلميَّةِ والتِّقْنيَّةِ والسِّياسيَّة[2].

٥- لقد قدِّر لشَرقِنا العربي، أو لمُجتمعنا العربيِّ، أن يظلَّ مُمتزِجاً بالإسلامِ مُتخمِّراً به، وقَد

---

(١) - انظُ: رُوح الأُمم: لعالِم الاجتماعِ الفرنسيِّ زيغفريد، والاستِعمار لَم يَمُتْ أبداً: للفرَنسيِّ إيميه سيزار (ت:٢٠٠٨م)، وجُذورَ عَدمِ المُساواةِ بينَ الأَجناسِ (الأعراقِ) البشريَّة: للفرنسيِّ الكونت دو جوبينيو (ت:١٨٨٢م).

(٢) - انظُر في هذا السِّياق الكتاب الموسوعي: ألف اختراعٍ واختراع؛ التُّراث الإسلاميُّ في عالمنا: لزُمرةٍ من الباحثين العربِ والأجانب، بتحرير: د. سليم الحسَني. وموقع: www.muslimheritage.com

توحَّد الاثنانِ إلى حدٍّ كبيرٍ في المسارِ التَّاريخيِّ لكلٍّ منهُما، وبالتَّالي، فإنَّ منَ العبَثِ بمكانٍ السَّعيَ لفهمِ طبيعةِ المُجتمعِ العربيِّ وظُروفِه فَهماً حقيقيَّاً دونَ أن يكونَ للباحثِ إلمامةٌ كافيةٌ ومعرفةٌ وافيةٌ بطبيعةِ الإسلامِ وتاريخِه، إذْ ما زالَ الإسلامُ حاضِراً في صَميمِ المُجتمع؛ رُوحاً وفِكراً وسُلُوكاً، وعلَيه، فإنَّ التعرُّف الصَّحيحَ علَى الواقعِ العربيِّ والإسلاميِّ يَستلزِمُ أوَّلَ ما يَستلزِمُ الوقوفَ علَى تاريخ الإسلامِ في منطَقتهِ.

٦- ولدراسة التَّاريخ الإسلاميِّ قيمةٌ تربويَّةٌ عُليا، وأعني من حيثُ تأثيرُه في عقليَّة الدَّارس وإكسابُه عاداتٍ وأنماطاً خاصَّةً في التَّفكير والتَّعامُل تصوغُ نَموذجَه الفكريَّ (البراديم Paradigma)، إذْ يتنشَّأُ عن تلك الدِّراسة ما يُعرفُ بين علماءِ التَّربيةِ بـ (العادةِ التَّاريخيَّة)، وهي الأسلوبُ الذي يحكمُ منهجَ الإنسانِ في تناولِ الحقائقِ والأحداثِ والإفادةِ منها ونقدِها وتعليلِها، كلُّ ذلك -بلا ريبٍ- يعكِسُ أثراً تربويَّاً ظاهراً؛ إنْ في مُحيطِ الفردِ، أو في مُحيطِ الجماعة، وهو ما يُسهِمُ جليَّاً في صناعةِ التَّاريخ لدَى الأجيالِ الحاضرَة.

٧- والتَّاريخُ مصدرٌ أساسٌ لدَركِ النَّواميسِ التَّاريخيَّة الحاكمةِ في الميادينِ الكونيَّة والإنسانيَّةِ على السَّواء، أمَّا طريقةُ استنباطِ هذه النَّواميسِ من حوادثِ التَّاريخ وصُروفِه فتكونُ بملاحظةِ الحوادثِ المتشابِهة والصُّورِ المتقاربةِ وعقدِ المقارناتِ فيما بينَها، بما يُسفِرُ عن وعيِ القواعدِ النَّاظمةِ لتلك الحوادثِ نظمَ المقدِّماتِ والنَّتائجِ المتلازمة، وهو ما سُمِّيَ في لسانِ القُرآنِ (سُننَ الله).

هذِه السُّننُ في كلِّ زمانٍ لا جرَمَ أنَّها تمثِّلُ للبشريَّةِ هادياً حضاريَّاً لأمرَين:

أوَّلاً: لِتجاوزِ مواقعِ الخطأ التي سارَت بالأقدَمين إلى مآلاتِ التَّراجعِ والتَّقهقُرِ في بعضِ الجوانب.

وثانياً: لِتبنِّي مواقعِ الصَّواب التي سارَتْ بهم إلى سُدَدِ التَّقدُّمِ والرُّقيِّ في جوانبَ أُخرَى.

المدخلُ الثَّاني:
في مَعنَى الحضَارة

* - المبحثُ الأوَّل: ولادةُ المَفهومِ:

يتشعَّبُ الكلامُ عَنِ الحضَارةِ في مجالاتٍ متنوِّعة، فتراهُ مثلاً في كتُبِ التَّاريخِ والفَلسفةِ والآدابِ والسِّياسةِ والجُغرافيَا والعلُوم، وفي عامِ ١٩٥٢م أحصَى عالِما الإناسَة (الأنثروبولوجيا) الأمريكيِّان (ألفريد لويس كروبر Alfred L. Kroeber ت:١٩٦٠م) و(كلايد كلاكهون Clyde Kluckhohn ت:١٩٦٠م) مَا نافَ علَى (١٦٤) تَعريفاً للحضَارةِ في أشهَرِ اللُّغات.

والواضحُ في هذَا السِّياق أنَّ ثمَّةَ اختلافاً بينَ الباحثِينَ -تبعاً لمدارِسهم الاجتماعيَّةِ والتَّاريخيَّة- في تَمييزِ مَعنى الحضَارة (Civilization) من معانيَ مُشابهَةٍ كالمواطَنَة (Citizeness) والثَّقافة (Culture)، ونحوِهَا، فبعضُهُم يُوردُها معهُم علَى التَّرادُف، وآخرُ يُورِدُها علَى التَّشارُكِ، وبعضُهم يَمنحُ الحضَارةَ شُمولاً في المَعنَى لعُمومِ المناشِطِ البشَريَّة، وبعضُهم يَقصرُها علَى جانبِ الثَّقافة والفكرِ ويُطلقُ اسمَ المدنيَّة علَى جوانبِ المادَّةِ والمعاشِ، ولعلَّ الحقَّ حاصلٌ من مجموعِ الآراءِ، أي أنَّ الحضارةَ كلٌّ عامٌّ يَشملُ محصِّلةَ المناشطِ الإنسَانيَّةِ في أنظمتِهَا السِّياسيَّة والاقتصَاديَّةِ والاجتماعيَّةِ والدِّينيَّةِ والفكريَّةِ والعلميَّة والفنِّيةِ والأدبيَّةِ وما إلَى ذلك، أو قُلْ: للحضَارةِ ثلاثُ دوائِر: الدَّائرَة التِّقنيَّة، والدَّائرَة الاجتماعيَّة، والدَّائرَة الفكريَّة أو الدِّينيَّة.

والأصلُ أنَّ اشتقاقَ لَفظ (Civilization) عائدٌ إلَى اللَّفظ اللاتينيِّ (Civites) بمَعنَى مدينَة، و(Civilis) بمَعنَى سَاكن المدينة، أو (Citizen) بمعنَى المواطن الرُّوماني المتعالي علَى البربَري، ونظيرُه في كلمةِ (Culture) عائدٌ إلَى الجذرِ اللَّاتيني (Cultura) بمَعنَى حراثَة. وتطوَّرَ هذانِ المفهُومانِ عبرَ العصُورِ بدءاً منَ العصرِ اليونانيِّ والرُّومانيِّ وانتهاءً بالعصُور اللَّاحقةِ الوُسطَى والمتأخِّرة، وانتقلَا إلَى اللُّغاتِ الأوروبِّية؛ كالإنكليزيَّة والألمانيَّة والفرنسيَّة، فأنتَ تجدُ في

الإنكليزيَّةِ – مثلاً ، وحسَب مُعجم أوكسفورد – أنَّ أوَّل استعمالٍ لكلمةِ (Civilization) عائدٌ إلى سَنة ١٨٠٥م. وانتقلَتْ ترجمةُ اللَّفظِ إلى العربيَّةِ عبرَ حركةِ التَّرجمةِ العربيَّةِ للكتبِ الأجنبيَّة في عَهدِ محمَّد علي باشَا أوائلَ القرنِ التَّاسعَ عشَر الميلاديِّ، وتأثَّر الكتَّابُ اللاحقونَ من بعدُ بهذِه الكلِمةِ أواخرَ القرنِ التَّاسعَ عشرَ وفواتحَ القرنِ العشرين.

إنَّ المفهومَ الغربيَّ للكلمةِ – كمَا رأيتَ – وليدُ مُفردتَينِ؛ إحداهُما تدلُّ في أصلِ معنَاها علَى الحرَاثَةِ أو الفلَاحة، والثَّانيةُ تدلُّ علَى المدينةِ والنِّسبَةِ إلَيهَا، أيْ أنَّ المفهومَ كانَ تعبيراً عَن مرحلةٍ من مراحِلِ التَّطوُّرِ الاجتماعيِّ البادئِ بالبربريَّة، أمَّا المفهُومُ في نشأتِه العربيَّة فكانَ تعبيراً في مُقابلةِ (البدَاوَة)، الذي يعني التَّرحالَ والتَّنقُّل، بينما (الحضَارةُ) تُنبي بالحضَر، أيْ بالاستقرارِ الذي يوطِّئُ لنُشوءِ (المدنيَّة)، الأمرِ الذي لَا يتَحقَّقُ بالبدَاوة.

يعرِّفُ (ول ديوارنت Will Durant ت:١٩٨١م) الحضارةَ: (بأنَّها نظامٌ اجتماعيٌّ يُعينُ الإنسَانَ علَى الزِّيادةِ في إنتاجِهِ الثَّقافيِّ، وهيَ تتألفُ من أربعةِ عناصرَ : المواردِ الاقتصاديَّة ، والنُّظم السِّياسيَّة ، والتَّقاليد الخلُقيَّة، ومتابعةِ العلُومِ والفنُون. ولها أيضاً عواملُ نشُوءٍ عدَّةٌ منهَا: العواملُ الجيولوجيَّة، والجغرافيَّة، والاقتصاديَّة، والثقافيَّة)[١].

وعلَيهِ ، فإنَّ محصِّلةَ المفهُومِ جماعُ: المدَنيَّة والثَّقافة أو المعرِفَة، وظنِّي أنَّ لفظَ (العُمرانِ) في مفهومهِ العربيِّ رديفٌ لهذا المفهُومِ في هذا المسَاق[٢].

(١) – انظُر: قصَّة الحضَارة: ١/ ٣.

(٢) – للاستزادةِ انظُر: مادَّة (حضَر) في: لسَانِ العرب وتاج العروس، وموسُوعة علم الإنسَان: ص٣٤٦، ومقدِّمة ابن خلدون: ص٥٤٨و٨٨٣، وبدائع السّلك في طبائع الملك: لابن الأزرَق: ١/ ٧١و٧٣، والحضَارَة: د. حسين مؤنس: ص٣١٧، و: Encyclopedia Britannica: Article (Civilization)

* - المبحثُ الثَّاني: جَدليَّة الحضُورِ والشُّهودِ في الثَّقافةِ الإسلاميَّة:

صَادفَ مفهُومُ (الحضَارةِ) مُقارَباتٍ كثيرةً لبيَانِ أَصلِ اشتقَاقهِ وفحوَى دلالتِه، عبرَ مَسيرةِ بَحثٍ مديدَةٍ، لَّما تزَلْ دائبَةً ذائعةً، في مجَالاتٍ مِن العلُومِ الإنسَانيَّة مُختلِفَةٍ، علَى أنَّها في عُمُومِ تلكَ المُقارَباتِ دائرةٌ علَى معنَى: نَمطٍ مِن العَيشِ وأسلُوبٍ في التَّعامُلِ خَاصٍّ بفئةٍ من النَّاس في حِقبةٍ من الزَّمان علَى رُقعةٍ منَ المكانِ.

وفي إبَّان العصرِ الإسلاميِّ الأوَّل، أخذتْ تظهرُ في ميادين البحثِ العربيَّة بوادرُ ثورةٍ دلاليَّةٍ في مفهُومِ الحضارةِ، حرَّرتْهُ مِن حدُودِ المعاشِ الضَّيقةِ، وانفَتحتْ بهِ علَى آفاقِ التَّكامُلِ والتَّامِّ، إذْ أضَافتْ إليهِ بُعداً دِلاليَّاً فذَّاً من خلالِ معنَى (الشُّهودِ)، فأكسبتهُ رَونقاً في الاستعمَالِ وجلالاً، أدناهُ مِن حدِّ القداسَة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾[1].

إنَّ هذَا التَّلاقُحَ الدِّلاليَّ بينَ مفهُومِ (الحضَارةِ) في مَساقِ الدِّراسَاتِ الإنسَانيَّة، وبينَ مفهُوم (الشُّهود) في سياقِهِ العربيِّ القرآنيِّ، قَد ولَّد مفهُوماً بدْعاً منَ المفاهيمِ ، لَم يَحصُر دلالةَ الحضارةِ في مصاديقَ مادِّيةٍ ومدَنيَّةٍ فحَسْب، بلْ عمَّمها علَى مصَاديقَ خلُقيَّةٍ ورُوحيَّةٍ أيضاً، ممَّا أحدثَ تَعديلاً جَوهريَّاً في تَرجمةِ لَفظةِ (الحضَارةِ)[2] من سيَاقِها العربيِّ إلَى اللُّغاتِ الأُخرَى، فبعدَ أن كانَت الحضَارةُ رهينةً بدلائلِهَا المعيشيَّة إذْ تُرادِفُ معنَى (المدنيَّة Civilization) في ترجمةٍ غيرِ دَقيقَةٍ، أضحَى مدلُولُهَا العربيُّ مُتاخِماً لمعنَى (الحُضُورِ Presence)، بمَا يَعنيهِ من شُهودٍ للحيَاةِ، وانفتَاحٍ علَى كلِّ الإنسَانِ، إن في حَاجاتهِ المَعيشيَّة أو في أشوَاقهِ الرُّوحانيَّة، ليكونَ حاملُ وسَامِ (التَّحضُّر) مثَالاً للحضُورِ المُبرِّز في الشَّأنِ الإنسَانيِّ، علَى وجهِ التَّكامُلِ والتَّفوُّقِ والإبدَاع، أيْ ليكونَ (شَاهِداً) حيَّاً واعياً، حاضِراً أبداً في وَاجهةِ الإنسَانيَّةِ ووَاقِعِهَا علَى ممرِّ التَّاريخِ، بحسَبِ التَّعبيرِ العربيِّ القرآنيِّ البديعِ، إذْ ليسَ يَستأهلُ الشَّهادةَ علَى التَّاريخ والنَّاس إلَّا مَن كانَ إيَّاهُم في جُملةِ معَائشِهم ووَقائِعِهم وآمَالِهم ، المادِّيةِ والرُّوحيَّةِ علَى السَّواء، وإلَّا استحالَ شاهدَ زُور.

---

(١) – سورةُ البقرَة:١٤٣.

(٢) – يَصحُّ جَعلُ الحضَارةِ مَصدراً لِـ (حضَرَ) كالحُضُور ، قياسَاً علَى مثْلِ نضَر نَضَارةً ونُضُوراً .

وعليهِ، فإنَّ أيَّ تجربةٍ بشريَّةٍ في منظورِ الثَّقافةِ الإسلاميَّة الأصيلةِ لا تَصدقُ عليهَا صفةُ الحضَارةِ - مفهوماً مجرَّداً خالياً عَن الحُكم - إلَّا إذا استقامَتْ فيهَا أربعةُ مجَالٍ علَى نَحو مُتساوٍ في الاعتبارِ، لا طُغيانَ فيه لَمجلَى علَى آخرَ:

١- مجلًى اعتقاديٌّ أو فكريٌّ: وأعني وجودَ نظامٍ فكريٍّ يَحدُّ معنَى الصِّلةِ بالغَيبِ وما وراء الطَّبيعة.

٢- مجلًى قانونيٌّ أو عمَليٌّ: أيْ وجودُ نظامٍ يَحدُّ ضوابطَ القيَم الخلقيَّة والتَّربويَّة، وأصولَ التَّعامُلِ بين الأفرادِ والُمجتمعاتِ الإنسَانيَّة، ومعَ الأشياءِ والُمجتمعاتِ الكونيَّة، داخلَ الحضارةِ وخارجها.

٣- مجلًى مكانيٌّ: أيْ وجودُ مساحةٍ مكانيَّةٍ تظهرُ فيها آثارُ التَّعايُشِ الماديَّة.

٤- مجلًى زَمانيٌّ: أيْ وجودُ تاريخٍ يَستَوعبُ ما تُخَلِّفُهُ الحضارةُ من تُراثٍ فكريٍّ ومَاديٍّ.

وهكذا، فإنَّ الحضارةَ في حقيقتِها ليسَتْ قَسيماً للمَدنيَّة بمَفهُومها المادِّي، كما يَشيعُ في بعضِ الثَّقافاتِ، بلْ هيَ منها بمَنزلةِ الكُلِّ منَ الجُزء، وبيانُ ذلكَ:

أنَّ الحضارةَ كلٌّ إنسانيٌّ ذُو جُزأَين (مُتحاضِرَين)، أيْ مُتشارِكَينِ في الحُضُور:

١- جُزءٍ (مادِّي): يُعبِّر عن تَلبيةِ الحاجاتِ التُّرابيَّةِ في التَّكوينِ البشَريِّ، وهو ما يُعرَفُ (بالمدنيَّة)، فإذا ما استَقلَّ في الحُضُورِ وانفردَ آذنَ بـ (مادِّيةٍ جوفاء)[1]، وانغماسٍ مَقيتٍ في مظاهرِ التَّرفِ والاستِهلاك، يُطفِئُ مِن وجهِ التَّحضُّرِ عينَهُ اليُمنَى.

٢- وجُزءٍ (مَعنويٍّ): يُعبِّر عن تَلبيةِ الحاجاتِ الرُّوحيَّة في التَّكوينِ البشَريِّ، وهو ما يُعرَفُ بـ (الأخلاقيَّة) أو (الفكرويَّة) بمعناها الرُّوحيِّ والأدبيِّ، فإذَا ما استَقلَّ في الحُضُورِ وانفردَ آذنَ بـ (رَوحانيَّةٍ هائمةٍ)، وعُزوفٍ جَهولٍ عن إعمارِ الحياةِ، يُطفئُ مِن وجهِ التَّحضُّرِ عينَهُ اليُسرَى.

---

(١) - أو بمَا يُعرَفُ في مباحثِ الحداثَةِ الغربيَّة (بالدَّاروينيَّة Darwinism) التي تنادي بالاحتكام إلى الطبيعةِ الحيَوانيَّة المادِّيَّة في الإنسَانِ لتقريرِ الأصلَح لَها فحسْب، وتَرفدُها في ذلك (النِّيتشَويَّة Nietzschism) إذْ تَرَى أنَّ أخلاقَ الغيريَّةِ والإيثَارِ والتَّراحُم حتَّى العدالَة إن هيَ إلَّا أخلاقُ الضُّعفاء.

وفي كلا المشهدَينِ؛ يَفقدُ الإنسَانُ وجهَهُ الحضَاريَّ النَّضير، وبكُلِّها تجتمعُ فيهِ محاسِنُ (الوسَطِ)، بمعنَى الأفضَلِ والأبهَى، فيَغدُو (الحضُورَ الأُسوَة) في وَاجهةِ التَّاريخِ، ومِن ثمَّ، يتأهَّلُ -بمَا فيهِ من تحاضُرٍ[1]- إلى رُتبةِ (الشُّهودِ التَّاريخيِّ)، عبرَ مِرقاةِ التَّمكينِ في الأرض، فالحضُورُ الأسوةُ علامةُ الشُّهودِ التَّاريخيِّ، وسِواغُهُ العقليُّ، ومُبرِّرهُ المَنطقيُّ.

علَى أنَّ ذلكَ لا يعني التَّرادُفَ الدِّلاليَّ المُطلَقَ بين الحضورِ والشُّهودِ، فثمَّةَ فوارقُ لا متَّسعَ لبَسطِها في هذا الكتابِ، لكنَّنا نقولُ في تعبيرٍ منطقيٍّ: ليسَتْ كلُّ أمَّة حضاريَّةٍ أمَّةً شُهُوديَّةً بالضَّرورة، ولكنَّ الأمَّةَ الشُّهوديَّة لا بدَّ لها من مَاصدَقٍ حضَاريٍّ بالضَّرورة، لا يزالُ التَّاريخُ يأتي بهِ في كلِّ زمان. ولعلِّي أُوضِّحُ جُملةَ مَعنايَ بالشَّكل البيَانيِّ الآتي:

مدنيَّة (مادِّية جوفاء) إن استقلّت ....

الحضَارة ......> الحضورُ الأُسوة ......> الشُّهود التَّاريخي

فكرويَّة (روحانيَّة هائمة) إن استقلّت ....

مِن خلالِ هذا الشَّكلِ ترى أنَّ الشُّهودَ هُو الرُّتبةُ العُليا في رُتبِ الحضارةِ، وهيَ رُتبةٌ:

أ- تمنحُ الحضارةَ الأُسوةَ مقوِّماتِ (المُكْثِ) وأسبابَ البقاءِ على امتدادِ التَّاريخ، اعتباراً بقانونِ (الزَّبدِ) المشهُور: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[2].

ب- وتُخوِّلها كذلكَ صفةَ (المعيَار) في كلِّ مُستَجدٍّ فكريٍّ طارئٍ، اعتباراً بقانون (الفُرقانِ) المشهُور: ﴿إِن تَتَّقُواْ اللّهَ[3] يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[4].

(١) - أي حضُورٌ متكافِئٌ ومُعتدلٌ في جُزأَي الحضارَة؛ الماديِّ والمعنويِّ.

(٢) - الرَّعد:١٧.

(٣) - وتقَوى الله بالمفهومِ الإنسانيِّ تعني التَّنزُّهَ عن الاعتباراتِ الشَّخصانيَّة الضيِّقة، والعملَ في سبيلِ الصَّالح العامِّ، والتَّفكيرَ في دائرتِه. وهو عينُ ما يعبَّرُ عنه في الدِّياناتِ الكتابيَّة بمُصطلحِ (مخافة الربِّ): (أصلُ الحكمةِ مخافةُ الربِّ وفُروعُها طولُ الأيام)، و(إكليلُ الحكمةِ مخافةُ الربِّ إنَّها تُنشِئُ السَّلامَ والشِّفاءَ والعافيةَ). (العهد القديم: سفر يشوع بن سيراخ: الإصحاح الأوَّل: ٢٣و٢٦).

(٤) - الأنفَال:٢٩.

ومشكلةُ العربِ اليومَ أنَّهم يناظِرونَ حضاراتِ اليومِ بتاريخِهم لا بواقعِهم، ولعلَّ ذلك ناتجٌ عن سوءِ فهمٍ لحقيقةِ الحضارةِ، إذْ ما زالَتْ تُفهَمُ غلَطاً في أوساطِ الثَّقافةِ العربيَّة على أنَّها التَّاريخُ الغابرُ، في حين أنَّ أربابَ الحضارةِ الحيَّة الآن يفهمونَها بمعنَى الحضُورِ والشُّهودِ، فهُم في سبيلِها عامِلونَ دائبون.

* - المبحثُ الثَّالث: مُكَوِّناتُ الحضَارة:

- تمهيدٌ:

لا تتكاملُ نشأَةُ حضارةٍ ما إلَّا باجتماعِ عناصرَ رئيسَةٍ دأَبَ فلاسفةُ الحضارةِ على استذكارِها وتعدادِها، وجاءَت تسمياتُهم في هذا السِّياقِ متنوِّعةَ الألفاظِ، غيرَ أنَّها متَّفقةُ المعاني، يصِحُّ للنَّاظرِ المُعِنِ جمعُها في عناوينَ عريضةٍ، بدءاً بالمواردِ الاقتصاديَّة، ومَرَّاً بالنُّظُم الدِّينيَّة والأخلاقيَّة، وكذا النُّظُم السِّياسيَّة أو الإداريَّة، وانتهاءً بالعلومِ والفنون.

كلُّ هذه العناصرِ لا بدَّ من وجودِها مجتمعةً في تأسيسِ أيِّ حضارةٍ إنسانيَّةٍ، وعليه، يكونُ فقدُ بعضِها أو أحدِها مانعاً وجوديَّاً من إطلاقِ اسمِ الحضارةِ على جماعةٍ ما، ولكن ثمَّةَ ملحظٌ أساسٌ في اجتماعِ تلك العناصرِ، وهو أنَّ الحضارةَ عملٌ جماعيٌّ، وليسَت صناعةَ فردٍ وحدَه، فالفردُ -مهما بلغَ- لا يستطيعُ إنشاءَ حضارةٍ بنفسِه إلَّا بمُساعدةِ شركائِه في الأرضِ والوجودِ، وأعني أنَّ التَّفاعلَ بينَ النَّاسِ هو الذي يولِّدُ حركةَ التَّحضُّرِ ويُطلِقُها في مسارِها التَّاريخي، حتَّى أولئك الذينَ اعتزَلوا المجتمعَ وتفرَّدوا في الإنتاجِ العلميِّ والأدبيِّ، إنَّما كانَ ذلكَ منهُم بفعلِ الثَّورةِ على المجتمعِ، ولولاهُ لما تسنَّى لأولئكَ المتفرِّدينَ الظُّهورُ والاستمرارُ، فالحضارةُ بهذا الفهمِ نِتاجٌ جماعيٌّ، أو كما يقولُ ابنُ خلدون: هي نوعٌ من أنواعِ العُمرانِ، أو طَورٌ من أَطوارِه، والعُمرانُ بدورِه ناشئٌ عن الاجتماعِ الإنسانيِّ[1].

---

(١) - انظُر: مقدِّمة ابن خُلدون: ص٤١ فما بعدها.

نعاودُ الآنَ المُضيَّ في بيانِ العناصرِ العاملةِ في تكوينِ الحضارةِ، وقَد أجملناها في ثمانيةِ مكوِّناتٍ، نَسوقُها لكَ فيما يأتي:

*- أوَّلاً: المكوِّن الفِكريُّ:

ونَعني به العنصرَ الذي يمنحُ أفرادَ الحضارةِ تصوُّراً فكريَّاً حيالَ الوجودِ الميتافيزيقي، أو ما وراءَ الطَّبيعةِ كما يُقالُ، وهو ما اصطُلِحَ عليه عبرَ التَّاريخ باسمِ (الدِّين)، وهو عنصرٌ لا بدَّ منهُ في كلِّ حضارةٍ، بغضِّ الطَّرفِ عن مصدرِه أو عقائدِه، لأنَّه يروي ظمأً فِطريَّاً في الدَّاخل البشريِّ، يُلحُّ بصاحبِه في سبيلِ فهمِ الوجود واكتشافِ مجاهيلِه ومُبهَماتِه، سواءٌ منها ما هو كائنٌ في الزَّمانِ الرَّاهنِ، وما لم يكُن بعدُ في الزَّمانِ القابِل.

هذا أوَّلاً، والدِّينُ كذلكَ عنصرٌ رئيسٌ في وحدةِ أفرادِ الحضارةِ، وحافزٌ بليغٌ في التَّعاونِ لتأسيسِ حضارتِهم وإعمارِها، بصورةٍ تَسمُو على الأنانيَّةِ والفرديَّةِ الضَّيقة، وتنفتحُ على العملِ في سبيلِ النَّفعِ العامِّ، والإخلاصِ للقيَمِ الوجوديَّة الكبرَى، التي يُنشِئُها الدِّينُ في النُّفوسِ، فيجعلُها أشرفَ مقاماً وأنبلَ هدفاً، وأكثرَ اطمئناناً واحتمالاً لنوائبِ الزَّمان وصروفِ الدُّهور.

*- ثانياً: المكوِّن الاقتصاديُّ:

قيلَ وما زال يُقالُ: (المالُ عصَبُ الحياة)، فكما الصُّبحُ يتنفَّسُ بواسطةِ النُّور فتدبُّ فيهِ الحركةُ والحياةُ، وكما الزَّهرُ يَحيا بندى الصَّباح، وكما الماءُ يُنعِشُ نباتَ الأرضِ، كذلكَ الحضارةُ تنشَطُ بالمالِ وتبادُلِ المنافعِ، وتَجري في أوصالِها حركةُ الحياةِ والنَّماء، وهو ما تعنيهِ كلمةُ (الاقتصادِ) في دلالتِها المعاصرة.

ولا يرتابُ أحدٌ في أنَّ عنصرَ الاقتصادِ كانَ ذا أهمِّيةٍ بالغةٍ حتَّى في تكوينِ القبيلةِ، فضلاً عن المجتمعِ الواسعِ المتحضِّر، وبرغمِ ما يكونُ في القبيلةِ أو في المجتمعِ من ملكاتِ الفطنةِ والذَّكاء، وصفاتِ النَّبالةِ والمروءةِ والوفاءِ، فإنَّ ذلك كلَّهُ يبقى رهنَ التَّبدُّدِ والانعكاسِ ما لَم يتحصَّن بعواملَ اقتصاديَّةٍ تؤمِّنُ لهُ أسبابَ الحياةِ والبقاءِ.

إنَّ كثيراً من التَّعدِّياتِ والغاراتِ اللَّامشروعة التي اعتادَتْ عليها القبائلُ من قبلُ كانَت في غيرِ قليلٍ منها بدوافعَ اقتصاديَّةٍ، أي بُغيةَ تأمينِ المأكلِ والمشربِ ونحوِهما، الأمرُ الذي سلخَ وصفَ التَّحضُّرِ عن أمثالِ تلكَ القبائلِ، برغمِ ما قد يكونُ فيها من ملكاتٍ ومواهبَ شريفةٍ. إذاً، لا شكَّ أنَّ افتقادَ أسبابِ الأمن الاقتصاديِّ ينعكسُ سلباً في دنيا الحضارةِ، ويُشيعُ فيها أجواءَ الخوفِ والقلقِ، وإنْ توفَّرت لها أصنافُ المعارفِ والأخلاقِ والفنونِ.

*- ثالثاً: المكوِّن العِلميُّ:

العلمُ هو الطَّريقُ المُثلى التي يسلكُها إنسانُ الحضارةِ لاكتسابِ المعارفِ واكتشافِ الأفكارِ، ومبدأُ العلمِ قائمٌ على المحاولاتِ والتَّجاربِ المتكرِّرة، تلك التي تتولَّدُ منها النَّظريَّاتُ العلميَّةُ التي تنهضُ الحضارةُ في ضوئِها.

ومنذُ القِدَمِ، حاولَ الإنسانُ التعرُّفَ على البيئةِ المحيطةِ به، وسعى لفهمِ أسرارِها وعلاقاتِ الأشياءِ فيما بينها، وتحصَّلتْ لديهِ من أمثالِ تلك المحاولاتِ والتَّجارُبِ مجموعةٌ من الحقائقِ والمعادلاتِ العلميَّة، تمكَّن بها من تَسخيرِ قوى الطَّبيعةِ في خدمةِ حاجاتِه ومصالحِه. وبغيرِ العلمِ ما كانَ لهُ أن يظفرَ بتلك الوسائلِ التي ذلَّلت لهُ طرائقَ الإفادةِ من خيراتِ الطَّبيعةِ وعطاءاتِها.

ولعلَّ هذا السُّلوكَ العلميَّ في أصلِه راسخٌ في الطَّبيعةِ البشريَّة، إذْ لا يمكنُ للإنسانِ أن يحيا في أوساطِ الطَّبيعةِ دونَ أن يُحاولَ فهمَ السُّبلِ التي تحدِّدُ لهُ السُّلوكَ المناسبَ تُجاهَها، ولكنَّ الارتقاءَ بحركةِ العلمِ والتَّعلُّم هذِه، والمداومةَ على انتهاجِها والإبداعِ فيها، هو الذي يصنعُ التقدُّمَ، ويُوجِدُ التَّفاضُلَ بينَ الحضاراتِ.

ثمَّ إنَّ هذا التَّفاضلَ العلميَّ بينَ الحضاراتِ لا يقتصرُ على وجهةٍ معيَّنةٍ من العلومِ، وإنَّما يتَّسعُ لكلِّ ما يُحيطُ بالإنسانِ من شؤونٍ ماديَّةٍ ومعنويَّة، ولا يستقيمُ المعنى الحضاريُّ في مجتمعٍ ما إلَّا إذا تكاملَت علومُه في كلِّ تلك النَّواحي على السَّواء.

*- رابعاً: المكوّن الأخلاقيُّ:

قضيَّةُ الأخلاقِ قضيَّةٌ مركزيَّةٌ وجوهريَّة في عالمِ الحضارة، فهي القضيَّة التي يتمحورُ حولها شطرُ الوجودِ الإنسانيِّ، - إذا اعتبرنا الإنسانَ دائراً بينَ خِلْقةٍ (خَلْقٍ) وخُلُق - بل يتأثَّرُ بها شطرُ الخَلْقِ أيضاً، فأخلاقُ الإنسانِ تنعكسُ بالإيجابِ أو بالسَّلبِ على خِلْقَته، وتجاربُ الواقعِ والتَّاريخِ شاهدةٌ بذلك، فكَمْ مِن دَميمٍ جمَّلهُ خلُقُه ورغَّبَ النَّاسَ فيه، وكَمْ مِن جَميلٍ قبَّحهُ خلُقُه ونفَّر النَّاسَ مِنهُ.

هذا على مستوى الأفرادِ، وعلى الغرارِ ذاتِه تأتي منزلةُ الأخلاقِ بينَ مكوِّناتِ الحضارة، وأعني أنَّ لها منزلةً جوهريَّةً في رقيِّ الحضاراتِ وتطوُّرها، إذْ لا بدَّ من قيمٍ أخلاقيَّةٍ تسوسُ علائقَ النَّاسِ سياسةً لا تنبو عن حدودِ اللَّباقةِ والنَّبالة، ولعلَّ العقلاءَ من النَّاسِ متَّفقونَ من حيثُ العمومِ على تحسينِ طائفةٍ من الأخلاقِ، كالأمانةِ والوفاءِ والصِّدقِ والكرمِ، وهم متَّفقونَ كذلك على تقبيحِ نقائِضِ ذلك من الأخلاقِ.

ولا بدَّ من الاعترافِ بأنَّ التَّاريخَ الإنسانيَّ كان يبرهنُ دائماً على ضرورةِ تلازمِ المكوِّنِ العلميِّ والأخلاقيِّ في كينونةِ الحضارةِ، فالعلمُ الذي لا أخلاقَ معهُ عِلمٌ لا يعودُ على الحضارةِ إلَّا بالوبالِ وأسبابِ الخزيِ والانحرافِ.

ومن هنا، لَم تبقَ الأخلاقُ مجرَّدَ قيمٍ موروثةٍ في الحضاراتِ المتقدِّمة أو النَّامية، بل استحالَت عِلماً ذا أصولٍ وأدواتٍ، وشرعَت مراكزُ التَّعليمِ ببثِّها في أوساطِ العلومِ والمتعلِّمين، عندما أدركَت أنَّ العلمَ العريَّ من الأخلاقِ علمٌ مُخيفٌ، فأصبحتَ ترى في ميادين العلومِ أخلاقَ الطبِّ، وأخلاقَ الاقتصادِ، وأخلاقَ الصِّناعةِ، ونحوَها.

ولم يتوقَّف الأمرُ عند هذا القدرِ، بل استحالَت الأخلاقُ اختصاصاً قائماً برأسِه، وسَّعَ مفهومَ (التَّربيةِ) المعهودَ[1]، وأسهمَ في غرسِ الأخلاقِ والفضائلِ في النُّفوسِ بالوسائلِ العلميَّة

---

(١) - انظُر في هذا الشَّأن مثلاً: ما كتبهُ الفيلسوفُ وعالمُ الاجتماعِ الإنجليزيُ هربرت سبِنسر (Herbert Spencer)

والنَّفسيَّة النَّاجعة، تلك التي لا يزالُ الإنسانُ يكتشِفها ويطوِّرها حتَّى اليومِ.

*- خامساً: المكوِّن اللُّغويُّ:

تُعدُّ اللُّغةُ من أهمِّ مكوِّناتِ الحضارةِ وأُسسِ المجتمع، إذ لا يمكنُ الحديثُ عن حضارةٍ بدون لُغةٍ، وهي أهمُّ وسيلةٍ لا يزالُ الإنسانُ يستخدمُها حتَّى اليومِ للتَّعبيرِ عن (الثَّقافة)، وبلورتِها وتحليلِها وتفسيرِها، فبينَ اللُّغةِ والثَّقافةِ جدليَّةٌ محكَمَة، أولاً لكونِ الأولى تعبِّرُ عن الثَّانيةِ وتُسجِّلُها، ثمَّ لِكونِ الثَّانيةِ مادَّةَ الأولى ونِتاجَها.

ومن هنا، اشتِهرَت مقولةُ (اللُّغةُ وِعاءُ الفِكر)، وهي مقولةٌ صادقةٌ، فإنَّ غالبَ مفرداتِ التَّربيةِ والتَّعليمِ والثَّقافةِ تمرُّ عبرَ قناةِ اللُّغة. ولأجلِ ذلك، كانَ المكوِّنُ اللُّغويُّ جزءاً لا يتجزَّأ من منظومةِ الحضارةِ، بل لا يمكنُ أن تنهضَ الحضارةُ نهضةً حقيقيةً بغيرِ نهضةٍ لغويَّةٍ.

ولعلَّ الذي يقفُ على تواريخ الأممِ والحضاراتِ، ويَسبرُ أغوارَ نشأتِها وازدهارِها، وأسبابَ تدهورِها وأُفولِها، يُدركُ بلا ريبٍ أنَّ عنصرَ اللُّغةَ لم يكن يوماً نافلةً في مجالِ التَّدافعِ الحضاريِّ بين الأممِ[1]. فاللُّغةُ باعتبارِها الشَّفاهيِّ والكتابيِّ تقومُ بدورٍ مهمٍّ في تشكيل وَعي الجماعةِ وسلوكِ أفرادِها[2].

ولو عُدنا إلى التَّاريخ لوجَدنا أنَّ من يبتعدُ عن لغتِه إنَّما يفقدُ ذاتَه. وفقدانُ الذَّاتِ يحملُ معهُ فقدانَ الثَّقافةِ، وتشتُّتُ اللُّغةِ يعني انفصامَ الرِّباطِ الجامعِ بين متكلِّميها، والنتيجةُ الحتميَّةُ هي اندثارُ الثَّقافةِ التي يمثِّلونَها.

(ت:١٩٠٣م)، في كتابِه (أسُسُ الأخلاق).

(١) - كانت اللُّغةُ ولا تزالُ من أهمِّ مواقع الصِّراع الفكريِّ، ومن أخطرِ أسلحةِ الاحتواءِ الاستراتيجيِّ لثقافاتِ الشُّعوبِ وتَمييعها، لإخراجِها عن طبيعتها وصبغَتِها الأصيلَة، ولولا ذلك لما كانت الفرنكوفونيةُ اليومَ تجري في تنافسٍ محمومٍ مع الأنجلوسكسونيَّة، لاحتلالِ مواقعِ التأثيرِ الثَّقافيِّ في العالَمِ.

(٢) - مَن يؤمنْ بأنَّ اللُّغةَ وعاءٌ لفكرِ الأمَّة، تجعلُ فيه أفكارَها وثقافتَها ومعارفَها وتاريخَها، وبه تَصوغُ مقوِّماتِها وخصائصَ وجودِها، يُدركْ أنَّ التَّضييقَ على اللُّغةِ العربيَّةِ ومحاولةَ تهميشِها أو ازدرائِها فعلٌ ينضافُ إلى المحاولاتِ الاستعماريَّةِ السَّاعيةِ إلى مَحوِ أهمِّ خاصِّياتِ أمَّةِ العرَب، بل مَحقِ وجودِها.

*- سادساً: المكوِّن النَّفسيُّ:

ونعني بالمكوِّن النَّفسيِّ حالةَ الطُّمأنينةِ الدَّاخليَّة (الأمنِ) لأفرادِ الحضارةِ، مشفوعةً بحالةِ الاستقرارِ الخارجيِّ (الأمانِ) في المُحيطِ الحاضنِ على الأرض.

إنَّ توفُّرَ هاتَين الحالتَين ينشرُ في نواحي الحضارةِ معنى الاستقرارِ العامِّ، وهو السَّببُ النَّفسيُّ الرَّئيسُ المُهيِّئُ لإتقانِ الأعمالِ وتوليدِ حركةِ الإبداع، وهما معاً، أي الإتقانُ والإبداعُ، المَجلى الأظهرُ للحضارةِ المعتبرَة، ومعلومٌ أنَّ كلَّ هذا لا يمكنُ أن يتخلَّقَ في رَحمِ الحضارةِ إلَّا إذا لقَحهُ عامِلا الأمنِ والأمانِ.

هذا (الأمنُ) وهذا (الأمانُ) لا يمكنُ أن يَشِيعا في النُّفوسِ إلَّا إذا أحسَّ النَّاسُ بأمرَين:

١- بالرِّعايةِ: أي بسرَيانِ رُوحِ العدالةِ فيما بينهُم.

٢- بالحمايةِ: أي بوجودِ الحصنِ القويِّ الذي يذودُ عنهُم بأسَ المتطاولينَ والطَّامعين.

*- سابعاً: المكوِّن الجغرافيُّ:

ونعني بالمكوِّن الجغرافيِّ الأرضَ الملائمةَ، وقديماً قيلَ: (حيثُ يوجدُ الماءُ يوجدُ الخِصبُ والعطاءُ). وهذا حقٌّ، فحظُّ الأرضِ ذاتِ المواردِ المائيَّةِ الوافرةِ من الحضارةِ أكبرُ من حظِّ الأرضِ الشَّحيحةِ أو اليَبابِ، وذاكَ أنَّ الماءَ هو العنصرُ الحيويُّ الأخطرُ في حياةِ الحضارةِ، فالإقليمُ الذي يزخرُ بالماءِ والعيونِ والأنهارِ تتهيَّأُ لهُ أسبابُ التَّحضُّرِ والنَّماء، وكذا الأقاليمُ التي تقومُ على سواحلِ البحارِ تَرى الشَّواطئَ فيها بوابةً للوارداتِ والمنافعِ، ولا سيَّما إن كانَت على طرقِ التِّجارةِ الرَّئيسةِ والكبرَى في العالَم.

إنَّ أمثالَ هذِه البلادِ والأقاليمِ هي بيئةٌ مناسبةٌ جدَّاً للازدهارِ الحضاريِّ إذا ما قيسَت بالبلادِ التي تشحُّ فيها الأمواهُ وتندرُ فيها الواجهاتُ المائيَّة. فجُلُّ الحضاراتِ القديمةِ قامَت على ضفافِ الأنهارِ، كالحضارةِ الفرعونيَّة، وحضارةِ بلادِ ما بينَ النَّهرَين.

على أنَّ ذلك لا يعني أنَّ وفرةَ المياهِ هي التي تستقلُّ وحدَها بإنعاشِ الحضاراتِ، فهنالكَ

أسبابٌ أخرَى مُعِينةٌ كذلك، كأن تجودَ الأرضُ بأصنافِ المعادنِ والفلزّاتِ، وآبارِ النِّفطِ والغازِ، ولا سيَّما في راهنِ العصرِ، إذ أضحَتْ هذِه الأشياءُ محطَّ المطامعِ والمصالِح[1].

أمَّا الأقطارُ الاستوائيَّةُ التي تجتاحُها الطفيلياتُ والأمراضُ، وكذا الأقطارُ الجافَّةُ نادرةُ الماء، المعتمدةُ على أَمطارِ الطَّبيعةِ، فغالباً ما يَسودُها كسلٌ وخمولٌ وفقرٌ وإهمالٌ، من شأنِهِ أن يصرفَ الجهودَ عن الأخذِ بأسبابِ التَّحضُّرِ والنَّماءِ، ولا شكَّ أنَّ مثلَ هذا السُّلوكِ متوقَّعٌ من إنسانٍ يعيشُ في بيئةٍ جغرافيَّةٍ تَضِنُّ عليهِ بخَيراتِها، ولا تقدِّمُ لهُ شيئاً ذا بالٍ يمكنُ أن يُبديَ حيالَه الجهدَ أو (التَّحدِّي) الذي يرقَى بهِ في معارجِ الفكرِ والعلومِ والفنونِ.

وهذا ما سجَّلهُ التَّاريخُ في فَناءِ عدَدٍ من الحضارات، إذْ كانت الطَّبيعةُ بكوارثِها أو بتَأبِّيها واستعصائِها على الجُهدِ الإنسانيِّ سبباً رئيساً في انقراضِ الحضارة وتلاشِيها، ومن ذلك: حضارةُ سبأٍ التي جرفَتها السُّيولُ، وعقمَت فيها الأراضي، فأمسَتْ أثراً بعدَ عينٍ.

*- ثامناً: المكوِّن السِّياسيُّ:

ونعني بالسِّياسةِ هاهُنا معناها الأوَّليَّ البسيطَ، ولا نريدُ الذَّهابَ في عُمقِها الاصطلاحيِّ، فالسِّياسةُ في معناها البسيطِ تعني فنَّ الإدارةِ والتَّنظيمِ، ولمَّا كان مثلُ هذا الأمرِ لا يتمُّ بغيرِ سُلطةٍ تُعينُ على إنفاذِ التَّنظيمِ وتعميمِه، اتَّخذت السِّياسةُ معنى الحُكمِ وبسطِ النُّفوذِ.

وأيَّاً ما كان من أمرٍ، فإنَّ جملةَ ما تقدَّم من مكوِّناتِ الحضارةِ لا يتمخَّضُ عن الوجودِ الحضاريِّ بغيرِ مكوِّنٍ سياسيٍّ، يسنُّ القوانينَ النَّاظمةَ لتلكَ المكوِّنات، ويقومُ بتنسيقِ الإجراءاتِ اللَّازمةِ لتنفيذِها واستمرارِها، كلُّ ذلك على وجهِ العدالةِ وحُسنِ التَّدبيرِ، ويتفرَّعُ على ذلك قيامُ الهيئاتِ والمؤسَّساتِ التي تتكفَّلُ بدورِها باستبقاءِ العناصرِ الحضاريَّةِ ودوامِ فاعليَّتِها، من طريقِ إنشاءِ الوسائلِ والمرافقِ الضَّامنةِ لحيويَّةِ التَّفاعلِ بين جميعِ مكوِّناتِ الحضارةِ عبرَ التَّاريخ. وهو ما ينبغي أن تتشاركَ في توفيرِه وتنظيمِه الدَّولةُ عبر مؤسَّساتِها من جهةٍ، والشَّعبُ عبرَ وَعيِهِ وجُهدِه

---

(١) - لا تكفي أمثالُ هذِه الأشياءِ في بناءِ حضارةٍ أصيلةٍ، ما لَم يُصاحِبها إبداعُ الفكرِ ومهارةُ العملِ.

وحميَّتِه الحضاريَّة من جهةٍ أخرى.

*- **وبَعدُ،** فهذه أهمُّ مكوِّناتِ الحضارةِ فيما نحسَبُ، وقد استوعبَتها الحضارةُ العربيَّةُ الإسلاميَّةُ عبرَ تاريخها المديدِ، على تفاوتٍ بين أحقابِها وعهودِها، فزَمناً كانت تجتمعُ لها المكوِّناتُ كافَّةً، فتسودُ وتزدهرُ، وزمناً كانَت تقصرُ عن بعضِ المكوِّناتِ، باختيارِها تارةً، وبقدَرِها تارةً أخرى، فتضعفُ وتَعتَثِرُ فتندَثِرُ.

والمهمُّ الذي نرومُ توكيدَهُ في هذا المقامِ أنَّ المكوِّناتِ السَّالفةَ جميعاً لا بدَّ منها في النُّشوءِ الحضاريِّ، وانعدامُ أحدِها أو بعضِها سببٌ في انعدامِ الحضارةِ برمَّتِها، ولك أن تقفَ عند كلِّ مُكوِّنٍ لتسألَ التَّاريخَ عن أثرِ افتقادِه في حضاراتِ الأممِ، فسيُطالعُكَ بأصنافِ أسبابِ النِّهاياتِ، لتجدَ مثلاً: البؤسَ الإيديولوجي، والانحلالَ الخُلُقيَّ، وشيوعَ التَّرفِ والظُّلم، وفُشوَّ الصِّراعِ الطَّبقيِّ، وانبعاثَ الثَّوراتِ الاجتماعيَّة، وحدوثَ الكوارثِ الطَّبيعيَّة والجيولوجيَّة، ونحوَ ذلك من ويلاتٍ جرَّها على الحضارةِ افتقادُ مكوِّنٍ من تلك المكوِّناتِ التي سُقناها آنفاً، أو سوءُ تدبيرٍ في تنزيلِ مكوِّنٍ ما في موقعِه من بنيةِ الحضارة.

إنَّ قضيةَ النُّهوضِ الحضاريِّ عبر التَّاريخ مشروعٌ شموليٌّ كليٌّ؛ فبناءُ الحضارةِ إنَّما يكون بابتناءِ كلِّ أركانها، كما أنَّ انهيارَ ركنٍ من الأركانِ مؤدٍّ بالضَّرورةِ إلى انهيارِ كلِّ الأركان.

إنَّ البناءَ إذا ما انهدَّ جانبُهُ لم يأمَنِ النَّاسُ أن ينهدَّ سائرُه ! .

الفَصلُ الأوَّل

التَّاريخُ الأُموي




جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

المبحثُ الأوَّل:
إطلالةٌ عامَّةٌ موجَزةٌ

تُطلَق كلمةُ (الأمويِّين) على مجموعةٍ من الملوك يُنسَبون إلى بني أميَّة بنِ عبد شَمس، وهم مَن تَعاقَبوا على مُلك الدَّولة الأمويَّة التي حكمَت العالمَ الإسلاميَّ ما بين عامَي (٤١-١٣٢هـ).

وتَرى طائفةٌ مِن العلماءِ والمؤرِّخين أنَّ الصَّحيحَ عدمُ تسميتِهم بـ(الخلفاء) وإن تلقَّبوا جميعاً بهذا اللَّقب، وذلكَ للحديثِ الذي يرويهِ سفينةُ مَولى رسولِ الله ﷺ أنَّهُ قال: (الخلافةُ بَعدي في أُمَّتي ثلاثون سنةً، ثمَّ ملكٌ بعدَ ذلك)[1].

يُعدُّ الصَّحابيُّ معاويةُ بنُ أبي سُفيان مؤسِّسَ الدَّولة الأمويَّة، ويبلُغ عددُ حكَّامها (أربعةَ عشرَ) حاكماً، ويَنقسمُ الأمويُّون من حيثُ النَّسَبُ إلى فَرعَين اثنين:

أَولهما: **الفَرعُ السُّفيانيُّ**: وهُم أولاد أبي سفيان؛ صخرِ بن حرب بن أميَّة بن عبد شمس، وقد تولَّى الحكمَ منهم: معاويةُ بن أبي سفيان، ويزيدُ بن معاوية، ومعاويةُ الثاني بنُ يزيد الذي تولَّى الحكم لشهرين فقط ومات سنة ٦٤هـ.

وثانيهما: **الفَرعُ المروانيُّ**: وهم أولادُ مروان بنِ الحكَم بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس، وقد تولَّى الحكم منهُم (أحدَ عشرَ) رجلاً، أوَّلُهم مروان بنُ الحكَم، وآخرُهم مروانُ بنُ محمد بنِ مروان بنِ الحكم الذي انقضَت بقتلهِ الدَّولةُ الأمويَّةُ في الشَّرق الإسلاميِّ.

ويَعدُّ كثيرٌ من المؤرِّخين مروانَ بنَ الحكَم حاكماً غيرَ شرعيٍّ؛ منهمُ السُّيوطيُّ والذهبيُّ، وهو عندهم خارجٌ باغٍ على الإمامِ الحقِّ الذي هو (عبد الله بنُ الزُّبير) الذي بُويع بالخلافةِ بعدَ

(١) - أخرجهُ أحمدُ والتِّرمذيُّ وأبو يَعلى وابنُ حِبَّان، وفي روايةٍ أُخرَى عند البيهقيِّ في الكبرى والطَّبرانيِّ في الأوسَطِ والكبيرِ وأَبي يَعلَى وغيرِهم: (إنَّ هذا الأمرَ بدأَ رحمةً ونبوَّةً، ثم يكونُ رحمةً وخلافةً، ثم كائنٌ مُلكاً عَضُوضاً، ثمَّ كائنٌ عتوَّاً وجبريةً -أَو حربةً- وفساداً في الأرض)، وعَضُوضٌ غَشومٌ فيه استبدادٌ وحِرصٌ.

معاويةَ الثَّاني، وقُتِلَ سنة (٧٣هـ) على يدِ جيش عبد الملك بنِ مروان الذي قادهُ الحجَّاجُ.

شهِدَت الدَّولةُ الأمويَّةُ اتِّساعاً كبيراً لحركةِ الفَتح الإسلاميِّ، إذ وصلَ الفاتحونَ في عهدهم إلى حدودِ الصِّين بقيادةِ (قتيبة بنِ مسلم الباهليِّ)، وإلى وسطِ فرنسا في قلب أوروبَّا، حيثُ وقعَت معركة بلاط الشُّهداء (١١٤هـ) .

كما عرَفَت الدَّولةُ الأمويَّةُ الانقساماتِ السِّياسيَّة الكُبرى في تاريخِ الإسلام، وكان لطبيعة نظامِ الحكم الأمويِّ الوراثيَّةِ دورٌ في تَعميق هذه الانقسامات، فقد قامَت ثوراتُ الخوارجِ بقيادة (قُطريِّ بنِ الفجاءة) و(شبيبِ بن زيدٍ الشَّيبانيِّ)، وكان لحركاتِ أهلِ بيتِ رسول الله ﷺ الدَّورُ الأكبرُ في مُواجهةِ الأمويِّين، فقامَت ثورةُ (الحُسينِ بنِ عليٍّ بن أبي طالبٍ)، وثورةُ (زيدِ بنِ عليٍّ بنِ الحُسين)، وكِلتا الثَّورتَين انتهتَا نهايةً مأساويةً جرَّت على آلِ البيت وأنصارِهم تَنكيلاً وإبادةً كبيرَين، ففي العاشرِ من محرَّم سنةَ (٦٠هـ) وقَعت معركةُ (كربلاء) التي انتهت بمَقتلِ حفيدِ رسولِ الله ﷺ الحُسينِ بن عليٍّ ومُعظَمِ مَن معهُ من آلِ البَيت، وفي سنةِ (١٢٢هـ) انتَهت ثورةُ (زيد بن عليِّ بنِ الحُسَين) بقتلهِ مَصلُوباً، وقُتلَ ابنُه يَحيى بخُراسان سنة (١٢٥هـ)، ومن الثَّورات الأُخرى التي قامت ضدَّ الأمويِّين: حركةُ (التَّوابينَ في العراق)، وثورةُ (المختارِ الثَّقفي).

ويُعدُّ عمرُ بنُ عبدِ العزيز بنِ مروانَ بنِ الحكم، أُنموذَجاً فذّاً من الحكَّام الأمويِّين، وقَد تولَّى الخلافةَ ما بَين عامَي (٩٩-١٠١هـ)، شهدَتْ مدَّةُ حكمهِ هُدوءاً عامَّاً وسِلماً، حتَّى دانَت لهُ كلُّ الفِرَق، واشتُهِرَ بعَدلهِ وحُسنِ سياسَتِه واستيعابِهِ لأطيافِ النَّاس.

شَهدَتْ الدَّولةُ الأمويَّةُ حركةً عمرانيَّة كبيرةً، فبُنِيت عدةُ مدنٍ جديدةٍ منها: (واسطُ) في العراق، و(القَيروان) في تُونُس، وتُعدُّ كلٌّ مِن (قبَّةِ الصَّخرةِ) في القُدس و(المسجدِ الأمويِّ) بدمشقَ وحلَب مِن أشهرِ الآثارِ الأمويَّة والإسلاميَّة .

وفي عَهدِ عبدِ الملكِ بنِ مَروان ظهرَتْ أوَّلُ عُملةٍ إسلاميَّةٍ خاصَّة، وظهرَ تعريبُ الدَّواوين من الفارسيَّة والبيزنطيَّة والقِبطيَّة إلى العربيَّة، وتنقيطُ المصحفِ الشَّريف، وفي هذا العصرِ أخذَ العلماءُ كذلكَ بتَدوين العلوم، ويُروى أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز هو مَن أمرَ بتدوينِ الحديث

الشَّريف، وبدأَتْ أيضاً حركةُ التَّرجمةِ ولكِن بنَحوٍ محدُودٍ، وبدأتْ الفِرقُ الكلاميَّةُ بالظُّهورِ من أمثالِ: المعتزلةِ والمُرجئةِ والجبريَّة .

حكمَ مِن بني أميَّة (أربعةَ عشرَ) خليفةً أَو ملِكاً كما ذكَرنا، وكانت مدَّةُ دولتهمِ (إحدى وتسعينَ) سنةً، أَربعةٌ من أولئكَ الخلفاءِ أَو الملوكِ كانت مدَّةُ دولَتهم (سبعينَ) عاماً هُم: معاويةُ وعبدُ الملك بنُ مروان والوليدُ بن عَبدالملك وهشامُ بنُ عبد الملك، أمَّا العشرةُ الباقون فمدَّةُ حكمِهم (إحدى وعِشرون) سنةً .

وكانَ مروانُ بنُ محمَّد بنِ مروانَ بنِ الحكمِ آخرَ خلفاءِ بني أميَّة، قُتل بمِصر سنةَ (١٣٢هـ)، واستطاع صَقرُ قُريش (عبدُ الرَّحمن بنُ معاويةَ بنِ هشام بنِ عبدِ الملك) المُلقَّبُ بـ(الدَّاخل) أن يَستوليَ على إمارةِ (الأَندلُس)، فأشادَ فيها مُلكاً لبني أميَّة، توارثهُ أبناؤه وأحفادُه، واستمرَّ حتَّى سنة (٤٢٢هـ)، وبلَغت دولتُهم أَوْجَها في عهدِ عبدالرَّحمن النَّاصر، الذي حكمَ بين عامَي (٣٠٠-٣٦٠هـ) وشَهِدَت الأندلُس في عَصره عَهداً من أَزها عُهودِها.

وقَد أعلنَ النَّاصرُ سنة (٣١٧هـ) نفسَهُ خليفةً للمُسلِمين، وجرَى الأمويُّون مِن بعدِه علَى حَملِ هذا اللَّقب إلى سنة (٤٢٢هـ)، حينَ زالَ ملكُ الأمويِّين منَ الأندلُس وبدأَ عصرُ الدُّول والطَّوائفِ فيها .

المبحثُ الثَّاني:

سِيرةُ السِّياسةِ في التَّاريخ الأمويِّ

١- معاويةُ بن أبي سُفيان :

تُنسبُ الدولةُ الأمويَّةُ إلى أميَّة بنِ عبدِ شَمس بنِ عبد مناف، كان سيِّداً من ساداتِ قُريش في الجاهلية يقاربُ في المَنزلةِ والرِّفعة عمَّه هاشم بنَ عبد مناف، وكانا يتنافَسان رياسةَ قُريش، وكان أميَّةُ رَجلاً تاجراً كثيرَ المال، أعقبَ كثيراً من الأَولاد، والمالُ والأولادُ -كما ليسَ يَخفى- من أكبرِ أسبابِ السِّيادةِ بعدَ شرَفِ النَّسَب .

هو الصَّحابيُّ معاويةُ بنُ أبي سُفيان بنِ حرب بن أميَّة بنِ عبدِ شَمس بن عبدِ مَناف، كان أبوه أبو سُفيان أحدَ أشياخِ مكَّة، أسلمَ في السَّنة التي فتح فيها الرَّسولُ ﷺ مكَّةَ. كان مُعاويةُ داهيةً في دنياهُ، ملِكاً قويَّاً، جيِّدَ السِّياسةِ حسَنَ التَّدبير، فَصيحاً حازِماً شديدَ المِراسِ، متوسِّعاً في المالِ طامحاً للرِّياسة .

لَم يُنتخَبْ معاويةُ للخلافةِ انتِخاباً عامَّاً -أَي مِن طرَفِ جميعِ أَهلِ الحلِّ والعَقد من المُسلمين-، وإنَّما انتخبَهُ أهلُ الشَّام للخلافةِ بعدَ صدورِ حكمُ الحكَمينِ في فتنةِ التَّحكيمِ الشَّهيرَة، ولَمَّا قُتِلَ عليٌّ وبايعَ جندُ العراق ابنَه (الحسنَ)، ارتأى الحَسَنُ -مصلحةً للمُسلمينَ وصوناً للدِّماءِ- أَن يُبايعَ مُعاويةَ ويُسلم الأمرَ إليه، فبايَعه في ربيع الأوَّل سنةَ (٤٠هـ-٦٦٠م) . وقُصارى القَول أنَّ بيعتَه كانَت بطَوع أهلِ الشَّام، وبطريقِ الغلَبَة والقَهر من أَهلِ العراق، إلا أنَّها انتَهت في الآخر بالتَّسليمِ لمعاويةَ من عامَّةِ الأمَّة ما عدا (الخوارج).

لَم يكُن في الشَّرقِ على حُدود بلادِ الفُرس إلَّا فتوحٌ قليلةٌ، والذي كان إنَّما هو إرجاعُ النَّاكثين من أَهلِ تلك البلادِ إلى الطَّاعة .

غزا عبدُ الله بنُ سِوار العَبدي (القِيقانَ)[1] مرَّتَين، وفي المرَّة الثَّانية استعانَ القيقانُ بـ(التُّرك) فقَتلوه، وغزا المهلَّبُ ابنُ أَبي صُفرة الأَزْديُّ ثغرَ (السِّند)، فأتى (بنَّةَ) و(لاهور)[2] فلَقِيَه العدوُّ وقاتلَه .

وكانَت همَّةُ المسلمين موجَّهةً نحو الشَّمال والغربِ من مملكةِ الرُّوم، فرتَّب معاويةُ الغزوَ إليها برَّاً وبحراً، وافتتحَ عدَّةَ جهاتٍ وبعضَ جزائر (اليونان) وجزيرةَ (رودس) و(قبرص)[3] .

وجهَّز معاويةُ سنةَ (٤٨هـ- ٦٦٨م) جيشاً عظيماً لفتح (القُسطنطينيَّة)[4] برَّاً وبحراً، فسارَ المُسلمون حتَّى بلَغوا القُسطنطينيَّة واشتدَّت الحربُ بيَنهُم وبين الرُّوم، لكنَّ هذا الجيشَ لم يتمكَّن من فَتحها لمتانةِ أسوارها ومنَعة مَوقعها وفتك النَّار الإغريقيَّة بسُفنهم، فاضطُّر المسلمون للعَودة إلى الشَّام بعد أن فقَدوا كثيراً من جنودهم ومراكبهم[5] . وسيَّر معاويةُ إلى عُقبة بن نافعٍ سنةَ(٥٠هـ-٦٧٠م) عشرةَ آلافٍ، فدخل إفريقيةَ وانضمَّ إليه من أسلمَ من البَربر، فكثُر جمعُه، وجعلَ للإسلامِ فيها قدَماً راسِخاً .

٢- يَزيدُ الأوَّل :

هو يزيدُ بنُ معاويةَ بنِ أبي سُفيان وأمُّه مَيسون بنتُ بَحدل الكلبيَّة، وُلد سنةَ ٢٦هـ-٦٤٧م، ورُبِّي في حِجر الإمارَة، فكان موفورَ الرَّغبة في اللَّهو والقَنص والشَّهواتِ والشِّعر، وكان

---

(١) – القِيقانُ: من بلادِ السِّند (باكستان).

(٢) – بَنَّة: مدينةٌ بـ(كابُل) عاصمةِ أفغانستان، ولاهور: في باكستان، ويُقالُ: إنَّها بتاريخها العَميق تُعدُّ العاصمةَ الثَّقافيَّة لباكستان. وانظُر: العالم الإسلامي: عمر رضا كحَّالة: ٢/ ٤٤ فما بعدها.

(٣) – رودُس وقُبرُص جزيرتانِ في البحر المتوسِّط جنوبَ اليُونان.

(٤) – القُسطنطينيَّة: عاصمةُ الأمبراطوريَّة الرُّومانيَّة من (٣٣٠-٣٩٥م)، وعاصمةُ الدَّولة البيزنطيَّة من (٣٩٥-١٤٥٣م)، حين استَولى عليها العُثمانيُّون، فدخل محمَّد الفاتح القُسطنطينية، وأطلق عليها (إسلام بول)، أو (الآستانة)، وبدخُوله صارَت المدينةُ عاصمةَ السَّلطنة العُثمانيَّة. غُيِّر اسمُها في عام (١٩٣٠م) إلى (إسطنبول) ضمن إصلاحات أتاتورك القوميَّة.

(٥) – وأثناءَ الحصارِ توفِّي الصَّحابيُّ أبو أيُّوب الأنصاريِّ، فدُفِنَ حيثُ ماتَ .

فَصيحاً بذَّاخاً شاعِراً مُفلِقاً. بايعَ معاويةُ لابنه يزيدَ بولايةِ العَهد ، ولَم يتخلَّف عن البَيعة إلَّا أربعةُ نَفَر: الحسينُ بنُ عليٍّ، وعبدُ الله بنُ عُمر، وعبدُ الرَّحمن بنُ أبي بكرٍ وعبدُ الله بنُ الزُّبير . ولَّما بلغَ أهلَ الكوفة موتُ معاويةَ وبيعةُ يزيدَ سنةَ (٦٠هـ-٦٨٠م) -وعُمرُه يومئذٍ أَربعٌ وثلاثون- كتبوا إلى الحسينِ يَستقدِمونه ليُبايعوه، فخرج من مكَّة مُتوجِّهاً إلى الكوفة وهو لا يَعلم بحالِ مُسلمٍ بنِ عَقيل الذي كان أرسلَه ليستوثقَ الأمرَ، فلَّما قرُب من الكوفة علِمَ بالحالِ وبمَقتلِ مُسلم بنِ عَقيلٍ بأمرِ عبيدِ الله بنِ زياد، فلَم يَرجع وصمَّم على الوصول إلى الكوفَة غيرةً على دينِ الله، أَرسل ابنُ زياد إليه عسكراً، فقاتلوا الحسينَ وأصحابَه حتَّى قُتل الحسينُ وسبعونَ من أَصحابهِ وأهلِ بيتِه في مَوقعةٍ كانَت المَظلمةَ الكُبرَى في تاريخِ الإسلامِ .

وثنَّى يزيدُ بقِتال أهلِ المدينة في يومِ (الحرَّة)، وذلك أنَّ أهلَ المدينة كرِهوا خلافةَ يزيدَ وخلَعوه وحَصروا مَن كان بها من بني أميَّة، فلَّما بلغَ يزيدَ الخبرُ ندَب إلى تلك الحربِ مسلمَ بنَ عُقبةَ المُرِّي المُلقَّبَ بالمُسرِف، فحاصرَها من جهةِ الحرَّة حتَّى فتَحها.

ثم ثلَّثَ يزيدُ بغَزو الكعبةِ فأَمر مُسلمَ بنَ عُقبةَ بغَزوِها بعد فراغهِ من أمر المدينة، فتوجَّه إليها وكان عبدُ الله ابنُ الزُّبير بها، وقد دعا إلى نفسه وتبِعَه أهلُ مكَّة، فماتَ مُسلمُ في الطَّريق واستخلفَ على الجيش رجلاً كان يزيدُ أوصاهُ بتأميره إن هلكَ، فمضى بالجيش إلى مكَّة وحاصرها، وبرز ابنُ الزُّبير إليه في مكَّة ونشبت الحربُ .

استعملَ يزيدُ عقبةَ بنَ نافع على إفريقية، فسار في عَسكرٍ عظيم، وقد اجتمع بها كثيرٌ من الرُّوم فقاتلوه قتالاً شديداً وانهزَموا، ثمَّ سار إلى بلاد (الزَّاب)[1]، ثم رحل إلى (تاهَرت)[2]، فانهزمت الرُّوم والبَربر، وغنِم المسلمون أموالَهم وسلاحَهم، ثمَّ سار حتى نزل (طَنجة)[3]، ثمَّ سار

---

(١) - بلادُ الزَّاب أو أرضُ الزَّاب: تقعُ وراء القَيروان من جهة المَغرب، فلا يُتوهَّمَنَّ انَّها أراضي نهر الزَّاب جانبَ دِجلةَ في العراق.

(٢) - تاهَرت أو تَيهَرت: اسمٌ لمدينتَين متقابلتَين بشمالِ المغرب العربيِّ،يقالُ لإحداهما (تاهَرت القديمة)، وللأخرى (تاهَرت المحدَثة)، وتقعُ الآنَ شمالَ الجزائر.

(٣) - طَنجَة: مدينةٌ مغربيَّةٌ في الشَّمال، ونقطةُ التقاء المُتوسِّطِ بالأطلسيِّ، والقارَّةِ الإفريقيَّةِ بالأوروبيَّة.

نحو (السُّوس الأدنى) مغرِبَ طَنجة، فلقيتْه البربرُ في جموعٍ كثيرةٍ فقاتلهم وهزمَهم هزيمةً مُنكرة، ثمَّ سار نحو (السُّوس الأقصى)، وقد اجتمع له جمعٌ عظيمٌ من البَربر فقاتلهم وهزمَهم، وسار بعد ذلك حتَّى بلغ (بحرَ الظُّلمات) وهوَ (المُحيطُ الأطلسيُّ)، ثمَّ عاد وأخذ يأمرُ أصحابَه أن يتقدَّموا فَوجاً فَوجاً ثقةً منه بما نال من العدوِّ، فلما رآه الرُّومُ في قلَّةٍ اتَّفقوا مع (كسيلة) كبيرِ جيش البَربر فهاجموا المسلمينَ وقتلوهم وقُتِلَ عُقبة .

٣- معاويةُ بن يزيدَ الأوَّل :

ثمَّ ملكَ بعدَ يزيدَ معاويةُ بنُ يزيدَ بنِ معاوية سنة (٦٤هـ-٦٨٣م)، وكانَ صالحاً ورِعاً، لَم يلبث في المُلك إلَّا أربعينَ يوماً، وقَد خلع نفسَهُ، وألقَى خُطبةً قوَّم فيها مسيرةَ آبائِه، وكانَ فيها مُنصِفاً صادقاً، وقالَ للنَّاسِ في آخرِها: (وإنِّي لَم أذُق حلاوةَ الخلافةِ فلا أتقلَّدُ مرارَتها، فشأنُكم أمرَكم، والله لئن كانت الدُّنيا خيراً فقد نِلنا منها حظَّاً، ولئن كانت شراً فكفَى ذرِّيةَ أبي سفيانَ ما أَصابوا منها) [1]، ثمَّ تغيَّب في منزلِهِ حتَّى ماتَ.

٤- مروانُ بنُ الحكَم :

ولَّما ماتَ معاويةُ الثَّاني ماجَ النَّاس، فأراد أهلُ الشَّام بني أميَّةَ وأراد غيرُهم عبدَ الله بنَ الزُّبير، واختلَفت بَنو أميَّة فيمَن يُولُّونَه، فمالَ ناسٌ إلى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاوية، ومال ناسٌ إلى مروان بنِ الحكم لسنِّه وشَيخوختِه، وهؤلاء بايعوا مروانَ وتمَّت له البيعةُ سنة (٦٤هـ-٦٨٤م)، فقادَ الجنودَ وفتحَ مصرَ وبايعَه أهلُها، ثمَّ عاد إلى دمشق فأقامَ بها، ولَم تَطُل مدةُ مروانَ في سُلطانه، فقد تُوفِّي سنة (٦٥هـ)، وكان قد عَهِدَ من بعدِه لابنه عبدِ الملِك ثمَّ لابنِه عبدِالعزيز [2].

---

(١) - قِف علَى سائِر الخُطبةِ في: البَدء والتَّاريخ: لابن طاهر المَقدسيِّ: ٦/ ١٧، والصَّواعق المُحرِقة: لابنِ حجَر الهيثميِّ: ٢/ ٦٤١، والنُّجوم الزَّاهرَة: لابنِ تَغري بَردي الأتابكي:١/ ١٦٤، ولهُ أيضاً موردُ اللَّطافَة فيمن ولي السَّلطنةَ والخلافَة: ١/ ٧٠.

(٢) - يُعدُّ مروانُ بنُ الحكَمِ أوَّل من سنَّ توليةَ العهدِ لاثنَينِ يَلي أحدَهُما الآخرُ، وكان يَحسَبُ في ذلكَ تفادياً لحربٍ أهليَّةٍ مُحتملَة، ولكنَّ هذا النَّهجَ في حقيقةِ الأمرِ قد بذر بذور الشِّقاقِ والمنافسةِ بينَ أفرادِ الأسرَةِ، إذ لم يكَد يتمُّ الأمرُ لأحدِ الوليَّينِ

٥- عبدُ الملِك بنُ مروان :

تولَّى المُلكَ بعدَ مروانَ ابنُه عبدُ الملك سنةَ (٦٥هـ-٦٨٥م)، وكانت الحالُ في البلاد الإسلاميَّة غايةً في التَّماوِرِ والاضطِّراب، بايعَ أهلُ الحجاز والعراقِ وغيرُهما عبدَ الله بنَ الزُّبير ودَخلوا في طاعته، وقيلَ: بايعَهُ أهلُ الحرَمَين واليمنِ والعراقِ وخُراسان[1].

ولَمَّا صَفا الشَّامُ لعبدِ الملكِ اعتزمَ على غَزو العراقِ وأتتْه الكتُبُ من أشرافهم يَدعُونه، فاستمهَلَهُ أصحابُه فأبى وسارَ نحو العراق[2]، وبلغ مُصعبَ بنَ الزُّبَيرِ سيرُه، فالتَقى الجمعان والْتحمَت الحربُ بينهما، وظلَّ مُصعبٌ في نفَرٍ يَسيرٍ يُقاتل أشدَّ قتالٍ حتَّى قُتِل، واستولى عبدُ الملك على العراقِ وخراسان، واستنابَ أخاهُ بِشرَ بنَ مروان، ورجعَ بجَيشه إلى دمشق .

وبذلك لَم يبقَ خارجاً عن سُلطانِ عبدِ الملك إلَّا الحجازُ، فوجَّه جُنداً يقودُه الحجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقَفيُّ لقتال عبدِ الله بنِ الزُّبير، فلَمَّا وصل مكَّةَ حصرَ ابنَ الزُّبير بها ورماها بالمجانيقِ حتَّى اشتدَّ الحصارُ على أهلِها، فتفرَّقوا عن ابنِ الزُّبير وخرَجوا بالأمانِ إلى الحجَّاج، ولَم يبقَ معهُ إلَّا اليسيرُ، ثمَّ خرجَ فقاتل حتَّى قُتل، وبقَتل ابنِ الزُّبير صفا الأمرُ لعبدِ الملك في جميع الأمصارِ الإسلاميَّة وأجمعتْ عليهِ الكلمةُ.

وبالرُّغم ممَّا أصابَ الأمَّةَ من الفتَنِ والاضطِّرابات والحروب التي أنهكَتْ قُواها بقتالِ

حتَّى يُبادِرَ بعَزلِ الآخَر، وكان هذا النَّهجُ من بعدُ أحدَ أسبابِ انشقاقِ البيتِ الأمويِّ وتهدُّمِه.

(١) - خُراسان: خراسان الكبرى، إقليمٌ قديمٌ يشملُ إيرانَ وأفغانستانَ وبعضَ آسيا الوسطى. وفي شرقِ إيران (إقليمُ خراسان)، وهو يختلفُ عن إقليم خراسان القديم الذي كان يَشملُ مناطقَ أوسعَ. وخُراسانُ اليومَ مُحافظةٌ في شمالِ شرقِ إيران.

(٢) - أثناء سير الجيش الأمويِّ إلى العراق اعترضهُم ناسٌ(قيلَ بلغوا أربعة آلاف) بقيادةِ سُليمان بن صُرَد الخزاعيِّ (لهُ صُحبَةٌ)، أرادوا الثَّأرَ لمقتلِ الحُسين تكفيراً لتقاعُسِهم عن نُصرتِه يومَ كربلاء، ولكنَّ الجيشَ الأمويَّ قضى عليهِم في موقعةِ (عين الوردَة) وتابع مسيرَه إلى العراقِ، وسمِّي هؤلاءِ النَّاسُ باسمِ (جيشِ التوَّابين)، ومالُوا بعدها إلى المُختارِ ابنِ أبي عُبيدٍ الثَّقفيِّ الذي تابعَ مسيرةَ الطَّلب بثأر الحسين إلى أن قُتلَ على يد جيش مصعبِ بن الزُّبير سنةَ (٦٧هـ)، وكان لثورتِه دورٌ كبيرٌ في نشر مذهبِ موالاةِ أهلِ البيتِ وتوسيع رقعتِه.

بعضِهم بعضاً، قطع المُهلَّبُ بنُ أبي صُفرة (بَلْخ)[1] ونزل على (كَشّ)[2]، ووجَّهَ ابنَه حبيباً إلى (رَبَيْخَن)[3]، فوافى صاحبَ (بُخارى)[4]، فكانَتْ بينهُم مناوشاتٌ لم تنتهِ بنتيجةٍ، وانصرفَ حبيبٌ، ثمَّ صالح المهلَّبُ أهلَ (كَشّ) على فِدية. ولَمَّا استقرَّ الأمرُ لعبدِ الملكِ عادَت الغزَواتُ إلى بلادِ الرُّوم، فنظَمَت الشَّواتيَ والصَّوائف[5]، وافتتحَ عبدُ الملك (قَيْسارية) و(قُلَيقِلَة)[6] .

كان عبدُ الملِك لبيباً عاقلاً عالماً ملكاً جبَّاراً قويَّ الهيبةِ عظيمَ السِّياسة حسنَ التَّدبير للدُّنيا، مكَّنته هذه الصفاتُ من إخضاع الأمَّة إلى خليفةٍ واحد، وسلَّمها لابنه الوليدِ وهي على غايةٍ من الهدوء والطُّمأنينة .

٦- الوليدُ بنُ عبدِ الملك :

تولَّى بعد عبدِ الملك الخلافةَ ابنُه الوليدُ سنة (٨٦هـ-٧٠٥م)، كان الوليدُ حسنَ التَّدبيرِ في عهدِه، وكان ميَّالاً للإصلاح فقامَ بإصلاحٍ داخليٍّ عظيم، وسيَّرَ قُوَّاداً عِظاماً لفَتح المعمور .

وأخذَت سنةَ (٩٢هـ-٧١١م) أساطيلُ الأمويِّين تمخُر البحرَ قاصدةً (سيلان)[7]، وسار محمَّدُ بنُ القاسمِ إلى بلاد السِّند (باكستان) حتَّى أتى الدَّيبُل (كراتشي)[8] ولم يَزلْ حاصراً للدَّيبُل حتَّى خرج العدوُّ إليه فهزمَهم وفتحَها، ثمَّ جعل لا يمرُّ بمدينةٍ إلَّا فتحها، حتَّى عبَرَ السِّندَ وفتح فتوحاً عظيماً في بلاد السِّند .

(١) – مدينةٌ مشهورةٌ بخراسان .

(٢) – كشّ: من قُرى جُرجان في بلادِ ماوراء النَّهر .

(٣) – من قُرَى (الصُّغدِ) في سَمرقَند في بلاد ماوراء النَّهر .

(٤) – بُخارَى: اليومَ هيَ إحدى مدُن أوزباكستان في آسيا الوسطَى.

(٥) – الشَّواتي: الجيوشُ التي تَغزو في الشِّتاء، وعكسُها الصَّوائف.

(٦) – قَيْسارِيَة وقُلَيقِلَة أَو قَلقيليَة: مدينَتان فلسطينيَّتان تاريخيَّتان، تقعانِ على شاطئ البحرِ الأبيضِ المتوسِّط.

(٧) – سَيلان: جزيرةٌ عظيمةٌ في المُحيطِ الهنديِّ جنوبَ الهند، وهي اليومَ (جُمهوريَّة سيريلانكا).

(٨) – كراتشي: أكبر مدُن السِّند (باكستان)، وهي ميناءٌ يقعُ جنوباً على بحر العرَب، وتُعدُّ اليومَ المركز الماليّ والتجاريَّ لباكستان .

وخرج قتيبةُ بنُ مُسلمٍ الباهليِّ إلى ما وراء النَّهر[1] فجاشَ أهلُ (الصُّغد) و(الشَّاش) و(فَرْغانة)[2]، وأحدَقوا بهِ فهزمَهم وفتح (بُخارى)، ثمَّ فتح مدائن (خُوارِزم) صُلحاً، و(سمرقَند) و(سمرقَند) بعد قتالٍ شديد و(كاشان) و(كاشغر)[3] .

أرسلَ موسى بنُ نُصير عاملُ الوليدِ على إفريقية رجلاً من مواليه يقال لهُ (طَريف) فأغار على جزيرة سمِّيت باسمه[4]، فأصابَ شيئاً ورَجَع سالماً وذلك سنة (٩١هـ)، ثمَّ دعا موسى مولًى له يُقال له (طارقُ بنُ زياد) لفَتح إسبانيا، ولَّما بلغ الأمرُ رودريك (رُذريق) ملكُ طُليطِلة[5]، جمع جُموعَه والتَقى بطارقٍ في موضعٍ يُقال لهُ (البُحيرة) فانهزَم رودريك، وسار طارقٌ بأصحابهِ إلى مَضيق الجزيرَة، فمَدينة (إستِجَه)[6]، فلَقيهُ أهلُها فقاتَلوه قتالاً شديداً، ثمَّ انهزَموا، ثمَّ فرَّق جيوشَه على مُدن إسبانيا ففَتح كثيراً منها، ثمَّ كتب إلى موسى بالفَتح والغنائمِ فحرَّكتْه الغيرةُ، واستخلفَ على (القَيروان) ولدَه عبدَ الله وجهَّز جيشاً من وجُوه العرب والموالي وعُرفاء البَربر فأتمَّ موسى الفتحَ، ثمَّ أجمع أن يأتيَ إلى المشرقِ من ناحيةِ (القُسطنطينية) ويتَجاوزَ إلى الشَّام، ويخوضَ ما بينهما من أُممِ الأعاجم مُجاهداً إلى أن يلحق بدمشقَ دارِ الخلافةِ، وبلغ ذلك الوليدَ فاشتدَّ قلقُه بمكانِ

(١) - يُطلقُ اسمُ (بلاد ماوراء النَّهر) على الدُّول الواقعةِ وسطَ آسيا، التي عُرفَت فيما بعدُ باسم (آسيا الوُسطى) و(بلادِ القُوقاز)، حيثُ يوجد في آسيا الوسطى دولٌ هيَ: (كازاخستان، وأوزبكستان، وتُركمانستان، وقيرغستان، وطاجِكستان، إضافةً إلى بعضِ الولاياتِ الرُّوسيَّة الأخرى التي تتمتَّع بالحكم الذَّاتي داخلَ التِّحاد الرُّوسيِّ وهي: (الشِّيشان، أنجوشيا، داغستان، بلغاريا، أوستيا الشمالية، وأديجيا). وتُعدُّ كذلك جمهورية أبخازيا الواقعةُ تحت الحكم الجورجي جُزءاً من بلاد القُوقاز. والنَّهرُ المقصودُ في بلاد ماوراء النَّهر هُما نهرا (جيحون Amu darya) و(سيحون Syr darya).

(٢) - مدنٌ في بلادِ ما وراء النَّهر.

(٣) - خُوارِزم أَو (خيوَة في اسم اليوم) وسمَرقَند كلاهُما في أوزباكستان(من بلادماوراء النَّهر)، أمَّا كاشان أَو قاشان: فمدينةٌ إيرانيَّةٌ تقعُ في مُحافظةِ أصفهان وسطَ إيران، وكاشغَر: مدينةٌ في أقصَى غربِ الصِّين.

(٤) - جزيرة طَريف: وهي اليوم مدينةٌ إسبانيَّة تُدعَى اليوم (Las Palmas)، واحدةٌ من جزُر الكناري، أو (الجزائر الخالدات) كما كانَت تُسمَى قديماً.

(٥) - طُليطِلة: مدينةٌ في وسطِ إسبانيا، تُدعى اليومَ بالإسبانيَّة (Toledo).

(٦) - إستِجَه (Écija): مدينةٌ بمقاطعةِ إشبيليَة جنوبَ إسبانيا.

المسلمينَ من دارِ الحرب، فبعث إليه بالتَّوبيخ والانصراف، فقَفل موسى عن الأندلُس وولَّى علَيها ابنَه عبدَ العزيز وأَتى القَيروان، وأصبحَت إسبانيا كلُّها في يد العرب ما خلا ولاياتٍ جبليَّةً دافعتْ عن استقلالها، ولَم يهمَّ العربَ أمرُها فخلَّوا عنها، غير أنَّ هذه الولايات كانت الأساسَ الذي بنَى الإسبانُ عليهِ مُلكَهم القوميَّ فيما بعدُ.

وأهمُّ **العواملِ الطَّبيعيَّة** التي ساعدَت العربَ على فتح إسبانيا مجاورتُها لُملكِ العرَب في الغَرب، وانكشافُ البلادِ للعرَب وسُهولةُ اجتيازِها .

وأهمُّ **العوامل السِّياسيَّة** التي خوَّلَت العربَ فتحَها توحيدُ أمرِ العرب وتنظيمُ القيادةِ واعتيادُهم الجهادَ وعدلُ أمرائهم واشتهارُهم بذلك، ومن جهةٍ أُخرى تَضعضُع حالةِ الإسبان لانقسامِهم بعضِهم على بعضٍ، فقد كانَت فيهم مقاطعةٌ قَوميَّة، وشتاتُ آرائهم في انتخابِ ملوكهم، وقيامُ بعضِهم على بعضٍ، وخرابُ البلاد بالحروبِ الأهليَّة، وظُلم أُولي الأمرِ فيهم، وسُوءُ إدارتهم، وإسرافُهم في سَفك الدِّماء، واضطِّهادُ اليهودِ واستباحةُ أموالهم وأرواحِهم، ظهرَ أثرُ هذِه العواملِ في تَحريض نفَرٍ منهمُ العرَبُ على فَتح البلاد، فكانُوا لذلكَ ضِعافاً عَن مُقاتلةِ العرَب، فضلاً عن أنَّ قسماً منهم التَحقُوا بالفاتِحين يدلُّونَهم على عَورات البلاد، وقعدَ القسمُ الآخرُ عَن مُقاومةٍ تُذكَر .

وأهمُّ **العواملِ الاقتصاديَّة** التي ساعدَتِ العربَ على فتح إسبانيا جهلُ الإسبان استثمارَ خيراتهم، والمجاعةُ التي وقَعت قُبيل الفتح، ونستطيعُ أن نُضيف إلى ذلك الوباءَ الذي أصاب هذه الجزيرةَ في ذلكَ العهدِ، فذهبَ بعددٍ عظيمٍ من السُّكان، ثمَّ رغبةُ العربِ والبَربر بما يجرُّه الفَتحُ من الكسبِ والغنائم .

وأهمُّ **العواملِ الدِّينيَّة** التي سهَّلت للعربِ فتحَ إسبانيا انشقاقُ الإسبانِ بعضِهم على بعضٍ دينياً، ثمَّ رغبةُ المُسلِمين في نَشر دينِهم وما بثَّهُ هذا الدِّينُ في صُدورهم من الإيمانِ بالقضاءِ والقدَر الذي علَّمهم الإقدامَ والجُسور.

وكان مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ يَسيرُ إلى الرُّوم ليفتحَ ما أمامَه من الحُصون العظيمةِ التي

أقاموها لحفظِ بلادِهم، ومن الحصونِ التي افتتحوها: حصنُ (طُوانة)[1]، وحصنُ (عمُّوريَّة)[2] و(هرقلة)[3] و(قمونية)[4] و(طرطوس)[5] وغيرُها، حتَّى هابَهم الرُّومُ.

٧- سُليمانُ بنُ عبد الملِك:

بُويع سُليمانُ بنُ عبد الملك بدمشقَ سنةَ (٩٦هـ-٧١٥م)، وفي عَهده فتحَ يزيدُ بنُ المهلَّب (دِهِسْتان)[6] بعد أَن حاصرَها مدَّةً طويلة، ثمَّ أتى (جرجان) فصالَحهُ أهلُها، وخلَّفَ فيهم جُنداً، وسار إلى (طبرستان)، وبَيْنا هو مُحاصِرٌ (طبرستان) بلغَهُ أنَّ أهلَ (جُرجان)[7] غدَروا بعاملِه وقتَلوه وقتَلوه هو ومَن معَه، فعادَ إليهم وفتحَ جُرجان الفتحَ الأخيرَ.

وجهَّز أخاهُ مَسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ بجُندٍ عظيمٍ لفتح (القُسطنطينيَّة)، وأمرَه أن يُقيمَ عليها حتَّى يفتَحَها أو يأتيَه بها أمرُه، فجاءَها وحاصرَها، وشَتا بها وصافَ، وماتَ سليمانُ وهو لها مُحاصرٌ.

٨- عمرُ بنُ عبد العزيز:

هو عمرُ بنُ عبد العزيز بنِ مروانَ، وُلد سنةَ (٦٢هـ) بالمدينة، وأمُّه أمُّ عاصمٍ بنتِ عاصمِ بنِ عُمرَ بنِ الخطَّاب، وَلي الخلافةَ بعد ابنِ عمِّهِ سُليمان بنِ عبد الملك سنةَ (٩٩هـ-٧١٧م) الذي عهِدَ بالخلافةِ إليه وإلى أخيهِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ بعدَهُ، كان عمرُ بعيداً عن كبرياءِ الملوك وجبَروتهم، زاهداً متواضِعاً تقيّاً ورِعاً عادلاً مُحبّاً لرعيَّته.

---

(١) - طُوانَة: بلدٌ بثَغرِ (المَصيصَة)، بلدةٌ بين أنطاكية وبلادِ الرُّوم (تُركيا).

(٢) - عمُّوريَّة: بقاياها تقعُ قربَ قرية (حصار) في تركيًّا.

(٣) - هِرَقلَة: في بلادِ الرُّوم تقعُ شمالَ شرقِ المُتوسِّط، وقيلَ: هيَ اليومَ مدينةٌ تونسيَّةٌ.

(٤) - قَمونيَة: قيلَ: على أنقاضِها قامَتْ مدينة القَيروان بتونُس، وقيلَ: هي بلادُ السُّوس بالمغرِب.

(٥) - طَرطُوس: مدينةٌ ساحليَّةٌ سوريَّة. وقيلَ: (طرسوس) شمالَ خليجِ الإسكندرون في تركيَّة اليوم.

(٦) - دِهِستان: تقعُ قربَ مازندران في إيران.

(٧) - طَبرستان: بلدٌ ساحليٌّ على بَحر قزوين، وبجانبها (جُرجان) مدينةٌ إيرانيَّةٌ شَهيرَة.

انصرفَ عمرُ عن مظاهرِ الخلافةِ، وأقبلَ على إحياءِ الكتابِ والسُّنةِ وردِّ المظالمِ، وحمَل رعيَّتَه على الشَّريعة، وحثَّهم على اتِّباع ما أمر اللهُ به واجتنابِ ما نَهى عنه، ونَهى عن سبِّ عليِّ بن أبي طالبٍ على المنابر[1]. وعزلَ عمرُ بعضَ العُمَّال لاعتقادِه بهم جبابرةً؛ كيزيدِ بن المُهلَّب، وكان يقولُ: (هؤلاء -يعني آلَ المهلَّب-جبابرَةٌ، ولا أحبُّ أمثالَهُم)[2]، وكتبَ إلى مَسلمةَ بنِ عبد الملك أن يرجعَ من القُسطنطينيَّة .

٩- يزيدُ بنُ عبد الملِك (يزيدُ الثَّاني):

ولَمَّا تُوفِّي عمرُ بنُ عبد العزيز سنة (١٠١هـ-٧٢٠م)، أُفضِي الأمرُ إلى يزيدَ بنِ عبد الملك، وعُرِفَ باللَّهوِ وقَتلِ الوقتِ في مُعاشَرةِ الشَّهوات. عزلَ يزيدُ عمَّال عمرَ بنِ عبد العزيز، وولَّى غيرَهم؛ كعُمرَ بنِ هُبيرة وعبدِ الرَّحمن بنِ الضحَّاك، وفي عهدِه غزا الجرَّاحُ بنُ عبد الله الحَكميِّ التُّركَ وفتحَ (بلنجر)[3]، وانتصرَ نصراً مُبيناً .

١٠- هشامُ بنُ عبد الملِك:

ولَمَّا تُوفِّي يزيدُ بنُ عبد الملِك سنة (١٠٥هـ-٧٢٤م)، تولَّى الخلافةَ هشامُ بنُ عبد الملِك، وكان غزيرَ العقلِ حليماً عَفيفاً . وفي أيَّامِه غزا أسدُ بنُ عبد الله القَسريُّ (الغَور) وهُو جبالُ (هراة)[4] فغَنِم، وخرجَ الجُنيدُ بنُ عبدِالرَّحمن المرِّي غازِياً يُريد (سمَرقند) و(بُخارى)، وبعد قتالٍ شديدٍ بينَ المسلمينَ ومُناوئيهِم دخلَ (سمَرقند) ووردَ (بُخارى) وانتصرَ على أعدائهِ نَصراً مُبيناً وهزَمهم شرَّ هزيمةٍ .

---

(١) - انظُر: البداية والنِّهاية: لابن كثير:٧/ ٣٥٥، وسَمط النُّجومِ العوالي: لابن عبد الملك الشَّافعي العاصمي:٣/ ٣٢٦، وغيرها.

(٢) - انظُر: تاريخ الطَّبريِّ: ٤/ ٦٣، والبَدء والتَّاريخ: لا بن طاهرٍ المقدسيِّ: ٦/ ٤٦، والمُنتظَم: لابن الجوزيِّ: ٧/ ٥٦.

(٣) - بلَنجَر: مدينةٌ ببلادِ الخزَر، وهم من التُّرك.

(٤) - هَراة: مدينةٌ كبيرةٌ شمالَ غربِ أفغانستان.

وفي أيَّام هشامٍ خرج (زيدُ بنُ عليٍّ بنِ الحُسين بنِ عليٍّ) فقدِمَ الكوفةَ، وأَسرعَت إليهِ شيعةُ أهلِ البَيت وقالوا: (إنَّا لَنرجوا أن تكونَ المَنصورَ، وأن يكونَ هذا الزَّمانُ الذي يهلِكُ فيه بنو أميَّة؟)[1]، وجعَلوا يُبايعونَه سرَّاً، ولَمَّا بلغَت الأخبارُ يوسفَ بنَ عمرٍ الثَّقفيَّ -واليَ العراقِ وابنَ عمِّ الحجَّاج- وهو بـ(الحيرة)[2] جدَّ في طلَب زيدٍ، وفي اللَّيلة التي كان قد اتَّفق زيدٌ مع كثيرٍ من أهلِ الكوفةِ على الخُروج فيها لَم يأتِهِ إلَّا عددٌ قليلٌ منهُم، وانتَهى الأمرُ بقَتلِ زيدٍ .

ودخلَ الجرَّاحُ بنُ عبدِ اللهِ الحَكميِّ بلادَ (الخزَر)[3] من ناحيةِ (تَفليس)[4]، وقاتلَ حتَّى قُتِلَ ومَن مَعه بـ(مَرج أردَبيل)[5]، بذلكَ طمِعَ (الخزَرُ) في البلادِ وأَوغَلوا فيها حتَّى قارَبوا (المَوصل)[6]، (المَوصل)[6]، وعَظُمَ الخَطبُ، فلَمّا علِم ذلكَ هشامُ استعملَ على تلكَ البلادِ (سعيدَ بنَ عمرٍو الحَرَشيَّ) وأَتبَعه بالجنود، ولَمَّا وصَلَ (أرزن)[7] لقيَتْهُ فُلولُ الجرَّاح فأخذَهُم معَه وقاتلَ (الخزَر) قتالاً شديداً حتَّى هزمَهم هزيمةً مُنكَرة .

١١- الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبد الملِك (الوليدُ الثَّاني):

لَمَّا تُوفِّيَ هشامُ سنة (١٢٥هـ-٧٤٣م)، بُويع بالخلافةِ الوليدُ الثَّاني، كان مِن فِتيان بني أميَّة وشُجعانِهم وأشدَّائهم، مُنهمِكاً في اللَّهو والشَّهواتِ والغناء، وكان شاعراً مُحسِناً لهُ أشعارٌ شهيرةٌ

(١) - انظُر: تاريخ الطَّبريِّ: ٤/ ١٩٦، والمُنتظَم: لابن الجوزي: ٧/ ٢٠٩ .

(٢) - الحِيرَة: مدينةٌ تاريخيَّةٌ تقعُ جنوبَ وسطِ العراق.

(٣) - الخزَرُ: مجموعةُ قبائلَ تنتمي الى العرقِ التُّركيِّ، هاجرَت في القرن السَّادس الميلاديِّ الى منطقة القوقاز، تاركةً موطنَها الأصليَّ في منطقة وسط آسيا، واعتنقَ غالبيتُهم ا الدِّيانةَ اليهوديَّة، وبلادُ الخزَر كانَت تقعُ شمالَ جبالِ القوقاز على ضفَّتَي نهر الفولغا، وهوأطولُ أنهار أوروبَّا وأغزرُها، يقع في الجزء الغربيِّ الأوروبِّي من روسيا.

(٤) - تَفليس: وهيَ اليومَ مدينةُ (تبليسي) عاصمةُ جورجيا الواقعَةِ على السُّفوح الجنوبيَّة لجبالِ القوقاز.

(٥) - أردَبيل: اليومَ مدينةٌ إيرانيَّةٌ من مدُن شمالِ غَرب إيران .

(٦) - المَوصِل: مدينةٌ مشهورةٌ شمالَ العراق .

(٧) - أرزَن: يُقالُ لها (أرزنُ الرُّوم) مدينةٌ معروفةٌ من مدُنِ أرمينيَة.

في الغزَل والكِبْر[1].

وصارَ بنو أميَّة أنفُسُهُم يتحدَّثونَ عن الوليدِ بينَ النَّاس بالقبائحِ ورمَوه بالكُفر والإلحادِ، وبذلك نفرَت قلوبُ الخاصَّة والعامَّة حتَّى خلعوهُ، وبايَعوا يزيدَ بنَ الوَليد عندَما كانَ الوليدُ غائباً في (الأغداف)[2]، وقصدَهُ جمعٌ من أصحَابِ يزيدَ فقتَلوهُ سنة (١٢٦هـ-٧٤٤م)، وهكذا انقسمَ البيتُ الأمويُّ على نفسِه، فكانَ عهدُ الوليد الثَّاني بدايةَ النِّهايَة لزمانِ بني أميَّة.

١٢- يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملِك (يزيدُ الثَّالث):

وبَعد قَتل الوليدِ الثَّاني ملَكَ بعدَه يزيدُ الثَّالث، وكان يُظهِرُ التَّنسُّك، وكان يُسمَى (يزيدَ النَّاقص) لأنَّه نقصَ من أُعطياتِ الجُندِ وأَهل الحجازِ ما كانَ قد زادَه الوليدُ الثَّاني.

ولَم تَطُلْ خلافتُه، فقد تُوفِّي سنة (١٢٦هـ-٧٤٤م)، بعد أن حكمَ خمسةَ أشهُرٍ واثنَين وعشرينَ يوماً، وفي أيَّامه شرَعَ حبلُ بني أميَّة يضطَّربُ، وشرَعَت الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ تنبُع، وانبَعثَت دُعاتُها في الأمصار.

١٣- إبراهيمُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملك:

وبعدَ وفاةِ يزيدَ الثَّالث ملَكَ أخوهُ (إبراهيمُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملك) سبعينَ يوماً فحَسبُ، وكان ذلك العهدُ عهدَ فتَنٍ مائجة، وكانَ حبلُ بني أميَّة قد اضطَّرب بالفِعلِ، وكان النَّاسُ يُسلِّمون عليه بالخلافَة، وناسٌ بالإمارَة، وناسٌ رُبما لا يُسلِّمون عليه بواحدةٍ منهُما، وتقلقلَ أمرُه.

---

(١) - من ذلكَ قولُه: أَلَـم تَهتَج فَتَـدَّكِرَ الوِصَـالا ... وَحَبـلاً كـانَ مُتَّصِـلاً فَـزالا

بَلى فَالدَّمعُ مِنكَ لَهُ اِنسِجامٌ ... كَماءِ المُزنِ يَنسَـجِلُ اِنسِجالا

فَدَع عَنكَ ادِّكارَكَ آلَ سُعدى ... فَنَحنُ الأَكثَرونَ حَصىً وَمالا

وَنَحنُ المالِكونَ الناسَ قَسراً ... نَسُـومُـهُم المَذَلَّـةَ وَالنَّـكالا

بِها سُمنا البَرِيَّـةَ كُلَّ خَسْـفٍ ... وَهَدَّمْـنا السُّـهولَـةَ وَالجِبـالا

فَأَصبَحتُ الغَـداةَ عَلَيَّ تَـاجٌ ... لِمُلكِ النَّـاسِ ما يَبغي اِنتِقـالا

(٢) - الأغدافُ: بلدةٌ شرقيَّ الأردنّ.

١٤- مروانُ بنُ محمَّد بنِ مروانَ بنِ الحكَم (مروان الثَّاني):

وسببُ ذلكَ التَّقلقُل أنَّ مروانَ بنَ محمَّدٍ (واليَ الجزيرةِ[١] وأذربيجان[٢] وأَرمينية)[٣] لَم يرضَ ولايةَ إبراهيم بنِ الوليد، فسارَ إلى الشَّام في جنودِ الجزيرة، فاستولَى على (قنِّسرينَ)[٤] و(حِمص)، ولَمَّا وصلَ (عينَ الجَر)[٥] قابلَتْه جنودٌ أُرسِلَتْ لحربهِ مِن قِبَلِ إبراهيمَ فانتصرَ علَيهم مروانُ وهزمَهم، ثمَّ أخذَ عليهمُ البيعةَ لهُ، ثمَّ سارَ حتَّى دمشقَ وبايَعهُ أهلُها سنة (١٢٧هـ-٧٤٤م)، وكانَت مدَّةُ مروانَ مدَّةً مملوءةً بالفِتَن والقلاقِل منذُ بُويعَ حتَّى قُتِلَ.

خرجَ على مروانَ (عبدُ الله بنُ معاويةَ بنِ عبدِ الله بنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ) داعياً إلى نَفْسه، وبايَعهُ عددٌ من الشِّيعة، فبرزَ إليهم أميرُ العراقِ عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ عبد العزيز، فحاربَه وغلَبه ونفَاهُ عَن العراقِ.

وانتفضَ على مروانَ (أهلُ حِمصَ)، وكان لهُ معَهم واقعةٌ انتصرَ فيها علَيهم، ثمَّ قام عليهِ (أهلُ الغُوطة) فحارَبهم وانتصرَ علَيهم، ثمَّ ثار عليه (سليمانُ بنُ هشام)، ولَمَّا بلغ الخبرُ مروانَ أقبلَ بالجنودِ وقاتلَه وهزَم سليمانَ وجندَه.

ووَجدَتْ بقايا (الخوارجِ) الفُرصةَ لإظهارِ ما في أنفُسهم، فخرجَ (الضحَّاكُ بنُ قَيسٍ) وأتى الكوفةَ، واستولَى علَيها مِن يدِ أميرِها عبدِ الله بنِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيز، واشتدَّت الحربُ، وسلَّم عبدُ الله إلى الضحَّاك وبايعَه، وكذلكَ دخلَ في هذِه البَيعة سليمانُ بنُ هشام، ولَمَّا تمَّ ذلك للضحَّاك عادَ إلى الَموصل فافتتحَها واستولَى على كُورِها[٦]، ولَمَّا بلغَ مروانَ الخبرُ كتبَ إلى ابنِه

---

(١) - وهيَ جزيرةُ (أقور) وهي التي بينَ دِجلةَ والفُرات، سمِّيَت بالجزيرةِ لوقوعِها بينَ النَّهرَين.

(٢) - أذربيجان: وهي اليومَ جمهوريةٌ جنوبَ غربِ قارَّة آسيا، على بَحر قَزوين، بين جمهوريَّة إيران ورُوسيا الاتِّحاديَّة.

(٣) - أرمينية: كانت مملكةُ آسيا الصُّغرى أيَّامَ الرُّوم يُطلَق عليها (أرمينية العُظمى) شرقَ نهر الفُراتِ، وأرمينية اليوم هي الجزءُ الشَّرقيُّ من أرمينية القديمة.

(٤) - قِنِّسرين: مدينةٌ جنوبَ غَربِ حلب، وبها بابٌ لحلبَ مشهورٌ.

(٥) - عين الجَر: واسمُها اليومَ (عَنجَر) وهي بلدةٌ لبنانيَّةٌ في محافظةِ البقاع شرقيَّ لُبنان.

(٦) - الكُورُ: جمعُ كُورة، وهي المدينةُ أو الصُّقعُ.

عبدِالله وهو خليفتُه بالجزيرةِ يأمرُه أن يَسيرَ إلى (نصيبين)[1] فيمَن معهُ ليَمنعَ الضحَّاك فسارَ إلَيها، ولَمَّا انتهَى مروانُ من أمرِ (حِمص) سارَ لمُقاتلةِ الضحَّاك وحصلَت بينَ الفريقَين موقعةٌ عظيمةٌ قُتِلَ فيها الضحَّاك، فولَّى الخوارجُ علَيهم (سعيدَ الخيبريَّ)، ولَم يلبَثْ إلَّا قليلاً حتَّى قُتل، ولَمَّا علِمَ الخوارجُ بمَقتله ولَّوا بدلَهُ (شيبانَ بنَ عبدِ العزيز اليَشكُريَّ)، فأقامَ يُقاتلُ مروانَ، ولكنَّه لَمَّا رأى أنَّ النَّاسَ يتفرَّقونَ عنهُ انصرفَ بمَن مَعه إلى المَوصِل فتَبِعَهُم مروانُ وأقامَ يقاتلُهم ستَّةَ أشهُر، ثمَّ سيَّر مروانُ يزيدَ بنَ عمرِ بنِ هبيرَةَ إلى العراق بالجنودِ فأَجلى الخوارجَ وهزمَ شيبانَ وجُندَه.

ومن الذين خرَجوا على مروانَ وشغَلوهُ (المختارُ بنُ عوفٍ الأزديُّ)، وكان يُوافي الموسمَ كلَّ سنةٍ يدعو النَّاسَ على خلافِ مروانَ، و(أبو حمزةَ الخارجيُّ) ثارَ في جنوبِ الجزيرةِ العربيَّة وسيطرَ على طريقِ الحجِّ، وخطبَ في الحجَّاج في مكَّةَ داعياً كذلكَ إلى مناهضةِ مروان.

كلُّ هذِه المشاغلِ والفتنِ التي كانت بالشَّام والحجازِ شغَلَت مروانَ عن خُراسانَ وما كان يَجري فيها، فكانَ ذلك مُساعداً لشيعةِ بَني العبَّاس ورَئيسِهم في خُراسان (أبي مُسلم الخراسانيِّ) على مبايعةِ أهلِها لبني العبَّاس .

وفي سنةِ (١٣٢هـ-٧٥٠م) بُويع بالكوفةِ لأبي العبَّاس[2]، وبعدَ أن تمَّ لهُ الأمرُ بالعراقِ اختارَ عمَّهُ (عبدَ الله ابنَ عليٍّ الأصغَر)، وجعلَه قائداً لجندِه، فسارَ حتَّى التقى بمَروان وجُندِه قُرب نهرِ (الزَّابِ) في العراق، وهناكَ حصَلت الموقعةُ العُظمى بينَ الفريقَين، وانتَهت بهزيمةِ مروانَ بنِ محمَّد وجُندِه، وصار مروانُ يَنتقلُ من بلدٍ إلى آخرَ، وعبدُ الله بنُ عليٍّ يَتْبعُه، حتَّى قتلَه أَخوه صالحُ بنُ عليٍّ في مصرَ سنة (١٣٢هـ -٧٥٠م)، وبقتلِه دالَتْ الأيَّامُ، وتصرَّمَ الزَّمانُ الأمويُّ، وابتدأَ الزَّمانُ العبَّاسيُّ .

---

(١) - نَصيبين: كانَت من بلادِ (الجزيرَة) قديماً، واليومَ مدينةٌ ضمنَ حدود تركيَّا، وتتبعُ محافظةَ (ماردين) جنوبَ شرقِ تركيَّا.

(٢) - عبدُ الله بنُ محمَّد العبَّاسيِّ، الذي عُرِفَ من بعدُ بـ(السفَّاح).

* - أَطوارُ التَّاريخ السِّياسيّ الأمويّ :

تأسيساً على ما تقدَّم يَستقيمُ لنا توزيعُ التَّاريخِ الأمويِّ في ثلاثةِ أطوارٍ رئيسةٍ بالنَّحوِ الآتي:

١- طَورُ التَّأسيس : بين عامَي (٤١-٦٥هـ) (٦٦١-٦٨٥م) :

في هذا الطَّور عَمِلَ الحكَّامُ على تثبيتِ دعائمِ الحكمِ الأمويِّ، وإعادةِ الوحدةِ إلى أجزاءِ الدَّولةِ وإحكامِ ربطِ تلكَ الأجزاءِ المترامية بالمركزِ، إلى جانبِ عنايتِهم بشؤونِ التَّراتيبِ الإداريَّةِ والتَّنظيميَّة داخلَ الدَّولَة. وحكَّامُ هذا الدَّور هُم :

- معاويةُ بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) (٦٦١-٦٨٠م) .
- يزيدُ بن معاوية (٦٠-٦٤هـ) (٦٨٠-٦٨٣م) .
- معاويةُ بن يزيد (٦٤هـ) (٦٨٣م) .
- مروانُ بن الحكم (٦٤-٦٥هـ) (٦٨٣-٦٨٥م) .
- عبدُ الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) (٦٨٥-٧٠٥م) .

٢- طَورُ الذُّروةِ والاستقرار : بين عامَي (٨٦-١٢٥هـ) (٦٨٥-٧٤٣م) :

في هذا الطَّور تمَّ توسيعُ حدودِ الدَّولةِ الأمويَّة في الصَّعيدِ الخارجيِّ، واستمرَّ العملُ كذلكَ في التَّنظيم الدَّاخليِّ. وحكَّامُ هذا الدَّور هم:

- الوليدُ بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) (٧٠٥-٧١٥م) .
- سليمانُ بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) (٧١٥-٧١٧م) .
- عمرُ بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) (٧١٧-٧٢٠م) .
- يزيدُ بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) (٧٢٠-٧٢٤م) .
- هشامُ بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) (٧٢٤-٧٤٣م) .

٣- طَورُ الضَّعف : بينَ عامَي (١٢٥-١٣٢هـ) (٧٤٣-٧٥٠م) :

وكانَ طَورَ فِتَنٍ وثوراتٍ، تولَّى الخلافةَ فيه أربعةُ حكَّامٍ آخِرُهم (مروانُ بنُ محمَّد) الذي انتهَت الدولةُ في عهدِه على يدِ العبَّاسيِّين .

المبحثُ الثَّالث:

مَلامحُ الحضَارة في التَّاريخ الأمويِّ

*- تمهيدٌ:

بعدَ معركةِ اليرموك في السَّنةِ (١٣هـ) استحالَتْ دمشقُ الشَّام من ولايةٍ مركزيَّةٍ روميَّةٍ إلى إمارةٍ عربيَّةٍ إسلاميَّةٍ، وظلَّت على ذلك حتَّى أضحَتْ عاصمةً للدَّولةِ الأمويَّةِ منذُ النَّشأةِ سنةَ (٤١هـ/ ٦٥م) حتَّى السُّقوطِ بيدِ العبَّاسيين سنةَ (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، في عصرٍ تعاقبَ فيهِ أربعةَ عشرَ حاكماً أمويَّاً كما علِمتَ، عملَ فيهِ العشرةُ الأوائلُ منهُم على صياغةِ الملامحِ الحضاريَّةِ للدَّولةِ الأمويَّةِ، وأمسَت دمشقُ من جرَّاءِ ذلكَ في عدادِ المدنِ الكبرَى التي تستقطبُ أنظارَ أهلِ ذلكَ الزَّمان، بل باتَت صاحبةَ القرارِ في المستويَين السِّياسيِّ والعسكريِّ، وأخذَتْ تترقَّى في مدارجِ الأبَّهةِ والتَّحضُّر حتَّى صارَت الأكثرَ تميُّزاً بينَ المدائنِ العربيَّةِ في ذلك الحينِ، وساعدَها على ذلكَ اعتدالُ مناخِها وطيبُ أجوائِها ووَفرةُ أمواهِها وأهميَّةُ موقِعها الجغرافيِّ والاقتصاديِّ، أو كما قالَ ياقوتُ الحمَويُّ (ت:٦٢٦هـ): (لحُسنِ عمارةٍ، ونضارةِ بقعةٍ، وكثرةِ فاكهةٍ، ونزاهةِ رُقعةٍ، وكثرةِ مياهٍ، ووجودِ مآربٍ)(١).

وهكذا، توفَّرت للدَّولةِ الأمويَّةِ كلُّ أسبابِ التَّحضُّر، وظهرَت فيها المكوِّناتُ الحضاريَّةُ في طابعٍ عربيٍّ أصيلٍ، ولكنَّهُ أخذَ بالانفتاحِ على الحضاراتِ المحيطَة بكلِّ ما فيها من ثقافاتٍ وأفكارٍ، بيدَ أنَّ العروبةَ ظلَّت طاغيةً في أنظمةِ ذلك العصرِ إذا ما قِيسَت بالأحوالِ والأوضاعِ التي سادَت أيَّامَ العبَّاسيِّين، حينَ اتَّسعت حركةُ التَّرجمةِ وفشَا الاقتباسُ من الحضاراتِ الإغريقيَّةِ والفارسيَّةِ و الهنديَّةِ و المصريَّةِ القديمةِ وغيرِها. وفيما يأتي إطلالةٌ موجزةٌ على أهمِّ ملامحِ الحضارةِ أيَّامَ بني أميَّة:

---

(١) – معجمُ البُلدان: لياقوت الحمَوي: ٢/ ٢٣٢، بيروت، دار صادر، ط٣، ٢٠٠٧م.

*- أوَّلاً: الملمَحُ السِّياسيُّ:

والملمَحُ الأهمُّ في السِّياقِ السِّياسيِّ هو تغيُّرُ نظامِ الحكمِ، فبعدَ أن كانتِ الخلافةُ في عهدِ الرَّاشدين شوريَّةً أشبهَ بنظامِ الجمهوريَّةِ في وقتنا هذا، أضحَت في عهدِ بني أميَّة خلافةً وراثيةً (عَضوضاً) أشبهَ بالملَكيَّة، ينتقلُ فيها الحكمُ من خليفةٍ إلى آخرَ بالإرث، وهذا النِّظامُ بعيدٌ عن الشُّورى التي ألِفَها العربُ المُسلِمون ودَعا إليها الإسلام، غيرَ أنَّ الأمويِّين حاولوا قدرَ الإمكانِ المحافظةَ على شكليَّةِ الشُّورى، فكانت البيعةُ تسبقُ توليةَ الخليفةِ الأمويِّ، ولكنَّ هذه البيعةَ كانت تتمُّ كيفما اتَّفَق، بالتَّرغيبِ تارةً، وبالإغراءِ أو التَّرهيبِ تارةً أُخرَى، ولا شكَّ أنَّ لِاحتكاكِ العربِ بالأنظمةِ الملَكيَّة الوراثيَّة السَّائدةِ أيَّامئذٍ في بلادِ الرُّوم أثرَهُ في إيجادِ مثلِ هذا النِّظامِ الذي ظلَّ متَّبعاً من بعدُ في تاريخِ كثيرٍ من الدُّولِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ.

واتَّسعَت الدَّولةُ في العصرِ الأمويِّ من جرَّاءِ الفتوحاتِ المتتاليةِ، وامتدَّت حدودُها من الصِّين شرقاً إلى الأندلسِ غرباً، ومن بحرِ قَزوين شمالاً إلى المحيطِ الهنديِّ جنوباً، و تكوَّنت من الولاياتِ الآتيةِ:

١- **الحجازُ**: ويشملُ مكَّة المكرَّمة، والمدينةَ المنوَّرة، والطَّائفَ، وكان واليها مقيماً في المدينةِ.

٢- **اليمنُ**: وكانت في معظمِ الأحيانِ ولايةً مستقلَّة، يحكمُها والٍ يُعيَّن من قِبَلِ الخليفةِ، وأحياناً أخرَى كانت تُلحَقُ بوالي الحجازِ، فيُعيِّن عليها والياً مِن قِبلِهِ.

٣- **العراقُ**: وتشملُ حدودُها الإداريَّةُ كلَّ ولاياتِ الدَّولةِ الفارسيَّةِ القديمةِ، وأقاليمَ ما وراءَ النَّهرِ[1] وبلادَ السِّند (باكستان)، وكان الأمويُّون في أغلبِ الأحيانِ يجعلونَ العراقَ والشَّرقَ

---

(١) - يُطلقُ اسمُ (بلاد ماوراء النَّهر) على الدُّول الواقعةِ وسطَ آسيا، التي عُرِفَت فيما بعدُ باسم (آسيا الوُسطى) و(بلادِ القُوقاز)، حيثُ يوجد في آسيا الوسطى دولٌ هيَ: (كازاخستان، وأوزبكستان، وتُركمانستان، وقيرغستان، وطاجِكستان، إضافةً إلى بعض الولاياتِ الرُّوسيَّة الأخرى التي تتمتَّع بالحكم الذَّاتي داخلَ التِّحاد الرُّوسيِّ وهي: (الشِّيشان، أنجوشيا، داغستان، بلغاريا، أوستيا الشمالية، وأديجيا). وتُعدُّ كذلك جمهورية أبخازيا الواقعةُ تحت الحكم الجورجي جُزءاً من بلاد القُوقاز. والنَّهرُ المقصودُ في بلاد ماوراء النَّهر هُما نهرا (جيحون Amu darya) و(سيحون Syr darya).

الإسلاميَّ كلَّه تحت إدارةِ والٍ واحدٍ، تُعيَّن من قِبَلِه ولاةٌ على بقيَّةِ الأقاليم، وأوَّلُ ذلك كانَ في عهدِ معاويةَ بن أبي سفيان (٤٠هـ/ ٦٦٠م- ٦٠هـ/ ٦٨٠م)، حينَ عهدَ إلى زيادِ بن أبيهِ بولايةِ العراقِ والمشرقِ، وكذلكَ في عهدِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ (٦٥هـ/ ٦٨٥م-٨٦هـ/ ٧٠٥م)، حينَ وليَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقفيُّ أمرَ المشرقِ كلِّه.

٤- **الجزيرةُ (العُليا)**: وتشملُ ولاياتِ الموصلِ، وأرمينيا، وأذربيجان.

٥- **الشَّام**: ولم يكُن لها والٍ بطبيعةِ الحالِ، فقد كانَت مقرَّ الحكومةِ الأمويَّة، وكان الحاكمُ العامُّ يقومُ فيها بدورِ الوالي.

٦- **مِصر**: وكان يتبعُها شمالُ إفريقية، ثمَّ أمسَت ولايةً مستقلَّة تقريباً، منذُ تولَّاها موسى بن نُصير في عهدِ الوليدِ بن عبد الملك (٨٦هـ/ ٧٠٥م-٩٦هـ/ ٧١٥م)، وعاصمتُها القيروانُ.

٧- **الأندلُس**: وكانت أوائلَ فتحِها تابعةً لولايةِ شمالِ إفريقية سنةَ (٩٢هـ/ ٧١١م)، ثمَّ أصبحَت ولايةً مستقلَّة منذُ خلافةِ عمر بنِ عبد العزيزِ سنةَ (٩٩هـ-٧١٧م).

وهكذا، كان الحكَّامُ الأمويُّون يعيِّنون لكلِّ ولايةٍ من هذه الولاياتِ والياً منهم، أي مِن الأسرةِ الأمويَّةِ نفسِها، أو من أكثرِ الرِّجال ولاءً لهم، على أن يكونَ معروفاً بالحزمِ والقدرةِ الإداريَّة، ويفوِّضونَه من بعدُ في اختيارِ معاونيهِ وعمَّالِه.

*- ثانياً: الملمَحُ الإداريُّ:

لا يُنكرُ أنَّ العصرَ الأمويَّ كانَ عصرَ انفتاحٍ فكريٍّ ظاهرٍ على الحضاراتِ المُجاورةِ، توضَّحتْ معالمُهُ أيَّامَ الدَّولةِ الأمويَّةِ وما تلاها من دولٍ، ولعلَّ أبرزَ هذه المعالمِ تأسيسُ نظامٍ إداريٍّ عامٍّ للدَّولةِ، أتمَّ ما اختطَّهُ الرَّاشدونَ في هذا البابِ وزادَ عليهِ، ولا سيَّما في عهدِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ وخلفائِه، وكانَ من أهمِّ ما جرَى في ذلكَ العهد مظهرانِ اثنانِ، هما:

١- التَّنظيماتُ الإداريَّة. ٢- تعريبُ الدَّولة. وفيما يأتي بعضُ بيانٍ:

١- المظهرُ الأوَّل : التَّنظيماتُ الإداريَّة :

نهضَت إدارةُ الدَّولةِ في عهدِ بني أميَّة على الأسُسِ التي أصَّلها عمرُ بنُ الخطَّاب، كما اقتبسَت أنماطاً منَ الأنظمةِ الإداريَّةِ الشَّائعةِ في البلدانِ المفتتَحةِ أيَّامذاك، وتكوَّنت من جِماعِ ذلكَ تنظيماتٌ إداريَّةٌ متنوِّعةٌ، أبرزُها :

أ- نظامُ الدَّواوين :

كان الخليفةُ فيما قبلَ العهدِ الأمويِّ على رأسِ الجهازِ الإداريِّ في الدَّولة، بيدِه جميعُ السُّلُطاتِ، ولكن منذُ عهدِ الرَّاشدين تبيَّنَ عُسرُ الإشرافِ على جميعِ أعمالِ الدَّولةِ بعدَ أن تعدَّدت مصالحُها وجهاتُها، فأحدثَ عمرُ بنُ الخطَّابِ لذلكَ نظامَ الدَّواوين، وانحصرَتْ الأعمالُ الإداريَّةُ من بعدِه في عهدِ الأمويِّين في أربعةِ دواوينَ رئيسَةٍ هي:

١- ديوانُ الخَراج: لتدوينِ ما تَجبيهِ الدَّولةُ من ضرائبَ مختلفةٍ .

٢- ديوانُ الرَّسائل: ورئيسُه يُدعَى (الكاتبَ)، ويهيمنُ على شؤونِ الولاياتِ المختلفةِ، وعنهُ تصدرُ الرَّسائلُ إلى الولاةِ والعمَّال .

٣- ديوانُ الجُند: لكتابةِ أسماءِ الجندِ وما يخصُّ كلَّاً منهم من العطاءِ .

٤- ديوانُ الخاتَم: وقد أنشأه معاويةُ بُغيةَ نسخِ رسائلِ الخليفةِ وإيداعِها في سجلٍّ خاصٍّ، بعدَ أن تُمهرَ بخاتَمِ الخليفة، اتِّقاءً لحدوثِ التَّزويرِ في الرَّسائل .

وعلى إثْرِ ذلكَ قامَ معاويةُ أيضاً بتنظيمِ (مصلحةِ البريد)، وحسَّنها من بعدِه عبدُ الملك، وذلكَ لحملِ رسائلِ الخليفةِ إلى الولاياتِ بسرعةٍ وانتظامٍ من جهةٍ، ولإيصالِ أخبارِ الأطرافِ إليهِ بمثلِ ذلكَ من جهةٍ مقابِلَة، غيرَ أنَّه لم يَنشأ للبريدِ ديوانٌ خاصٌّ إلَّا في عهدِ العبَّاسيِّين .

ب- إدارةُ الولايات :

كانت الدَّولةُ العربيَّة الإسلاميَّة قد بلَغت في عهدِ الأمويِّين أقصَى اتِّساعِها، وأصبحَت لذلكَ مقسَّمةً إداريَّاً إلى خمسِ ولاياتٍ كُبرى ذكرناها سابقاً، وكان الحاكمُ العامُّ يعيِّنُ الوُلاةَ مِن قِبَلِه لإدارةِ المقاطعاتِ المختلفة، ويتمتَّع الوالي بسلطاتٍ كثيرةٍ، فتراهُ هو الذي يقودُ الجيوشَ،

ويقضي بين النَّاس، ويتصرَّفُ بما يُجبَى من أموالٍ، ولكن رغمَ صلاحيَّات الولاةِ الواسعةِ فقد كانوا تحتَ رقابةِ السُّلطةِ المركزيَّة، حتَّى إنَّ أحداً منهُم لَم يفكِّر في الخروجِ أو الانفصالِ عن جسمِ الدَّولةِ، وإنْ في أوقاتِ الأزَمات . ولعلَّ الحجَّاجَ بن يوسفَ الثَّقفيَ كانَ المثالَ الأظهرَ في شدَّةِ ولاءِ الولاةِ للسُّلطةِ المركزيَّةِ في العهدِ الأمويِّ، فقَد أدَّى للدَّولةِ الأمويَّةِ - من خلالِ مركزِه في ولايةِ الحِجازِ ثلاثَ سنواتٍ وولايتِه للعراقِ من بعدُ - خدماتٍ كُبرَى في سبيلِ بقاءِ الدَّولةِ واستمرارِ سيادَتِها العامَّة، ولَم يُحاوِل - على الرُّغمِ ممَّا في سياستِه من شدَّةٍ وعنفٍ – الانفصالَ عن الدَّولةِ أو الخروجَ علَيها .

٢- المظهرُ الثَّاني : تَعريبُ الدَّولةِ:

عملَ الأمويُّون على وضعِ أساسٍ جديدٍ لتدعيمِ وحدةِ الدَّولة، فكانَ أن أَوقَفوا النُّظمَ الفارسيَّة والبيزنطيَّة التي كانت لا تزالُ نافذةً في مختلفِ الولاياتِ، وأخذوا بنظامٍ جديدٍ تكونُ اللغةُ العربيَّةُ بموجبِه لغةَ الإدارةِ الماليَّة، وكانت الدَّولةُ الأمويَّةُ في بداياتِها قد أبقَت في البلادِ المفتتَحةِ الجهازَ الإداريَّ القديمَ بموظَّفيه، يستعملونَ فيه لغاتِ الحكومات السَّابقة؛ فكانت الفارسيَّةُ لغةَ دواوينِ العراق، وكانَت الرُّوميَّةُ لغةَ ديوان الشَّام، والقبطيَّةُ لغةَ ديوانِ مصر، وكان كتَبَةُ هذه الدَّواوين ممَّن يعرفون الفارسيَّة أو الرُّومية أو القبطيَّة. وظلَّ هذا الوضعُ حتى عهدِ عبدِ الملك بنِ مروان، إذْ تمَّ في عهدِه وعهدِ خلَفِه الوليد تعريبُ الدَّولة لأسبابٍ ومبرِّراتٍ ودوافعَ كثيرةٍ، منها :

١- أنَّ النَّزعة القوميَّة في العهدِ الأمويِّ تنامَت واشتدَّت، فلَم يرضَ الأمويُّونَ باستعمالِ غيرِ لغةِ الدَّولة.

٢- أنَّ اللُّغة العربيَّة هي لغةُ الدِّين وأشرفُ اللُّغات، فلا يجوزُ أن تظلَّ سجلَّاتُ الدَّولة العربيَّةِ المسلمةِ بغيرِ لُغتِها.

٣- أنَّ كتابةَ الدَّواوين بغيرِ اللُّغة العربيَّة تقفُ حائلاً دونَ مراقبةِ السجلَّات من قبَلِ سلُطاتِ الدَّولة.

وهكذا، تمَّ تعريبُ ديوان العراقِ عامَ (٧٨هـ)، وديوانِ الشَّام عامَ (٨١هـ)، ونُقِلَ ديوان مصرَ من اليونانيَّة والقبطيَّةِ إلى العربيَّة في عهد الوليد عامَ (٨٧هـ).

وبعدَ تعريبِ الدَّواوين ظلَّ فيها بعضُ الموظَّفين من غيرِ العرَب الملمِّين بأصولِ تدوينِ الدَّواوين وباللُّغةِ العربيَّة، إلى أن تكوَّنت طبقةٌ من الموظَّفين العرَب، فتمَّ حينَها الاستغناءُ عن غَيرِ العرَب.

*- ثالثاً: الملمَحُ الاقتصاديُّ:

وتبعَ تعريبَ الدَّولة (**إصلاحُ النَّقد**)، إذْ لم يكن في الدَّولة العربيَّة إلى ذلك الحينِ عملةٌ مقرَّرة، وكان لكلِّ ولايةٍ دارٌ خاصَّةٌ تضربُ ما تحتاجُ إليه من العُملةِ. وكانت العملتانِ (البيزنطيَّةُ والفارسيَّةُ) هما المُتداولتَينِ عادةً، إلى أن قام عبدُ الملك بإنشاءِ نظامٍ رسميٍّ ثابتٍ للعُملة، وبنى داراً رئيسةً في (دمشقَ) لضربِ النُّقود، وأمرَ بسَحبِ العُملة المستعملةِ في جميع أنحاءِ الدَّولة، وأحلَّ محلَّها عملةً جديدةً مصنوعةً من الذَّهب والفضَّة، ولم تكُن في نقوشِ النُّقود حينَها صورٌ، بل كلماتٌ من القرآن الكريم .

وكانَ عبدُ الملكَ بنُ مروانِ قد أوعزَ أيضاً بصناعةِ الألبسةِ الرَّسميَّة التي يرتديها الخلفاءُ والولاةُ وكبارُ الموظَّفين المسَّماة (بالطِّراز) في البلادِ العربيَّة، وأن يكتبَ عليها آياتٌ قرآنيَّة بعد أن كانَت تُستوردُ من الخارجِ وعليها كتاباتٌ أجنبيَّة.

وأمَّا ما يخصُّ **التَّنظيماتِ الماليَّة** فقد تعدَّدت مصادرُ بيتِ المال في العهد الأمويِّ، ولكنَّها لَم تكُن ناشطةً بمُستوًى واحدٍ في كلِّ المصادرِ، فقَد كانَت أموالُ الزَّكاةِ في تناقُصٍ، أمَّا أموالُ الضَّرائبِ المُحدَثَة فكانَت في ازديادٍ، ولا سيَّما ضريبتا (الخَراجِ والجِزيةِ) المفروضتَانِ على غيرِ المُسلِمين؛ الأُولى عَن الأرض، والأُخرى عن الأَشخاص .

وكانت المشكلةُ التي واجهَها نظامُ الدَّولة الماليُّ هو دخولُ النَّاس تِباعاً في الإسلام، ومعنى ذلكَ ولازمُه أن تُلغَى ضريبتا (الجزية والخراج) اللَّتان تؤخذانِ من غيرِ المسلمين، وفي هذِه الحالِ سيتناقصُ دخلُ الدَّولةِ كثيراً، فكان أن فرضَت الدَّولةُ في عهدِ (عبدِ الملك) ضريبةً كاملةً على

المسلمين، وذلكَ لتعويضِ دخلِ الدَّولةِ المتناقِص، غيرَ أنَّ هذا النِّظامَ المُحدَثَ قد طبِّقَ على (الموالي) خاصَّةً، وهم المسلمونَ من غَيرِ العرَب .

وظلَّ هذا الوضعُ قائماً إلى أن جاءَ عهدُ عمرَ بنِ عبد العزيز سنةَ (٩٩-١٠١هـ)، فأملى عليهِ صلاحُه ووَرعُه اتِّباعَ خطَّة الخلفاءِ الرَّاشدين، ولاسيَّما خطَّةَ عمرَ بنِ الخطَّابِ، فقام بكثيرٍ من الأَعمالِ الإصلاحيَّة في مجالاتٍ كثيرةٍ، وفي المجالِ الماليِّ خاصَّةً، ورأى أنَّ سياسةَ الأمويِّين السَّابقة تقفُ حاجِزاً دونَ نشرِ الإسلام، كما أنَّها تهدمُ العدلَ والمساواةَ في صفوفِ المسلمينَ من غيرِ العرَب (الموالي)، ولأجلِ ذلكَ، أمرَ بإسقاطِ الجزيةِ عمَّن أسلَم، وأمرَ بمساواةِ الموالي بالعرَبِ في جبايةِ الضَّرائب. وكان من نتيجةِ سياستِه العادلةِ أن كثُرَ عددُ الدَّاخلينَ في الإسلامِ من جانبٍ، في حينِ نقصَت إيراداتُ بيت المال لقلَّةِ دافعي الضَّريبة من جانبٍ آخَر، ولَمَّا فزِعَ الأمويُّون إلى عمرَ في ضَجيجٍ واحتجاجٍ، مُستنكرينَ خلاءَ بيتِ المال، أجابَهم بقالته الشَّهيرَة: (إنَّ الله أرسلَ محمَّداً هادياً، ولَم يبعثْهُ جابِياً)[1].

ولكنَّ الأمويِّين من بعدِ عُمرَ لَم يشاؤوا الاستمرارَ في سياستِه وإصلاحاتِه، لِما أحدَثتْهُ من خلخلةٍ في الأوضاعِ الماليَّة، فكانَ أن اتَّبع خلفاؤهُ نظاماً جديداً ظلَّ نافذاً فيما بعدُ مع إدخالِ قليلٍ من التَّغييرات فيه، وقَد نصَّتْ هذه السِّياسةُ الماليَّة الجديدةُ على أنَّ جميعَ الأراضي تدفعُ الضَّريبةَ كاملةً، بغضِ الطَّرفِ عن دينِ صاحبها وقوميَّته. وعُيِّن لأجلِ ذلكَ في الولاياتِ مشرفونَ ماليُّون، أو عمَّالٌ مستقلُّونَ عن الولاة، أُنيطَ بهم القيامُ بمَسحِ الأراضي، وإحصاءِ السكَّان، لتنظيمِ جبايةِ الضَّرائب .

وعلى العمومِ، فقد شاعَت بينَ الحكَّامِ الأمويِّين حالُ الرَّفاهَةِ والتَّرفِ، بسَببٍ مِن اتِّساع الفتوحِ وتوارُدِ الأموالِ من كلِّ مكان، واختلاطِ العربِ بشعوبِ البلادِ المفتتَحة، فانتشرَ لذلكَ

---

(١) - المواعظُ والاعتبارُ بذكرِ الخُططِ والآثار (الخُطط المقريزيَّة): لتقيِّ الدين المقريزيِّ (ت:٨٤٥هـ): ١/ ٩٧، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٩٩٨م.

التَّرفُ والغِنى في بلاطِ الحكَّام، وشاعَ بينَ أفرادِ الطَّبقة الحاكمةِ من أمراءٍ وحكَّام وقوَّاد[1]. وكان ذلك مناقِضاً لخطَّةِ الزُّهد والبساطةِ الشَّائعةِ في عهدِ الرَّاشدين، ثمَّ إنَّ هذا الغِنى وهذِه الرَّفاهية قَد ألقيا بظلالهِما أيضاً على المُحيطِ الشَّعبيِّ وعلى الوضعِ الاقتصاديِّ للدَّولةِ عموماً.

*- رابعاً: الملمَحُ القوميُّ:

كان العربُ في العهدِ الأمويِّ يشكِّلونَ الطَّبقةَ الممتازةَ في الحياةِ الاجتماعيَّة والإداريَّة والسِّياسيَّة، فكان منهُم القوَّاد والقُضاةُ والشُّعراءُ والأمراءُ، أمَّا المسلمونَ من غيرِ العرَب أو (المَوالي) فقد سوَّى الإسلامُ بينَهم وبينَ العرَب في الحقوقِ والواجباتِ، غيرَ أنَّهم في هذه الحقبةِ لم يقفوا مع العرَبِ على قدمِ المساواة، ولم تعتمد عليهم الدَّولةُ في تصريفِ شؤونها. فتولَّدَت لدى الموالي من جرَّاءِ هذا التَّمييزِ بينَ العرَبِ وغيرِهم ردَّاتُ فعلٍ وثوراتٍ، وأخذوا يتحيَّنون الفُرصَ للإيقاعِ بالدَّولة الأمويَّة، وانضمُّوا كذلكَ إلى كلِّ الحركاتِ المناوئةِ لها .

والحقُّ أنَّ هذه السِّياسةَ التي انتهجَها الأمويُّون كانَت إلى القبليَّةِ أقربَ منها إلى القوميَّة، وبالتَّالي كانَت هي السَّببَ الرَّئيسَ في إضرامِ حركةِ (المَوالي)، فضلاً عن أنَّ كثيراً من هؤلاءِ الموالي كانَ ساخِطاً على الحكمِ الأمويِّ أصلاً، كما أدَّت تلكَ السِّياسةُ القبَليَّةُ أيضاً إلى تثويرِ القبائلِ العربيَّة المعارضةِ من غيرِ الموالي، فإنَّ الأمويِّين كانوا يعتمدونَ على العناصرِ العربيَّة أوَّلاً، وعلى القبائلِ الشَّامية المحالفةِ لها على الأخصِّ، فأشاعَ هذا جوّاً من العصبيَّةِ المُستبدَّة، إلى أن عجزَ حكَّامُ الأمويِّين المتأخرينَ عن حمايةِ ولاءِ هذه القبائل، بسببٍ من سياستِهم المتقلِّبةِ بينَ القيسيَّة واليمانيَّة، فأعانَ هذا على نشوءِ تكتُّلاتٍ قبليَّةٍ غدَت أشبَه بأحزابٍ سياسيَّةٍ تنخُرُ في منصِبِ الحكمِ، وأدَّى ذلك في النِّهايةِ إلى نزاعٍ قبَليٍّ كانَ عامِلاً رئيساً في انهيارِ الحكمِ الأمويِّ.

---

(١) - يرَى ابن خلدون أنَّ التَّرفَ في أوَّلِ نشوءِ الدَّولة كان مطلوباً، لأنَّه يزيدُها قوَّةً على قوَّتها، وعقد لذلكَ فصلاً في مقدِّمتِه بعنوان: (فصلٌ في أنَّ التَّرفَ يزيدُ الدَّولةَ في أوَّلها قوَّةً إلى قوَّتها)!.

*- خامساً: الملمَحُ العُمرانيُّ:

كانَت دمشقُ أَيَّامَ الأمويِّين حَصِينةً مَنيعةً، تَحوطُها أسوارٌ قويَّةٌ بارتفاعِ ثمانيةِ أمتارٍ، وعرضِ خمسةَ عشرَ قدماً، تتوزَّعُ عليها سبعةُ أبوابٍ، هي منافذُ النَّاسِ إلى داخل المدينةِ، وكانَت لها أبراجٌ باسقةٌ تُرى من مسافةٍ بعيدةٍ. وذكر ياقوتُ الحمَويُّ (ت:٦٢٦هـ) أنه لَّما تولَّى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ الخلافةَ سنةَ (٨٦هـ-٧٠٥م)، جمَّل دمشقَ وضواحيَها بالمباني العامَّةِ العديدةِ ، وأغرقَ الوليدُ في العمارةِ إغراقاً عظيماً لم يسبقهُ فيهِ خليفةٌ سابقٌ أو لاحقٌ، وغدَت أعمالُه مضربَ المَثَلِ بينَ النَّاسِ آنئذٍ، حتَّى كان العامَّةُ كما الخاصَّةُ منهم لا يلهَجونَ في عهدِه بغيرِ العمارة[1]. والحقُّ، أنَّ الدَّولةَ الأمويَّةَ عموماً شهِدَت حركةً عمرانيَّة كبيرةً، وبُنِيت في عصرِها عدةُ مدنٍ جديدةٍ منها: (واسطُ) في العراق، و(القَيروان) في تُونُس. وتُعدُّ كلٌّ مِن (قبَّةِ الصَّخرةِ) في القُدس و(المسجدِ الأمويِّ) بدمشقَ وحلَب مِن أشهرِ الآثارِ الأمويَّة والإسلاميَّة، فضلاً عن التَّوسعةِ الشَّهيرةِ التي أجراها الوليدُ بن عبدِ الملكِ على (المسجدِ النَّبويِّ) في المدينةِ المنوَّرة.

وثمَّةَ جانبٌ عُمرانيٌّ اقتضاهُ أيضاً اتِّساعُ رقعةِ الدَّولةِ الأمويَّة، فجعلَ من الضَّروريِّ ربطَ أجزاءِ هذِه الدَّولةِ الواسعةِ بشبكةٍ من الطُّرقِ المعبَّدةِ، حتَّى يسهلَ التَّواصلُ بين أطرافِها وبين عاصمتِها دمشقَ، وتُذلَّلَ الطُّرقاتُ أمامَ جيوشِ الفتحِ من جهةٍ، وأفواجِ المسافرينَ والحجيجِ من جهةٍ أخرَى، وكانت تنتشرُ على هذِه الطُّرقِ أسواقٌ واستراحاتٌ تزوِّدُ المسافرينَ بأقواتِهم وحوائجِهم.

كذلك اعتنَى الأمويُّون بمشاريعِ الرِّيِّ للنُّهوضِ بالزِّراعة، فدولتُهم ضمَّت عديداً من الأقطارِ الزِّراعيةِ ذاتِ الأنهارِ الكبيرة، كما في الشَّام ومصرَ والعراقِ وفارسٍ، فكان لابدَّ من تنظيمِ عمليَّةِ الرِّيِّ والعنايةِ بما تقتضيهِ من شقِّ التُّرعِ وإقامةِ الجسورِ ونحوِ ذلك.

وكانَ للأمويِّين أيضاً أثرٌ جَليٌّ في عمارةِ القصورِ والتَّفنُّنِ فيها، إذْ كان جُلُّهم ميَّالاً إلى

---

(١) - انظُر: مُعجم البلدان: لياقوت الحمَوي:٢/ ٢٣٦.

الاستمتاعِ بمباهجِ الحياةِ بعدَ أن جرَت بينَ أيديهِم الأموالُ، فاتَّجهوا إلى بناءِ القصورِ والتأنُّق فيها وتزيينِها بالزَّخارفِ والصُّورِ النَّباتيَّة والهندسيَّة، وقد اكتشَف الآثاريُّونَ في العقودِ المعاصرةِ عدداً من القصورِ والحمَّاماتِ العامَّةِ العائدةِ إلى العصرِ الأمويِّ في صحراءِ بلادِ الشَّامِ خاصَّةً: (كقصرِ برقُع وقصرِ عَمرة وقصرِ الحرَّانة في صحراءِ الأردنِّ، وقصرِ الوليدِ في جبل سَيس قربَ دمشق، وعددٍ من القصورِ الأمويَّة جنوبَ الأقصَى في فلسطين).

*- سادساً: الملمَحُ العلميُّ:

كان للحركةِ العلميَّةِ في العصرِ الأمويِّ دورٌ كبيرٌ في التَّمهيد للنَّهضةِ العلميَّة التي سادَت حضارةَ العربِ في العصرِ العبَّاسي، فعلى الرُّغم من أنَّ العصرَ الذَّهبيَّ للعلومِ كان في العهدِ العبَّاسيّ فقد كان للأمويِّين فعلٌ مؤثِّرٌ ومهمٌّ في التَّوطئةِ لهذا الازدهارِ، فقد أرسَوا – رغمَ انشغالِهم بحركةِ الفتوحاتِ – أُسسَ التُّراثِ العلميِّ الذي بنَى عليهِ العبَّاسيُّون من بعدُ.

ولعلَّ من أهمِّ هذِه البوادرِ العلميَّة حركةُ التَّعريبِ في عهدِ عبدِ الملكِ بنِ مروان كما أشرنا سالفاً، واتِّصالُ العلماءِ بمدرسةِ الاسكندريَّة القديمة التي أسهمَت في نقلِ علومِ اليونانِ إلى العربِ، كذلكَ ساهمَ ابنُه الوليدُ أيضاً بإنشاءِ عددٍ من المدارسِ ودورِ العلم والمستَشفَيات، وقد أنشأ أوَّلَ مستشفًى للمَجذومينَ سنةَ (٨٨هـ/ ٧٠٧م)، وأقامَ فيه المهرَةَ من الأطبَّاء[١]، واشتُهرَ منهم الطَّبيبةُ (زينب)؛ طبيبةُ بني (أَوْدٍ)، وكانت خبيرةً بالعلاجِ ومداواة أمراضِ العينِ، مع براعةٍ في الجراحة[٢].

وحرصَ الأمويُّون عموماً على تدوينِ العلومِ بالعربيَّةِ باعتبارِها لغةَ الدَّولةِ الرَّسميَّة، ونعني علومَ الدِّين واللُّغةِ والتَّاريخ والجغرافيا والفلسفةِ والطبِّ جميعاً، لاعتقادِهم أنَّ هذا

---

(١) – انظُر: المُستشفيات الإسلاميَّة من العصر النَّبويِّ إلى العصر العثمانيِّ: عبد الله السَّعيد: ص٤٠ و١٨٨، عمَّان، دار الضِّياء، ١٩٨٧م. ولَمْ يُعلَم بالضَّبطِ مكانُ هذا المستَشفى.

(٢) – انظُر: عيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء: لابن أبي أُصَيْبعة (ت:٦٦٨هـ): ص١٠٤، تحقيقُ: نزار رضا، بيروت، دار ومكتبة الحياة، د.ت.

التَّعريبَ يُسهِّل انتشارَها وتداولَها بينَ العربِ في كلِّ مكانٍ، على أنَّ ذلكَ لَم يعنِ أبداً إحجامَهُم عن الإفادةِ من ثقافاتِ الحضاراتِ الأخرَى في تطويرِ الحضارةِ العربيَّة، فقد حافظَ الأمويُّونَ على التُّراثِ العلميِّ الذي انتهَى إليهم من الحضاراتِ الإغريقيَّة والفارسيَّة والهنديَّة والمصريَّة القديمةِ، ولم يقطعوا سلسلةَ الإنتاجِ العلميِّ الإنسانيِّ السَّالف، بل صانوهُ وورَّثوهُ للحضارةِ العبَّاسيَّةِ اللَّاحقة التي أفادَت منه إفادةً كاملةً.

ويَرى عددٌ من الباحثين[1] أنَّ الأمويِّين لم يَميلوا إلى دعمِ العلومِ الكونيَّة(البحتة)، وإنَّما رغِبوا في دعمِ حركةِ الأدبِ والتَّاريخِ أكثرَ من غيرِها، إذْ لَم يَكن يُمتِعُهم ويجتذبُهم سوى الشِّعر والخُطبِ والقِصَص، وربَّما كان ذلك بسببِ نزعةٍ عربيَّةٍ وعصبيَّةٍ باقيةٍ فيهم، ولا يُستثنى من هذِه الظَّاهرةِ سوى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ (ت:٩٠هـ/ ٧٠٨م)[2]، الذي كانَ ذا نزعةٍ فلسفيَّةٍ وعلميَّةٍ تفوقُ نزعتَه الأدبيَّة، ولذا قامَ بدعمِ الحركات العلميَّةِ في مجالاتِ الطبِّ والكيمياءِ والفلَكِ، بالإضافةِ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ (ت:١٠١هـ/ ٧٢٠م) الذي دعمَ حركةَ العلومِ الدِّينية، وأوعزَ إلى التَّابعيِّ أبي بكرِ بنِ حزمٍ الأنصاريِّ (ت:١٢٠هـ/ ٧٣٩م) ببدءِ تدوينِ الحديثِ الشَّريف.

*- يقولُ المؤرِّخُ الأمريكيُّ وِل ديورانت (William James Durant ت:١٩٨١م): (إذا نظَرنا إلى أعمالِ الحكَّامِ من بني أميَّة من وجهةِ النَّظرِ الدُّنيويَّةِ حكَمنا بأنَّ هذه الأعمالَ قد عادَت بالخيرِ على الدَّولةِ، فقد وسَّعوا حدودَ البلادِ السِّياسيَّة إلى مدًى لم تبلغْهُ قطُّ فيما بعدُ. وإذا ما استَثنينا بعضَ فترَاتٍ مشؤومةٍ من تاريخِهم فإنَّهم قد حكَموا الدَّولةَ الجديدةَ حُكماً منظَّماً حرَّاً، لكنَّ نظامَ الملكيَّةِ المطلقةِ الوراثيَّةِ أدَّى إلى ما يؤدِّي إليه عادةً في جميعِ البلادِ)[3].

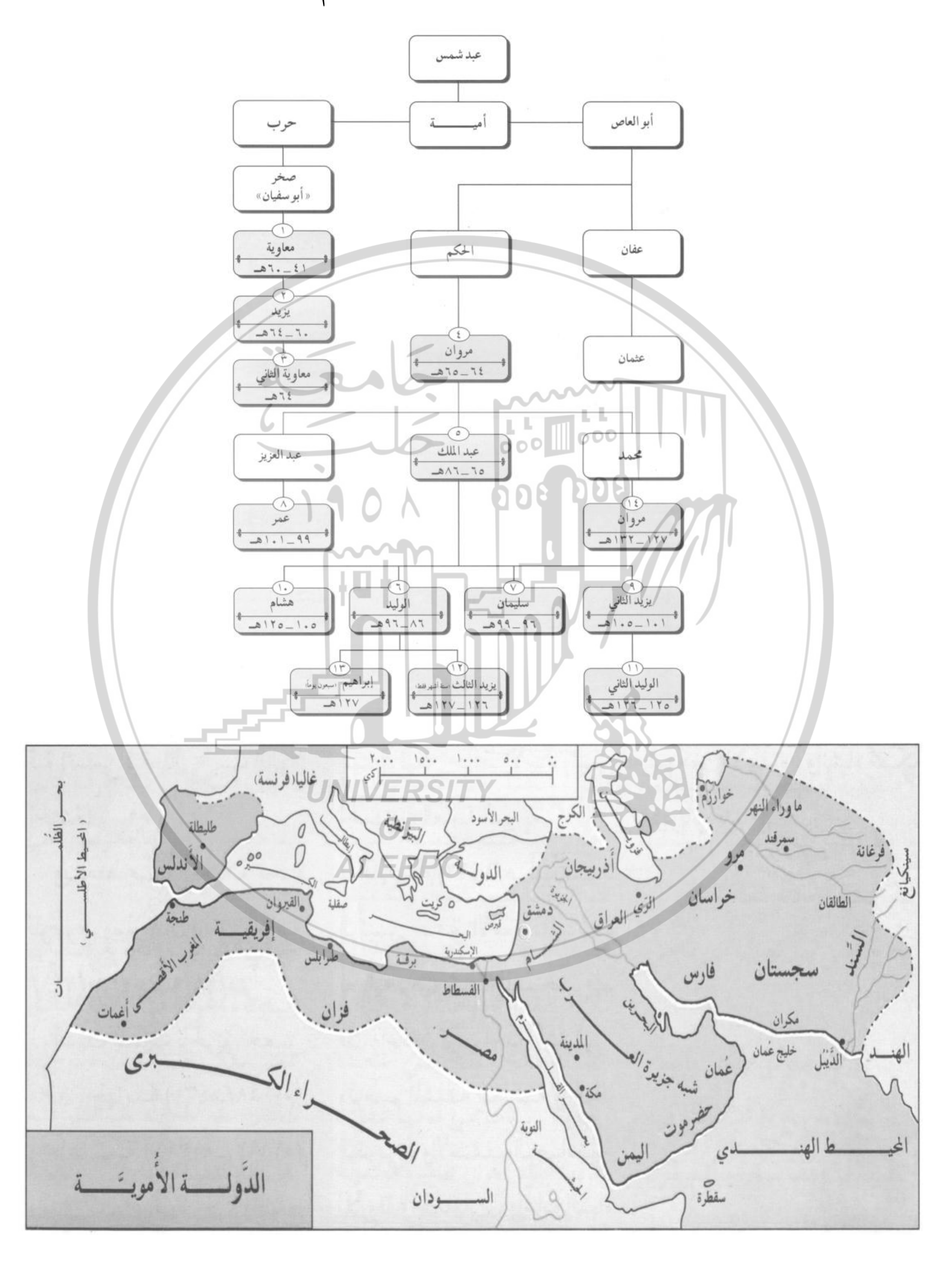
---

(١) - انظُر مثلاً: فجر الإسلام: لأحمد أمين (ت:١٩٥٤م): ص١٦٤، بيروت، دار الكتُب العلميَّة، ط١، ٢٠٠٩م.

(٢) - خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ (ت:٩٠هـ/ ٧٠٨م): تنازعَ الخلافةَ مع ابن الزُّبير ومروانَ بنِ الحكَم، بعد تنازلِ أخيه معاويةَ بنِ يزيدَ عنها، فتركَها لهم، واتَّجه إلى العلومِ، ولا سيَّما علم الكيمياءِ، فكانَ فيهِ رائداً ، وترجمَ فيه الكتبَ، ووضعَ فيه الرَّسائل.

(٣) - قصَّة الحضارة: وِل ديورانت: ٢٢/ ٤٣٤.

نسَبُ الأمويِّين وسَنواتُ حُكمِهم



الفَصلُ الثَّاني



التَّاريخُ العبَّاسيُّ


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

المبحثُ الأوَّل:
إطلالةٌ عامَّةٌ موجَزةٌ

العبَّاسيُّون أسرةٌ حاكمةٌ، تُنسَبُ إلى العبَّاس بنِ عبد المطَّلب عمِّ رسول الله ﷺ، حملَ ملوكُ بني العبَّاس لقبَ (الخليفة) بعدَ إسقاطِهم دولةَ الأمويِّين عامَ (١٣٢هـ-٧٥٠م)، إذ كان العبَّاسيُّون من مُعارضي الحكمِ الأمويِّ، وقد آزرَ عددٌ كبيرٌ منهُم الحركاتِ التي قام بها رجالُ آل البَيتِ ضدَّ بني أميَّة.

ففي عام (٩٨هـ)، تولَّى محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عبد الله بنِ العبَّاس قيادةَ الدَّعوةِ العبَّاسيَّة، وأخذَ يبثُّ الدُّعاةَ في أرجاءِ الدَّولةِ للانقلابِ على بَني أميَّة، ثمَّ خلَفَه ابنُه إبراهيمُ الإمام سنةَ (١٢٥هـ)، فعيَّن أبا مُسلمٍ الخراسانيِّ قائداً للدَّعوة في خُراسان، وأبا سلَمةَ الخلَّالَ قائداً في الكوفة، استولَى أبو مُسلمٍ الخراسانيُّ على خُراسان وشرَعَ يُرسِلُ الجيوشَ لمُحاربةِ بني أميَّة وأشياعِهم، وفي سنة (١٣١هـ) قبضَ مروانُ بنُ محمَّد آخرُ حكَّام بني أميَّة على إبراهيمَ الإمامِ وقتلَه، فتولَّى أخوهُ أبو العبَّاس قيادةَ الدَّعوة، فسارَ إلى الكوفةِ حيثُ بُويع بالخلافةِ، ووجَّه جيشاً بقيادة عمِّه عبدِ الله بنِ عليٍّ لحربِ بني أميَّة في الشَّام.

هُزِمَ الأمويُّون في (معركة الزَّاب) سنة (١٣٢هـ)، وهربَ مروانُ بنُ محمَّد إلى مصرَ حيثُ قُتِلَ هناكَ كما أسلَفنا في الفصلِ السَّابق، وأخذَ بَنو العبَّاس يتعقَّبون الأمويِّين في كلِّ البلادِ بغيةَ القضاءِ عليهِم.

عملَ أبو العبَّاس السفَّاح على تَوطيد حُكم العبَّاسيِّين، فتخلَّصَ من أبي سلَمةَ الخلَّالِ الذي كان ميَّالاً لآلِ البيَتِ، وجعلَ أخاهُ أبا جعفرٍ المنصورَ وليَّاً للعَهد.

بُويع المنصورُ بعد وفاةِ السفَّاح سنةَ (١٣٦هـ)، فتابعَ عملَ أخيه في تَوطيدِ أركانِ الدَّولة، فتخلَّص من أَبي مُسلمٍ الخراسانيِّ الذي كان نفوذُه في ازْدياد، وأمرَ ببناءِ مدينةِ بغدادَ عاصمةً

للدَّولة، وقَضى على ثَورةِ (محمَّد النَّفسِ الزَّكيَّة) مِن بَني الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ.

تعاقبَ على المُلكِ عددٌ من الخلفاءِ الأقوياءِ بعدَ أبي جعفرٍ المنصورِ، وهُم المهديُّ بنُ أبي جعفرٍ، ثمَّ ابنُه الهادي، وبلَغَت الدَّولةُ العبَّاسيَّة أوجَ قوَّتِها في عهدِ الرَّشيد بنِ المهديِّ، ثمَّ في عهدِ المأمونِ بنِ الرَّشيد الذي انتزعَ الخلافةَ مِن أخيهِ الأَمين .

وفي سنةِ (٢١٨هـ) تولَّى المُعتصِمُ الخلافةَ بعد أخيهِ المأمون، وفي عَهدِه أخذَ نفوذُ الموالي الأتراكِ يزدادُ، وبَنى المُعتصِمُ لهم مدينةَ (سامرَّاء) وجعلَها عاصمةً للدَّولة .

ومنذُ وفاةِ المُعتصِم عامَ (٢٢٧هـ) أخذَ مركزُ الخليفةِ العبَّاسيِّ في التَّراجُع، فسيطرَ (الأتراكُ) على أزمَّةِ الدَّولة، وكثيراً ما كانوا يتدخَّلونَ في فرضِ شخصٍ معيَّنٍ من البيتِ العبَّاسيِّ كيما يتولَّى منصِبَ الخليفة، وجاءَ (البُوَيْهِيُّونَ) بعدَ الأتراكِ، ثمَّ جاءَ (السَّلاجِقةُ) و(الأتابِكَة) .

شَهِدَتْ الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ عدداً كبيراً من الحركاتِ المُعارِضَةِ المُسلَّحةِ؛ كـ(المانَويَّة) و(الخُرَّمِيَّة) وثورةِ (الزِّنج) وحركةِ (القَرامِطَة). كما استقلَّتْ أجزاءٌ منَ العالَمِ الإسلاميِّ عن الخلافةِ العبَّاسيَّةِ منذُ العصرِ العبَّاسيِّ الأوَّلِ وما بعدَه، فكانَت الأندلُسُ في ملكِ مَن بَقِيَ مِن (بني أميَّة)، ثمَّ قامَت دولةُ (الأدارِسَة) في المَغربِ العربيِّ، ودولةُ (الأَغالِبة) في شَمالِ إفريقية، والدَّولة (الطَّاهريَّة) في خُراسان، و(الصَّفاريَّة) في سِجِستان[1]، واستقلَّ (الطُّولُونيُّونَ) في مصرَ والشَّام، ثمَّ (الإخشيديُّونَ) في المَنطِقَةِ نَفسِها، إضافةً إلى قيامِ الدَّولةِ (الحمدانيَّة) في حلَب، والدَّولةِ (الزَّيديَّة) في طَبرستان، والدَّولةِ (الفاطميَّة) في مِصرَ، منذُ أواخرِ القرنِ الثَّالث الهجريِّ حتَّى عامِ (٥٦٧هـ).

أمَّا الحضارةُ الإسلاميَّةُ بجَوانبِها العلميَّة والمادِّية والصِّناعيَّة والتِّجاريَّة والعُمرانيَّة، فقَد بلَغَت ذُروَتَها في العَصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل؛ عصرِ قوَّةِ الدَّولَة، وليسَت تكفي المُجلَّداتُ الكثيرةُ لاستيفاءِ ذكرِ المُنجزاتِ العبَّاسيَّةِ في ذلكَ العصرِ بالصُّورةِ الوافية .

---

(١) – سِجِسْتان: أَو سيستان أَو سيجزتان، وهيَ اليومَ مُقاطَعَةٌ كبيرةٌ من مقاطَعاتِ (إيران) الثلاثين. تقعُ جنوبَ شرقِ إيران على الحدودِ مع باكستان وأفغانستان.

سقطَتْ بغدادُ بيَدِ التَّتار عامَ (٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، وقُتِلَ الخليفةُ العبَّاسيُّ المُستَعصِم، وبعدَ ثلاثٍ منَ السِّنينَ قامَ (الظَّاهرُ بيبَرس) بتَنصيبِ أحدِ العبَّاسيِّينَ خليفةً في القاهِرة، وتعاقَب بعدَه عددٌ منَ الخلفاء الذين لَم يكُنْ لهُم منَ المُلكِ غيرُ اسمِه، إلى أَن دخلَ العُثمانيُّون مِصرَ عامَ (٩٢٢هـ-١٥١٧م)، يومَها ادَّعى السُّلطانُ العُثمانيُّ (سليمُ الأوَّل) أنَّ الخليفةَ العبَّاسيَّ قَد تنازلَ لهُ عَن لقبِ الخلافَة .

*****



المبحثُ الثَّاني:
سِيرةُ السِّياسَةِ في التَّاريخ العبَّاسيِّ

*- تمهيدٌ:

ابتدأَت الدَّعوةُ للبَيت الهاشميِّ، وتأسَّست الجمعيَّةُ السرِّيةُ عقِبَ تولِّي عمرَ بنِ عبد العزيز الخلافةَ، ذلك الخليفةُ الذي أضعفَ الآساسَ التي قامَت عليها دولةُ بني أميَّة وأبطلَ عواملَها الجوهريَّة، ألا وهي سياسةُ الشدَّة والدَّهاءِ والعِضَاض، ممَّا جعل دولةَ بني هاشمٍ تتحرَّك ويُدعى إليها دعوةً جعلتْ دعائمَها الذَّكاءَ والأناةَ والصَّبر.

جُعِلَ للدَّعوةِ مركزان: أحدُهما بالكوفةِ والآخرُ بخُراسان، واختيرَ من الدُّعاة اثنا عشرَ نقيباً، وسبعونَ رجلاً ليكونوا مُؤتمِرين بهؤلاء.

كان الدُّعاةُ يجوبونَ البلادَ الخراسانيَّةَ، ظاهرُ أمرِهم التِّجارةُ وباطنُه الدَّعوةُ يَهتَبلونَ الفُرَص، ثمَّ يُبلِغُونَ أمرَهم إلى القائمِ بالكوفةِ، وهو يُوصلِها إلى الحُمَيِّمةِ[1]، أو إلى مكَّةَ حيثُ يَجتمع المسلمون لأداءِ فريضةِ الحجِّ.

وجاء دورُ العملِ، ونزلَ أبو مُسلمٍ الخراسانيُّ بقريةٍ من قُرى (مَرْو) يُقالُ لها (سفيذنج)، وهناكَ بثَّ دُعاتَه في النَّاسِ ليَجتَمعوا إليه، فانثالَ إليهِ النَّاسُ ولبِسُوا السَّواد الذي جُعِلَ يومَها شِعاراً للدَّولةِ العبَّاسيَّة.

كثُرتْ بعدَ ذلك وفودُ النَّاس على أبي مُسلمٍ، ووَجدَت الدَّعوةُ في قلُوبهم مكاناً صالحاً، ثمَّ شرَعَ أبو مُسلمٍ يُرسلُ قوَّادَه فيَستَولُون على البلاد، ولمَّا صفَتْ (مَرْوُ)[2] لأبي مُسلمٍ أمرَ بأخذِ البَيعةِ على أهلِها، ثمَّ صفَت (خُراسانُ) كلُّها لأبي مُسلمٍ وبعثَ العمَّالَ إلى جميعِ الولايات.

---

(١) - الحُمَيِّمَة: من أعمالِ مدينة مَعان في جنوبِ الأردنِّ من بلادِ الشَّام، وكان فيها منزلُ بني العبَّاسِ وقتئذٍ. وانظر: تاريخ الطَّبري: ٤/ ٣٤٧ فما بعدَها، والعالَمَ الإسلاميّ: عمر رضا كحَّالة: ٢/ ٥٦ فما بعدَها.

(٢) - مَروُ: هيَ اليومَ عاصمةُ منطقةِ ماري في تركمانستان، وكانَت من قبلُ عاصمةَ إقليم خُراسان.

ثمَّ ذهبَ بعضُ القوَّاد إلى الكوفةِ وقابَلوا (أبا العبَّاس) وسلَّموا علَيه بالخلافة، ثمَّ خرجَ أبو العبَّاسِ السَّفاحُ إلى القَصر، وأجلسَ أخاهُ (أبا جعفرٍ) ليأخذَ البيعةَ على النَّاس في المَسجد، فلَم يزلْ يأخذُها علَيهم حتَّى صلَّى بهم العصرَ والمغرِب، ثمَّ خرجَ أبو العبَّاس إلى المُعسكرِ، واستخلَف على الكوفةِ عمَّهُ (داودَ بنَ عليٍّ) .

١- أبو العبَّاس السَّفاح :

هو عبدُ الله بنُ محمَّد بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ بنِ عبدِ المطَّلب، بُويع بالخلافةِ سنةَ (١٣٢هـ-٧٥٠م). كان أبو العبَّاس كريماً وَقوراً سديدَ الرَّأي، وكانَت حياتُه مشحونةً بحوادثِ القَسوةِ مع بقايا بني أميَّة وغيرِهم من أولياءِ الدَّولة، وبعبارةٍ أُخرى انقضَتْ حياتُه كلُّها في الخلاصِ من بَني أميَّة والاطمئنان من جهةِ كلِّ مَن يرتابُ في إخلاصِه، فسُفِكَت دماءٌ كثيرةٌ، واستُحدِثَت حالةٌ سيِّئةٌ في نكثِ العُهودِ وقتالِ المُخالِفين.

٢- أبو جعفَرٍ المَنصور :

عقدَ أبو العبَّاسِ قبلَ موتهِ لأخيهِ أبي جعفرٍ الخلافةَ من بعدِه، وجعلَهُ وليَّ عهدِ المُسلِمين، وبُويع بالخلافةِ سنةَ (١٣٦هـ-٧٥٤م). كان المنصورُ حازِماً عاقِلاً وَقوراً ذا آراءٍ صائبةٍ عالِماً، تولَّى الخلافةَ ولَم تكُن بعدُ قَد توطَّدتْ أركانُها، ولَم يكُن يخافُ علَيها من الدَّولةِ البائدَة؛ دولةِ الأمويِّين، إذ لَم تبقَ لهم بقيَّةٌ يُخافُ منها، وإنَّما كان الخوفُ ينتابُ المنصورَ من ثلاثِ جهاتٍ:

الأولى: منافسةُ عمِّه عبدِ الله بنِ عليٍّ لهُ في الأمر، لِما كانَ لهُ من نباهةِ الذِّكر في بَني العبَّاس من جهَةٍ، ولأنَّه كانَ يُديرُ أمرَ جيوشِ الدَّولةِ من أهلِ خُراسانَ وأهلِ الشَّامِ والجزيرةِ والمَوصل من جهةٍ أُخرى.

والثَّانيةُ: مِن عظمةِ أبي مُسلمٍ الخراسانيِّ مؤسِّس الدَّولة، فإنَّه كان يَرى لهُ من الصَّولةِ وشدَّة التمكُّن في حياةِ أخيهِ ما لَم يكُن يَرى مَعه لهُ أَمراً ولا حُكماً، ومِثلُ المنصورِ في علوِّ نفْسِه لا يُرضيه أن يكونَ لهُ في الأمرِ شريكٌ ذو سَطوةٍ وسُلطانٍ مثلُ أبي مُسلمٍ .

والثَّالثةُ: خوفُه مِن بَني عمِّه آل عليٍّ بنِ أبي طالبٍ الذين لا يزالُ لهم في قلوبِ النَّاس مكانٌ مَكينٌ، فكانَ المنصورُ يتخوَّف أن يَخرُجَ عليهِ منهُم طالبٌ بالخلافة .

عزمَ المنصورُ أن يضربَ أعداءَهُ فيستريحَ منهُم جميعاً، فأرسلَ ابنَ عمِّهُ عيسى بنَ مُوسى[1] إلى عمِّه عبدِ الله بنِ عليٍّ ببَيعةِ المنصورِ وعبدُ الله غازٍ، فلمَّا علمَ عبدُ الله بوفاةِ أبي العبَّاسِ السَّفاح انصرفَ بمَن مَعه منَ الجيوش وقَد بايعَ نفسَه حتَّى بلغَ (حرَّان)[2]، فلمَّا بلغَ المنصورَ ذلكَ انتدبَ أبا مُسلمٍ الخراسانيَّ وسيَّره لحربِ عبدِ الله، وبعدَ وقائعَ حصلَت بينَ الفريقَين انهزَمَت جماعةُ عبدِ الله وفَّر إلى البَصرة، ثمَّ أمرَ المنصورُ بحَبْسِه وحَبْسِ مَن كان مَعه، واستمرَّ في مَحْبسِه حتَّى قُتِلَ سنةَ (١٤٧هـ-٧٦٤م) .

ولَّما استراحَ المنصورُ مِن عبدِ الله بنِ عليٍّ يدِ أبي مُسلمٍ وجَّه همَّتَهُ إلى خَصمِه الثَّاني أَبي مُسلمٍ، لأنَّه غدا صاحبَ الشَّوكةِ والسُّلطانِ في الدَّولَة، فعزَمَ على الفَتْكِ به، وما زالَ يتحيَّنُ الفُرَصَ حتَّى تمَّ لهُ ما أرادَ وفتَكَ بأبي مُسلِم .

وقمعَ المنصورُ بعدَ ذلكَ ثورةَ مُناوئيهِ ومُخالِفيه مِن آلِ البَيت؛ كمحمَّدِ بن عبدِ الله بنِ الحسَنِ المَشهورِ بـ(النَّفسِ الزَّكيَّة)، وآخرينَ مِن بَني الحسَنِ بنِ عليٍّ، وإبراهيمَ بن عبدِ الله أخي النَّفسِ الزَّكيَّة، ووطَّدَ دعائمَ المُلكِ بعدَ أن كادَ يَذهبُ عن آلِ العبَّاسِ قبلَ أن يَستَقِرَّ .

وقَد هربَ في عهدِ المنصورِ عبدُ الرَّحمن بنُ معاويةَ بنِ هشامِ بنِ عبدِالمَلِك المُلقَّبِ بـ(الدَّاخِل) إلى بلادِ الأندلُس، وأسَّس بها الدَّولةَ الأمويَّةَ الثَّانية، ولَم يَتَسَمَّ عبدُ الرَّحمن بأميرِ المؤمنينَ، بلْ تسمَّى بـ(الأميرِ) فقَط، وكانَتْ هذِه أوَّلَ بلادٍ اقتُطِعت من الخلافةِ الإسلاميَّة الكُبرى بالمشرِق .

---

(١) - حرَّان: مدينةٌ كانَت في بلاد تالجزيرَة ما بين النَّهرين، وتقع اليومَ جنوبَ تركيَّا قُرب الحدود السُّوريَّة عند منبع نهرِ (البليخ)؛ أحدِ روافدِ نهر الفراتِ في الجزيرةِ السُّوريَّة العُليا.

(٢) - عيسَى بنُ موسَى ابنُ عمِّ المنصورُ وكانَ السفَّاحُ قد عهِدَ إليه بعدَ المنصور، ولكنَّ المنصورَ خلعَهُ وعهدَ إلى ولدِه المَهديِّ.

وقَد دارَتْ حروبٌ بينَ المسلمينَ والرُّوم غيرَ أنَّها لَم تكُن سِوَى غاراتٍ لَم يُقصَدْ بها فتحٌ، بلْ كان كلٌّ منَ الطَّرفَين ينتهِزُ الفُرصةَ فيجتازُ حدودَ عدوِّه، ثمَّ يعودُ إلى مقرِّه ثانيةً، ولَم تكُن المُهادناتُ بينهُما تَطولُ، وكانَ همُّ المَنصور حينَها مصروفاً في بناءِ بغدادَ وتَشييدِها عاصمةً للعبَّاسيِّين .

٣- المَهديُّ بنُ المَنصور :

تولَّى أبو عبد الله المهديُّ المُلكَ بعدَ وفاةِ أبيهِ المنصورِ سنةَ (١٥٨هـ-٧٧٥م)، والخلافةُ العبَّاسيَّةُ قَد ترسَّخَتْ أركانُها، فأمرَ بإطلاقِ مَن كان في سِجن المنصورِ إلَّا مَن كان مُتَّهماً بقتلٍ أَو كان مَعروفاً بالسَّعي في الأرضِ بالفسادِ، وبتعبيرٍ آخرَ أطلقَ مَن كانَ جُرمُه سياسيَّاً، أما أربابُ الجناياتِ والمحبوسُون لحقوقٍ مدنيَّة فمكَثوا في مَحبسِهم .

وكانت العلاقةُ بين الخلافةِ المشرقيَّةِ ببغدادَ وبين أميرِ الأندلُس سيِّئةً، ولكنَّ الشُّقَّةَ بينَ الطَّرفَين كانَتْ بَعيدةً فلَم تمكِّنْهُما من التَّقاتُل، واكتَفيا بالتَّعادِي من بَعيدٍ. أمَّا العلاقاتُ بينَ المَهديِّ وبينَ ملكِ الرُّوم فكانَت سيِّئةً أيضاً، فلَم تكُن الغاراتُ والمناوشاتُ منَ الطَّرفَين تَنقطِعُ، بلْ كانَت الصَّوائفُ من طرَفِ المُسلِمين كما كانتِ الغاراتُ من ملكِ الرُّوم، وكانت الحروبُ بينهُما برَّاً وبَحراً .

وغزا المُسلمونَ في عهدِ المَهديِّ (الهندَ)، فمَضَوا حتَّى أَتَوا (باربد)[1] فافتتَحوها عُنوةً، وأقامُوا بها فأصابَتْهُم أمراضٌ ماتَ بسَببِها نحوُ ألفٍ، ثمَّ انصرَفوا حينَ أمكنَهُم الانصرافُ حتَّى بلَغوا ساحِلاً مِن فارسٍ يُقالُ لهُ (بَحرُ حمران)، فعَصَفَتْ علَيه الرِّيحُ فكسَّرَتْ عامَّةَ مراكِبهم، فغَرِقَ بعضُهم ونَجا بعضٌ، ويظهرُ أنَّ هذِه الغزوةَ لَم تكُن سِوى غارَةٍ عابرَةٍ، أي لَم تكُن عَملاً قُصِدَ به تَوسيعُ المملَكةِ .

---

(١) - باربد: الظَّاهرُ أنَّها من أعمالِ الهِند، ولَمَ أقِف عليها اليَومَ. انظُر: تاريخ الطَّبري: ٤/ ٥٤٨، والبداية والنِّهاية: ١٠/ ١٣١، والكامل: ٥/ ٢٣٤.

٤- الهادي بنُ المَهديّ :

ارتَقى أَبو محمَّدٍ موسَى الهادي عرشَ الخلافةِ بعدَ وفاةِ أبيه سنةَ (١٦٩هـ-٧٨٥م)، وفي عَهدِه خرجَ علَيه بالمدينةِ (الحسينُ بنُ عليِّ بنِ الحسَن المُثلَّثِ بنِ الحسَنِ المُثنَّى بنِ الحسَنِ السِّبط)، نتيجةَ الضَّائقةِ التي أَوقعَهُم فيها الهادي، ولَّما انتهى الخبرُ إلى الهادي أمرَ محمَّد بنَ سُليمان من رجالِ بني العبَّاسِ أَن يسيرَ لمحاربةِ الحُسين، فلقِيَهُ بـ(فَخ)[1] يومَ التَّروِيَة، وكانَت عاقبةُ الوَقْعةِ أن قُتِلَ الحُسينُ وجماعةٌ ممَّن مَعه، وأفلَتَ منَ الموقعةِ رجُلان لَهما تاريخٌ جَليلٌ، وهُما: إدريسُ بنُ عبدِ الله بنِ الحسنِ المثنَّى بنِ الحسَنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وهُو مؤسِّسُ دولةِ **(الأدارِسَةِ)** بالمغرِب الأَقصى، والثَّاني أخوهُ يَحيى بنُ عبدِ الله الذي ذهبَ إلى بلادِ (الدَّيلَم)[2] في المَشرِق .

٥- الرَّشيدُ بنُ المَهديِّ:

بُويعَ هارونُ الرَّشيدُ بالخلافةِ بعدَ موتِ أخيهِ الهادي سنةَ (١٧٠هـ-٧٨٦م)، وقد بلغَت الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ أشمَخَ درجاتِها صَولةً وسُلطاناً وثَروةً وعِلماً وأدباً، وازدانَ عهدُه برجالِ الإدارةِ والحربِ، فعظُمَت الهيبةُ في الدَّاخلِ والخارج .

استمالَ الرَّشيدُ قلوبَ (بَني طالبٍ) بشَيءٍ منَ الإحسان، فرفعَ الحجْرَ على مَن كان منهُم ببَغداد، ولكنْ ما هوَ إلَّا زمنٌ يسيرٌ حتَّى خرجَ علَيه (يحيى بنُ عبدِ الله بنِ الحسَنِ المثنَّى بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ)، وكانَ قَد فرَّ إلى بلادِ (الدَّيلَم) فاشتدَّت شوكتُه بها وقويَ أمرُه، ولَّما علِم الرَّشيدُ بذلك ندبَ إلى قتالهِ الفضلَ بنَ يحيى بنَ خالدٍ البرمكيِّ، فما كانَ مِن يَحيى بنِ عبدِ الله إلَّا أن أجابَ إلى الصُّلحِ على أَن يكتبَ لهُ الرَّشيدُ أماناً، فكتَبَ لهُ ذلك، ولَم يترتَّب على خُروج يحيى هذَا انفصالُ شيءٍ عَن جسمِ الخلافَة .

ولَّما هربَ (إدريسُ بنُ عبدِ الله بنِ الحسنِ) أَخو يحيى من وَقعةِ (فَخ) سارَ إلى مصرَ ومنها

---

(١) - فَخ: وادٍ على ثلاثةِ أميالٍ من مكَّة، وهو اليومَ (وادي الزَّاهِر) .

(٢) - الدَّيلَم: من قُرى أَصبَهان في إيران، ويقال لها أيضاً: الدَّيلمانُ وهي سهلٌ وجبالٌ.

اتَّجه إلى بلادِ المغرِب، فكوَّن هناكَ أوَّلَ خلافةٍ للعلويِّين، وهي (**دولةُ الأدارِسَة**)، فدسَّ إليه الرَّشيدُ (الشَّماخ اليماميَّ) فتظاهرَ بموالاةِ إدريس، فمالَ إليه إدريسُ وقرَّبهُ، إلى أن غدرَ بهِ (الشَّماخ) ودسَّ لهُ السمَّ فقتلَه، وبقيَت دولةُ الأدارِسَة .

وفي شمالِ إفريقية ولَّى الرَّشيدُ (إبراهيمَ بنَ الأغلَب) ليوطِّد سُلطانَ العبَّاسيِّين فيها، وهو الذي مهَّدَ من بعدُ لقيامِ (**دولةِ الأغالِبَة**) في تلك البلادِ، مُستقلَّةً عن المركز العبَّاسيِّ، مُتخذةً (القَيروان) عاصمةً لها .

وقتلَ الرَّشيدُ (**البرامِكةَ**)[1] ونَكَبَهُم، ولَم يكُن هذا الأمرُ بِدعاً في الدَّولةِ العبَّاسيَّة، فإنَّ للمَنصورِ والمهديِّ سَلفاً في ذلك. وغزا الرَّشيدُ (الرُّومَ) غزَواتٍ كثيرةً انتصرَ في أكثرِها نَصراً عظيماً وأخذَ منهُم الخراجَ والجِزية. وأرسلَ (شارلمان) ملكُ الفِرَنجَةِ في (أوروبَّا) سُفراءَ إلى بغدادَ يخطُبونَ ودَّ الرَّشيد ورِضَاه، وكانَ لـ(شارلمان) غرَضٌ من مُصافاةِ الرَّشيد، وهو إضعافُ الدَّولةِ الأمويَّةِ بالأندلُس، وليكونَ لهُ اسمٌ كبيرٌ في الدِّيارِ الشَّرقيَّة، ولتكونَ درجتُه فوقَ درجةِ (نقفورالأوَّل) ملكِ الرُّومِ في القُسطنطينيَّة، ولمَّا فازَ رسُلُ شارلمان برضا الرَّشيد سُرَّ بذلك وعدَّه فَوزاً.

٦- الأمينُ بنُ الرَّشيد :

لمَّا ماتَ أبوهُ الرَّشيدُ بـ(طُوس)[2] في خُراسان، بُويعَ لمحمَّدٍ أبي مُوسَى (الأَمينِ) في عَسكر الرَّشيد بالخلافةِ سنةَ (١٩٣هـ-٨٠٩م)، ووصلَ الخبرُ إلى بغدادَ فبايَعهُ الخاصَّة والعامَّة .

كانَت المدَّةُ التي وَلِيها الأمينُ طافحةً بالمشاكلِ والاضطِّراباتِ بينَ الأخوَين؛ الأمينِ والمأمونِ، وكادَت الأمَّةُ تَذهَبُ ضَياعاً، وبعدَ وقَعاتٍ ومناوَشاتٍ حربيَّةٍ بينَ جَيْشَي الأخوَين أُسِرَ الأمينُ، وخُلِعَ، وتمَّ إعدامُه، وهكذا صَفا الجوُّ للمأمون .

---

(١) - البرامكَةُ: أسرةٌ فارسيَّةٌ عريقةٌ، جدُّها برمك سادنُ معبد (النُّوبهار) في (بلخ)، وكانَ منهُم في أيَّام الرَّشيد أخوان هُما: الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدٍ البرمكيِّ، وأخوهُ جعفَر، وكانا قد تولَّيا شؤون المالِ في عهدِ الرَّشيد إلى حدِّ الهيمَنة، فقتلَ الرَّشيدُ جعفراً، وسجنَ يَحيَى وأبناءَه سنةَ (١٨٧هـ) .

(٢) - طُوس: مدينةٌ بإيران، تسمَّى اليومَ بـ(مَشهدِ الرِّضا).

٧- المأمونُ بنُ الرَّشيد :

وبعدَ قَتْلِ الأمينِ سنةَ (١٩٨هـ-٨١٣م)، ابتدأ سُلطانُ المأمونِ الحقيقيِّ، وتجلَّت مزاياهُ العاليةَ، فساسَ الأمَّةَ سياسةَ لِينٍ لا يَشوبُها ضَعفٌ، وقوَّةٍ لا يَشوبُها عُنفٌ، وأخذتْ بغدادُ تستعيدُ نُضْرَتَها التي كانَت لها في عهدِ أَبيه، وعظُمَت بها الحركةُ العِلميَّةُ لِما كانَ مِن مَيْلِ المأمونِ الشَّديدِ إلى تقويةِ تلكَ الحركة .

وأرادَ المأمونُ -وكانَ يومَها بخُراسانَ- نقلَ الخلافةِ إلى (بَني عليٍّ) وأن يَجعلَها في رجلٍ يَصلُحُ لها لتَبْرأ ذمَّتُه، فاعتبرَ أحوالَ أعيانِ البَيتَيْن؛ العبَّاسيِّ والبَيتِ العلَويِّ، فلَم يرَ فيهما أصلحَ ولا أفضلَ ولا أورعَ مِن (عليِّ بن مُوسى الرِّضا)، فعَهِدَ إليهِ وكتبَ بذلكَ كتاباً بخطِّهِ، وألزمَ الرِّضا بذلكَ فامتنعَ أوَّلاً ثمَّ أجابَ، ووضعَ خطَّهُ في ظاهرِ كتابِ المأمون، فلمَّا سمعَ العبَّاسيُّونَ ببَغدادَ ما فعلَ المأمونُ من نَقْلِ الخلافةِ عن البيتِ العبَّاسيِّ إلى البيتِ العلَويِّ أنكَروا ذلكَ، وخلَعُوا المأمونَ من الخلافةِ غَضَباً مِن فعلِه، وبايَعوا عمَّهُ إبراهيمَ بنَ المَهديِّ المعروفَ بـ(ابنِ شِكْلَة)، في أيَّامٍ كانَت الفِتَنُ ووقائعُ الحروبِ بالِغةً مَبلَغَها، فلمَّا بلغَ المأمونَ ذلكَ، ورأى إنكارَ النَّاسِ ببغدادَ لِما فعلَهُ كتبَ إلى بَني العبَّاسِ ببغدادَ يقولُ لهُم: (إنَّ الذي أنكرتُموهُ من أمرِ عليِّ بنِ مُوسى الرِّضَا قَد زالَ، وإنَّ الرَّجلَ ماتَ)[1]، فأجابوهُ أغلظَ جوابٍ.

ثمَّ سارَ المأمونُ إلى بغدادَ فوصلَها وقَد هربَ عمُّهُ إبراهيمُ بنُ المَهديِّ، فلمَّا دخلَ البلدةَ تلقَّاهُ العبَّاسيُّون وكلَّموه في تركِ لباسِ الخُضرةِ -الذي كانَ شعارَ العلويِّين- والعَودِ إلى السَّوادِ شِعارِهِم، فأجابَهُم إلى ذلكَ بعدَ أن أمرَهُم بلَبْسِ الخُضْرَة .

وخرجَ على المأمونِ (محمَّدُ بنُ جعفرٍ الصَّادقِ) بمكَّةَ، وبُويع بالخلافةِ وسمَّوهُ أميرَ المؤمنين، فأرسلَ المأمونُ إليه عسكراً فكانت الغلبةُ لهُ، وظَفِر به المأمونُ وعفا عنهُ.

---

(١) - واختلف المؤرِّخون في سَببِ موتِه، ودُفِنَ في طُوس سنةَ (٢٠٣هـ). انظر: البدء والتأريخ: للمقدسي: ٢/ ٥٥، والوافي بالوفيَّات: للصَّفدي: ٧/ ٧٩.

وخرجَ على المأمونِ أيضاً (نصرُ بنُ شَبَث) وكان عربيّاً شَريفاً يَميلُ إلى أخيهِ (محمَّدِ الأَمين)، فلمَّا قُتِلَ الأمينُ غضِبَ، ولاسيَّما لَّما رأى العُنصرَ العربيَّ قد انحطَّ شأنُه، وصار معظمُ القوَّادِ والأمراءِ مِن غيرِهم، فأظهرَ الخروجَ على السُّلطان وتغلَّب على ما جاوَرهُ من البلادِ التي كان يَسكنُها وهي (يكسوم)[1] شمالَ حلَب، واجتمَع لهُ خلقٌ كثيرٌ من العرَبِ، وقوِيَت نفسُه وعبرَ الفراتَ إلى الجانبِ الشَّرقيِّ. ولَّما علِم المأمونُ بذلك أرسلَ طاهرَ بنَ الحسينِ إلى محاربةِ نَصرِ بن شَبَث، فأرسلَ طاهرٌ إلى نَصرٍ يدعوهُ إلى الطَّاعةِ وتركِ الخلافِ فلَم يُجِبْ، فتقدَّم إليهِ طاهرُ ولقيَهُ بنواحي (يكسوم) فاقتَتلا هناك قِتالاً عظيماً، وكان النَّصرُ حليفَ نَصرٍ ممَّا قوَّى أمرَه فكثَّرَ جمعَه، ثمَّ كتبَ طاهرٌ إلى ابنهِ عبدِ الله وأمرَهُ أن يسيرَ إلى محاربةِ نصرٍ، فضيَّق عبدُ الله على نصرٍ حتَّى مالَ إلى طلَبِ الأمان، فكتبَ لهُ المأمونُ كتابَ أمانٍ، ووجَّهَ عبدُ الله بنَصرٍ إلى المأمون .

وتحرَّكَ (**الزُّطُّ**)[2] وهُم قَومٌ من النَّوَر، انتهَزوا الفتنةَ التي كانَت بينَ الأمينِ والمأمون، تجمَّعوا واستولَوا على طريقِ (البَصرة)، ولَّما استقرَّ المأمونُ ببغدادَ بعثَ علَيهم عيسى بنَ يزيدِ الجلوَديَّ ففرَّق جمعَهُم .

وأرسلَ المأمونُ إلى محاربةِ (**بابَك الخرَّمي**)[3] قوَّاداً فحارَبوه وقتَلوا جَمعاً كثيراً ممَّن كانَ مَعه، وأَوصى المأمونُ أخاهُ المُعتَصِمَ حين أدركَتْهُ المنيَّةُ أن يُحارِبَ (بابَك) ويَكسِرَ شَوكتَه، ففعلَ واستطاعَ قتلَ (بابَك) .

٨- المُعتَصِمُ بنُ الرَّشيد:

بُويع أبو إسحاقٍ محمَّدُ بنُ هارونَ الرَّشيدِ بعدَ وفاةِ المأمون سنةَ (٢١٨هـ-٨٣٣م). خرجَ

---

(١) – نسبةً إلى يَكسوم بنِ أبرهةَ الحبشيِّ.

(٢) – الزُّطُّ: وهمُ (الغجَرُ) أو (النَّوَرُ) في تَسميةٍ قديمَة، مِثلُها (السَّبابجة)، وترى بعضُ المصادر التَّاريخيَّة أنَّ (الزُّط) قومٌ من بلاد الهند، وبالتَّحديد من حَوض نهرِ السِّندِ ويُعتقد أنَّ (زط) عُرِّبت عن أَصلِها (جت)، وهي باللُّغة الهنديَّة اسمُ هؤلاء القوم الذين كانوا يُعرفون بـ(زُنوج الهند)، بسببِ أبشارِهم السَّوداء.

(٣) – زعيمُ فرقةِ الخرَّميَّة، فارسيُّ الأصلِ مجوسيُّ الدِّيانَة، نَسبُهُ إلى مدينة (خُرَّمْشَهر) على شطِّ العرَب.

على الْمُعتَصِم (محمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ عمرَ بنِ عليٍّ بنِ الحُسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالب)، فاجتمعَ إليه ناسٌ كثيرٌ، فاهتمَّ بأمرِه عبدُ الله بنُ طاهرٍ أميرُ خراسانَ، وبعثَ لهُ البعوثَ، فكان بينَ الفريقَين وقعاتٌ بناحيةِ (الطَّالقان)[1] في خُراسان، فهُزِمَ هو وأصحابُه، فخرجَ هارباً يُريد بعضَ كُورِ خُراسانَ، فلمَّا وصلَ أخذَهُ عامِلُها وأوثقَهُ وبعثَ بهِ إلى عبدِ الله بنِ طاهرٍ فأرسلَ به إلى الْمُعتصِم، فحُبِسَ بـ(سامرَّاء)[2] .

وقهرَ الْمُعتَصِمُ (الزُّطَّ) حتَّى طلَبوا منهُ الأمانَ فأمَّنهُم. وأرسلَ المعتصِمُ قوَّاداً لمحاربةِ (بابَك) وأصحابِه فقهَرهم كذلكَ. وغزا الْمُعتَصِمُ (عمُّوريَّة)[3]، وكانَ مِن سَببِ هذِه الغزوةَ أنَّ ملكَ الرُّومِ خرجَ إلى بلادِ الْمُسلمينَ، فنهَبَ حِصناً من حُصُونهم يُقالُ لهُ (زِبَطْرة)، وقَتلَ مَن بهِ منَ الرِّجالِ وسبَى الذُّريَّةَ والنِّساء، ويُقالُ[4]: إنَّه كان في جُملةِ السَّبي امرأةٌ هاشميَّةٌ سُمِعَتْ وهيَ تقولُ: وامُعتَصِماهُ، فبلغَ الْمُعتَصِمَ ما فعلَه ملكُ الرُّوم بالْمُسلمينَ فاستَعظمَهُ وهالَهُ، وبلغهُ ما قالَت الهاشميَّةُ فقالَ وهو في مَجلسِهِ: (لبَّيكِ لبَّيكِ)، ونهضَ من ساعتِه، وصاحَ في قصرِه: (الرَّحيلَ الرَّحيلَ)، ثمَّ ركبَ دابَّته وأمرَ العسكرَ بالتجهُّز، فسارَ بجيشٍ حَشودٍ، فظفِرَ ببعضِ الرُّوم فسألهُ عَن أَحْصَنِ مدُنِهم وأَعظَمِها وأعزِّها عندَهم، فقال لهُ الرُّوميُّ: (إنَّ عمُّوريَّةَ هي عينُ بلادِهم)، فتوجَّه الْمُعتصمُ إليها وحاصرَها، ثمَّ فتَحها ودخلَها وقتلَ وسبَى وأسرَ وبالغَ في ذلك حتَّى هدمَ (عمُّوريَّة) .

استكثَرَ المعتصمُ منَ (الأتراكِ) وأحضرَ منهُم عدَداً، وأسكنَهُم بغدادَ، واستَغنى عن جُيوش العرَب، وأسقطَهُم من الدَّواوين، وأتى بكثيرٍ من (الفراغِنة) و(الأشروسنية)[5]، واشتُهِرَ

---

(١) – الطَّالقان: منطقةٌ مؤلفةٌ من عدَّةِ قُرًى تُعرفُ باسم (الطَّالقان)، وهيَ اليومَ شمالَ غربِ طَهران.

(٢) – سامرَّاء: مدينةٌ شهيرةٌ شمالَ بغدادَ في العراق، بناها المعتصِم عاصمةً للعبَّاسيِّين، فكانَت كذلك حوالي (٦٠) عاماً، حتى عادت بغدادُ عاصمةً لهم أيَّام الْمُعتضِد سنةَ (٢٧٩هـ) .

(٣) – عمُّوريَّة: بقايا حِصنها تقعُ قربَ قرية (حصار) في تركيَّا.

(٤) – انظُر: الكامل في التَّاريخ: لابن الأثير: ٦/ ٤٠، والمنتظَم: لابن الجوزيِّ: ١١/ ٢٩، وغيرهما.

(٥) – الفراغنة من بلاد فرغانة وراء النَّهر، والأشروسنيَّة: قومٌ من بلادِ ما وراء النَّهر أيضاً.

من هؤلاءِ قوّادٌ اصطنَعهُم المعتصمُ ورَفعَ من أقدارِهم، وجعلَ بيدِهم مُستقبلَ الخلافةِ العبَّاسيَّة .

والمُعتصمُ وحدَهُ -كما يقولُ المؤرِّخون- يتحمَّلُ أكثرَ تَبعةِ ما حلَّ بالعباسيِّين من بعدِه من اضطِّرابِ أمرِهم وضَعفِ سُلطانِهم وما حلَّ بالأمَّة العربيَّة من غلَبَةِ هذِه العناصرِ الغَريبةِ على أمرِها .

إنَّ المُعتصمَ في هذا لَم يكُن بعيدَ النَّظر في العواقبِ، وإنَّما كان شُجاعاً صَبوراً يحبُّ الشُّجعانَ ويعتزُّ بهِم مَهما كانَ شأنُهم، سواءٌ أكانَ يَهُمُّهم شأنُ الدَّولةِ وبقائِها أَم لا، ومثلُ هذا خطأٌ جَسيمٌ يحطُّ بقَدرِ الدُّولِ ويَذهبُ بعَظمتِها.

٩- الواثقُ بنُ المُعتصِم :

وملكَ بعدَ المعتصمِ ابنُه أبو جعفرٍ هارونُ الواثقُ بالله سنةَ (٢٢٧هـ-٨٤٢م)، ولمَّا وليَ الخلافةَ أحسنَ إلى بَني عمِّه الطَّالبيِّين وبرَّهُم، ولَم يَقع في أيَّامه من الفتُوحِ الكبارِ والحوادثِ المشهورةِ ما يُؤثَر، وتوفِّيَ دونَ أن يعهَد لأحدٍ.

١٠- المتوكِّلُ بنُ المُعتصِم :

تولَّى الخلافةَ بعدَ أخيهِ الواثقِ سنةَ (٢٣٢هـ-٨٤٧م)، كان أبو الفضلِ جعفرُ المتوكِّلُ شديدَ الكُره لآلِ عليٍّ، إذ كانَ في عهدِه جماعةٌ اشتُهِرُوا ببُغض عليٍّ، فكانوا يَحملونَ المتوكِّلَ على الوقيعةِ بِهم، ومن آثارِ تلكَ الكراهةِ أنَّه أمرَ سنةَ (٢٣٧هـ-٨٥١م)بهَدمِ قبرِ الحُسينِ بنِ عليٍّ بكربلاءَ وهَدمِ ما حولَهُ من المنازلِ والدُّورِ ليَمنعَ النَّاسَ من إتيانِه[1].

وكان الجيشُ على عَهدِ المتوكِّل كما كانَ عليهِ في مدَّةِ الواثقِ والمُعتصِم، وكلَّما قَدُمَ العهدُ زادَ (الأتراكُ) نُفوذاً وقوَّةً، وقَد أحسَّ المتوكِّلُ بنفوذِ الأتراكِ في الدَّولة واستبدادِهم بأموالِ الخلافةِ وإدارتِها وجيشِها، فأحبَّ أن يُضعفَ شوكتَهم ويَحُدَّ من نُفوذِهم .

ثمَّ عزمَ على نقلِ عاصمةِ المُلك إلى (دمشقَ)، فشَخَصَ إليها، ونقلَ دواوينَ المُلكِ وأمرَ

---

(١) - انظُر: تاريخ الطَّبري: ٥/ ٣١٢، والبداية والنِّهاية: ١٠/ ٣١٥، والكامل: ٦/ ١٠٨، والمنتظَم: ١١/ ٢٣٧، وغيرها.

بالبناء، فتحرَّكَ الأتراكُ ظانِّين أنَّه يُريدُ أن يستعينَ بسُلطانِ العرَب عليهم حيثُ اختارَ بلادَ الشَّام، فأمرَ المتوكِّلُ بها أرضاهُم ولَم يمكُث بالبلادِ إلا قليلاً، ثمَّ عاد إلى (سامرَّاء) .

وفي سنةِ (٢٣٨هـ-٨٥٢م) أغارَ الرُّومُ على مصرَ من جهةِ (دمياط)[١]، وكان أميرُ مصرَ قد أمَرَ حاميتَها أن يَحضُروا إليه بـ(الفُسطاط)، فلمَّا جاءهمُ الرُّومُ بمراكبِهم لَم يجِدوا بها حاميةً، فدخلُوا البلدَ وعاثُوا فيه وأحرقوا دُورَه والمسجدَ الجامعَ، وسبَوا كثيراً من نساءِ المُسلمينَ وأهلِ الذمَّة، وأخذوا ما طالَتهُ أيديهِم منَ المغانِم، وعادوا بعدَها إلى بلادِهم.

وفي عامِ (٢٤٢هـ-٨٥٦م) خرجَت الرُّومُ حتَّى قارَبوا (آمِد)[٢]، فانتهَبوا عدَّةَ قُرًى، وأسروا عدَداً عظيماً منَ الأَهْلين، ثمَّ انصرَفوا قافلينَ إلى بلادِهم .

وفي سنةِ (٢٤٤هـ-٨٥٨م) وجَّهَ المتوكِّلُ أحدَ قوَّادِه وهو (أبو موسَى الكَبيرُ؛ بُغا) من دمشقَ لغزوِ الرُّومِ، فغزا (الصَّائفةَ)[٣] وافتتحَ (صملة)[٤]، وفي سنةِ (٢٤٥هـ-٨٥٩م) أغارَت الرُّومُ على (سميساط)[٥] فقتَلُوا وسبَوا، وغَزا عليُّ بنُ يحيى الأرمنيُّ -أحدُ قادةِ الفاتحين- (الصَّائفةَ) .

وفي آخرِ عهدِ المتوكِّل ابتدأَتْ (**الدَّولةُ اليَعفُريَّة**)[٦] بصنعاءَ، أسَّسها يَعفرُ بنُ عبدِ الرَّحيم الحوالي، وكان ابتداءُ استقلالِها سنةَ (٢٤٧هـ-٨٦١م) .

ولم تكُن قلوبُ كبارِ الأتراكِ مطمئنَّةً إلى المتوكِّل، واستعانوا بابنِهِ المُنتصِر، فدخَلوا القصرَ

---

(١) - دِمياط: مدينةٌ مصريَّةٌ على ضفَّة النِّيل الشَّرقيَّة، قريبةٌ من البحر المتوسِّط.

(٢) - آمِد: جنوبَ شرقِ تركيَّا، على شاطئ دِجلةَ الأيسَر، وهيَ مدينةُ (ديار بكر)، على تسميةِ المُسلمين الفاتحينَ أيَّام الأمويِّين.

(٣) - الصَّائفَة: وهُما صَائفتان: الصَّائفةُ اليُسرى وهيَ البلادُ الواقعةُ في ساحلِ بلادِ الأناضول. والصَّائفةُ اليمنى برُّ الأناضول من جهة البلاد الدَّاخليَّة، والأناضول شبهُ جزيرةٍ جبليَّة في غربِ آسيا على البحرِ المتوسِّط تشملُ معظمَ الأراضي التركيَّة، و تُعرَف بآسيا الصُّغرى.

(٤) - صملَة: حصنٌ ضخمٌ من حُصونِ الرُّومِ في تلك البلاد.

(٥) - سميسَاط: مدينةٌ قديمةٌ من مُدُنِ الأناضول (تركيَّا)، تقعُ غربَ نهرِ الفُرات.

(٦) - اليَعفُريُّونَ يمنيُّونَ حميَريُّون حكَموا أرجاءً واسعةً من اليَمن، من عام (٢٢٥هـ) إلى عام (٣٩٣هـ).

وسُيوفُهم مَسلولةٌ، والمتوكِّلُ قد أخذَ منهُ الشَّرابُ، فابتدَره أحدُهم بضربةٍ وثنَّى عليهِ بأُخرى كانتِ القاضيةَ، وكان قتلُه سنةَ (٢٤٧هـ-٨٦١م)، وكانت الحادثةُ أوَّل ثمرةٍ لغَرسِ المعتصمِ الأتراكَ في الدَّولَة.

١١- المُنتصِرُ بنُ المتوكِّل:

بُويع للمُنتصرِ بالخلافةِ في اللَّيلةِ التي قُتل فيها أبوهُ المتوكِّلُ سنةَ (٢٤٧هـ-٨٦١م)، وبقتلِ المتوكِّل زادَت الأتراكُ قوَّةً في الدَّولةِ على قوَّتهم، لأن أيديَهُم امتدَّت إلى حياةِ الخلفاءِ، فأَنشَبُوا أظفارَهُم بذلكَ في جسمِ الدَّولةِ.

ولَمَّا وَلِيَ الخلافةَ أخذَت نفسُهُ توبِّخُه وتقرِّعهُ على فِعلَتِه حتَّى أسقمَ ذلكَ بدنَهُ وأذلَّ نفسَهُ فَحُمَّ، ويُقالُ: إنَّ الأتراكَ دسُّوا إلى طبيبِهِ ريشةً مَسمُومةً ففصدَهُ بها فماتَ[١].

١٢- المُستعينُ بنُ محمَّد بنِ المُعتصِمِ:

ولَمَّا ماتَ المُنتصرُ اجتمعَ الأمراءُ وأكابرُ المماليك وقالُوا: متى ولَّيْنا أحداً من وُلْدِ المتوكِّل طالبَنا بدمِه وأهلكَنا، فأجمَعوا على مُبايعةِ المُستعينِ؛ أحمدِ بنِ محمَّدِ بن المُعتصِم، وذلك سنةَ (٢٤٨هـ-٨٦٢م)، وقالوا: (هو ابنُ ابنِ مولانا المُعتصِم، فإذا بايعناهُ لَم تخرُجِ الخلافةُ من وُلْدِ المُعتصِم)[٢]، فبايَعوه.

وخرجَ على المُستعينِ (يحيى بنُ عمرَ بنِ يحيى بنِ الحُسينِ بن زيدٍ بنِ عليِّ بنِ الحُسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ) بالكوفةِ، فاستولَى عليها وعلى بَيتِ مالِها، فأرسلَ المستعينُ إلى مُحاربتِهِ محمدَّ بنَ عبدِ الله بنِ طاهرٍ فحاربَه، وبعدَ وقَعاتٍ دارت بينَ الطَّرَفين قُتل يحيى بنُ عمرَ الطَّالبيُّ، وأُرسلَ رأسهُ إلى المُستعينِ بسامرَّاء، وانهزمَ جندُه.

وخرج على المستعينِ أيضاً (الحسنُ بنُ زيدٍ بنِ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ بن زيدٍ بنِ الحسَنِ بنِ

---

(١) - انظُر: تاريخ الإسلام: للذَّهبيِّ: ١٨/ ٤١٨، وشذرات الذَّهب: ٢/ ١١٨.

(٢) - انظُر: تاريخ الطَّبريِّ: ٥/ ٣٥٤، وتاريخ الخلفاء: للسُّيوطي: ١/ ٣٥٨.

الحُسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ) بنواحي (طبرستان)[1]، وقد نجح (الحسنُ بنُ زيدٍ العلويُّ) في تكوينِ دولةٍ تُعرفُ بـ(**الدَّولةِ الزَّيديَّةِ**) بطَبرستان، واقتطعَ من مُلكِ بَني العبَّاسِ أو آل طاهرٍ طرَفاً عظيماً تحميهِ جبالُ طبرستان والدَّيلَم.

وأمَّا الحالُ في الخارج فكانت أعظمَ اضطِّراباً، لأنَّ الاضطِّرابَ الحادثَ في الداخليَّةِ كان سَبباً في تقاعُدِ أولي الأمرِ عن حمايةِ الثُّغورِ والوقوفِ في وجهِ الرُّوم الذين كانوا يترَبَّصون مثلَ هذِه الفُرصةَ ليُحاربوا المُسلمينَ ويغلبوهُم في أكثرِ الوقائع .

١٣- المعتزُّ بنُ المتوكِّل:

بُويعَ المعتزُّ محمَّدُ بنُ المتوكِّل بالخلافةِ سنةَ (٢٥٢هـ-٨٦٦م)، بعد أن خلعَ الأتراكُ المُستعينَ، إذْ كانَ أمرُ تنصيبِ الخليفةِ وخلعِه بيدِ الأتراك .

قال ابنُ الطَّقطَقي ابنُ طَباطْبا: (إنَّ الأتراكَ قد استولَوا منذُ قتلِ المتوكِّل على المملكةِ واستَضعَفوا الخلفاءَ، فكان الخليفةُ في يدِهم كالأسيرِ، إن شاؤوا خلَعوهُ، وإن شاؤوا قتَلوهُ)[2] .

استُخلِفَ المُعتزُّ وأحوالُ الجندِ والأتراكِ على شرِّ ما تكونُ، فهُم أصحابُ السُّلطانِ والنُّفوذ، وهُم فيما بَينهُم مختلفونَ، إذْ لا يدَ فوقَ أيديهِم تُوقِفُ كلَّاً منهُم عندَ حدِّه، ولا حيلةَ للخليفةِ إلَّا مراعاةُ جانبِهم حيناً، وأعمالُ الحيلةِ والدَّسائسِ حيناً،ومثلُ هذا يفعلُهُ كلُّ مَن سُلِبَ سلطانُه، ولا قُدرةَ له على استردادِه .

وفي أيَّامِ المعتزِّ ظهرَ (يعقوبُ بنُ اللَّيث الصَّفَّارُ)[3]، واستولَى على (فارِس)، وجمعَ جُموعاً

---

(١) - طَبَرستان: بلدٌ ساحليٌّ شمالَ إيران على بَحر قَزوين، وهو اليومَ ولايةُ (مازندران)، وبحرُ قزوين أو بحرُ الخزَر: بحرٌ مُغلقٌ بين آسيا و أوروبَّا (روسيا الأوروبِّية)، ويعدُّ أكبرَ سطحٍ مائيٍّ مُغلقٍ على سَطح الأرض، والبحرُ محاطٌ بدولِ رُوسيا من الشَّمالِ والشَّمالِ الغربيِّ،وأذربيجان من الغَرب، وإيران من الجنوب، وتركمانستان وكازاخستان من الشَّرق.

(٢) - انظُر: الفَخري في الآدابِ السُّلطانيَّة والدُّول الإسلاميَّة: لابنِ الطَّقطَقي محمَّد بنِ عليِّ بنِ طَباطْبا (ت:٧٠٩هـ)، مصر، المطبعَة الرَّحمانيَّة، ١٩٢١م.

(٣) - وإليه تُنسَبُ (الدَّولةُ الصَّفَّاريَّةُ) التي ظهرَت إثرَ قضاء يعقوبَ على (الدَّولة الطَّاهريَّة) وأميرِها محمَّد بن طاهِر .

كثيرةً، ولَم يقدِر المعتزُّ على مقاومتِه. وأخيراً، ثار الأتراكُ على المعتزِّ وطلَبوا منهُ مالاً فاعتذرَ إليهم وقال: (ليس في الخزائنِ شيءٌ)، فأجمَعوا على خَلعهِ وقَتلِه، وتمَّ لهُم ما أَرادوا، ثمَّ عهدوا بالخلافةِ إلى محمَّد بنِ الواثق .

١٤- المُهتدي بنُ الواثِق:

بُويعَ بالخلافةِ محمَّدُ المهتدي بالله بنُ هارونَ الواثقِ بنِ المُعتصِم بعد أن خلعَ المعتزُّ نفسَه سنةَ (٢٥٥هـ-٨٦٩م) . وفي زمنِ المُهتدِي تغيَّر الجندُ على قوَّادِهم، فأَقطَعوا ضَياعاً كثيرةً ولَم يلتفِتوا إلى إصلاحِها فخَربَت، وأدَّى ذلك إلى نُقصانِ الخَراجِ حتَّى لَم يكُن عندَ الخليفةِ ما يَسدُّ به حاجةَ الجُند، وكانَت هذِه الشَّكوى بدءَ انقلابٍ جديدٍ للأتراكِ لَو وجدوا خليفةً قويَّاً يَنتفعونَ به .كانَت تلك الحالُ فرصةً لخلاصِ المُهتدي من سيادةِ القوَّادِ الأتراكِ، فلَم يَفعل، بلْ كان ظاهرُه مع الرُّؤساءِ وباطنُه مع الجنُود، ويظهرُ أنَّه أرادَ بعدُ استعمالَ الحيلةِ في الخلاصِ منهُم فأَرسلَ لمحاربتِهم، ولَمَّا علِم الأتراكُ خبرَه جاؤوا إليهِ وقبَضوا علَيه وحمَلُوه إلى دارِه مُهاناً، ثمَّ خلَعوهُ لَمَّا أَبى أن يخلعَ نفسَه .

١٥- المُعتَمِدُ بنُ المتوكِّل:

بُويعَ أبو العبَّاسِ محمَّدُ المعتمِدُ بنُ المتوكِّل بالخلافةِ سنةَ (٢٥٦هـ-٨٧٠م)، وكانَ المُعتمدُ مُستَضعفاً، وكان أخوهُ (**الموفَّقُ** طلحةُ النَّاصرُ) هو الغالبَ على أُمورِه، وكانَت دولةُ المعتمِد دولةً عجيبةَ الوضعِ، كان هو وأخوهُ طلحةٌ كالشَّريكينِ في الخلافَة؛ للمُعتمِد الخطبةُ والسِّكَّةُ والتَّسمِّي بإمرةِ أميرِ المُؤمنين، ولأخيهِ طلحةَ الأمرُ والنَّهيُ وقيادةُ العسكرِ ومُحاربةُ الأعداء ومرابطةُ الثُّغور وترتيبُ الوزراءِ والأُمراء، وعملَ على كسرِ شوكةِ الأتراك .

ادَّعى في عهدِ المُعتمِد رجلٌ فارسيُّ الأصلِ، يُقالُ لهُ (عليُّ بنُ محمَّد)، زاعماً أنَّه موصولُ النَّسبِ إلى ابنِ أبي طالبٍ، فاستمالَ قلوبَ العبيد من (**الزِّنج**)[1] بالبَصرةِ ونَواحيها، فاجتمعَ إليه

(١) - الزِّنجُ: بالكَسرِ والفتحِ قومٌ سودُ الأَبشار، واشتُهِرَت وقعَتُهم بثورةِ الزِّنج أو حركة الزِّنج.

منهُم خلقٌ كثُر، وناسٌ آخرون من غَيرهم، وعظُم شأنُه وقَوِيت شوكتُه، وأعانهُ على ذلك واقعُ الاضطِّهادِ والضَّنكِ الذي كانَ أهلُ البصرةِ يُقاسونَهُ، فخرجَ إليه (طلحةُ النَّاصرُ) بعساكرَ كثيرةٍ، وبعدَ وقَعاتٍ كانت الغلَبَةُ للجيشِ العبَّاسيِّ، وقُتل صاحبُ (الزِّنج)، وحُمِل رأسُه إلى بغدادَ .

وفي عَهدِه ضاق نطاقُ الخلافةِ العبَّاسيَّة لأنَّ كثيراً من البلادِ قد انفَصلَتْ عنها، فكانَت **(الدَّولةُ الصفَّاريَّة)** بفارِس وكَرمان وسجِستان وخُراسان، و**(الدَّولةُ السَّامانيَّة)**[1] ببلادِ ما وراءَ النَّهر، و**(الدَّولةُ الزَّيديَّةُ العلَويَّة)** بطَبرستان، واقتَطعَتْ **(دولةُ أحمَدَ بنِ طُولُون)**[2] بَرقةَ[3] ومِصرَ والشَّام .

وأمَّا الحالةُ الخارجيَّةُ فكانَت أتعسَ، كانَت الحدودُ الرُّوميَّةُ محلَّ تقلقُلٍ دائمٍ، يُغير عليها الرُّومُ كلَّ وقتٍ فيَجدون الدِّفاعَ عَنها ضَعيفاً، وبالتَّالي تسنَّتْ لهُم غلبةُ كثيرٍ من الجُيوش، ولَم تتحسَّن الأحوالُ قليلاً إلَّا بعدَ أن أخذَ (ابنُ طولُون) مدينةَ (طرطوس) وعَهِدَ إليهِ الخليفةُ العبَّاسيُّ بحمايةِ الثُّغورِ الشَّاميَّة، فتولَّى الغزوَ بجُنودِه المصريَّة والشَّاميَّة، وقَد أوقعَ بالرُّومِ وَقعةً هائلةً سنةَ (٢٧٠هـ-٨٨٣م) .

١٦- المُعتضِدُ بنُ المُوفَّق:

وَلِيَ المُعتضِدُ الملكَ سنةَ (٢٧٩هـ-٨٩٢م) والمملكةُ العبَّاسيَّةُ خَرِبةٌ، وثغورُها مُهمَلة، فقام قياماً مَرضيَّاً حتَّى عمُرت مملكتُه وكثُرت الأموالُ وضُبِطَت الثُّغورُ، ساعدَه على ذلكَ هيبتُه وسياستُه وشدَّتُه على أهلِ الفسَاد، فكانَ حاسِماً لأطماعِ عسكرِه عن أذى الرَّعيةِ، محُسِناً إلى بني عمِّه من آل أبي طالبٍ .

---

(١) - تُنسَبُ في الأصلِ إلى (أسَدِ بنِ سامانَ)، وهوَ فارسيُّ الأصلِ، وكانَ من وُلدِه نصرُ بنُ أحمد بنِ أسدِ السَّامانيُّ، ويُعدُّ المؤسِّسَ الحقيقيَّ للدَّولةِ السَّامانيَّة، ثمَّ غلَبَ عليهِ أخوهُ (إسماعيلُ بنُ أحمد) ومدَّ نفوذَ الدَّولَة، وجعلَ من (بُخارَى) عاصمةً لها.

(٢) - تُنسَبُ (الدَّولةُ الطُّولونيَّة) في الأصلِ إلى (طُولُون) وهو مملوكٌ كان أيَّام المأمون، يَنحدرُ من أسرةٍ من بُخارَى.

(٣) - بَرْقَة: إقليمٌ تاريخيٌّ يُطلَقُ على شرقِ ليبيا.

وخرجَ على المُعتضِد كثيرونَ منهُم (عَمرُو بنُ اللَّيث الصَّفَّار) أَخو يعقوبَ، فعَظُم شأنُه وفخُمَ أمرُه واستولَى على أكثرِ بلادِ الفُرس، ثمَّ أُلقيَ القبضُ علَيه، وأُرسلَ إلى المُعتضِد، وقُتل في أوَّلِ خلافةِ المُكتَفي .

١٧- المُكتَفي بنُ المُعتضِد:

بُويعَ عليٌّ المكتَفي بالخلافةِ سنةَ (٢٨٩هـ-٩٠٢م)، وفي عَهدِه انتكَسَت البلادُ بعدَ أن أَخذَت تنتعشُ في عَهدِ أبي أحمدَ المُوفَّقِ وعهدِ ابنِه المُعتضِد، فقَد بدأَت المنافساتُ بينَ ذَوي النُّفوذِ من الدَّولة، فكان أحدُهم يَكيدُ للآخرِ شرَّ كيدٍ حتَّى يُورِدَه المَهالِكَ، مِن غَيرِ نظرٍ في ذلكَ إلى ما تقتضيهِ مصلحةُ الدَّولةِ والأمَّة .

وانتظَمَت في عهدِ المُكتَفي بلادُ خراسانَ وما وراء النَّهر لـ(إسماعيلَ بنِ أحمدَ السَّامانيِّ)، ولَم يَزلْ أمرُه على ما هو علَيه والمكتَفي راضٍ عَنهُ .

أمَّا العلاقاتُ مع الرُّومِ فكانَت أوَّلَ الأمرِ حسَنةً، حتَّى لَقَد تُبُودِلَتْ الهدايا بينَ المَلِكَين وحصَلَتْ بينهُما مُفاداةٌ. واستفحلَ أمرُ (**القرامِطَة**) في عَهدِ المكتَفي، خرَجوا وقطَعوا الدَّرب على الحجَّاجِ في الشَّام وعاثُوا فساداً، فسرَّح إليهُم المكتَفي جُيوشاً كثيرةً، فأوقعَ بهِم وقتلَ بعضَ زُعمائِهم[1] .

١٨- المُقتَدِرُ بنُ المُعتضِد:

بُويع المُقتدرُ بالخلافةِ بعدَ أخيه المُكتَفي بتدبيرٍ منَ الأتراك، وعمرُهُ يومئذٍ ثلاثَ عشرةَ سنةً، سنةَ (٢٩٥هـ-٩٠٨م)، وفي عَهدِه عظُمَ أمرُ (القرامِطة)، وكان هذا عامِلاً قويّاً على إسقاطِ شأنِ الدَّولَة، وزِدْ على ذلكَ ما كانَ مِن الإخلالِ بالأمنِ في العراقِ والحجازِ .

---

(١) - القرامطَةُ: في الأصلِ منشعبةٌ عن الإسماعيليَّة، واسمُها هذا مشتقٌّ عن كلمةِ (باطنيَّة) بالآراميَّةِ؛ لغةِ أنباطِ العراق، قام القرامطةُ بنَشاطٍ تخريبيٍّ في العراق والشَّامِ واليمَن والأحساءِ والبحرَين، وتوالى على إمرتِهم عددٌ من القادَة منهُم -أيَّامَ المُكتَفي- (أحمدُ بنُ زكرويه؛ صاحبُ الخال) صاحبُ مذبحةِ المعرَّة.

استولَى رئيسُ القرامطَةِ حينَها (الحسنُ بنُ بَهرام) على هَجرٍ والأَحساءِ والقَطيفِ[1] وسائرِ بلادِ البَحرَين، ثمَّ خلفهُ ابنُه، فكانَت له غزَواتٌ متَتابعةٌ إلى جهةِ البَصرةِ يُريد الاستِيلاء علَيها .

واشتدَّ في عهدِ المُقتدِر سُلطانُ المُستَقلِّين عن المملكةِ العبَّاسيَّة:

- ففي الأَندلُس: قامَتْ فلولُ (**الأمويِّينَ**)، وتسمَّى فيها (عبدُ الرَّحمن النَّاصر) بأميرِ المُؤمنين.

- وفي إفريقية: قامَت (**الدَّولةُ العلَويَّةُ**) ومثَّلها الأدارسَةُ من المغرِب الأَقصى والفاطميُّون الذين قضَوا على الأغالِبةَ في شمالِ إفريقيَة.

- وفي خُراسانَ وما وراءَ النَّهر: استقرَّ ملكُ (**السَّامانيَّة**).

- وفي المَوصل: ابتدأتْ (**دولةُ آلِ حَمدان**)[2]، ولكن لَم يتمكَّن سُلطانُهم في عهدِ المُقتدر .

وأغارَ الرُّومُ سنةَ (٣٠٣هـ-٩١٥م) على ثُغورِ المملكةِ العبَّاسيَّة وسبَوا مَن فيها، ولَم يكُن أمامَ الرُّومِ من الجيوشِ مَن يَصدُّهم، لأنَّهم كانوا مَشغُولينَ برَتْقِ الفُتوقِ الدَّاخليَّةِ المُتوالِية .

وعلى الجُملة، فقَد كانت خلافةُ المُقتدرِ شرَّاً على الدَّولةِ العبَّاسيَّة -كما يقولُ المؤرِّخون- ، إذْ حكَّمَ فيها النِّساءَ والخدمَ[3]، وبذَّرَ في الأموالِ تبذيراً، وكان يَعزِلُ الوُزراءَ ويُولِّي غيرَهم بما يُقدَّمُ مِنَ الرِّشا لهُ ولأمِّه ولقَهرَمانتِه[4] ولخدَمَتِه، وظلَّ على هذِه الحالِ حتَّى قُتِلَ سنةَ (٣٢٠هـ-٩٣٢م).

١٩- القَاهِرُ بنُ المُعتَضِد:

بُويعَ القاهرُ بالخلافةِ سنةَ (٣٢٠هـ-٩٣٢م)، كانَ القاهرُ مَهيباً جَسوراً على سفكِ الدِّماء أهوجَ، راغباً في جمع الأموالِ رديءَ السِّياسَة، صادَرَ جماعةً من أمَّهات أولادِ المُقتدِر، وصادرَ أمَّ المُقتدِر (زوجةَ أبيه) فعلَّقها برِجلٍ واحدةٍ مُنكَّسةَ الرَّأسِ، وعذَّبَها بصنوفِ العذابِ ضَرباً وإهانةً

---

(١) - هَجَرُ والأَحساءُ في المنطقة الشَّرقيَّةِ من السُّعوديَّة، والقَطيفُ مدينةٌ ساحليَّةٌ على الضفَّةِ الغربيَّة للخليجِ العربيِّ.

(٢) - أسرةٌ إسلاميَّةٌ حكمَت شمالي العراقِ وأجزاءَ من بلادِ الشَّام، يُنسبون في الأصلِ إلى (حمدانَ بنِ حمدونَ التَّغلبيِّ).

(٣) - منهُم (مؤنس الخادِم)، قلَّدهُ المُقتدِرُ إمرةَ مصرَ والشَّام، وسمَّاهُ المظفَّر. ومنهُم (مؤنسُ الخازن)، وخالُه (غريبُ الخال) وغيرُهم.

(٤) - القَهرَمانَة: جمعُ قهرَمان، وهو بلُغةِ الفُرسِ من أمناءِ الملكِ وخاصَّتِه وخزَنتِه.

حتَّى ماتَت بعدَ أيامٍ قلائلَ، وبكلمةٍ أُخرَى: قتَلَ جَمعاً غَفيراً، ورأَى النَّاسُ من شدَّةِ القاهرِ أنَّهم لا يَسلَمون من يدِه، ونَدِمَ كلُّ مَن أعانَه من الجنودِ حينَ لَمْ يَنفعْهُم النَّدمُ .

وفي سنةِ (٣٢٢هـ) خُلِعَ القاهرُ، وسَببُ ذلك: أنَّ وزيرَهُ (ابنَ مُقلَة) كان قد استترَ خوفاً منهُ، فكانَ يُفسِدُ علَيه قلوبَ الجُند والقادةِ الأتراكِ، ويحذِّرُهم إيَّاهُ، ويُزيِّنُ لهُم خَلْعَه، فهجَموا علَيه وخلَعوهُ وسمَلوا عينَيه حتَّى سالَتا على خدَّيه، ثمَّ حُبِسَ في دارِ السَّلطَنة ومكَثَ في الحبسِ مدَّةً ثمَّ أُخرِجَ منهُ، وكانَ يُحبَسُ مرَّةً ويُفرَجُ عنهُ أُخرَى[1] .

٢٠- الرَّاضي بنُ المُقتدِر :

بُويع الرَّاضي بالخلافةِ سنةَ (٣٢٢هـ-٩٣٤م)، فأخذَت حالُ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ في عَهدِه تَزيدُ إدباراً وانتِكاساً واضطِّراباً، وكانَت مدَّتُه مُنازعاتٍ سياسيَّةً بينَ أربابِ السُّلطان، فكانَ كلُّ امرئٍ منهُم يَودُّ أن تكونَ لهُ إمارةُ الأمراءِ ببَغداد، والأعداءُ يَنتَقِصُونَ كلَّ يومٍ أطرافَ الخلافةِ حتَّى امَّحَتْ هيبتُها وخاسَتْ كلمتُها .

وممَّا زاد الأمرَ إدباراً ظهورُ المنازعاتِ الدِّينيَّة ببغدادَ عاصمةِ الخلافة، فقَد ظهرَ بها (الحنابلةُ) وقَويت شوكتُهم، وبذلك تجاوزَ النِّزاعُ الأمراءَ إلى عامَّةِ النَّاس، وقلَّما وُجِدَت المُنازعاتُ الدِّينيَّةُ بينَ قومٍ إلَّا ذَلُّوا وفَشِلُوا .

وفي عَهدِ الرَّاضي ظهَرت (**الدَّولةُ الإخشيديَّة**)[2] بمِصرَ، على يدِ مؤسِّسِها (أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ طُغج الإخشيدِيِّ) وهُو من موالي آل طُولُون. وفي أيَّام الرَّاضي استُحدِثَ لقبُ (**أميرِ الأُمراءِ**) في بغدادَ، وصارَ إلى أميرِ الأمراءِ الحلُّ والعَقد، والخليفةُ يأتمِرُ بأمرِه، وليسَ لهُ من نُفوذِ الكلمةِ أَو سُلطانِ الخلافةِ شيءٌ .

---

(١) - انظُر: البداية والنِّهايَة: ١١/ ١٧٨، وسمط النُّجومِ العَوالي: ٣/ ٤٩٠، وغيرهما.

(٢) - الإخشيدُ: لقبٌ أشاعَهُ الرَّاضِي على (محمَّد بن طُغج ت:٣٣٤هـ)، وهو في الأصل مؤلَّفٌ من كلمتَين: (آق) وهي بالتُّركيَّة (أبيض)، و(شِيد) وهي بالتُّركيَّة (الشَّمسُ)، ومَعناهُما مجتمعَين (بياضُ الشَّمس)، وقد أُطلِقَ هذا اللَّقب على ملوك (فرغانَة) في أوزبكستان، ثمَّ هو لقبُ حكَّام (مصر) الذين جاؤوا بعدَ انهيار الدَّولة الطُّولونيَّة في مصر.

٢١- المُتَّقِي بنُ المُقتَدِر :

بُويعَ بالخلافةِ إبراهيمُ المتَّقي سنةَ (٣٢٩هـ-٩٤٠م)، ولَم يكُن للمتَّقي منَ السِّيرة ما يُؤثَر، واضطَّربَت عليهِ الأُمور، وغلَبَ علَيهِ رجلٌ من أُمراء الدَّيلَم يُقالُ لهُ (تُوزون)، فهرَب المتَّقي ومَعه ابنُه وأهلُه إلى الموصِل خَوفاً على نَفسهِ من حَربٍ، وقد حصلَ ما كان يترقَّبُه، فإنَّ فِتَناً استَعرَتْ نيرانُها أدَّت إلى نَهْبِ دارِ الخلافةِ وأخذِ ما كانَ بها .

ثمَّ إنَّ أميرَ الأمراءِ ببغدادَ (توزون) كتبَ إلى المتَّقي يَستَميلُه وحلَفَ لهُ أيماناً غَليظةً أنَّه لا ينالُه مكروهٌ مِن جهَتِه، فاغترَّ المتَّقي بذلكَ وانحدرَ من الموصِل حتَّى وصلَ إلى (السِّنديَّة)[1] من (نَهر عيسى)، فخرجَ (توزون) إلى تلقِّيه والنَّاسُ كافَّةً، فلمَّا رآهُ (توزون) قبَّلَ الأرضَ وكانَ قد أَوصى جماعةً من أصحابِه سرَّاً أن يُحيطوا به، فأَحاطُوا به وأَدخلُوه إلى خَيمتِه، وهناكَ قبضَ عليهِ (توزون)، وسمَلَ عينَيه، وخلَعه، وبايعَ المُستَكفي[2] .

٢٢- المُستَكْفي بنُ المُكتَفي :

بُويعَ عبدُ الله المُستكفي بالخلافةِ سنةَ (٣٣٣هـ-٩٤٤م)، وعَهدُ المُستكْفِي هذا كانَ **تاريخَ ذهابِ الزَّمانِ العبَّاسيِّ وسُقوطِ** السُّلطانِ الحقيقيِّ من أيديهِم وصَيرورةِ الخليفةِ منهُم رَئيساً دينياً فحسبُ، لا أمرَ لهُ ولا نَهيَ ولا وزيرَ، وإنَّما لهُ كاتبٌ يُديرُ إقطاعاتِه وإخراجاتِه ليسَ غَير، وذلكَ سنةَ (**٣٣٤هـ-٩٤٥م**) .

*- وصارَتْ المملكةُ الإسلاميَّةُ بدَداً، ودُولاً قِدداً، وتفرَّقَتْ بينَ طوائفِ الملوكِ بعدَ أن كانَت متماسكةَ الأعضاءِ تَرجعُ كلُّها إلى حاضرةٍ كُبرى تجمعُ أَشْتاتَها، ولَم يَمكُث المُسْتكفي في الخلافةِ بعدَ استيلاءِ (**مُعزِّ الدَّولةِ بنِ بُوَيه**)[3] علَى بغدادَ إلَّا أربعينَ يَوماً حتَّى خُلِعَ، لأنَّ معزَّ الدَّولةِ

---

(١) - السِّنديَّة: قريةٌ عراقيَّةٌ بمُحافظة ديالي. أمَّا نهرُ عيسَى فكان فَرعاً من يسارِ الفُرات، وكانَ حينها يَروي الجانبَ الغربيَّ لبغدادَ.

(٢) - انظرُ: شذَرات الذَّهَب: ٢/ ٣٣٣، وغيرَه .

(٣) - البُويهيَّون: في الأصلِ أسرةٌ ديلميَّةٌ، تُنسَبُ إلى أبي شُجاع بوَيه بن فناخسرو الدَّيلميِّ، وقد أنجب أولاداً حكموا الدَّولةَ

اتَّهَمه بالتَّدبيرِ علَيه، وأقرَّ المُستكفِي لابن بويه بالسَّلطنَة، وأقرَّ ابنُ بويه لخلفاء بني العبَّاسِ باسم الخلافةِ فقَط.

٢٣- بقيَّةُ خُلفاءِ بَني العبَّاس :

نَرى ألَّا نَتوسَّعَ بذكرِ ما بَقي من الخلفاءِ العبَّاسيِّين، لأنَّهم أصبَحوا -كما تَرَى- مجرَّدَ خُلفاءٍ دينيِّين ليسَ لهُم من أمرِ الدُّنيا شيءٌ، علَى أنَّنا نكتفي هاهُنا بسَردِ أَسمائِهم:

المُستَكفي بنُ المُكتَفي (٣٣٣هـ-٩٤٤م)، وبه بدأَ **زمانُ النُّفوذِ البُويهيِّ**، كما رأينا.

المُطيعُ بنُ المقتدِر (٣٣٤هـ-٩٤٦م) .

الطَّائعُ بنُ المُطيع (٣٦٣هـ-٩٧٤م) .

القادرُ بنُ المُقتَدِر (٣٨١هـ-٩٩٢م) .

القائمُ بنُ القادِر (٤٢٢هـ-١٠٣١م) .

المُقتَدي بنُ القائم (٤٦٧هـ-١٠٧٥م)، وبه بدأ **زمانُ النُّفوذِ السَّلجوقيِّ**.

المُستَظهِرُ بنُ المُقتَدي (٤٨٧هـ-١٠٩٤م) .

المُستَرشِدُ بنُ المُستَظهِر (٥١٢هـ-١١١٨م) .

الرَّاشدُ بنُ المُستَرشِد (٥٢٩هـ-١١٣٥م) .

المُقتَفي بنُ المُستَظهِر (٥٣٠هـ-١١٣٦م) .

المُستَنجِدُ بنُ المُقتَفِي (٥٥٥هـ-١١٦٠م)، وبه بدأ **زمانُ الأتابكَة** .

المُستَضيءُ بنُ المُستَنجِد (٥٦٦هـ-١١٧٠) .

النَّاصرُ بنُ المُستَضيء (٥٧٥هـ-١١٨٠م) .

الظَّاهرُ بنُ النَّاصِر (٦٢٢هـ-١٢٢٥م) .

البويهيَّة، وفرضوا سُلطانَهُم على خلفاءِ الدَّولةِ العبَّاسيَّة ما بينَ (٣٣٤-٤٤٧هـ)، وشمل حكمُهُم خمسة عبَّاسيِّينَ هم: المُستكفي، والمطيع، والطَّائع، والقادِر، والقائِم. وانتهى حكمهُم بقَضاءِ السَّلاجقةِ عليهِم.

المُستَنصِرُ بنُ الظَّاهِر(٦٢٣هـ-١٢٢٦م) .

المُستَعصِمُ بنُ المُستَنصِر (٦٤٠هـ-١٢٤٢م)، قتلهُ **هُولاكُو**[1] سنةَ (٦٥٦هـ-١٢٥٨م).

- وفي عَهدِ المُستَعصِم سارَت جيوشُ (هولاكو) الجرَّارةُ قاصدةً بغدادَ، ونزلَ بنَفسِه سنةَ (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) على بابِ بغدادَ، وأعدَّ عدَّةَ الحصارِ، ولَم يكُن عندَ الخليفةِ ما يَدفَعُ به ذلكَ السَّيلَ الجرَّارَ واكتَفى بإقفالِ الأَبواب، فجَدَّ **(المَغولُ)**[2] في القتالِ حتَّى ملكوا الأسوارَ بعد حصارٍ لَم يَزِدْ على عشَرةِ أيَّام،وبمُلكِ الأسوارِ تمَّ لهُم ملكُ البلَد.

ولَمَّا رأى الخليفةُ ذلكَ استأذنَ أن يخرُجَ إلى (هولاكو)، فأمرَهُ (هولاكو) أن يَنزِلَ بابَ (كلواذي) أحدَ أبوابِ بغدادَ، وشرَعت جنودُه في نَهب تلك المدينةِ التي كانَت حاضرةَ الإسلامِ كلِّه، ثمَّ أُمِرَ بإحضارِ الخليفةِ فأحضَروهُ ومَثَلَ بينَ يدَيه، وقدَّمَ لِـ(هولاكو) جواهرَ نفيسةً ولآلئَ ودُرَراً مُعبَّأةً في أطباقٍ، ففرَّقَ (هولاكو) ذلكَ على أُمرائِه .

وفي رابعَ عشرَ من صفَرٍ سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) رحلَ عن بغدادَ واستَصْحبَ معهُ الخليفةَ، وفي أوَّلِ مرحلةٍ قتلَهُ هو وابنَه الأوسَطَ مع ستَّةِ نفرٍ من الخِصيانِ (الخدَم)، وقتَلَ ابنَه الكبيرَ ومعهُ جماعةٌ من الخواصِّ على بابِ (كلواذي)، وبهذا القَتلِ انكسَفَتْ شمسُ العبَّاسيِّين من بغدادٍ، وأدبرَ زمانُهُم بعدَ أن مكثوا في الخلافةِ **(٥٢٤سنة)** .

أمَّا (بغدادُ) دارُ الخلافةِ وعاصمةُ الملَّةِ فقَد جرَى علَيها ما جرَى على سِواها مِن أُمَّاتِ المدُنِ الإسلاميَّة، فقَد قُتِلَ مُعظَم أَهلِيها، وقليلٌ منهُم نَجا.

---

(١) - هُولاكو (ت:٦٦٤هـ): هولاكو بن تُولي بن جنكيزخان، أعظمُ ملوكِ المغولِ، وأشدُّهم سَفكاً للدِّماء وعَيْثاً بالفسادِ، أمَّهُ وزوجتُه نصرانيَّتان، أمَّا هو فلا يَدينُ بدين.

(٢) - المَغولُ أو المُغْلُ: شعبٌ شرقيٌّ آسيويٌّ، وجدوا على حدودِ منغولية ومنشوريَة، وعلى القسمِ الجنوبيِّ من سيبيرية وداخلَ روسيَة، أمَّا دولتُهم فأسَّسها (جنكيزخان) في آسيا الوُسطَى، وقامت لهُم أيضاً دولةٌ في الهند، أسَّسها (بابر)، أحد أحفاد (تيمورلنك). ويُذكرُ أنَّ المَغولَ الذين فتحوا روسيا وأوغَلوا في أوروبَّا ضمُّوا عناصرَ كبيرةً من الأتراكِ وغيرِهم من الشُّعوبِ التي تُعرَفُ باسمِ (التَّتارِ) عُموماً.

* - أَطوارُ التَّاريخ السِّياسيّ العبَّاسيِّ :

تأسيساً على ما تقدَّم يَستقيمُ لنا توزيعُ التَّاريخِ العبَّاسيِّ في طَورَين عريضَين بالنَّحوِ الآتي:

- الطَّور الأوَّل: عصرُ القوَّة، ويسمَّى أيضاً العصرَ الذَّهبيَّ، امتدَّ من (١٣٢إلى٢٤٧هـ)، (٧٥٠ إلى٨٦١م) .

- الطَّور الثَّاني: عصورُ الضَّعفِ والنُّفوذِ الأجنبيِّ، وهي عصورٌ متطاولةٌ امتدَّت من (٢٤٧إلى٦٥٦هـ)، (٨٦١ إلى١٢٥٨م).

*- الطَّور الأوَّلُ : عَصرُ القوَّة :

وتعاقبَت فيهِ أدوارٌ ثلاثة :

- دورُ التَّأسيس: وأبرزُ خلفائِه المنصورُ، ويمتدُّ من (١٣٢ إلى ١٥٨هـ).

- دورُ الاستقرار: وأبرزُ خلفائِه الرَّشيدُ والمأمونُ، ويمتدُّ من (١٥٨ إلى ٢١٨هـ).

- دورُ القلَق: وأبرزُ خلفائِه المعتصمُ، وهو دورٌ قصيرٌ انتهى بظهورِ الأتراكِ على المسرحِ السِّياسيِّ ومقتلِ الخليفةِ المتوكِّل سنةَ (٢٤٧هـ) . وفيما يأتي بعضُ إيضاحٍ لملامحِ تلكَ الأدوار:

١ً- دورُ التَّأسيس (١٣٢- ١٥٨هـ) :

لم يُتَح للخليفةِ العبَّاسيِّ الأوَّل أبي العبَّاس أن يحكمَ غيرَ مدَّةٍ قصيرةٍ لم تتعدَّ أربعَ سنواتٍ، ثمَّ خلفَه أخوه أبو جعفر المنصورُ، فكانَ المؤسِّسَ الحقيقيَّ للسُّلطةِ العبَّاسيَّة. وفي عهدِه رسَّخَ العبَّاسيون حكمَهُم للدَّولة، فقضَوا على المعارِضينَ من عبَّاسيِّين (عمِّ المنصور)، أو علويِّين (محمَّد ذي النَّفس الزكيَّة وأخيه إبراهيم)، أو من فرسٍ متنفِّذين (أبي مُسلمٍ الخراساني)، وقُضي كذلكَ على جميعِ الحركاتِ الفارسيَّة المناوئةِ الظاهرةِ في هذا العهدِ بطابعٍ دينيٍّ .

كما استمرَّ في هذا العهدِ تنظيمُ جهازِ الدَّولةِ الإداريِّ والماليِّ الذي بدأ في العهدِ الأمويِّ، إضافةً إلى استحداثِ مناصبَ جديدةٍ كالوزارة، وديوان البريد، واتَّخذ العبَّاسيُّون حاضرةً جديدةً للخلافةِ هي (بغداد) أو (دار السَّلام) على الضفَّةِ الغربيَّة لنهرِ دِجلة، وقام الخلفاءُ بتأمينِ حدودِ

الدَّولةِ المتاخِمةِ للبيزنطيِّين، ووَضعوا أسسَ العلاقاتِ الخارجيَّة الدبلوماسيَّة مع الغَرب، فكانَ أن وطَّأَ ذلك كلُّه لعصرِ الاستقرارِ المُقبِل .

٢- دورُ الاستقرار (١٥٨- ٢١٨هـ) :

دامَ هذا العصرُ ستِّين سنةً (١٥٨-٢١٨هـ) ، وكانَ عصرَ الأَوجِ في الخلافةِ العبَّاسيَّة، وربَّما في تاريخِ العربِ عامَّةً، إذ اجتمعَت فيه للعربِ جلُّ مظاهرِ التَّحضُّر، ولا سيَّما في عهدِ الرَّشيدِ الذي دامَ ثلاثاً وعشرين سنةً، حتى لقد أصبحَ عهدُ الرَّشيد لدى الغربيِّين من دارسي التَّاريخِ دلالةً على نواحي الجلالِ والعظمةِ في الدَّولةِ العربيَّة الإسلاميَّة، خصوصاً في حاضرتِها العامرةِ آنذاك (بغداد).

في هذا العصرِ وطَّدت الدولةُ الإسلاميَّةُ دعائمَ استقرارِها بين دولِ العالم، وغدَت في مقدمتِهم قوَّةً وحضارةً، إذ بلغَت اليقظةُ الفكريَّةُ فيها مبلغاً عظيماً، عُدَّتْ معهُ من النَّهضاتِ الفكريَّة الكُبرى في تاريخِ العالمِ كلِّه .

ورُغم ذلك، لَم يخلُ هذا العصرُ من بعضِ المشاكل التي أحدثَت أزماتٍ واضطِّراباتٍ في الدَّولة، ولعلَّ أهمَّ هذِه المشاكل وأبلغَها أثراً هي:

١- **مشكلةُ الوزارةِ ونكبةُ البرامِكة**: فقد استُحدِثَ هذا المنصبُ في عهدِ أبي العبَّاس السفَّاح أوَّلِ خلفاءِ بني العبَّاس، وأوَّلُ من سمَّاهُ هذا الاسمَ أبو سلمةَ الخلَّال، غيرَ أنَّ حدودَ صلاحيَّاتِ الوزير لم تكن واضحةً آنئذٍ، فازدادَ نفوذُ بعضِ الوزراءِ يومَها، كالأسرةِ البرمكيَّة التي تولَّت تصريفَ شؤونِ الدَّولة كلِّها أوائلَ عهدِ الرَّشيد، إلى أن قضَى عليهم في نكبةٍ مشهورةٍ، قَتَلَ فيها بعضَ أفرادِ الأسرة (كجعفر البرمكيِّ)، وسَجَن منهُم آخرينَ (كالفضل بنِ يَحيى وأبنائِه).

٢- **مشكلةُ ولايةِ العهدِ والنِّزاع بينَ الأمينِ والمأمون**: هذِه المشكلةُ كانت قد هدَّت كيانَ الأسرةِ الأمويَّة من قبلُ، ثمَّ عادَت لتزعزعَ الأسرةَ العبَّاسيَّة، إذْ لم يكن ثمَّةَ نظامٌ ثابتٌ لولاية العهد، وكثيراً ما كان يَعهدُ الخليفةُ القائمُ إلى أكثرَ من ولدٍ، فكانَ بذا يثيرُ النِّزاعَ بينَ الطَّرفَينِ وأنصارِهما درَى أو لم يَدرِ، فحين عهدَ الرَّشيدُ مثلاً إلى أبنائِهِ الثلاثة؛ الأمينِ ثمَّ المأمون، ثمَّ المؤتمن،

عملَ الأمين بعدَ تولِّيه الحكمَ على إزاحةِ أخوَيه، فواجهَ معارضةً قويَّةً من المأمونِ وأنصارِه الفُرسِ في الشَّرق، وأودى هذا النِّزاعُ بحياةِ الأمين نفسِه، وكاد يشطرُ الدَّولةَ شطرَين .

٣- مشكلةُ بَدءِ ظهورِ الحركاتِ الاستقلاليَّة في الدَّولة وهي في مدَّةِ أوجها: فمثلاً، ظهرَت في الشَّرقِ في فارس (الدَّولةُ الطَّاهريَّة)، وفي الغرب قامَت (دولةُ الأدارسةِ العلويَّة في المغرب الأقصى)، و(دولةُ الأمويِّين) في الأندلس، و(دولةُ الأغالبة في تونُس) .

٤- مشكلةُ تكاثرِ الثَّوراتِ في هذا العصرِ بدوافعَ مختلِفة: منها ما يرجعُ إلى أصولٍ اقتصاديَّةٍ واجتماعيَّة (كثورةِ الزُّطِّ) في جنوبِ العراق، ومنها ما كانَت لهُ صبغةٌ قوميَّةٌ (كثورة بابك الخرَّمي) في الشَّمال الغربيِّ من فارس، وعلى الرُّغم من تنوُّعِ أسبابِ هذه الثَّورات وظُروفِها فقد كانَ جلُّها متَّشحاً بثوبٍ دينيٍّ .

٥- مشكلةُ تنامي العلاقاتِ الخارجيَّة: مثلَ العلاقاتِ الحربيَّة مع الرُّوم البيزنطيِّين، والعلاقاتِ الدُّبلوماسيَّة مع الفِرَنجَة الرُّومان.

٣- دورُ القلَق: (٢١٨-٢٤٧هـ) :

شرعَ الخلفاءُ في هذه المدَّة بتجريبِ عنصرٍ جديدٍ يستندونَ إليه في حكمِهم وهو (التُّرك)، وكانَ المعتصمُ أوَّلَ مَن استقدَمهُم بكثرةٍ من وراءِ النَّهر من (تركستان) وأدخلَهم في جيشِه، حتَّى قرَّر إحداثَ حاضرةٍ جديدةٍ للدَّولةِ بعد أن ازدادَ نفوذُ هؤلاءِ الأتراكِ في بغداد وتعاظمَ سخطُ النَّاس عليهم، فاختطَّ لذلكَ مدينة (سامرَّاء) شمالَ بغداد، غيرَ أنَّ المعتصمَ كانَ قد قصرَ فعاليَّة التُّركِ على النَّاحية العسكريَّة، ولكنَّ سيلهُم أخذَ بالتَّدفُّقِ من بعدِه حتَّى انتهى إلى العاصمَةِ، فتدخَّلوا في شؤونِ السِّياسةِ والإدارة، وأمسَى وجودُهم خطراً على الخلافةِ نفسِها، وكانَ مصرعُ المتوكِّل عامَ (٢٤٧هـ) بيدِ التُّركِ أنفسِهم وبعَونٍ من ابنِه المنتصِر خاتمةً لعصرِ القوَّة، ومُفتتَحاً لصراعٍ طويلٍ بين العرَبِ من جهةٍ، والتسلُّطِ الأجنبيِّ بكلِّ عناصرِه من جهةٍ أُخرى .

*- الطَّورُ الثَّاني : عُصورُ الضَّعف :

واستمرَّت هذه العصورُ من وفاةِ المتوكِّل حتَّى هجومِ القبائلِ المغوليَّة وقضائِها على الخلافةِ في بغدادَ عامَ (٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، وازدادَ في مطلعِ تلكَ العصورِ تسلُّطُ القوَّادِ التُّركِ على شؤونِ السِّياسةِ والإدارة، حتَّى لقد أطلقَ كثيرٌ من المؤرِّخين على هذه الحقبةِ اسمَ (عصرِ النُّفوذِ التُّركيِّ)، ولا يخفى أنَّ الصِّراع بينَ هؤلاءِ الأتراكِ وبين الخلفاءِ العبَّاسيِّين كانَ بالغَ العنفِ، إلَّا أنَّهُ انتهى بالفشلِ في كثيرٍ من الأحيان، وقد أحدثَ الخليفةُ (الرَّاضي) مطلعَ القرنِ الرَّابع الهجريِّ منصبَ (إمرةِ الأمراء) يجمعُ صاحبُهُ بيدِه السُّلطةَ الإداريَّةَ والحربيَّة، بلْ الخليفةُ يأتمرُ بأمرِه، فكان هذا سبباً في زيادةِ شللِ الحكمِ وزعزعةِ الإدارةِ بسببِ التَّنافسِ على منصبِ (أميرِ الأمراء)، ومعهُ فقَدَ الخليفةُ بالتَّدريج سلطتَه السِّياسيَّة .

وهكذا، أخذتِ الدَّولةُ الإسلاميَّةُ العامَّةُ في هذا العصرِ بالتَّفكُّك والتَّجزُّؤ، فظهرَتْ في المُحيطِ الإسلاميِّ دويلاتٌ مستقلَّة، وانطوَت الخلافةُ العبَّاسيَّةُ في بغداد فيما بعدُ تحتَ حمايةِ عناصرَ أجنبيَّةٍ، إذْ تسلَّطَ على شؤونها البويهيُّون الفُرس، ومن بعدهمُ السَّلاجقةُ التُّرك، وغدا الخلفاءُ طَوْعَ إشارتِهم وتحتَ حمايتِهم .

المبحثُ الثَّالث:

ملامحُ الحضَارة في التَّاريخ العبَّاسيِّ

***- تمهيدٌ:**

حلَّ العبَّاسيُّون محلَّ الأمويِّين في الحكمِ إثرَ دعوةٍ عامَّةٍ وتنظيمِ ثورتَين ناجِحتَين واسعتَي الانتشار، وظلَّ الحكمُ فيهم مدَّةَ خمسةِ قرون وتزيدُ (١٣٢هـ-٦٥٦هـ)، (٧٥٠م-١٢٥٨م).

وكانَ العبَّاسيونَ قد ورِثوا عن الأمويِّينَ دولةً قويةً مترامية الأطرافِ وطيدةَ الأركان، وزادَ العبَّاسيونَ بدورِهم في تنظيمِ أُسسِ الدَّولةِ وتوسيعِ آفاقِ انفتاحِها الحضاريِّ، فكان عهدُهم هذا استِتماماً لنواحٍ حضاريَّةٍ كثيرةٍ في العهدِ السَّابق، معَ تعديلاتٍ اقتضَتْها سنَّةُ التَّطوُّرِ في التَّاريخ. وللثَّعالبي (ت:٤٢٩هـ) كلمةٌ في بني العبَّاس لم تكن بعيدةً عن الصَّواب قالَ فيها: إنَّ لبني العبَّاسِ فاتحةً وواسطةً وخاتمةً:

فالفاتحةُ المنصورُ (١٣٦هـ/ ٧٥٤م)، والواسطةُ المأمونُ (١٩٨هـ/ ٨١٣م)، والخاتمةُ المعتصمُ (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)[١]. وبعدَ الواثقِ بنِ المعتصِم، أي في زمانِ المتوكِّل أخذَ الانحطاطُ يدبُّ الى جسمِ الدَّولةِ حتَّى إذا أتى دورُ الحاكمِ السَّابع والثَّلاثين (المستعصمُ) لاقَت الدَّولةُ أجلَها المحتومَ على أيدي المغول سنةَ (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وبعبارةٍ أخرَى: منذُ وفاةِ المُعتصِم عامَ (٢٢٧هـ) أخذَ مركزُ الحاكمِ العبَّاسيِّ في التَّراجُع، فسيطرَ (الأتراكُ) على أزمَّةِ الدَّولة، وكثيراً ما كانوا يتدخَّلونَ في فرضِ شخصٍ معيَّنٍ من البيتِ العبَّاسيِّ كيما يتولَّى منصِبَ الحاكمِ، وجاءَ (البُوَيْهيُّونَ) بعدَ الأتراكِ، ثمَّ جاءَ (السَّلاجِقةُ) و(الأتابِكَة).

وأيّاً ما كانَ من أمرٍ، فبالإمكانِ توزيعُ التَّاريخِ العبَّاسيِّ كما علمت بينَ عصرَين عريضَين هُما:

---

(١) - انظُر: تاريخ الخلفاء: للسُّيوطيِّ: ص٢٤، القاهرة، مطبعة السَّعادة، ١٩٥٢م.

أ- **العصرُ الأوَّل**: وهو عصرُ القوَّة، ويسمَّى أيضاً العصرَ الذَّهبيَّ، امتدَّ من (١٣٢إلى ٢٤٧هـ)، (٧٥٠ إلى٨٦١م) .

ب- **العصرُ الثَّاني**: عصرُ الضَّعفِ والنُّفوذِ الأجنبيِّ، وهو جملةُ عصورٍ متطاولةٍ امتدَّت من (٢٤٧إلى٦٥٦هـ)، (٨٦١إلى ١٢٥٨م).

ولعلَّ من يستعرِضُ التَّاريخَ العبَّاسيَّ منذُ القيامِ حتَّى السُّقوطِ فيما ينوفُ على خمسمائةِ عامٍ يرَى أنَّ الأحوالَ الحضاريَّةَ فيهِ تقلَّبَتْ بينَ صعودٍ وهبوطٍ من النَّاحية الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والإداريَّة، ولكنَّ الحالةَ الفكريَّة والثَّقافيَّةَ في معظمِ الأحيانِ كانَت تتنامَى متبدِّيةً في صورٍ متعدِّدةٍ من العلومِ الكونيَّةِ والفنونِ الأدبيَّةِ والعقليَّة التي تعمُّ كلَّ مظاهرِ الحياةِ.

إنَّ الحياةَ السِّياسيَّةَ والاجتماعيَّةَ والإداريَّةَ في زمنِ الدَّولةِ العبَّاسيَّة كانت عرضةً لمفاجآتٍ كثيرةٍ لا يمكنُ تفسيرُها إلَّا على قاعدةِ المنافعِ والمصالحِ الشخصيَّةِ دون سِواها، أمَّا الحياةُ الفكريَّةُ والثَّقافيَّة فقد انفتَحت على الآخرِ، وأفادَت منهُ كثيراً من الأساليبِ الحضاريَّة، ولا سيَّما الثَّقافةُ الفارسيَّة التي اصطَبغَت بها ثقافةُ العربِ في ذلك العصرِ، وأخذت عنها الفنونَ والآداب، وقد حفَلَت كتبُ الأدبِ العربيِّ (كالأغاني لأبي الفرجِ الأصفهانيِّ، والعقدِ الفريدِ لابن عبد ربّه الأندلسيِّ، وسراجِ الملوكِ لأبي بكرٍ الطَّرطوشي) بالإشاراتِ إلى مصادرَ قديمةٍ هنديَّةٍ وإيرانيَّةٍ.

وفيما يأتي إطلالةٌ موجزةٌ على أبرزِ الملامحِ الحضاريَّة في دولةِ بني العبَّاس، في عصرَيها؛ الأوَّلِ والثَّاني:

*- أوَّلاً: الملمَحُ السِّياسيُّ:

فقَد اتَّخذ أبو العبَّاس السفَّاحُ في بدايةِ الحكمِ العبَّاسيِّ مدينةَ (الهاشميَّة) عاصمةً لهُ، ثمَّ مدينةَ (الأنبار)[1]. ثمَّ أقام المنصورُ حاضرةً جديدةً للدَّولة هي (دارُ السَّلام) أو (بغداد)، وكان لانتقالِ العاصمةِ منَ الشَّامِ إلى العراقِ أثرٌ كبيرٌ في سياسةِ الدَّولة، إذْ قلَّ اهتمامُها بالأساطيلِ البحريَّة وبالولاياتِ الغربيَّة على العموم، وزادَ اهتمامُها بالولاياتِ الشَّرقيَّة، وهذا ما أدَّى إلى الانفصالِ المبكِّرِ للأجزاءِ الغربيَّةِ عن جسمِ الدَّولة، كما أنَّ المؤثِّرات الشَّرقيَّةَ، ولا سيَّما الفارسيَّةُ، لعبَتْ أكثرَ من غيرِها دوراً مؤثِّراً في تقاليدِ الدَّولةِ وأنظمَتِها.

ومن المعلومِ أنَّ الحكمَ العبَّاسيَّ قد بدأ وراثيَّاً منذُ اللَّحظةِ الأولى، فكانَ قاصراً على أهلِ البيتِ العبَّاسيِّ، كما أنَّ أكثرَ الحكَّامِ كانَ يوصِي بولايةِ العهدِ إلى أكثر من شخصٍ، مما أدَّى إلى صراعاتٍ داخليَّةٍ أسهمَت في تصدُّع الدَّولةِ العباسيَّة، ومنذُ عهدِ الرَّشيد أمسَى الصِّراعُ السِّياسيُّ على السُّلطة إحدَى السِّماتِ المائزةِ للعصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل، وكان الصِّراعُ بين الأمينِ والمأمونِ من الأمثلةِ الجليَّةِ لهذه السِّمة، فقد انتهَى بقتلِ الأمينِ وتوليةِ المأمونِ كما هو مشهورٌ.

وقد أحدَث العبَّاسيُّون نظامَ (**الوزارة**)[2] في ابتداءِ دولتِهم متأثِّرين في ذلك بالنُّظمِ الفارسيَّة، ولم تكن مسؤوليَّات الوزيرِ أوَّلَ الأمر تبعدُ كثيراً عن مسؤوليَّاتِ الكاتِب، وقد حصرَ المنصورُ مهمَّة الوزيرِ في التَّنفيذِ وإبداءِ الرَّأي والنُّصح، ولم يكن له وزيرٌ دائمٌ، ولكنَّ الأشهرَ من بينِ وزرائهِ كانَ الرَّبيعَ بن يونسَ المعروفَ بابنِ أبي فروة (ت: ١٦٩هـ/ ٧٨٦م) الذي اشتُهِرَ باللَّباقةِ والذَّكاءِ وحسنِ التَّدبيرِ والسِّياسةِ.

---

(١) - تقع الهاشميَّةُ بجوار مدينةِ الكوفة، والأنبارُ في غربِ العراقِ على الفراتِ.

(٢) - تُعدُّ الوزارةُ المنصبَ الثَّاني بعد الخلافةِ في الدَّولةِ العبَّاسية، وقد قسَّم فقهاءُ المسلمينَ الوزارةَ إلى نوعَين: ١- وزارة التَّفويض: وفيها يفوِّضُ الخليفةُ الوزيرَ في تدبيرِ أمورِ الدَّولةِ برأيِه واجتهادِه، فتكونُ لهُ السُّلطةُ المطلقةُ في الحكمِ والتَّصرف في شؤونِ الدَّولة. ٢- وزارة التَّنفيذ: وفيها يكونُ الوزيرُ وسيطاً بين الخليفةِ والرَّعية والولاةِ، أو مجرَّد منفِّذٍ لأوامرِ الخليفة. انظُر: الأحكام السُّلطانيَّة: للماوردي: ١/ ٢٩ فما بعدها.

وقد برزَت شخصيَّةُ الوزراءِ إلى حدٍّ كبيرٍ في عهدِ المهديِّ بنِ المنصورِ سنةَ (١٥٨هـ/ ٧٧٥م)، لِما سادَ الدَّولةَ مِن هدوءٍ واستقرارٍ، ومِن أشهرِ هؤلاء الوزراءِ وزيرُ المهديِّ (يعقوبُ بنُ داود ت: ١٨٧هـ/ ٨٠٣م)، ثمَّ صار للوزارةِ شأنٌ كبيرٌ في عهدِ الرَّشيد وعهدِ ابنِه المأمون، لاعتمادِ الأوَّل على البرامكةِ[1]، والثَّاني على بني سَهل، فمُنِحَ يحيى البرمكيُّ وزيرُ الرَّشيد، وكذا الفضلُ بنُ سهلٍ السَّرخسيُّ المعروفُ بذي الرِّياستَين (ت:٢٠٢هـ/ ٨١٨م) وزيرُ المأمونِ صلاحياتٍ وسلطاتٍ واسعةً، جعلَت نفوذَهما يمتدُّ إلى جميعِ مرافقِ الدَّولة، ولكن سرعانَ ما تمَّ التَّخلُّص منهما.

واستطاعَت الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ أن تُحافِظَ على وجودِها السِّياسيِّ حتَّى في أزمنةِ النُّفوذِ التُّركيِّ، وإن لَم يكن لها في عصرِها الثَّاني سوَى هيكلٍ شكليٍّ ليسَ غير، بيدَ أنَّه ظلَّ قائماً إلى أن سقطتْ بغدادُ بيدِ التَّتار عامَ (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وقُتِلَ العبَّاسيُّ الأخيرُ (المُستعصِم)، وبعدَ ثلاثٍ من السِّنينَ قامَ (الظَّاهرُ بيبَرس) بتنصيبِ أحدِ العبَّاسيِّينَ حاكماً عبَّاسيَّاً في القاهِرة، وتعاقَب بعدَه عددٌ منَ الحكَّامِ العبَّاسيِّين الذين لَم يكُن لهم من المُلكِ غيرُ اسمِه، إلى أَن دخلَ العُثمانيُّون مِصرَ عامَ (٩٢٢هـ/ ١٥١٧م)، يومَها ادَّعى السُّلطانُ العُثمانيُّ (سليمُ الأوَّل) أنَّ الخليفةَ العبَّاسيَّ قد تنازلَ لهُ عن لقبِ الخلافة.

وفيما يخصُّ حركاتِ الفَتح والتَّوسُّع يُمكنُ القولُ: يمكنُ القولُ: إنَّ حركةَ الفتحِ المنظَّم في التَّاريخِ العبَّاسيِّ لم تزِد على مساحةِ الفتوحِ أيَّامَ الأمويِّينَ زيادةً ذاتَ بالٍ، ولم تَعُد للحروبِ مع البلدانِ المجاورةِ غايةٌ توسُّعيَّة، بل باتَت تهدفُ إلى تأمينِ الحدود، أمَّا آخرُ حركةِ امتدادٍ إسلاميٍّ في هذا التَّاريخ فلعلَّها تلكَ التي قام بها (الأغالبةُ) في (صقلِّية) و(جنوبِ إيطالية)، وكانَ من أَثرِ توقُّفِ حركةِ الفتوحِ والتوسُّعاتِ أن نشأَتْ علاقاتٌ سِلميَّةٌ؛ دبلوماسيَّة وثقافيَّةٌ، مع البلدانِ المُجاورة .

---

(١) - البرامكَةُ: أسرةٌ فارسيَّةٌ عريقةٌ، جدُّها برمك سادنُ معبد (النُّوبهار) في (بلخ)، وكانَ منهُم في أيَّام الرَّشيد أخوان هُما: الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدٍ البرمكيِّ، وأخوهُ جعفَر، وكانا قد تولَّيا شؤونَ المالِ في عهدِ الرَّشيد إلى حدِّ الهيمَنة، فقتلَ الرَّشيدُ جعفراً، وسجنَ يَحيَى وأبناءَه سنةَ (١٨٧هـ) .

*- ثانياً: الملمَحُ الإداريُّ:

يمكنُ القولُ: إنَّ العهدَ العبَّاسيَّ جاءَ متمِّماً للعهدِ الأمويِّ في نواحي التَّنظيمِ الإداريَّ، إذْ بقيَتْ فيهِ النُّظمُ الأمويَّة في الضَّرائب والإدارةِ المحلِّية والجيشِ والدَّواوين، ولكنَّ تأثيرَ النِّظامِ الفارسيِّ والمظاهرِ (البروتوكولات) المعمولِ بها عندَ السَّاسانيِّين أخذَ يزدادُ ظهوراً، إذْ أحاطَ الخلفاءُ العبَّاسيون أنفسَهم بالأبَّهةِ والمراسمِ التي كانت تلازمُ أيَّ بلاطٍ ملكيٍّ، وأصبحَ الاتِّصالُ بهم لا يتمُّ إلا عن طريقِ عددٍ كبيرٍ من الحجَّاب، كلُّ ذلكَ وأمثالُهُ كانَ تقليداً للعاداتِ السَّاسانيَّة التي عرفَها العرَبُ من طريقِ الموظَّفين الفُرس.

ولم يَعد النِّظامُ الإداريُّ قائماً على أساسِ التَّفريقِ بين العناصر، بل أضحَت طبقةُ الموظَّفين الواسعةُ تضمُّ عدداً من الموالي أكبرَ بكثيرٍ ممَّا كان عليه الحالُ سابقاً، وصارَت لهذِه الطَّبقة مكانةٌ اجتماعيَّةٌ عالية، إلَّا أنَّ العربَ فيهِم قد احتفظوا لأنفسِهم في كثيرٍ من الأحيان بالمناصبِ العُليا. وأشهرُ هذِه المناصبِ الإداريَّةِ خمسةُ مناصبَ نذكرُها بإيجازٍ:

١- منصِبُ الكتَابة:

كانت لطبقة الكُتَّاب أهميةٌ كُبرى في دولةِ بني العبَّاس، وكان الكاتبُ فيها ذا علمٍ واسعٍ وثقافةٍ عريضةٍ، باعتبارِه مسؤولاً عن تحريرِ الرَّسائلِ الرَّسميةِ والسِّياسيةِ داخلَ الدَّولةِ وخارجَها، ومَعنيًّا بنشرِ القراراتِ والبلاغاتِ والمراسيمِ بين النَّاس، وكانَ يجلسُ على منصَّةِ القضاءِ بجوارِ الحاكمِ لينظرَ في الدَّعاوَى والشَّكاوى ثمَّ يختمها بخاتمِ الحاكمِ. ومن أشهرِ الكُتَّاب في العصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل (أبو الفضلِ يحيى بنُ خالدٍ البرمكيُّ ت:١٩٠هـ/ ٨٠٥م) في عهدِ الرَّشيد، وكلٌّ من الفضلِ بنِ سهلٍ السَّرخسيِّ المعروفِ بذي الرِّياستَين (ت:٢٠٢هـ/ ٨١٨م)، وأخيهِ الحسنِ بنِ سهلٍ (ت:٢٣٦هـ/ ٨٥١م)، وأحمدَ بنِ يوسفَ الكاتِب (ت:٢١٣هـ/ ٨٢٨م)[١] في عهدِ المأمونِ، وكلٌّ من (محمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزيَّات (ت:٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، والحسنِ بنِ وهبٍ (ت:٢٥٠هـ/ ٨٦٥م)، أيَّامَ المعتصمِ والواثِق.

(١) - لاحظ أنَّهم كانوا يجمعونَ منصبَ الكتابةِ إلى منصبِ الوزارة.

٢- منصِبُ الحِجابة:

وفيهِ يتولَّى الحاجبُ مساعدةَ الحكَّامِ في تنظيمِ الصِّلةِ بينهم وبين الرَّعيَّة، ويمارسُ دورَ الوسيطِ بين النَّاس والحاكمِ، يدرسُ حوائجَهم، ويأذنُ لهم بالدُّخولِ بين يدَي الحاكمِ أو يرفضُ إذا كانت الأسبابُ غيرَ مقنعةٍ، صَوناً لهيبةِ الحاكمِ وتنظيمًا لعرضِ المسائلِ حسبَ الأهمِّية والأثرِ.

والواقعُ أنَّ العبَّاسيِّين قد اقتدَوا بالأمويِّين في اتِّخاذ الحُجَّاب، وأسرفوا في منعِ النَّاس من المقابلاتِ الرَّسميَّة، ولعلَّ هذا التَّصرُّفَ كانَ سبباً مباشراً في نشأةِ ما أسماهُ ابنُ خلدون (الحجاب الثَّاني)[1]، فكان بينَ النَّاسِ والحاكمِ حاجزان هما عبارةٌ عن دارَين، إحداهما تُسمَّى (دارَ الخاصَّة) والأخرى (دارَ العامَّة)، وكان الحاكمُ يقابلُ كلَّ طائفةٍ بحسَبِ حالتِها وظروفِها في إحدَى هاتَين الدَّارَين، تبَعاً لإرادةِ الحُجَّابِ على أبوابِها.

٣- منصِبُ ولايةِ الأقاليم:

والمقصودُ بالأقاليمِ المناطقُ التي تتكوَّن منها الدَّولةُ، أمَّا النِّظامُ الإداريُّ في الدَّولةِ العبَّاسيةِ فكانَ نظاماً مركزياً، أيْ أنَّ الولاةَ على الأقاليمِ مجرَّدُ عمَّالٍ للحاكمِ الأعلى، بعكسِ ما كانوا عليهِ في الدَّولةِ الأمويَّة. وقد قسَّم العبَّاسيُّون الولايةَ على الأقاليمِ - ولا سيَّما في عهدِ الرَّشيدِ - إلى قسمَين:

- **الأولى**: الولايةُ الكبرى: وتكونُ لأحدِ أبناءِ الحاكمِ أو شخصٍ مقرَّب منهُ، وفيها يتولَّى هذا الوالي عدَّة أقاليمَ في الدَّولة، ويقومُ بتصريفِ أمورِها من العاصِمة أو مِن أحدِ تلك الأقاليمِ بعدَ الرُّجوعِ إلى الحاكمِ، ويرسلُ إليها ما يشاءُ من الولاةِ.

- **الثَّانية**: الولايةُ الكاملةُ: وفيها يتمتَّع الوالي ببعضِ السُّلطاتِ التي توسِّعُ دائرةَ نفوذِه، مثلَ النَّظرِ في الأحكامِ وجبايةِ الضَّرائبِ والخَراجِ، وحمايةِ الأمنِ، وإمامةِ الصَّلاة، وتسييرِ الجيوشِ.

---

(١) - انظُر: المقدِّمة: الفصل الرَّابع والأربعون: ص١٥٧.

٤- منصِبُ القضَاء:

وهو مِن الوظائفِ المهمَّة، إذْ يتولَّى المحافظةَ على حقوق الرَّعيةِ وإقرارَ العدلِ والإنصافِ بين جميعِ الطَّبقات، وحمايةَ الأخلاق العامَّة، مستمِدَّاً أحكامَه مِن مصادرِ الإسلامِ، وقد حظيَ القضاةُ في العصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل بالتَّبجيلِ والاحترامِ، وكان تعيينُهم وعزلُهم بأمرِ الحاكمِ الأعلى، وأوَّلُ من فعلَ ذلك أبو جعفرٍ المنصور، إذْ عيَّن قُضاةَ البلادِ بأمرِهِ سنةَ (١٣٦هـ/ ٧٥٣م).

وقد استقرَّت المذاهبُ الفقهيَّة في عهدِ الدَّولة العبَّاسية، وتحدَّدت مهامُّ القُضاةِ وكيفيةُ الإجراءِ القضائيِّ، وتوحَّدَ القانونُ، وأضحَت جلساتُ القاضي علنيَّةً في المسجدِ، خُصوصاً في عهدِ المأمون.

كذلكَ اهتمَّ العبَّاسيُّون بالتثبُّت من الأحكامِ، فعيَّنوا جماعةً من المُزكِّين، وظيفتُهم تتبُّعُ أحوالِ الشُّهود، فإذا طعنَ الخصمُ في شهادةِ أحدِ الشُّهود سُئل عنهُ المزكِّي، واهتمُّوا أيضاً بأحوالِ القضاةِ المادِّيةِ كيما يحيَوا في يُسرٍ ورخاءٍ يُعينُهم على تحرِّي النَّزاهةِ في الأحكامِ. وقد تطوَّر القضاءُ تطوُّراً ملحوظاً في العصر العبَّاسيِّ الأوَّل، فظهرَ منصبُ (قاضي القضاة)، وكان يقيمُ في عاصمةِ الدَّولة، ويقومُ بتعيينِ القضاةِ في الأقاليمِ والبلادِ التَّابعةِ، وأوَّل من لُقِّبَ قاضيَ القضاة (أبو يوسفَ يعقوبُ بنُ إبراهيم)، تلميذُ أبي حنيفةَ النُّعمانِ، وصاحبُ كتاب (الخَراج)، في عهدِ الرَّشيد.

٥- الدَّواوينُ:

جرى العبَّاسيُّون على أنظمةِ الدَّواوين التي تأصَّلت في العهدِ الرَّاشديِّ والأمويِّ، وكانَت لها أهمِّيةٌ كُبرى فيما يتَّصلُ بأموالِ الدَّولة وحقوقِها وحصرِ جنودِها ومرتَّباتهم، ويرجعُ الفضلُ في تنظيمِ الدَّواوين في العصرِ العبَّاسيِّ إلى (خالدٍ البرمكيِّ) وزيرِ أبي العبَّاسِ السَّفَّاح بعدَ أبي سلمةَ الخلَّال.

وقد اهتمَّ العبَّاسيُّون بالدَّواوين، حتَّى كثرَت اختصاصاتُها وتنوَّعت، بسببٍ من تأثُّرِهم بالفرسِ، فقد أخذَ العبَّاسيُّون منهم الخبرةَ الفارسيَّة في مجالِ الإدارة، كما احتفظوا ببعضِ تنظيماتِ

الدَّولة الأمويَّة، خصوصاً في الدَّواوين والدَّوائر الرَّسمية، واستحدثوا أيضاً بعضَ الدَّواوين كديوان المصادَرات، وديوانِ الأزمَّة[1] أيَّامَ المهديِّ، وديوانِ المظالِمِ، وغيرِها.

*- أمَّا **الأنظمةُ الإداريَّةُ في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني** فقد كان لضعفِ الدَّولةِ المركزيَّةِ تأثيرٌ واضحٌ فيها، ولعلَّ أجلَى مظاهرِ هذا التَّأثير كانَ في نظامِ (**الوزارة**)، فبعدَ أن كانت الوزارةُ في العصرِ الأوَّلِ تابعةً للحاكمِ خاضعةً لنفوذِه، وكانَ للوزراءِ تصرُّفٌ مستقلٌّ في بعضِ شؤونِ السِّياسة، أمسَت للوزراءِ سلطاتٌ واسعةٌ في زمنِ نفوذِ الأتراك دونما مساءلةٍ من الحاكمِ، وذلكَ ابتداءاً من عهدِ المعتصِم سنةَ (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، فكانَ الوزراءُ أكثرَ استقلالاً ونفوذًا وسطوةً، وتنامَت ثرواتُهم في جوٍّ من غيابِ المساءلةِ والمحاسبةِ. وفي أيَّامِ الرَّاضي سنةَ (٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) بطلَ منصِبُ الوزارة، واستُحدِثَ منصِبُ (**أميرِ الأُمراء**) في بغدادَ، وصارَ إليهِ الحلُّ والعَقد، والخليفةُ يأتمِرُ بأمرِه، وليسَ لهُ من نُفوذِ الكلمةِ أَو سُلطانِ الخلافةِ شيءٌ. ولَمَّا وقعَت الدَّولةُ العبَّاسيَّة تحت النُّفوذِ البويهيِّ منذُ زمنِ المُستكفي بنِ المُكتفي سنةَ (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، زالَ أيضاً منصبُ أميرِ الأُمراءِ، فلم يعُد للحاكمِ وزيرٌ ولا أميرُ أمراءٍ، واستبدَّ البويهيُّون بكلِّ شؤون الدَّولة، وحرموا الحاكمَ العبَّاسيَّ حتَّى من سُلطاتِه الشَّكليَّة، مع أنَّهم اتَّخذوا لأنفسِهم وزراءً. وفي مدَّةِ النُّفوذِ السُّلجوقيِّ من عهدِ المُقتدي بنِ القائم سنةَ (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م) عادَ منصبُ الوزارةِ، وأصبحَ للحاكمِ وزيرُه، وللسُّلطانِ السُّلجوقيِّ وزيرُه، بيدَ أنَّ السُّلطةَ الحقيقيَّة كانت في يدِ السُّلطانِ السُّلجوقيِّ ووزيرِه، على أنَّ السَّلاجقةَ قد عامَلوا حكَّامَ بني العبَّاسِ بما يستحقُّونَ من توقيرٍ واعتبارٍ. وبعد زوالِ نفوذِ السَّلاجقةِ أواخرَ القرنِ الهجريِّ السَّادسِ/ الميلاديِّ الثَّاني عشَر، أضحَى للحكَّامِ العبَّاسيِّين وزراؤُهم المستقلُّون عن نفوذِ الحكَّامِ أنفسِهم، ولكنَّ سلطانَ الدَّولةِ في ذلكَ الحين كانَ في طريقهِ إلى الزَّوالِ الكاملِ، ولم تكن دولةُ بني العبَّاسِ حينَها تتعدَّى حدودَ بغدادَ وبضعةِ أقاليمَ محدودةٍ.

---

(١) - كان ديوان الأزمَّة - واحدُها الزِّمام - من أهمِّ دواوين الدَّولة، ويشبهُ ديوانَ المحاسبةِ اليومَ، وكانت مهمَّةُ صاحبِه جمعَ ضرائبِ بلادِ العراقِ أغنى أقاليمِ الدولةِ العبَّاسيةِ، وتقديمَ حسابِ الضَّرائبِ في الأقاليمِ الأخرى.

أمَّا منصِبُ (**الكتابة**) فقد تطوَّرَ في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني، واتَّسعت سلطةُ الكاتبِ وتنامَى نفوذُه، وكان الكاتبُ فيهِ يرأسُ ديوانَ الرَّسائلِ أخطرِ دواوينِ الدَّولةِ، وكانَ يتولَّى كتابةَ الرَّسائلِ السِّياسيةِ وختمَها بخاتمِ الحكومةِ بعد عرضِها على الحاكمِ العامِّ، بلْ كان ينوبُ عنهُ أحيانًا في مكاتبةِ الملوكِ والأمراءِ، على أنَّ أهمَّ التَّطوراتِ في هذا المنصِب في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني أنَّه تعدَّد، فلم يعُد قاصراً على كتَّابِ الحكَّامِ العبَّاسيِّين بل صارَ للأمراءِ والسَّلاطينِ كتَّابٌ أوسعُ نفوذًا من كاتبِ الحاكمِ العبَّاسيِّ.

أمَّا منصِبُ (**الحجابة**) فقد تطوَّر هو أيضاً في العصرِ الثَّاني، فبعدَ أن كانَ للحاكمِ حاجبٌ واحدٌ وتلاهُ حاجبٌ ثانٍ كما ذكرنا سالِفاً، استُحدِثَ منصِبُ (الحاجبِ الثَّالث) [1]، وكانَت للحاجبِ عموماً سلطاتٌ تنافسُ سلطةَ الوزيرِ، وباتَ الحُجَّابُ يتدخَّلون في أهمِّ شؤونِ الدَّولة ممَّا فتحَ مجالاً للصِّراع بين الحجَّابِ والحكَّامِ والوزراء.

أمَّا منصِبُ (**الولايةِ على الأقاليم**)، أو الإمارةِ على البلدانِ فلَم يخلُ من تطوُّرٍ كذلك، فبعدَ أن كانَ تابعاً لسُلطةِ الحاكمِ العامِّ توليةً وعزلاً، أمسَى في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني خاضعاً لسلطةِ ذوي النُّفوذِ الدَّاخليِّ من غيرِ العبَّاسيِّين، وهكذا، تدخَّلت هذِه السُّلطاتُ أيضًا في تعيينِ الولاةِ والعمَّالِ في الأقاليمِ الخاضعةِ لنفوذِهم، وكانَ ذلكَ طبيعيَّاً بالنَّظرِ إلى ما آلَ إليه منصِبُ الحكومةِ العُليا من تدهورٍ في ذلكَ العصرِ.

أمَّا نِظامُ (**البريد**) في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني فقد اتَّسعَ اتِّساعاً كبيراً، وقد كانت مهمَّة البريدِ في بدايةِ نشأتِه توصيلَ رسائلِ الحاكمِ إلى عمَّاله ووُلاتِه ونقلِ رسائلِهم وأخبارِهم إليهِ، ولكنَّها

(١) – يقولُ ابن خلدون في الفصل (٤٤) من مقدِّمتهِ، ص١٥٧: (ثمَّ حدثَ في الدُّولِ حجابٌ ثالثٌ أخصُّ من الأوَّلَين، وهو عندَ محاولةِ الحجر على صاحبِ الدَّولة، وذلك أنَّ أهلَ الدَّولة وخواصَّ الملِكِ إذا نصَبوا الأبناءَ من الأعقابِ، وحاولوا الاستبدادَ عليهم، فأوَّلُ ما يبدأ به ذلكَ المستبدُّ أن يحجبَ عنه بطانةَ أبيهِ وخواصَّ أوليائه، ويوهمُه أنَّ في مباشرتِهم إيَّاه خرقَ حجابِ الهيبةِ، وفسادَ قانونِ الأدب، ليقطعَ بذلك لقاءَ الغَير، ويعوِّدَه ملابسةَ أخلاقِه هوَ، حتَّى لا يتبدَّل به سواه، إلى أن يستحكمَ الاستيلاءُ عليهِ، فيكون هذا الحجابُ من دواعيه، وهذا الحجابُ لا يقع في الغالبِ إلَّا أواخرَ الدَّولة، ويكونُ دليلاً على هرَمِ الدَّولةِ ونفادِ قوَّتها).

اتَّسعت في العصرِ الثَّاني لتشملَ أيضاً مراقبةَ العمَّالِ والتَّجسُّسَ عليهم، وعلى صاحبِ البريدِ تقديمُ تقاريرَ دوريَّةٍ وافيةٍ بكلِّ ما يحدثُ في مكانِ عملِه للحاكمِ العبَّاسيِّ إن كانَ تابعاً لهُ، أو لصاحبِ النُّفوذِ من غيرِ العبَّاسيِّين، وعليه، أضحَى نظامُ البريدِ أشبهَ ما يكونُ بنظامِ المخابراتِ في العصرِ الرَّاهن.

*- ثالثاً: الملمَحُ الاقتصاديُّ:

سعى **العبَّاسيُّونَ الأوائلُ** إلى تدعيمِ اقتصادِ الدَّولةِ وتنمية مواردِها الماليَّة لمواجهةِ النَّفقاتِ المتعدِّدةِ والمتكثِّرةِ في الدَّولة، فكانَ أن اتَّخذَ المنصورُ عدَّةَ خطُواتٍ لزيادةِ مواردِ الدَّولة، فاستحدَث (نظامَ المصادراتِ) للاستيلاءِ على الأموالِ ليواجهَ التَّكاليفَ العسكريَّةَ والأمنيَّة، وأعباءَ الثَّوراتِ والحركاتِ المناوئة، وأعادَ النَّظرَ في مقاديرِ الضَّرائبِ المفروضةِ على النَّواحي والمتاجِر، فازدهرَ اقتصادُ الدَّولةِ في عهدِه، وارتفعَ مستوى المعيشةِ، وتدفَّقت الأموالُ على خزانةِ الدَّولةِ في بغداد، وتعدَّدتْ مواردُها الماليَّة، فكان منها: الزَّكاةُ، والخَراجُ، والجِزيةُ، وأخماسُ المعادن (الرِّكاز)، والرُّسومُ على التِّجارة الخارجيَّة، وغيرُها.

ورغمَ التَّراجعِ الاقتصاديِّ للسُّلطةِ المركزيَّةِ في **العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني** بسببِ استئثارِ الحكَّامِ، فإنَّ بعضَ ممالكِ الدَّولةِ العبَّاسيَّة في ذلك العصر قد ازدهرَت ازدهاراً ملحوظاً، وظهرَ أنَّ اقتصادَ بعضِ هذِه الممالِك التي كانَت تتبعُ للدَّولةِ العبَّاسيَّة تبعيَّةً شكليَّةً كانَ أقوى من اقتصادِ الدَّولةِ نفسِها[1]، بل إنَّ الحاكمَ العبَّاسيَّ في بعضِ الأحيانِ كان مجرَّد موظَّفٍ تابع لهؤلاءِ الأمراءِ الذين يحدِّدون له راتبَه ونشاطَه.

ومهما يكن من أمرٍ، فإنَّ مصادرَ القوَّةِ الاقتصاديَّة في العصرِ الثَّاني للدَّولةِ العبَّاسية كانَت وافرةً إلى حدٍّ ما، وكان للتقدُّمِ العلميِّ الكبيرِ أثرُه الجليُّ في تحقيقِ الازدهارِ الاقتصاديِّ القائمِ على

---

(١) - كالدَّولةِ الصفَّاريَّة في بلادِ فارِس، والدَّولة السَّامانيَّة في بلادِ ما وراء النَّهر، والدَّولةُ البويهيَّة في بلادِ فارسٍ والعراق، والدَّولة الغزنويَّة أو السُّبُكْتُكِينيَّة في خراسانَ والهند، وكانَت الأقوى اقتصاديَّاً بينَ هذِه الدُّول.

أسسٍ علميَّةٍ صحيحةٍ، وممَّا يُساقُ في هذا البابِ النَّهضةُ الزِّراعيَّةُ الواسعةُ في ذلك الحين، إذ كانَ للدَّولةِ أراضٍ شاسعةٌ فيها من الخصوبةِ والصَّلاحيةِ ما يكفي لإنتاجِ محاصيلَ شتَّى، فضلاً عن المدارسِ الزِّراعيَّةِ المنتشرةِ في أرجاءِ الدَّولة لنشرِ الوعيِ الزِّراعيِّ السَّليم، وتطويرِ القدراتِ والتِّقنيَّاتِ والأساليبِ المساعدةِ في إنعاشِ الزِّراعة، كتطويرِ أنواعِ الأسمدة، وتطويرِ أنظمةِ الرِّيِّ، ونحوِها من أساليبَ أحالَت حاضرةَ الدَّولةِ بينَ النَّهرَين جنَّةً وارفةَ الظِّلال.

وإلى جانبِ تلكَ الثَّروةِ الزِّراعيَّة ظهرَ اهتمامٌ نظيرٌ بالثَّروةِ الحيوانيَّة، وبالصِّناعاتِ القائمةِ على الإنتاجِ الزِّراعيِّ، كصنعةِ النَّسيجِ، والورقِ في مصرَ والشَّام ولا سيَّما في سمرقند، إضافةً إلى ظهورِ صناعةِ الحديدِ في بلادِ فارسٍ. وترتَّبَ على هذه النَّهضةِ الصِّناعيَّةِ نهضةٌ تجاريَّةٌ لتسويقِ الإنتاجِ، تجلَّت بتهيئةِ الطُّرقِ التِّجاريَّة، والعنايةِ بالموانئِ التِّجاريَّة، وتوطيدِ علاقاتِ التَّبادلِ التِّجاريِّ، ولا سيَّما مع الهندِ والصِّين وبلادِ أوروبَّة، وكانَت بغدادُ ودمشقُ والإسكندريَّةُ وعدَنُ والبصرةُ من بينِ أهمِّ المراكزِ التِّجاريةِ في ذلكَ العصرِ.

ولعلَّ من يستقرئُ التَّاريخَ العبَّاسيَّ – ولا سيَّما عصرهُ الثَّاني – يُدركُ أنَّ تغييراتٍ اقتصاديَّةً كبيرةً قد طرأتْ عليه، وكان يرافقُها – بالتَّبعِ – تغييراتٌ اجتماعيَّة، إذْ أصبحَ تحتَ تصرُّفِ الدَّولةِ مواردُ غنيَّةٌ؛ زراعيَّةٌ وصناعيَّةٌ، كما اتَّسع نطاقُ التِّجارةِ كثيراً، وساعدَ على ذلك متانةُ النِّظامِ الدَّاخليِّ واستتبابُ الأمنِ وإنشاءُ علاقاتٍ سلميَّةٍ مع البلادِ المجاورة، وانعكسَ ازدهارُ الحياةِ التِّجاريَّة والاقتصاديَّة آنذاك على الحياةِ الفكريَّةِ والأدبيَّة، وعُدَّ التاجرُ المستقيمُ مثلاً أعلى للنَّموذجِ الخلقيِّ، بلْ غدا ممثِّلاً حيَّاً للحضارةِ الإسلاميَّةِ بكلِّ قيَمِها ومزاياها.

وكانَ من الطَّبيعيِّ أن تُحدِثَ هذه التَّغييراتُ الاقتصاديَّةُ تغييراتٍ اجتماعيَّةً، منها: نشوءُ طبقةٍ جديدةٍ من الأثرياء من كبارِ التجَّارِ والمُلَّاك، بيدهم ثرواتٌ طائلةٌ من النَّقدِ والأملاك، يشيعُ فيهم الرَّفاهُ الاجتماعيُّ، ويقابلُهم في النَّاحيةِ الأُخرى طبقةٌ أخرى من الفلَّاحين والعبيدِ يعملونَ لديهِم، خاصَّةً في شؤونِ الزِّراعة والرِّيِّ، وكانت أحوالهُم تزدادُ سوءاً مع الزَّمن لاستغلالِ أربابِ الطَّبقة الأولى لهم، فكانَ أن أسفرَ هذا عَن حركاتٍ وثوراتٍ ذات أصولٍ اجتماعيَّةٍ واقتصاديَّة وإن

تكُ اصطبغَتْ بصبغةٍ دينيَّة (**كثورة الزِّنج**) في جنوبِ العراق في النِّصف الثاني من القرنِ الثَّالث الهجريِّ، وقَد شغلَت هذِه الثَّورةُ الدَّولةَ مدَّةً طويلةً من الزَّمن، وكانَ السَّببُ المباشِرُ في قيامِها تكاثرَ الزُّنوج الأرقَّاء في جنوبِ العراق، واستخدامَهم في أعمالِ الريِّ وتجفيفِ المستنقعات، فما كانَ من (صاحبِ الزِّنجِ) وهو رجلٌ فارسيُّ الأصلِ، إلَّا أَن استغلَّ سوءَ أوضاعِهم ووظَّفَها لبعثِ ثورةٍ عارمةٍ ألبسَها لبوساً دينيَّاً، فانضمَّت إليه جموعٌ كثيرةٌ من الفلَّاحين، واستطاعوا التغلُّبَ على أجزاءٍ من جنوبِ العراق، نَشروا فيها بأسَهُم، إلى أن تمكَّنت الدَّولةُ من القضاءِ على تلكَ الثَّورةِ إثرَ جهودٍ مُضنِيَةٍ وتكاليفَ كبيرةٍ.

*- رابعاً: الملمَحُ العُمرانيُّ:

لا يُنكَرُ أنَّ ذلكَ الرَّخاءَ والتَّرفَ الاقتصاديَّ في **العصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل** قد انعكسَا إيجاباً في المشاهِدِ العمرانيَّةِ للدَّولةِ، والكلامُ في هذا البابِ يطولُ، لكنَّنا نقصرُ الكلامَ فيهِ على الحاضرَتَين الكُبرَيَين في العصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل، وهما بغدادُ وسامرَّاء:

١- مدينةُ بَغداد:

بعدَ أن كانت الهاشميَّة مركزاً للدَّولةِ العبَّاسيَّة، رغبَ المنصورُ في إنشاءِ عاصمةٍ جديدةٍ تليقُ بالدَّولةِ، وتخلِّد لهُ الذِّكرَ، وكانَت في هذا السِّياقِ اقتراحاتٌ عديدةٌ حتَّى انتهى الرَّأيُ إلى موقعِ بغداد، لعدَّة اعتباراتٍ، أهمُّها: قربُها من (خراسان) مهدِ الدَّعوةِ العبَّاسيَّة، وقربُها كذلكَ من المراكزِ العربيَّة الأُخرَى، وبعدُها عن مراكزِ الاحتكاكِ البيزنطيِّ، وموقعُها الجغرافيُّ بينَ نهرَين كبيرَين هُما دجلةُ والفراتُ - باعتبارِهما خطَّينِ للدِّفاع عن المدينة -، وتوسُّطها للعراقِ في مسافةٍ متساويةٍ بين البصرةِ والموصل، ممَّا يجعلُها سوقاً للبضائعِ والمنتجاتِ، وملتقًى للقوافلِ التِّجاريَّةِ؛ البرِّية والنَّهرية، لوقوعِها على طريقِ الشَّامِ والخليجِ العربيِّ، هذا فضلاً عن طبيعةِ المكانِ السَّهلةِ والمفتوحةِ، ممَّا يُشبعُ رغبةَ العربِ الذين اعتادوا السُّكنى في مثل هذِه الأماكنِ.

وقد حشدَ المنصورُ لبنائِها العمَّالَ المهرَة في الصِّناعة والبناءِ، وشرعَ في بنائِها سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، على أرجحِ الأقوالِ، وتمَّ تصميمُ المدينةِ على شكلٍ دائريٍّ، يحيطُ بها سورٌ، ولها

أربعةُ أبوابٍ. وبلغت نفقاتُ بنائِها أيامَئذٍ (ثمانيةَ عشر مليونَ درهم)، وأُطلِق عليها اسمُ (دار السَّلام)، ولكن بقيَ لها اسمُها الشَّائعُ القديمُ (بغداد)[1].

٢- مدينةُ سامُرَّاء:

كانَ المعتصمُ أوَّلَ مَن استقدَم الأتراكَ بكثرةٍ من وراءِ النَّهر من (تركستان)، وأدخلَهم في جيشِه، حتَّى قرَّر إحداثَ حاضرةٍ جديدةٍ للدَّولةِ، بعد أن ازدادَ نفوذُ هؤلاءِ الأتراكِ في بغداد، وتعاظمَ سخطُ النَّاس عليهم، فاختطَّ لهم مدينةَ (سامرَّاء)، على بعد ستِّين ميلاً شمالَ بغداد. وجعلَها عاصمةً للدَّولة، فكانَت كذلكَ حوالي (٦٠) عاماً، حتَّى عادَت بغدادُ عاصمةً لهم أيَّام المُعتضِد سنةَ (٢٧٩هـ).

وقد حشدَ لها المعتصمُ العمَّالَ والبنَّائين وأمهرَ أهلِ الصِّناعاتِ، وأخذَ في بنائها سنةَ (٢٢١هـ)، وبنى فيها (مسجدَ سامرَّاءَ) الكبير، وبنى المتوكِّلُ أيضاً (جامعَ أبي دلَف) سنةَ (٢٤٧هـ)، كذلكَ بنى الواثقُ فيها مسجداً جامعاً، فأعظمَ النَّفقةَ عليهِ، وأمرَ برفعِ منارةٍ تَعلو فيها أصواتُ المؤذِّنين، وتنافسَ كلٌّ من المعتصمِ والواثقِ والمتوكِّل أيضاً في تشييدِ القصورِ والتَّفنُّنِ فيها[2]، واشتُهرَ منها: قصرُ المعتصِم، وقصرُ الحير، وقصرُ المنقور، وقصرُ المعشوق، وفي جميعِها تتبدَّى روائعُ العمارةِ العبَّاسيَّة كأجملِ ما تكونُ، إنْ في النُّحوتِ أو في التَّصاويرِ أو في فنونِ الهندسةِ.

*- أمَّا النَّشاطُ العمرانيُّ في **العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني** فكانَ ظاهراً كذلك، نتيجةَ الاستقرارِ الاقتصاديِّ ولا سيَّما في الممالكِ التَّابعةِ لمركزِ الدَّولةِ في بغداد، ولا نُريدُ الإطنابَ هاهُنا، فالمجالُ واسعٌ جدَّاً، وحسبُنا من ذلك أمثلةٌ معدودةٌ، منها: الاهتمامُ البالغُ لعضدِ الدَّولةِ البويهيِّ بمظاهرِ العمرانِ والبناء في بلادِ فارسٍ والعراق، فقد أعادَ إعمارَ بغدادَ سنةَ (٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)، التي خرَّبها ترادفُ الفِتَنِ والقلاقِل، وأصلَح كلَّ ما تهدَّمَ فيها من مساجدَ وأسواقٍ وطرُقٍ ومساكنَ ومشاهدَ مقدَّسة (كمشهدِ الإمامِ عليٍّ والإمامِ الحسين)، وأذِنَ لوزيرِه نصرِ بنِ هارونَ - وكان نصرانياً- في

---

(١) - انظُر: معجم البلدان: لياقوت الحمَوي: ٧/ ٣٨ فما بعدَها.

(٢) - انظُر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: ٧/ ٣٨ فما بعدَها.

عمارة البِيَعِ والأديرةِ والصَّوامِع، إضافةً إلى استحداثِ مستشفًى كبيرٍ في بغداد باسمِ (البيمارستان العضُديّ)، وبمثلِ اسمِه في شيراز أيضاً، وكانَ أشبهَ ما يكونُ بالمستشفياتِ التَّعليميَّةِ والعلاجيَّةِ معاً في عصرِنا الرَّاهن[1].

وتميَّزت كذلكَ الدَّولةُ السُّلجوقيَّةُ في خراسان بنشاطِها العمرانيِّ الكبيرِ في مجالاتِه المتنوِّعة، ويُذكرُ في هذا البابِ بصفةٍ خاصَّةٍ السُّلطانُ (مَلِكْشاه ابن السُّلطان ألْب أرسلان السُّلجوقيِّ) ووزيرُه (نظامُ الملك)، فقد أنشأ نظامُ الملكِ (مدارسَهُ النِّظاميَّةَ) المعروفةَ[2]، وزوَّدها بكلِّ احتياجاتِ الطلَّابِ، وكانَ السُّلطانُ السُّلجوقيُّ (ملكشاه) خيرَ ظهيرٍ لهُ على خطَّتِه العمرانيَّةِ والتَّعليميَّة تلك.

والمَلحوظُ في الجُملةِ أنَّ النَّشاطَ العمرانيَّ في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني كانَ ينهضُ في الأساسِ على أيدي أمراءِ وسلاطينِ وملوكِ الدُّولِ التي كانَت تخضعُ لدولةِ العباسيِّين خضوعاً روحياً أو شكلياً، أمَّا حكَّامُ بني العبَّاس - بنحوٍ عامٍّ - فلم يكونوا بالحالِ التي تمكِّنهم من مباشرةِ النَّهضةِ العُمرانيَّةِ مباشرةً مستقلَّةً على امتدادِ هذا العصرِ.

*- خامساً: الملمَحُ القوميُّ:

قامَت الدَّعوةُ العبَّاسيَّةُ في إبَّانِها على مبدأ اجتماعيٍّ غايتُه تحسينُ وضعِ العناصرِ غيرِ العربيَّة (الموالي) اجتماعيَّاً وسياسيَّاً واقتصاديَّاً، ومساواتُهم مع العرَب، بعد أن طالَ تذمُّرهم من مبدأ الحكمِ السَّابق، حتَّى عدَّ بعضُ المؤرِّخين مجيءَ العبَّاسيِّين نصراً للعناصرِ غيرِ العربيَّة، وقد قالَ

(١) - انظُر: المُستشفيات الإسلاميَّة من العصرِ النَّبويِّ إلى العصرِ العثمانيِّ: عبد الله السَّعيد: ص٨٩.

(٢) - في تاريخ العلمِ عندَ المسلمينَ ستَّةٌ يوضعونَ على القمَّةِ في قيادةِ الحركةِ العلميَّةِ وريادتِها، هم: المأمونُ، ونظامُ الملكِ، ونورُ الدِّين الزِّنكي، والحاكمُ بأمرِ الله الفاطميُّ، وصلاحُ الدِّين الأيوبيُّ، والسُّلطانُ أولغ بيك في سمرقَند. فالأوَّلُ أغنى ووسَّعَ بيتَ الحكمةِ، والثَّاني أسَّس المدارسَ النِّظاميَّة، والثَّالثُ كان راعياً للعلومِ في سوريَّة، والرَّابع أنشأَ دارَ الحكمةِ في القاهرةِ وجلبَ لها العلماءَ والمخطوطاتِ من الأرجاءِ كافَّةً، وأنشأ مرصدَ المقطَّم بإشرافِ ابن يونسَ الفلَكيِّ، والخامسُ حمى التُّراثَ العلميَّ من همجيَّةِ التَّتار، والسَّادسُ هو مؤسِّسُ النَّهضةِ العلميَّةِ في الدَّولة التَّيموريَّة، وكانَ قد شرعَ في تأسيسِ مرصدِ المراغَة.

الجاحظُ (ت:٢٥٥هـ) من قبلُ: (دولةُ بني العبَّاس أعجميَّةٌ خراسانيَّة، ودولةُ بني مروان أمويَّةٌ عربيَّة)[1].

ولكنَّ الواقعَ أنَّ العربَ احتفظوا بالسِّيادةِ في هذا العهد، وخاصَّةً في عهدَي التَّأسيسِ والقوَّة، إذْ كانت معظمُ الوظائفِ العُليا بيدِ العرَب، وكانت الأسرةُ العبَّاسيَّةُ لا تزالُ عربيَّةً تفاخرُ بعروبتها، ممَّا حدا ببعضِ الموالي إلى أن يشتريَ النَّسبَ العربيَّ شراءً، وكانت اللُّغةُ العربيَّةُ لغةَ الحكومة، والثَّقافةُ العربيَّةُ الثَّقافةَ السائدةَ الوحيدة، حتَّى أدَّت فرادةُ السِّيادةِ العربيَّة هذِه إلى ظهورِ حركةِ **(الشُّعوبيَّة)** في الدَّوائر الأدبيَّة والفكريَّة، فكانت تعرضُ مطالبَ غيرِ العربِ في المساواةِ مع العرَب، ولكنَّ تغييراً هاماً أخذَ يطرأُ على كلمة (عربيّ)، إذْ أصبح العربُ يستعدُّون لقبولِ أيِّ مسلمٍ يتكلَّم العربيَّة، وأصبحَ تحريرُ الموالي الاجتماعيُّ يتمُّ بطريقِ قبولِ العربِ التَّامِ لهم كعرَب، وسادَت اللُّغةُ العربيَّة والثَّقافةُ العربيَّة بين جميعِ العناصرِ المسلمةِ غير العربيَّة، وبين أهل الذمَّةِ أيضاً.

*- سادساً: الملمَحُ العلميُّ:

في فجرِ الإسلامِ، كان الحجازُ - مكَّةُ والمدينةُ- صاحبَ الرِّيادةِ العلميَّة، ولَمَّا انتقلت الخلافةُ إلى الشَّامِ في العهدِ الأمويِّ، نشطَت الحركةُ العلميَّةُ فيها أكثرَ منها في الأمصارِ الأخرى، وعندما صارَ زمامُ الأمرِ بيدِ العبَّاسيِّين انتقلَت الرِّيادةُ العلميَّةُ إلى العراقِ؛ في البصرة والكوفة وبغدادَ معقلِ بني العبَّاس.

وعليهِ، فقد تعاظَمَتْ في التَّاريخِ العبَّاسيِّ معالمُ الحضارةِ العربيَّة، وعمَّتْ جوانبَ الفكرِ والعُمرانِ، وأعانَ على هذا الازدهارِ الحضاريِّ تعاونُ أممٍ عديدةٍ، واطِّلاعُ العربِ على ثقافاتٍ متعدِّدةٍ من طريقِ التَّرجمة، ورغمَ تنوُّعِ روافدِ الحضارةِ أيَّامَ العبَّاسيِّين فقَد كانت ذاتَ طابعٍ عربيٍّ أصيلٍ في عُمومِها.

---

(١) - انظُر: البيان والتَّبيين : للجاحظ: ١/ ٥٥٣.

*- أمَّا **العصرُ العبَّاسيُّ الأوَّل** فقد شهدَ نهضةً فكريةً عظيمةً، وطفرةً ثقافيةً كبيرةً في شتَّى مجالاتِ العلمِ والمعرفةِ، نتيجةَ امتدادِ رقعةِ الدَّولةِ، ووفرةِ ثرواتِها، ورواجِ تجارتِها، واهتمامِ حكَّامِها بالحياةِ الفكريَّة عموماً. وقد توزَّعت العلومُ في ذلكَ الزَّمانِ على صنفَين رئيسَين هما: العلومُ النَّقليَّةُ والعلومُ العقليَّة والتَّجريبيَّة.

- أمَّا **العلومُ النَّقليَّة**: فشملَت علومَ الدِّين وعلومَ اللُّغةِ وما تفرَّعَ عنهما. وأهمُّ المصنَّفاتِ الرَّائدةِ في ذلك الزَّمان: (موطَّأ مالكٍ) (ت:١٧٩هـ) في الحديثِ والفقهِ، الذي وضعهُ برغبةٍ من المنصورِ، و(تفسيرُ مقاتلِ بنِ سليمان الأزديِّ) (ت:١٥٠هـ) في التَّفسيرِ، وفي الفقهِ ظهرَت المذاهبُ الأربعةُ وجملةٌ أخرى من الفقهاءِ المجتهدين؛ كجعفرٍ الصَّادقِ في المدينةِ المنوَّرةِ (١٤٨هـ)، واللَّيثِ بنِ سعدٍ في مصر (ت:١٧٥هـ)، والأوزاعيِّ (ت:١٥٧هـ) في بيروت الشَّام، والثَّوريِّ في الكوفة (ت:١٦١هـ)، وفي العقائدِ تجلَّت بوضوحٍ المذاهبُ الكلاميَّةُ (كالمعتزلةِ والأشعريَّة والمرجئة والماتريديَّة والشِّيعة)، والنِّحَلُ الدِّينيَّة في زِيِّ مذاهبَ كلاميَّة (كالنَّصرانيَّةِ واليهودِيَّةِ والمانويَّة والمزدكيَّة).

وفي علومِ اللُّغة ظهرَ الروَّادُ من اللُّغويِّين: كأبي عمرٍو بن العلاء (١٥٤هـ)، وخلَف الأحمر (١٨٠هـ)، والأصمعيِّ (٢١٣هـ) صاحبِ الأصمعيَّات، وأبي زيد الأنصاريِّ (٢١٤هـ) صاحبِ النَّوادِر، وغيرِهم. وفي النَّحوِ كانَ الخليلُ بن أحمد الفراهيديُّ (١٧٠هـ)، وسيبوَيه (١٨٠هـ)، والكسائيُّ (١٨٩هـ)، والفرَّاء (٢٠٧هـ)، وغيرُهم. وفي التَّاريخ والمغازي كانَ ابنُ إسحاقٍ (١٥١هـ)، وهشامُ بن محمَّدٍ الكلبيُّ (٢٠٤هـ)، والواقديُّ (٢٠٧هـ)، وابنُ هشامٍ (٢١٣هـ)، وابنُ سعدٍ صاحبُ الطَّبقات (٢٣٠هـ)، وغيرُهم. إضافةً إلى نخبةٍ كبيرةٍ من فحولِ الشُّعراء كبشارِ بن بُردٍ (١٦٨هـ)، وأبي نُواسٍ الحسنِ بنِ هانئٍ (١٩٨هـ)، وأبي العتاهية (٢١١هـ)، وأبي تمَّام حبيبِ بنِ أوسٍ (٢٣١هـ)، وغيرِهم. وتطوَّرت صناعةُ النَّثرِ في العصر العبَّاسيِّ الأوَّل بعد دخولِ كثيرٍ من الثَّقافاتِ اليونانيَّةِ والفارسيَّةِ والهنديَّة وامتزاجِها بثقافةِ المجتمع، وكانَ من أهمِّ فنونِ النَّثرِ في ذلكَ الوقتِ الخطابةُ، والوعظُ، والمناظراتُ، والرَّسائلُ الدِّيوانيَّةُ المتضمِّنةُ للعهودِ

والوصايا والتَّوقيعات، والرَّسائلُ الإخوانيَّة والأدبيَّة، ومن أعلامِ النُّثَّارِ في ذلك العصرِ: ابنُ المقفَّع (١٤٣هـ)، وسهلُ بنُ هارون (٢١٥هـ)، وأحمدُ بنُ يوسفَ الكاتِب (٢١٣هـ)، وعمرُو بنُ مَسعَدة وزيرُ المأمون (٢١٧هـ)، وغيرُهم.

- **وأمَّا العلومُ العقليَّة والتَّجريبيَّة:** فاندرجَت فيها الفلسفةُ والهندسةُ والفلَكُ والموسيقَى والطبُّ والكيمياءُ والجغرافيا ونحوُها، وقد اقتبسَها العربُ -في معظَمِها- من الأُممِ الأخرى، وزادوا علَيها.

وقامَت المساجدُ بدورٍ فاعلٍ في نشرِ العلومِ والمعارِف، ولا سيَّما علومُ الدِّين، وكانَ للحكَّامِ اهتمامٌ بالغٌ باستقدامِ العلماءِ واستحداثِ دورِ العلمِ، فقد شجَّع الرَّشيدُ العلمَ والعلماء، وأنشأَ لهم (بيتَ الحكمةِ)[1] في بغداد، جمَعَ فيه كثيراً من المؤلِّفين والمترجمينَ والنُّسَّاخ، لعلَّ أشهرَهم: سهلُ بنُ هارون والحسينُ بنُ سهلٍ والفضلُ بن نُوبَخْت، وكانوا يترجمونَ من الفارسيَّة إلى العربيَّة، وحنينُ بن إسحاقٍ العَبادي ويوحنَّا بنُ البطريقُ ويوحنَّا بنُ ماسَوَيْه، وكانوا يترجمونَ من اليونانيَّةِ والسّريانيَّة إلى العربيَّة.

وبلغت حركةُ التَّرجمةِ من اللُّغاتِ الأجنبيَّة إلى العربيَّة أوجَها في عهدِ المأمونِ، فكانَ يُرسِلُ البعوثَ إلى القُسطنطينيَّة الرُّوميَّة لإحضارِ المصنَّفاتِ الفريدةِ في الفلسفةِ والهندسةِ والموسيقَى والطبِّ وغيرِها[2].

وقد اشتغلَ كثيرٌ من العربِ والمسلمينَ بدراسةِ الكتُبِ المترجمةِ وتفسيرِها والتَّعليقِ عليها

(١) - بيتُ الحكمة ببغداد أنشأهُ الرَّشيد، وازدهرَ في عهدِ المأمون، وضعُفَت العنايةُ به بعد المتوكّل، ربَّما لِتَسعُّرِ النِّزاعِ واحتدامِه بين المعتزِّ والمستعين. انظُر مثلاً: الفهرست: لابن النَّديم: ص٢٩٥،و٢٤٤ فما بعدها. وهناك دورٌ أخرى عرفَت بدارِ الحكمة، أشهرُها: بيتُ الحكمةِ في تونُس في عهد الأغالبة في القرنِ الثَّالث الهجريِّ/ التَّاسع الميلاديِّ، ودار الحكمةِ في القاهرة في عهدِ الفاطميِّين أواخرَ القرن الرَّابع الهجريِّ/ أوائلَ الحادي عشر الميلاديِّ.

(٢) - للتوسُّع: انظُر: الفكر العربيُّ ومكانه في التَّاريخ: للمُستَشرِق الإيرلندي (دي لاسي أوليري De Lacy O'leary ت:١٩٥٧م)، ترجمة: د. تمَّام حسَّان، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦١م.

وتصحيحِ أخطائِها، وأوَّلُ من يُذكرُ من هؤلاءِ: الفيلسوفُ العربيُّ الأوَّلُ يعقوبُ بنُ إسحاقٍ الكنديُّ (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، الذي ترجمَ كثيراً من كتبِ الفلسفةِ وشرَحَ غوامضَها، ونبغَ كذلكَ في علومِ الطبِّ والحسابِ والمنطقِ والهندسةِ وعلمِ النُّجوم.

ولا بدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ ظهورَ الورقِ واستخدامَهُ للكتابةِ كانَ من أهمِّ العواملِ التي أسهمَتْ في ازدهارِ الحركةِ العلميَّة في العصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل، ويُشارُ في هذا السِّياقِ إلى الفضلِ بنِ يحيى البرمكيِّ الذي أنشأَ مصنعاً للورقِ في عهدِ الرَّشيدِ ببَغداد، فانتشرَت الكتابةُ عليه لخفَّته، بعد أن كانوا يكتبونَ على الجلودِ وورقِ البردي المصريِّ.

*- أمَّا **العصرُ العبَّاسيُّ الثَّاني**، فعلى الرُّغم من تفاقمِ المشاكلِ السِّياسيَّةِ فيه فقد كانَ أخصبَ عصورِ العربِ علماً وثقافةً، ففيهِ نشطَت حركةُ التَّأليف في فروعِ العلمِ المختلفةِ نشاطاً بالغاً على امتدادِ هذا العصرِ، وقدَّمت دولةُ العبَّاسيِّين المتراميةُ الأطرافِ فيهِ أعلاماً أئمَّةً في العلومِ، يعترفُ لهمُ العالمُ إلى يومِنا هذا بالصَّدارةِ والإبداعِ.

ففي علومِ الرِّوايةِ والحديثِ برزَت أسماءٌ كبيرةٌ، لعلَّ أشهرَها أصحابُ الكتبِ السِّتَّة، وأبو الحسنِ الدَّارقطني (٣٨٥هـ)، والحاكمُ النَّيسابوريُّ (٤٠٥هـ)، وغيرُهم.

وفي علومِ اللُّغةِ نذكرُ ابنَ المبرِّد (٢٨٥هـ) صاحبَ (الكامل)، والزَّجَّاجَ (٣١١هـ)، وأبا عليٍّ الفارسيِّ (٣٧٧هـ) صاحبَ (الإيضاح والتَّكملة)، وأبا سعيدٍ السِّيرافيَّ (٣٦٨هـ) صاحبَ (أخبارِ النَّحويِّين البصريِّين)، وابنَ فارسٍ (٣٩٠هـ) صاحبَ (المقاييس)، والإمامَ الأشهرَ أبا الفتحِ بنَ جنِّيٍّ (٣٩٢هـ) صاحبَ (الخصائص وسرَّ صناعةِ الإعرابِ)، وغيرَهم.

وفي الأدبِ شِعراً ونثراً نذكرُ البحتريَّ (٢٨٤هـ) شاعرَ المتوكِّل، وابنَ الرُّوميِّ (٢٨٣هـ)، والمتنبِّي (٣٥٤هـ)، والشَّريفَ الرَّضيَّ (٤٠٦هـ)، والشَّاعرَ الفيلسوفَ أبا العلاءِ المعرِّي (٤٤٩هـ)، ومن النُّثَّارِ أبا عثمانَ الجاحظَ (٢٥٥هـ)، وابنَ العميد المعروفَ بالجاحظِ الثَّاني

(٣٦٠هـ)[1]، وتلميذَه الصَّاحبَ بنَ عبَّاد (٣٨٥هـ)، وبديعَ الزَّمانِ الهمذانيَّ (٣٩٨هـ) صاحبَ (المقامات)، وبعدَه بما يزيدُ على مئةِ سنةٍ الحريريَّ البصريَّ (٥١٦هـ) صاحبَ (المقامات)، وغيرَهم.

ونذكرُ من بينِ أصحابِ التَّصانيفِ الأدبيَّة الموسوعيَّة ابنَ قتيبةَ الدِّينَوري (٢٧٦هـ) صاحبَ (عيون الأخبار، والشِّعر والشُّعراء، وأدب الكاتب)، وأبا الفرجِ الأصفهانيَّ (٣٥٦هـ) صاحبَ (الأغاني)، وأبا منصورٍ الثَّعالبيَّ (٤٢٩هـ) صاحبَ (يتيمةِ الدَّهرِ في محاسنِ أهلِ العصر)، وغيرَهم.

وفي ميدانِ التَّاريخِ يُطالعُنا شيخُ المؤرِّخين ابنُ جريرٍ الطَّبَريُّ (٣١٠هـ) صاحبَ (تاريخ الأممِ والملوك)، ونذكرُ من بعدِه أحمدَ بنَ أبي يعقوب (٢٧٨هـ) صاحبَ (تاريخ اليعقوبيِّ)، وأحمدَ بنَ يحيى البلاذريَّ (٢٧٩هـ) صاحبَ (فتوحِ البلدان، وأنسابِ الأشراف)، وأبا حنيفةَ الدِّينوريَّ (٢٨٢هـ) صاحبَ (الأخبارِ الطِّوال)، وعليَّ بنَ الحسين المسعوديَّ (٣٤٦هـ) صاحبَ (مروجِ الذَّهب)، والخطيبَ البغداديَّ (٤٦٣هـ) صاحبَ (تاريخ بغداد)، وعزَّ الدِّين بنَ الأثيرِ (٦٣٠هـ) صاحبَ (الكاملِ في التَّاريخ، وأُسْدِ الغابة في معرفةِ الصَّحابة)، وغيرَهم.

وفي ميدانِ الجغرافيا نذكرُ اليعقوبيَّ (٢٧٨هـ) صاحبَ (البلدان)، والإصطخريَّ الكوفيَّ (٣٤٦هـ) صاحبَ (مسالكِ الممالك)، وابنَ حوقَل البغداديَّ (بعد ٣٦٧هـ) صاحبَ (المسالكِ والممالِك)، والبشاريَّ المقدسيَّ (٣٧٥هـ) صاحبَ (أحسنِ التَّقاسيمِ في معرفةِ الأقاليمِ)، وآخرَهم ياقوتَ الحمَويَّ (٦٢٦هـ) صاحبَ (معجمِ البلدان).

وفي ميدانِ الفَلسفةِ وعُلومِ الحِكمةِ يَبرزُ المعلِّم الثَّاني الفارابيُّ (٣٣٩هـ) صاحبُ (الرَّسائل، وإحصاءِ العلومِ، والسِّياسة المدنيَّة)، والشَّيخُ الرَّئيسُ ابنُ سينا (٤٢٨هـ) صاحبُ (الإشارات، والشِّفاء، والنَّجاة)، وأبو حامدٍ الغزاليُّ (٥٠٥هـ) صاحبُ (مقاصدِ الفلاسفة،

---

(١) - وفيهِ قيلَت العبارةُ المشتهرة: (بُدِئَت الكتابةُ بعبدِ الحميدِ، وخُتِمَت بابنِ العميد)، وعبدُ الحميدِ هنا هو عبدُ الحميدِ بنُ يحيى، كاتبُ مروانَ بنِ محمَّدٍ آخرِ حكَّام بني أميَّة.

وتهافتِ الفلاسفة)، وغيرُهم. ويُلحَظُ أنَّ كبارَ الفلاسفةِ كانوا يحذقونَ أيضاً في علومِ الطبِّ والفلك والطَّبيعةِ والموسيقى، كالفارابي في كتُبِه (فصلٌ في الطبِّ، وعلمُ المزاج والأوزان، والمبادئُ التي بها قِوامُ الأجسام والأمراض)، وابنِ سينا صاحبِ (القانونِ في الطبِّ)، وأبي بكرٍ محمَّدِ بنِ زكريَّا الرَّازي (٣٢٠هـ) صاحبِ (الحاوي في الطبِّ)، وسِواهم.

ولا نريدُ أن نمضيَ طويلاً في تفصيلِ جوانبِ النُّهوضِ الثَّقافيِّ والعلميِّ في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني، وحسبُنا أن نؤكِّدَ في اطمئنانٍ أنَّ هذِه النَّهضةَ العلميَّة الفذَّة قد غطَّت كلَّ فروعِ المعرفةِ الإنسانيَّة في ذلك الزَّمان، فكانت متكاملةَ الجوانبِ، شأنُها شأنُ الحضاراتِ العظيمةِ عبرَ التَّاريخ، فالحضارةُ روحٌ كلِّيَّةٌ تعودُ بالعافيةِ والنَّشاطِ على جميعِ مفاصلِ المجتمع، فتتلامحُ فيهِ سماتُ التَّوازنِ والتَّقدُّم والتَّكامل، ولسنا نُغفِلُ ما انعكسَ من ذلكَ إيجاباً في أناسِ ذلك العصرِ، فحفَّزَ فيهِم رغبةَ التَّعلُّمِ وانتهالِ المعارفِ بكلِّ ألوانِها ومصادرِها، ومن ثمَّ، لاحَت على كثيرٍ من العلماءِ في ذلك الحين مخايلُ الموسوعيَّةِ والتَّكثُّرِ، وفشَت في أرجاءِ الدَّولةِ مجالسُ العلمِ ومدارسُه، مرعيَّةً بمتابعاتٍ خاصَّةٍ من الحكَّامِ والأمراء، فإذا الدَّولةُ تفيضُ بأسبابِ الحضارةِ ومعالمِ المجد، رغمَ كلِّ التَّحدِّياتِ والإنهاكاتِ السِّياسيَّة.

*- يقولُ المؤرِّخُ الأمريكيُّ وِل ديورانت (William James Durant ت:١٩٨١م): (يُعدُّ المنصورُ والرَّشيدُ والمأمونُ أعظمَ خلفاءِ بني العبَّاس، وكانَ المأمونُ يجمعُ في مجلسِ الدَّولةِ ممثِّلينَ لجميعِ الأديانِ الكُبرَى في البلادِ كلِّها؛ مِن مسلمينَ، ومسيحيِّين، ويهودٍ، وصابئينَ، وزَرادشتيِّين، وضَمِنَ لجميعِ رعاياهُ حتَّى أواخرِ أيَّامهِ حرِّيةَ الدِّين والعبادةِ، وظلَّت حريَّةُ التَّفكيرِ وقتاً ما هي السُّنَّةَ المألوفةَ في بلاطِ الخليفةِ)[1].

*****

---

(١) – انظُر: قصَّة الحضارة: وِل ديورانت: ٢٢/ ٤٤٤.

* العبَّاسيُّون وتواريخُ تولِّيهم الحُكم *

الرقم	الخليفة	تاريخ التولي	العصر
١	أبو العباس عبد الله السَّفَّاح بن محمد	١٣ ربيع الأول /١٣٢/هـ	العصر العباسي الأول (عصر القوة)
٢	أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد	١٣ ذي الحجة /١٣٦/هـ	
٣	أبو عبد الله محمد المهدي بن المنصور	٦ ذي الحجة /١٥٨/هـ	
٤	أبو محمد موسى الهادي بن المهدي	٢٢ المحرَّم /١٦٩/هـ	
٥	أبو جعفر هارون الرَّشيد بن المهدي	١٦ ربيع الأول /١٧٠/هـ	
٦	أبو موسى محمد الأمين بن الرشيد	٣ جُمادى الآخرة /١٩٣/هـ	
٧	أبو جعفر عبد الله المأمون بن الرشيد	٢٦ المحرَّم /١٩٨/هـ	
٨	أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن الرَّشيد	١٦ رجب /٢١٨/هـ	
٩	أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم	١٨ ربيع الأول /٢٢٧/هـ	
١٠	أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم	٢٣ ذي الحجة /٢٣٢/هـ	
١١	أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل	٤ شوال /٢٤٧/هـ	عصر النفوذ التركي
١٢	أبو العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم	٣ ربيع الثاني /٢٤٨/هـ	
١٣	أبو عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل	٤ المحرَّم /٢٥٢/هـ	
١٤	أبو إسحاق أحمد المهتدي بالله بن الواثق	٢٧ رجب /٢٥٥/هـ	
١٥	أبو العباس محمد المعتمد على الله بن المتوكل	١٨ رجب /٢٥٦/هـ	
١٦	أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل	٢٠ رجب /٢٧٩/هـ	
١٧	أبو محمد علي المكتفي بالله بن المعتضد	٢٢ ربيع الثاني ٢٨٩/هـ	
١٨	أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد(١)	١٢ ذي القعدة /٢٩٥/هـ	
١٩	أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد	٢٧ شوَّال /٣٢٠/هـ	
٢٠	أبو العباس أحمد الرَّاضي بالله بن المقتدر	٦ جُمادى الأولى /٣٢٢/هـ	
٢١	أبو إسحاق إبراهيم المتقي لله بن المقتدر	٢٠ ربيع الأول /٣٢٩/هـ	
٢٢	أبو القاسم عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي	٢٠ صفر /٣٣٣/هـ	عصر النفوذ البويهي
٢٣	أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر	١٢ جمادى الآخرة /٣٣٤/هـ	
٢٤	أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع	١٣ ذي القعدة /٣٦٣/هـ	
٢٥	أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق بن المقتدر	١٩ رجب /٣٨١/هـ	
٢٦	أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر	١١ ذي الحجة /٤٢٢/هـ	
٢٧	أبو القاسم عبد الله عدّة الدين المقتدي بأمر الله بن محمد القائم	١٣ شعبان /٤٦٧/هـ	عصر النفوذ السلجوقي
٢٨	أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي	١٥ المحرَّم /٤٨٧/هـ	
٢٩	أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر	١٦ ربيع الثاني /٥١٢/هـ	
٣٠	أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد	١٧ ذي القعدة /٥٢٩/هـ	
٣١	أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر	١٨ ذي القعدة /٥٣٠/هـ	
٣٢	أبو المظفَّر يوسف المستنجد بالله المقتفي	٢ ربيع الأول /٥٥٥/هـ	عصر الأتابكة
٣٣	أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد	٩ ربيع الثاني /٥٦٦/هـ	
٣٤	أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء	٢ ذي القعدة /٥٧٥/هـ	
٣٥	أبو النصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر	٣٠ رمضان /٦٢٢/هـ	
٣٦	أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر	١٤ رجب /٦٢٣/هـ	
٣٧	أبو محمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر (قتله هولاكو في /١٤/صفر عام /٦٥٦/هـ)	١٠ جمادى الآخرة /٦٤٠/هـ	

(١) وليَ بعده أبو العباس عبد الله المرتضى بن المعتز ليوم واحد فقط ، ثم ولي أبو منصور محمد القاهر ليوم واحد فقط أيضاً .


سمرقند
هراة
مرو
نيسابور
قندهار
الديبل
الري
شيراز
سيراف
نهاوند
تبريز
بغداد
الرقة
دمشق
القدس
المدينة المنورة
مكة المكرمة
صنعاء
النوبة
أسوان
دنقلة
الفسطاط
الإسكندرية
القسطنطينية
البحر الأسود
كريت
برقة
طرابلس
صقلية
سردينية
القيروان
طنجة
فاس
وليلي
سجلماسة
أغمات
الخلافة العباسية
الأدارسة، استقلت عن الخلافة العباسية (١٧٢هـ/٧٨٨م)
الأمويون في الأندلس انفصلت عن الخلافة العباسية أيام عبد الرحمن الداخل (صقر قريش).

الفَصلُ الثَّالثُ



التَّاريخُ الأَندلُسيُّ


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

المبحثُ الأوَّل:

سِيرةُ السِّياسَةِ في التَّاريخ الأَندلُسيِّ

* - أوَّلاً: زمانُ الأمويِّين في الأَندلُس:

يُقسَمُ الحُكمُ الأمويُّ في الأندلُس إلى ثلاثةِ أزمِنة : الولايةِ، والإمارةِ، والخلافة:

- أمَّا زمانُ الولايةُ: فقَد بدأَ بالفَتح سنةَ (٩٢-٩٣هـ،٧١١-٧١٢م)، وانتَهى بإمارةِ عبد الرَّحمن الدَّاخل سنةَ (١٣٨هـ-٧٥٥م).

- وأمَّا زمانُ الإمارةِ: فبدأَ سنةَ (١٣٨هـ)، وانتهَى سنةَ (٣١٥هـ-٩٢٧م).

- وأمَّا زمانُ الخلافةِ الأمويَّة: فقد بدأَ سنةَ (٣١٥هـ-٩٢٧م)، وانتهَى سنةَ (٤٢٢هـ-١٠٣١م) .

١- زمانُ الوِلاية:

وأوَّلُ والٍ على الأندلُس عبدُ العَزيز، ولِيَها لأبيهِ موسى بنِ نُصير حاكمِ شمالِ إفريقيةَ (في القيرَوان) أيَّامَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ الأمويِّ، فثارَ به العسكرُ وقتَلوه لسنتَين من وِلايته، وتتابعَت ولاةُ الأمويِّين عليها؛ تارةً من قِبل الحاكمِ الأمويِّ بدمَشق، وطَوراً مِن قِبل عاملِه على القَيروان، وكأنَّ مقتلَ الوالي الأوَّلِ فتحَ بابَ اللَّدَدِ على مِصراعَيه، فظلَّت هذِه الولايةُ مُضطَّرباً للنِّزاع والصِّدام، قَلَّ أنِ اسْتَقامَ فيها لوالٍ أمرٌ أو طالَ لهُ حُكم، حتى نيَّفَ عددُ الولاةِ في هذِه المدَّةِ من الزَّمن على بِضعةٍ وعشرينَ والياً .

والسَّببُ في ذلك مطامعُ الرُّؤساء وتضارُبُ الأهواء ونزعةُ العربِ إلى العصبيَّةِ والقبليَّةِ، فقد قامَت (القَيسيَّةُ) و(اليمنيَّة)[1] تتنازعانِ السُّلطة، والقَيسيَّةُ واليمنيَّةُ حِزبان كان لهما في تاريخِ الإسلامِ إلى أجلٍ غيرِ بعيدٍ شأنٌ خَطير .

(١) - القيسيَّةُ قومٌ كثُرٌ من مُضر، نسبتُهُم إلى قَيس بن عَيلان من نسل مُضر بن نزار بن معدِّ بن عدنان، وتُسمِّي العربُ العدنانيِّين عموماً (قيسيِّين) وأهلُ الشَّام مِنهُم، والقحطانيِّين (يمانيِّين).

كان عاملُ الأندلُسِ مُنقَطِعاً به في أقصى ثُغور المُسلمين، بَعيداً عَن قلبِ الدَّولةِ ومادَّتها، فكانَ لا بدَّ لهُ من عُصبةٍ تُؤيِّدُه في ولايتِه، فكانَ يفزَعُ كلُّ والٍ من وُلاةِ هذا العهدِ إلى عصبيَّتِه؛ القيسيُّ إلى القيسيَّة، واليَماني إلى اليمانيَّة، والعَصبيَّةُ أو القَبليَّةُ تَقتضي الرَّجلَ أن ينصرَ أخاهُ ظالماً أو مَظلوماً، فبهذا خرجَ الوالي عَن أن يكونَ حاكِماً عامَّاً، وأصبحَ أشبهَ بزعيمِ قبيلٍ أو عُصبةٍ يتَصحَّبُ لذويهِ ويتحاملُ على أعدائِهم، فكانَ من جرَّاء ذلكَ أن انشقَّتْ الجماعةُ وهاجَت الأحقادُ وأقدَمت النَّاسُ بأحزابِها .

ومن طبيعةِ السِّياسةِ التحزُّبيَّة أن تشتدَّ معَها العداوةُ وتستحكمَ البغضاءُ، وأن يتربَّصَ كلُّ فريقٍ بصاحبِه وثبةً يهتَبِلُها منهُ فيُدالُ لهُ علَيه؛ القَيسيُّ من اليمنيِّ، واليمنيُّ من القيسيِّ، وكان الأمرُ بينهما دوالَيك، وهزُلَ الأمرُ حتَّى بلغَ أن لا يكون للوالي حكمٌ نافذٌ إلَّا على قومِه، الوالي القيسيُّ يُطيعهُ القيسيُّون ويَنحاز عنه اليمانيُّون، واليماني يَخضعُ له اليَمنيُّون ويَعصيهِ القيسيُّون .

وعمَّقَ هذا الخلافَ أيضاً أمرُ بني أميَّةَ بالمشرِق وتضعضعُ أحوالهم، فقد شُغِلوا عَن قاصيةِ الثُّغورِ بكثرةِ الخوارجِ والثَّائرين، فبَقي أهلُ الأندلُس فَوضى؛ فتنٌ دائمةٌ، ووِلاية متداوَلةٌ، وحالٌ لا تستقرُّ من القلَق .

واتَّفق جندُ الأندلُس آخرَ الأمرِ أن يَجعلوا الولايةَ في القيسيَّةِ واليمانيَّةِ مُداوَلةً بين الجندَين، سنةٌ لكلِّ دَولة، فقدَّمَ المُضريُّونَ القيسيُّونَ على أنفُسهم سنةَ (١٢٩هـ-٧٤٧م) يوسفَ بن عبد الرَّحمن الفِهريَّ فاستتمَّ ولايته بـ(قُرطُبة)[1]، ثمَّ وافتهُ اليمانيَّةُ لميعادِ إدالتِهم واثقينَ بمكانِ عهدِهم وتراضيهم واتِّفاقهم، فبيَّتَهُم يوسفُ في قُرى قُرطبةَ بممالأةِ القيسيَّة وسائرِ المضريَّة، فاستحمَلُوهم وتمَّت الغلبةُ للقيسيَّةِ في مُعظمِ أنحاءِ الجزيرةِ (أَرضِ الأندلُس)

شغلَت الفتنُ ولاةَ الأمويِّين عن الفتحِ، فلَم تنهَض بهم همَّةٌ إلَيه، إلَّا ما كان من فتوحِ عبد العزيز بنِ مُوسى، وعُقبةَ بنِ نافعٍ الذي جاهدَ حتَّى بلغَ سُكنى المسلمينَ في أيَّامِهِ (أربونة)[2]،

---

(١) – (Córdoba)، وكانَت قُرطبة مركزَ الولايةِ في الأندلُس أيَّامئذٍ، وهي اليومَ جنوبَ إسبانيا.

(٢) – أربونة: مدينةٌ فرنسيَّةٌ تجاورُ بلادَ الأندلُس، وهي عاصمةُ إقليم (سبتمانيا) جنوبَ فرنسا.

وصار باطنُهم على (نهر ردونة)، والهيثمُ بنُ عُبيدٍ الكلابيِّ غزا (مقوشة)[1] فافتتَحها، والسَّمحُ بنُ مالكٍ الخَولانيُّ نهضَ بالفتح إلى جَنوبي (فرنسا)، وعَنبسةُ بنُ سَحيم ماتَ -وقيل قُتِل- وهو على حصارِ (تولوسة) أو (تولوز)[2]، وعبدُ الرَّحمن بنُ عبد الله الغافقيُّ فتح (قرقشونة)[3] وغيرَها من جَنوبي (فرنسا)، واستولَى على (آرل) و(ليون) و(بيزانسون) وانتهى إلى (تور)[4]، وعبدُالملكِ بنُ قطنٍ الفِهريُّ غزا (البَشكَش) أو (البَسكَة)[5]، وأكثرُ هؤلاء كان جهادُهم في العدوِّ أقربَ بنتيجتهِ إلى الغَزوِ منهُ إلى الفَتح.

وأمَّا موقفُ **(الإسبانِ)** إزاءَ العربِ فقَد كان لفتحِ الأندلُس فيهِم دويٌّ كبيرٌ وخطيرٌ، إذ أصبحَ اسمُ العرَبِ مِلءَ الأسماعِ والأبصار، فانصدَعت من جرَّاء ذلكَ قلوبُ الإسبانِ، وصغُرت نفوسُهم عن مقاومةِ العربِ أوَّلَ الأمرِ، ولَم يُشجِّعهُم هذا الخلافُ الذي نشبَ بين العربِ على مُنازلتِهم وعهدُهُم بالفتحِ وببَأسِ العرَبِ قريبٌ، وأُخرى وهيَ أنَّ العربَ كانوا في حكمِهم أعدلَ من الإسبانِ، فلَم يكنْ ينالُ الإسبانَ الذين تفيَّؤوا ظلَّ الحكمِ الإسلاميِّ وبقَوا على نصرانيَّتهم شيءٌ من الظُّلم الذي كان ينالُهم أيامَ حكمِ أمرائهِم المسيحيِّين، ولِلعدلِ روعةٌ في النُّفوسِ وجلالٌ حملَ أولئكَ الإسبانَ الجبليِّين الذين اعتَصموا بتلكِ الولاياتِ الجبليَّةِ أن يتربَّصوا إلى حينٍ[6].

---

(١) – مقوشة: ويُقالُ لها (منوسَة).

(٢) – تولوز أو طولوشة: (Toulouse)، مدينةٌ فرنسيَّة. تقعُ جنوب غربِ فرنسا، علي نهر جارونيه، أو جارون.

(٣) – عبد الرَّحمن الغافقيُّ صاحبُ معركةِ (بلاط الشُّهداء) الشَّهيرة سنةَ (١١٤هـ) بينَ مدينتَي (تور) و(بواتييه) وسطَ غربِ فرنسا، وقرقشونة (Carcassonne) مدينةٌ فرنسيَّةٌ تاريخيَّةٌ على نهر الأود (Aude)، تشتهرُ بحِصنها القديم العائِد إلى ما قبلَ العصورِ الوُسطى.

(٤) – (آرل Arles) جنوبَ فرنسا، و(ليون Lyon) جنوبَ شرقِ فرنسا، و(بيزانسون Besançon) شرقَ فرنسا من جهةِ سويسرا، و(تور Tour) غربَ فرنسا.

(٥) – البَشكَش أو البَسكَة: وهو (شعبُ الباسك)، قومٌ لهم لغةٌ خاصَّة وعرقٌ خاصّ، وبلادُ الباسك أو إقليمُ الباسك (País Vasco) إقليمٌ ضخمٌ يمتدُّ عبر جبال (البيرينييه) الغربيَّة على الحدودِ ما بين فرنسا وإسبانيا، وهو اليومَ إقليمٌ ذاتيُّ الحكم في الدَّولةِ الإسبانيَّة.

(٦) – انظُر: ص٤٩ من فصلِ التَّاريخ الأمويِّ.

ولمَّا كثُرَ بينَ العربِ الخلافُ واستحكمَ أمرُه، وكان قد مضَى على الفتحِ ردحٌ من الزَّمن، أخذَ الإسبانُ يتحيَّفونَ أطرافَ المُلكِ العربيِّ، فتغلَّبوا على جُزءٍ من بلاد (برشلونة)، ثمَّ على (برشلونة) نفسِها، وهذا الذي استخلَصوه من العربِ إن لَم يكن شيئاً مَذكوراً بالنِّسبةِ إلى الجزيرةِ، فهُو شيءٌ كبيرٌ بنفسِه كما سترَى.

٢- زمانُ الإمارة:

وأمَّا زمانُ الإمارةِ الأمويَّة فلعلَّهُ كانَ خيرَ الأزمنةِ التي عرفَتها الأندلُس العربيَّة، فقد كان فاتحَتَهُ (عبدُ الرَّحمن الدَّاخل)، وواسطتَهُ (عبدُ الرَّحمن الأوسَطُ)، وخاتمَتَهُ (عبد الرَّحمن النَّاصر)، ثلاثةٌ لا ندري أيُّهم أجودُ سياسةً من صاحبَيه، فقد كانوا رجالَ أميَّةَ في الغَربِ غيرَ مُنازَعينَ ولا مُدافَعين، ومن رجالاتِ الدَّهاءِ والحزمِ والسِّياسةِ في العرَب .

وأخذَت الأمورُ بعدَ (عبد الرَّحمن الأوسطِ) بالضَّعف، فاضطَّرب الأمنُ ونجَمَت قرونُ الفِتَن في ثغورِ الأندلُس، واشتعلَت الثَّوراتُ في جنَباتِها حتَّى كادَت تطمُّها، لولا أن قيَّض القدَرُ لهذِه الجزيرةِ (عبدَ الرَّحمن النَّاصر)، ففقأَ عينَ الثَّورة، ونظَم عِقدَ الدَّولة وأعاد الجزيرةَ سيرتَها الأولى .

وأمَّا موقفُ (**الإسبان**) أمامَ هذه الفِتن الأخيرةِ فقد قوَّت هذه الفتنُ من عزيمةِ الإسبان، وزادَ في الأمرِ نصرةُ الإفرنج لهُم، واستنصارُ بعضِ الأُمراء بهِم، فكثُر اعتداؤُهم على الأندلُس العربيَّة، وعمِلوا على التدخُّل في سياستِها الدَّاخلية، يَنصرون الأميرَ الأمويَّ على أخيه الأمويِّ، والعاملَ على أميرِه، فاسترجَعوا من جرَّاء ذلك قِسماً كبيراً من ولايةِ (قطالونية)[1] .

٣- زمانُ الخلافَة:

وأمَّا الخلافةُ فقد قامَ في عهدِ المُقتدرِ العبَّاسيِّ رجلُ الدَّولة الأمويَّة (عبدُ الرَّحمن النَّاصر)، وتسمَّى باسمِ (أميرِ المؤمنين)، لأنَّه لَم يَعُد هناك ما يُراعيه رجالُ الدَّولة الأمويَّة من أمرِ الخلافةِ الإسلاميَّة ببغدادَ لانحطاطِ شأنِها ولَعِبِ الفسادِ بها .

---

(١) – قطالونية: أو (كتالونيا Catalonia) اليومَ إقليمٌ بشمالِ شرقِ إسبانيا، عاصمتُه مدينة (برشلونة).

كان (عبدُ الرَّحمن النَّاصر) أعظمَ خلفاءِ بني أميَّة في الأندلُس، حاربَ الفِرنجةَ مِراراً وردَّهم على أعقابِهم، واجتثَّ جذورَ الفتنِ حتَّى استقامَت لهُ الأندلُس في سائرِ جهاتِها .

قال المَقرِّي: (ووجدَ النَّاصرُ الأندلُسَ مضطَّربةً بالمخالفينَ مضطَّرمةً بنيرانِ المتغلِّبين، فأطفأَ تلك النِّيرانَ واستنزلَ أهلَ العصيانِ واستقامَت لهُ الأندلُس في سائرِ جهاتها بعدَ نيِّفٍ وعشرينَ سنةً من أيَّامهِ، ودامَت أيامُه نحوَ خمسينَ سنةٍ، استَفحلَ فيها ملكُ بني أميَّة بتلكَ النَّاحية، وهو أوَّل من تسمَّى منهُم بالأندلُس بأميرِ المؤمنين عندَما التاثَ أمرُ الخلافةِ بالمشرِق، واستبدَّ موالي التُّرك على بَني العبَّاس - فتلقَّب بألقابِ الخلافة - فقعدَ عن الغزوِ بنفسِه وصارَ يُردِّدُ الصَّوائفَ في كلِّ سنةٍ، فأوْطأَ عساكرَ المسلمينَ من بلادِ الإفرنج ما لَم يطؤوهُ قبلُ في أيَّامِ سلفِه، ومدَّت إليهِ أممُ النَّصرانيَّة من وراءِ الدُّروبِ يدَ الإذعانِ، وأوفَدوا عليه رُسلَهُم وهداياهُم من رومةَ والقُسطنطينيَّةَ في سبيلِ المهادَنةِ والسِّلم..)[1] .

وبِـ(هشامِ الثَّالث) انقَرضتْ دولةُ بني أميَّة في الأندلُس، وصارَ الحكمُ لملوكِ الطَّوائفِ بها.

* - ثانياً: زَمانُ مُلوكِ الطَّوائف في الأندلُس:

قالَ المَقَرِّي: (بايعَ الوزيرُ أبو محمَّدٍ جهورُ بنُ محمدٍ بنِ جهورٍ عميدُ الجماعةِ وكبيرُ قرطبةَ لهشامِ الثَّالث ابنِ محمَّدٍ بنِ عبدِ الملك، أخي المُرتَضى[2]، وكان بالثَّغر في (لاردة)[3] عند ابن هُود، وذلك سنةَ (٤١٨هـ) وتلقَّب المُعتدَّ بالله، وأقامَ متردِّداً في الثَّغر ثلاثةَ أعوام، واشتدَّت الفتنُ بين رؤساءِ الطَّوائفِ واتَّفقوا على أن ينزلَ دارَ الخلافةِ بقُرطُبة، فاستقدَمه ابنُ جهورٍ والجماعةُ، ونزل آخرَ سنة (٤٢٠هـ) وأقام بها يَسيراً، ثمَّ خلعَهُ الجندُ سنةَ (٤٢٢هـ)، وفرَّ إلى (لاردة) فهلَكَ بها سنةَ (٤٢٨هـ)، وانقطَعت الدَّولةُ الأمويَّةُ من الأرضِ، وانتثَر سلكُ الخلافةِ بالمغرِب، وقام

---

(١) - انظرُ: نفحَ الطِّيب من غُصنِ الأندلُس الرَّطيب: للمَقَرِّي التِّلِمْساني: ١/ ٣٥٣، وتاريخ ابن خلدون: ٤/ ١٧٧.

(٢) - وهو المرتضى بن محمَّد؛ عبدُ الرَّحمن الرَّابعُ، الخليفةُ الأمويُّ الثالثَ عشرَ في الأندلُس (ت:٤١٤هـ).

(٣) - لاردة: (Lérida) مدينةٌ إسبانيَّةٌ وعاصمةُ مقاطعةٍ تحملُ الاسمَ نفسَه، تنتمي إلى إقليم (كتالونيا).

الطَّوائفُ بعد انقراضِ الخلائفِ، وانتزَى الأمراءُ والرُّؤساءُ من البربرِ والعربِ والموالي بالجهاتِ واقتَسموا خطَّتَها، وتغلَّب بعضُهم على بعضٍ، واستقلَّ أخيراً بأمرِها منهُم ملوكٌ استفحلَ أمرُهم وعظُمَ شأنُهم وأقاموا على ذلكَ بُرهةً من الزَّمان، حتَّى قطعَ عليهمُ البحرَ مَلِكُ العُدْوَةِ وصاحبُ مرَّاكش أميرُ المسلمينَ **يوسفُ بن تاشَفين**[1]، فخلَعهم وأخلَى منهُم الأرضَ)[2].

وقالَ المرَّاكشي: وأمَّا حالُ سائرِ الأندلُس بعد اختلالِ دعوةِ بني أميَّة فإنَّ أهلَها تفرَّقوا فِرَقاً، وتغلَّب في كلِّ جهةٍ منها مُتغلِّب، وضبطَ كلُّ متغلِّبٍ منهُم ما تغلَّب علَيه، تقسَّموا ألقابَ الخلافةِ، فمنهُم من تسمَّى بالمعتضِد، وبعضُهم تسمَّى بالمأمونِ، وآخرُ تسمَّى بالمُستعينِ والمقتدِر والمعتصِم والمعتمِد والموفَّق والمتوكِّل إلى غيرِ ذلكَ من الألقابِ الخلافيَّة، وفي ذلك يقولُ أبو عليٍّ الحسنُ بن رَشيقٍ القيروانيُّ:

مِمَّا يُزهِّـدُني في أرضِ أنـدلُسٍ ... سَـماعُ مُـقتَـدِرٍ فِـيهَـا ومُعتَـضِـدِ

ألقابُ مَملكةٍ في غيرِ مَوضِعِها ... كالهِرِّ يحكي انتِفاخاً صَولةَ الأسَدِ[3]

وهكذا، انقَسَمَت الأندلُسُ في أوائلِ القرنِ الخامسِ من الهِجرة، وأصبَحت ممالكَ صغيرةً يتولَّاها رؤساءٌ وأمراءٌ، وظاهرٌ أنَّ انقسامَ الأندلُس على هذِه الصُّورة، وانقسامَ أولئك الملوكِ على أنفُسهم، وفُشوَّ التَّنازعِ الدَّاخليِّ، كلُّ ذلكَ دعا الإفرنجَ أن يطمَعوا بهِم ويُغيروا علَيهم، حتَّى ضاقَ (**العبابِدةُ**)[4] في إشبيلية ذَرعاً في حربِ (الفونس دي ليون) وهو (ألفونس السَّادس ملكُ

---

(١) - يوسُف بن تاشَفين الصَّنهاجِي اللَّمتوني الحميَري (ت:٥٠٠هـ)، زعيمُ المُرابطين الملثَّمين، وأوَّل من تلقَّب بـ(أميرِ المُسلمين).

(٢) - انظُر: نفحَ الطِّيب: للمَقرِّي: ١/ ٤٣٨.

(٣) - انظُر: المُعجِب في أخبار المَغرِب: لعبدِ الواحدِ بن عليٍّ التَّميميِّ المرَّاكشي: ١/ ٧٠.

(٤) - العبابدَة (بنو عبَّاد): أسرةٌ أندلسيَّةٌ من ملوك الطَّوائف، تُنسَبُ إلى إسماعيلَ بن محمَّد بن إسماعيلَ بنِ قريشٍ بن عبَّادٍ اللَّخميِّ، ولي قضاءَ (إشبيلية) أيَّام الأمويِّين، فلمَّا اضطَّرب أمرُهم نهضَ إسماعيلُ بأعباء إشبيلية وقُرطبة، وحكمَت سلالتُه من بعدِه إلى أن جاء منهُم (المعتمدُ بن عبَّاد)، فاستنصر يوسفَ بنَ تاشَفين على (ألفونس السَّادس)، فكانَت معركةُ (الزلَّاقة ٤٧٩هـ)، وهُزِمَ ألفونس وجيشُه، وفي سنة (٤٨٤هـ) أنهى المرابطون حكمَ بني عبَّاد في الأندلُس.

قَشتالة)[1]، فاستنجَدوا ملوكَ (**المُرابِطينَ**)[2] من المغرِب سنةَ (٤٧٩هـ-١٠٨٦م) وكانَت (**معركةُ الزلّاقة**) وهُزِمَ ألفونس، ثمَّ عادَ المُرابطونَ بعدَ بضعِ سنينَ فقضَوا على حكمِ بني عبّاد، وفتَحوا الأندلُسَ وجعَلُوها (أَيالةً) تابعةً لَمملكتِهم في المغرِب .

ولَمّا صارَت المغربُ إلى (**الموحِّدينَ**)[3] صارَتْ إليهمُ الأندلُسُ سنةَ (٥٤٠هـ-١١٤٥م)، ونشأَت في أثناءِ ذلك ممالكُ صغيرةٌ في (بلَنسية)[4] و(مُرسية)[5]، أهمُّها (**الدَّولةُ النَّصريَّةُ**) أو دولةُ بني الأحمرِ في (غَرناطَة)[6]، أصحابُ (الحمراء)، حكَموا من سنةِ (٦٢٩-٨٩٧هـ و١٢٣٢-١٤٩٢م)، وزَهَت الأندلُسُ في أيامِهم، وظهرَ فيها الشُّعراءُ والأدباءُ نحوَ ما كانَت عليهِ في أيّام عبدِ الرَّحمن النّاصر، لكنَّ الإسبانَ ما زالُوا يُهاجمون المسلمينَ ويُناوئونَهم وهُم يُدافِعونهم إلى أواخرِ القرنِ التّاسع للهِجرة، حينَها هاجَمها المَلِكانِ الإسبانيّانِ الكاثوليكيّان (فرديناند) و(إيزَبيلا)[7] سنةَ (٨٩٧هـ-١٤٩٢م)، ففرَّ ملكُها (أبو عبدِ الله)[8] آخرُ ملوكِها، وانقَضى بفِرارِهِ

---

(١) - قَشتالَة: أو (كاستيلا Castile-La Mancha) اليوم إقليمٌ ذاتيُّ الحكمِ في إسبانيا.

(٢) - المُرابطون: قبائلُ من البَربَر، من صَنهاجَة الصَّحراء الكُبرى، عُرفوا بـ(الملثَّمين) كما يتلثَّمُ (الطَّوارقُ)حتَّى يومنا هذا، كوَّنوا دولةً ما بينَ عامَي (٤٤٠-٥٤٢هـ)، حكمت شمالَ غربِ إفريقية، من حدود (غانا) إلى البحر المتوسِّط، ومن الأطلسي غرباً إلى تونُس شرقاً، ثمَّ ضمَّ ابنُ تاشَفين إليها (الأندلسَ)، وانتهَت دولةُ المرابطين على يد (الموحِّدينَ) الذين قاموا على أنقاضِها.

(٣) - المُوحِّدون: دولةٌ إسلاميَّةٌ قامَت في شمالِ إفريقيةَ والأندلُس على أنقاضِ المرابطين، ما بينَ عامَي (٥٤١-٦٦٨هـ)، أسَّسها الزَّعيمُ البربريُّ (محمَّد بنُ تومَرت)، وكان عالماً كبيراً من علماء المُسلمين. بدأت دولةُ الموحِّدين تنهارُ في الأندلس، يوم انتصر عليهم الإسبانُ في معركة حصنِ العُقاب (نافاس دي تولوزا) سنةَ (٦٠٩هـ)، وتعدَّدت الانقساماتُ، فاستقلَّ (الحفصيُّونَ) في تونُس، واستولَى (المَرينيُّون) على مرَّاكش، وانطَوت رايةُ الموحِّدين.

(٤) - بلَنسيَة: (València) شرقَ إسبانيا، على البحر المتوسِّط.

(٥) - مُرسية: (Murcia) جنوبَ شرقِ إسبانيا، تُطلُّ على البحر المتوسِّط.

(٦) - غَرناطَة:(Granada)، جنوب إسبانيا.

(٧) - مَلِكا قَشتالَة وأراغون، وأراغون هي اليومَ (تيرويل Teruel) إقليمٌ ذاتيُّ الحُكم في وسط شرقِ إسبانيا.

(٨) - أبو عبد الله: محمَّد الحادي عشَر، من بَني نصر، آخرُ ملوك الدَّولة النَّصريَّة في غَرناطَة، لقَّبه الإسبان (EL Chico) أي الفَرخ، وسمَّاهُ أهلُ غرناطَة (الزُّغابيّ)، واشتُهِرَ في التَّاريخ بالملكِ الخائِن (أبي عبد الله الصَّغير)، لتعاونِه مع (فرديناند)

زمانُ المسلمينَ في الأندلُسِ[1] على أسوأِ حالٍ وآسَفِه.

يقولُ شكيب أَرسلان: (وهكذا، انتهَت تلكَ الحربُ، وبنهايَتِها انصرَمَ حبلُ الإسلامِ في بلادِ الأندلُس، بعدَ ما استَتبَّتْ فيها دولتُهُ ما يزيدُ على (٨٠٠) ثمانِمئةِ سنة، منذُ انهزامِ (لُذريق) على ضِفافِ الوادِي الكَبير، إلى تَسليم غَرناطَة)[2].

*****



و(إيزابيلا) في إسقاطِ حكومةِ عمِّه محمَّد بن سَعد. و(فرديناند) هذا هو ملك الأراغون، تزوَّج من (إيزابيلَّا) ملكة قشتالة، وهي التي حرَّضتهُ على تصفيةِ الوجودِ العربيِّ في الأندلس.

(١) – والأندلُسُ اليومَ هيَ (Andalucía)، منطقةٌ ذاتيَّةُ الحكم، تقعُ في جنوبِ إسبانيا، من سبعةَ عشرَ منطقةً ذاتِ حكمٍ ذاتيٍّ بمَملكةِ إسبانية. وانظر: العالَمَ الإسلامي: عمر رضا كحَّالة: ٢/ ٧٣ فما بعدها، والبيان المُغرب في أَخبارِ الأندلسِ والمَغرِب: لابن عذاري المرَّاكشي: ٢/ ٤ فما بعدها.

(٢) – انظُر: كتابَهُ (خُلاصَة تاريخ الأندلُس): ص٢٨٦-٢٨٧، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٩٣هـ.

المبحثُ الثَّاني:

نظَراتٌ في المَعركةِ الأخيرَة وأُفولِ الوجُودِ الإسلاميّ عَن الأندلُس

* - أوَّلاً: اتِّحادُ إسبانيا :

هناكَ في إسبانيا، أواخرَ القرنِ الهجريِّ التَّاسع، كانَ الحدثُ الأبرزُ عندَ الإسبان ذلكَ الزَّفافُ التَّاريخيُّ الذي جمعَ (فرديناند) ملكَ الأرغوان (مدينة تيرويل اليوم) بـ(إيزابيلَّا) ملكةِ قشتالة، وبسَببِ هذا الزَّفاف اتَّحدَت دولَتاهُما في دولةٍ واحدة، وكانَت (إيزابيلَّا) شديدة التعصُّب ضدَّ العرب المسلمين، تحرِّضُ على تصفيةِ دولة (غرناطة) المسلِمةِ نهائياً.

وقد استغلَّ الملكانِ الصِّراع الدَّاخليَّ في مملكة غرناطةَ المضطَّربة، فانتزعَ الإسبانُ من العربِ بعضَ المواقع الهامَّة المحيطةِ بالعاصمة، ومنها مدينةُ (مالقة) السَّاحليَّةُ عامَ (٨٩٢هـ)، وهي أمنعُ الموانئ الأندلسيَّة الإسلاميَّة، وكان سقوطُها ضربةً أليمةً للمملكةِ الأندلسيَّة الإسلاميَّة الممزَّقة، إذْ يحرمُها من كثيرٍ من ضروبِ الإمداد والغوث التي كانت تأتيها من المغرِب، وكان المقصودُ من سياسةِ الملكَين الإسبانيَّين حصرَ غرناطةَ في الدَّاخلِ والإجهازَ عليها بعدئذٍ، وقد تدخَّل سلطانُ مصرَ والشَّام (قايتباي المملوكيُّ) لدى (البابا) و(فرديناند) ليتوقَّف هذا الأخيرُ عن تهديد غرناطةَ، ولكنَّ هذا التدخُّل الدُّبلوماسيَّ لم يُجدِ فتيلاً، ولم يكن بوسعِ سلطنةِ المماليكِ آنذاك أن تتدخَّل عسكريَّاً بسببِ التَّهديد العثمانيِّ للشَّام .

ولم تَعُد (غرناطةَ) - التي بقيت وحدَها في المعركة الأخيرة – مجرَّدَ دولةٍ لبني الأحمر (النَّصريَّة)، بل أمسَتْ رمزاً للمملكةِ العربيَّة الإسلاميَّة الذَّاويةِ في الأندلُس، وكانت كالمصباحِ المرتجف، لا يقتضي إطفاءُ ضوئِه سوى ريحٍ بسيطة، وفعلاً، كانَتْ تلكَ الرِّيحُ على يدِ الإسبان، ففي عام (٨٩٥هـ/ أوائلَ١٤٩٠م) أرسل الملكان الإسبانيَّان سفيراً إلى غرناطةَ يطلبُ من ملكِها (أبي عبد الله محمَّد بن عليِّ بنِ الأحمر) تسليمَ عاصمةِ ملكِه، وكانت جيوشُ إسبانيا آنذاك على مقربةٍ من المدينة. وفي هذه المرَّة، وقف (أبو عبد الله) على عكسِ ما كان يرجوهُ منهُ الإسبان، فجمع أركان مجلسِه وقرَّر رفضَ التَّسليم .

* - ثانياً: المعركةُ الأخيرةُ وسقوطُ غرناطَة :

لَم يكن (أبو عبد الله) يملكُ من أسبابِ المقاومةِ شيئاً مُجدياً، إذْ إنَّ سائرَ المدنِ الأندلسيَّة كانت سقطَت جميعُها بيدِ ملكِ (قشتالة)، واضطُّرَّ كثيرٌ من المسلمين الباقينَ في المدنِ المحتلَّة إلى الارتدادِ عن دينِهم واعتناقِ النَّصرانيَّة مُرغَمينَ كارهينَ تقيَّةً، واتِّقاءَ الفَتْكِ بهم، وعُرِفَ هؤلاء بـ(**المدجَّنين**)، وكانوا في الواقع يضمرونَ الإسلامَ ويُمارسونَ شعائرَه سرَّاً، وأشفقَ آخَرونَ من المسلمينَ على أنفسِهم ودينِهم فجازُوا البحرَ إلى (المغرِب)، والتجأَ الألوفُ إلى غرناطةَ التي غدت معقلَ المسلمينَ الباقي، حتَّى صارت تضمُّ أكثرَ من (أربعمائة ألف نسمة)، وقد عزمَ الجميعُ عزماً راسخاً على الدِّفاع عَن الوطنِ حتَّى الموت .

وفي المَعاركِ الأولى التي نَشِبَت خارجَ الأسوار وقعَت ملاحمُ دمويَّةٌ اضطرَّت (فرديناند) إلى الانسِحابِ والاستعداد، ثمَّ ردَّ الملكُ الإسبانيُّ على ذلك بهجَماتٍ أمعنَ فيها بالقتلِ والتَّدمير والأسر، فاستحالَت - في أيَّامٍ - مروجُ غرناطةَ الخضراء وجنائنُها إلى قَفرٍ موحشٍ، وبنى ملكُ الإسبانِ مدينةً صغيرةً في مدَّة ثلاثةِ أشهرٍ في الجنوب الغربيِّ من غرناطةَ استعداداً لحصارٍ طويل .

ومع ذلك، لم تكن غرناطةُ غُنْماً سهلاً، إذْ كانَ فيها أكثرُ من (عشرين ألف) مقاتل، ودافع عنها أبطالُها دفاعاً من أمجدِ ما عرفهُ التَّاريخ من مظاهرِ المقاومةِ والبسَالة والإقدام، وكان الفرسانُ المسلمونَ يخرجون من الأسوارِ للقاءِ العدوِّ وجهاً لوجهٍ ومنازلتِه في شدَّةِ بأسٍ ورباطةِ جأشٍ ممَّا يعترفُ به مؤرِّخو الإسبان أنفسُهم .

ولَمَّا تصدَّى ملكُ (قشتالة) لفتح المدينة بجيشِه البالغ عددُه (ثمانين ألف جنديٍّ) خرج جيشُ غرناطةَ للقائِه وقد أنهكَه التَّعبُ واليأسُ، فكانت معركةٌ غيرُ متكافئة القُوى، فارتدَّ (أبو عبد الله) والقائدُ (موسى بن أبي الغسَّان) بجيشِهما إلى ما وراءَ الأسوارِ وتترَّسوا داخلَها، واجتمعَ زعماءُ غرناطةَ في تلك اللَّحظات الحاسمةِ في بهوِ قصرِ الحمراءَ العظيمِ في المدينةِ المجاهدَةِ، وتقرَّر التَّسليمُ بعد أن فقَدوا آخرَ أملٍ بتلقِّي المعونةِ من المغرِب لانقطاعِ الطَّريقِ البحريَّة بينهُم، وأُبرِمَ هذا القرارُ بالرَّغم من معارضةِ القائدِ (موسى).

وتولَّى المفاوضةَ وزيرُ غرناطةَ (أبو القاسم عبدُ الملك) الذي انتهى إلى وضع **معاهدةٍ** بتاريخ (٢١محرَّم ٨٩٧هـ-١٤٩١م) قرَّرت مصيرَ آخرِ القواعدِ الإسلاميَّة في الأندلس، تنصُّ على وقفِ القتال (سبعين يوماً)، تدخلُ غرناطةُ بعدها في طاعة (قشتالة)، ومنحَت الوثيقةُ المُبرَمةُ لسكَّان غرناطةَ عهوداً بالمحافظةِ على حياتِهم وعقائدِهم الدِّينيَّة وأموالِهم، ولكن لم تكن هذه العهودُ والأيمانُ المرفقةُ بها سِوى ستارٍ لغدرِ الإسبان القادِم.

وسرَّح الملكُ أبو عبد الله البصرَ حولَه وصاحَ: (تالله لقد كُتِبَ لي أن أكونَ شقيَّاً وأن يذهبَ الملكُ على يديَّ...)، ولمَّا عرَف الشَّعبُ بنبأ التَّسليم ثار على زعماءِ المدينة، فآثر مَلِكُها (أبو عبد الله) تسليمَها قبل أن تنقضيَ مدَّةُ السَّبعين يوماً المتَّفقُ عليها، فدخلَ (فرديناند) غرناطةَ في (٢كانون الثَّاني ١٤٩٢م/ ٢ربيع الأوَّل ٨٩٧هـ)، وغادر ملكُ غرناطةَ قصرَه في اليوم نفسِه - في مَشهدٍ يُثير في النُّفوسِ الأَسَى ويَبعَثُ في الحُلوقِ الشَّجى - مع أمِّه (الأميرة عائشة) وزوجِه (مريمة)، وألقى (أبو عبد الله) على بلدِه زفرةً، لا يزالُ موضعُها اليومَ يُعرفُ بِـ(زفرة العربيِّ الأخيرة)، وفي هذا الموضع خاطبتهُ أمُّه قائلةً: (فَلْتبْكِ مثلَ النِّساء مُلْكاً مُضاعَاً لَم تحافِظْ عليه مثلَ الرِّجال).

وكان لسقوطِ غرناطةَ آخرِ حصنٍ للوجودِ العربيِّ الإسلاميِّ في الأندلسِ وَقعٌ عميقُ الأَثرِ في جنَباتِ العالمِ الإسلاميِّ، ولا يزالُ يثيرُ الحسْرَاتِ في نفوسِ المُسلِمينَ إلى اليوم.

* - ثالثاً: المدجَّنون[1] :

لعلَّ مَن يقفُ على تفاصيلِ مواقفِ الإسبانِ من الوجودِ العربيِّ في الأندلس يلحظُ أنَّهم كانوا يستهدفونَ في حروبِهم إضعافَ الثَّقافة العربيَّة في اللُّغةِ والدِّين، وانتشرَت من جرَّى ذلك عمليَّةُ (التَّنصير) بين المسلمين، وعُرِفَ الذين عادوا عن إسلامِهم وانخرطوا في المجتمعِ الإسبانيِّ بِـ(المدجَّنين)، وكانوا ذوي ثقافةٍ وخبرةٍ بالفنونِ وشؤونِ التِّجارة والصِّناعة والعلُوم.

---

(١) - اسمٌ أطلقَ على مُسلِمي الأندلُسِ الذينَ انضمُّوا إلى المجتمعِ الإسبانيِّ بعدَ سقوطِ الأندلُس.

وبعدَ سقوطِ (غرناطة)، لَم يعبأ الإسبانُ والبرتغالُ[1] بالعهودِ التي قطعوها للعربِ المسلمينَ في صَونِ حياتِهم وممتلكاتهم وحرِّية معتقداتِهم، وقد أُحرِقَت آثارُ المُسلِمينَ فلم ينجُ منها إلَّا القليلُ، وأقيمَت دواوينُ التَّحقيق ومحاكمُ التَّفتيش ضدَّ العربِ المسلمين، وانتهكت فيها كلُّ معاني الحقِّ والإنسانيَّة، ولُوحِقَ بقايا العربِ الذين عُرِفوا بـ(الموريسكيِّين) أو (المور) [2] إلى أن صدرَ آخرُ قرارٍ بطردِ من بقيَ منهُم منَ البلاد عامَ (١٦٠٩م)، وقد طالَت هذه المحنةُ القاسيةُ حوالي (مليوناً)من بقايا العربِ المُسلمين، وأجليَ آخرُ مسلمٍ عن البلادِ سنةَ (١٠٠٩هـ/ ١٦١٤م)

وهكذا، انسحَب العربُ من الأندلُس؛ ذلك الفردَوسُ المُضيَّع، بعد أَن أَعطَوا (شبهَ جزيرة إيبيريا) أَزهى عُهودِها، وأقاموهَا جِسراً لنقلِ الثَّقافة إلى الغربِ الأوروبِّ.

وبينما التفتَت إسبانيا إلى التوسُّع في العالمِ الجديدِ (أميريكا)، التفتَت البرتغالُ إلى السَّيطرة على الطَّريق البحريَّة الجديدةِ إلى (الهند) التي تمرُّ بـ(رأس الرَّجاء الصَّالح) في جنوبِ القارَّة الإفريقيَّة، فأدَّى ذلك إلى القَضاءِ على دَور الوساطةِ التِّجاريَّة الذي كان يقومُ به العربُ في البحر الأبيض المتوسِّط والمُحيطِ الهنديِّ ويُفيدونَ منهُ كثيراً.

وعملَ البرتغاليُّون أوَّلُ المُستعمرينَ الأوروبِّيين - الذين اصطدمَ بهم العربُ - منذ أوائل القرن التَّاسع الهجريِّ/ الخامسَ عشرَ الميلاديِّ على امتلاكِ بعضِ المراكز العربيَّة بغيةَ اتِّخاذها محطَّاتٍ لسفنهم في المحيط الهنديِّ، بعد أن قضَوا على القُوى البحريَّة الإسلاميَّة المؤلَّفة من (أساطيل عُمان وسلطنةِ المماليك في مصرَ والشَّام)، وبدأ منذُ ذلك الوقتِ الصِّراعُ الاستعماريُّ على جنوبِ الجزيرة العربيَّة وخليجِ العرَب .

---

(١) - والبرُتغالُ طلائعُ حركةِ الاستعمار في العالمِ العربيِّ.

(٢) - من كلمةِ (موريسكوي) القشتاليَّة، وتَعني (المواركة) أي: المغاربةُ المسلمون الذين تنصَّروا، أو المتنصِّرونَ الذينَ لا شأنَ لَهُم. وقد تنادَى النبلاءُ من الإسبانِ للدِّفاع عن هؤلاءِ الموريسكيِّين، هذِه الأقلِّيَّةِ المضطَّهدَة، وندَّد منهُم مفكِّرونَ وشعراء وأدباء بوحشيَّةِ الحكومةِ الإسبانيَّة، ودوَّنوا ذلك في مؤلَّفاتِهم التي تُرجِمَ أغلبُها إلى العربيَّة، منها كتابُ (تاريخُ الموريسكيِّين (مُسلمي الأندلُس)؛ حياةُ ومأساةُ أقلِّية): لمؤلِّفَيه (أنطونيو دومينغيث أوريث)الإسباني وزميلِه (بيرنارد فانسون) الفرنسيِّ، ترجمة: محمَّد بنياية، أبو ظبي، مشروع كلمة، ٢٠١٣م.

* – رابعاً: الاستيلاءُ النُّورمانديُّ علَى صِقِلِّيَّة:

كانت صِقلِّية وجنوبَ إيطاليا تابعَين لحكَّام تونُس المستقلِّين (الأغالِبة) في عهدِ الحكم الإسلاميِّ لها، ثمَّ لَّما حلَّت الدَّولةُ الفاطميَّةُ محلَّ الأغالبةِ أَضحَى النُّفوذُ للحكَّامِ الفاطميِّين، ولكنَّ الحُكمَ الحقيقيَّ كان بيَدِ بعضِ الأُسَرِ العربيَّة المستقلَّة استقلالاً ذاتيَّاً، غيرَ أنَّ المُنازعاتِ الأهليَّة نشِبَت فيما بينهُم منذُ القرنِ الرَّابع الهجريِّ/العاشر الميلاديِّ، وكان النُّورمان -وهُم جماعةٌ جرمانيَّة[1] – قد استطاعوا السَّيطرةَ على جنوبِ إيطاليا، واحتلَّ مَلِكُهم (روجر) مدينة (مِسِّينا)[2].

وفي أواخرِ القرنِ الخامسِ الهجريِّ، وبينَ سنتَي(١٠٧٢-١٠٩١م) استطاعَ النُّورمانُ السَّيطرةَ على جزيرة (صِقلِّية) في المدَّةِ نفسِها التي كان الزَّحفُ الإسبانيُّ والبرُتغاليُّ يتوغَّلُ فيها باتِّجاهِ المواقعِ الإسلاميَّة في الجنوبِ، أيْ قبلَ قيامِ الحمَلاتِ الصَّليبيَّة بِبضع سنينَ. وعلى الرُّغمِ من انحسارِ السِّيادة الإسلاميَّة السِّياسيَّة عن تلكَ الجزيرة، في خسارةٍ سبقَت خسارةَ الأندلُس، فإنَّ مظاهرَ الحضارةِ العربيَّة الإسلاميَّةِ بقيَت في (صِقِلِّية) طيلةَ العهدِ النُّورمانديِّ، فكانَت اللُّغة العربيَّةُ اللُّغةَ الرَّسميَّةَ، وكانت النُّقوشُ على النُّقودِ عربيَّةً إسلاميَّة، وكانَ التأريخُ هجريَّاً، وكذا سجلَّات الدَّواوين والبلاطِ كلُّها كُتبَت بالعربيَّة، حتَّى حلَّت محلَّها اللَّاتينيَّةُ في منتصفِ القرنِ الميلاديِّ الثَّالث عشرَ . وقد أثَّر المسلمونَ كذلكَ في الحياة الاجتماعيَّة بما أدخلوهُ من تغييرٍ على نظامِ الملكيَّة الزِّراعيَّة، وتشهدُ الكلماتُ العربيَّة الباقيةُ في لهجة صِقِلِّية على تأثيرِ العرب في الزِّراعة، وعنهُم اقتبسَ النُّورمانُ بعضَ الأنظمةِ الحربيَّة، وكانَ لهم أثرٌ ظاهرٌ في الفنون المعماريَّة كذلك.

*- **وخلاصةُ القول**: إذا كان القرنان الهجريَّان الأوَّلُ والثَّاني قَرنَي الاتِّساع العربيِّ الإسلاميِّ، فإنَّ القرنَ الهجريَّ الخامسَ كانَ زمنَ بدءِ التَّراجُع وتقلُّصِ المدِّ الإسلاميِّ.

---

(١) – النُّورمانديُّون أو النُّورمان (أهلُ الشَّمال): اسمٌ أطلِقَ على غُزاةِ الفَيكينغ القادمينَ بالبَحر من (اسكندنافيا)، والذين تدفَّقوا على أوروبَّة منذُ القرنِ الميلاديِّ الثَّامن، وكانَ منهُم (السُّويديُّون، والنَّرويجيُّون، والدَّانماركيُّون)، وانتظموا جميعاً فحاربوا مملكةَ الإفرَنج)فرنسا)، حتَّى تخلَّى لهم (شارل الثَّالث) عن المقاطعةِ التي حملَت اسمَهُم في شَمالِ غربي فرنسا (نورمَندي Normandy) منذُ ذلك اليوم.

(٢) – مِسِّينا (Messina): مدينةٌ إيطاليَّة قديمةٌ على مَضيقِ (مِسِّينا).

المبحثُ الثَّالث:
مَلامحُ الحضَارةِ في التَّاريخ الأَندلُسيّ

***- تمهيدٌ:**

في التَّاريخِ الوسيطِ محطَّاتٌ عديدةٌ تلاقَى فيها الشَّرقُ والغربُ، وجرَت بينهما أسبابُ التَّواصلِ الحضاريِّ في مناشِطِ الحياةِ ووجُوهِها، واستمرَّ هذا التَّواصلُ عبرَ العصورِ، يتبدَّى في كلِّ جيلٍ بما يناسِبُه، والذي يَعنينا من تلكَ المحطَّاتِ الآن(1)، ذلكَ اللِّقاءُ العربيُّ بالغربِ الأوروبيِّ على أرضِ الأندلُس، وما تولَّدَ عنهُ من ملامحَ حضاريَّةٍ ارتسَمَتْ على وجهِ التَّاريخِ العربيِّ.

والأندلُسُ التَّاريخيَّةُ في إسبانية اليوم(2)، في شبه جزيرة إيبيرية، دخلَها العربُ أيَّامَ الأمويِّ الوليدِ بن عبدِ الملك، على يدَي موسى بنِ نُصيرٍ وطارقِ بن زيادٍ، سنةَ (٩٢هـ/ ٧١١م)، واستمرَّ الحكمُ العربيُّ الإسلاميُّ فيها ثمانيةَ قرونٍ، حتَّى سقوطِ (مملكةِ غرناطة)، مملكةِ بني الأحمر، آخرِ معاقلِ العربِ في إسبانية، سنةَ (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م).

لم يكُن دخولُ العربِ إلى إسبانيةَ مجرَّدَ فتحٍ عسكريٍّ وصلَ إلى الشَّمالِ ثمَّ ارتدَّ إلى الجنوبِ، بل كانَ حدَثاً حضاريَّاً مهمَّاً تمازَجت فيه حضاراتٌ سابقةٌ كالرُّومانيَّة والقوطيَّة(3)، مع حضارةٍ جديدةٍ لاحقةٍ حملَها العربُ المسلمون، وأسفرَ هذا التَّمازُجُ عن إشراقةٍ أندلسيَّةٍ، ألقت بشعاعِها الحضاريِّ على الفكرِ الأوروبِّي المجاوِر و أثَّرت فيهِ، وتغلغلَت في حياةِ الإسبانِ تاركةً فيهم آثاراً عميقةً ما زالَت معالمُها ناطقةً إلى اليومِ. وفيما يأتي أهمُّ تلكَ الملامحِ الحضاريَّة:

---

(١) - اصطلحَ المؤرِّخون على تحديدِ محطَّاتِ هذا اللِّقاء بجسورٍ أو معابرَ جغرافيَّةٍ ثلاثةٍ، باعتبارِها أجلَى المناطقِ تفاعلاً وتأثُّراً بينَ الجانبَين، وهيَ: الأندلُس، ثم صِقلِّية، ثمَّ الشَّام.

(٢) - وهيَ اليوم (Andalucía)، منطقةٌ ذاتيَّةُ الحكم، تقعُ في جنوبِ إسبانية، من أصلِ سبعةَ عشرَ منطقةً ذاتِ حكمٍ ذاتيٍّ بمَملكةِ إسبانية.

(٣) - القوط (Goth): قبائلُ جرمانيَّة شرقيَّة، أرجحُ الآراء أنَّهم قدموا من إسكندنافيا إلى وسطِ وجنوبِ شرقِ القارَّة الأوروبِّية.

*- أوَّلاً: الملمَحُ السِّياسيُّ والإداريُّ:

يتوزَّعُ التَّاريخُ الأندلسيُّ -كما علِمتَ- بينَ عهدَين: عهدِ الأمويِّين الذي امتدَّ فيها من سنةِ (٩٢هـ/ ٧١١م) إلى (٤٢٢هـ/ ١٠٣١م)، حينَ بدأ عهدُ المالكِ والطَّوائفِ فيها إلى يومِ السُّقوطِ سنةَ (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م). ويَلحظُ الدَّارسونَ أنَّ الأندلسَ عموماً قد حظيَت بنظامٍ سياسيٍّ وإداري متطوِّرٍ عَن مثيلِه ومعاصرِه؛ إنْ في الشَّرقِ الإسلاميِّ أو في الغربِ المسيحيِّ.

فإذا عرَضنا لخطَّة (الوزارة) في قرطبةَ عاصمةِ الأندلسِ في عهدِ الأمويِّين، وجدنا أنَّها كانت متعدِّدة المناصِب، لها رئيسُ وزراءٍ يسمَّى (الحاجبَ)، وهو الذي يتَّصلُ بالحاكمِ الأعلى.

هذا التَّعدُّد في مناصبِ الوزراءِ لم يكن معهوداً في نظامِ الوزارةِ، في الشَّرقِ والغربِ، إذْ كانَت السُّلطةُ مجموعةً في يدِ وزيرٍ واحدٍ، وقلَّما يوجدُ وزيران، أمَّا في الأندلسِ فكانَ لكلِّ ناحيةٍ من نواحي الإدارةِ العامَّةِ (كالمال والتَّرسيل والمظالمِ والثُّغور) وزيرٌ مختصٌّ، وفوقَ هؤلاءِ الرِّئاسةُ العامَّةُ للوزارة، وهي (الحجابة) التي تختلفُ في دلالتِها عن الشَّرق، حيثُ كان الحاجبُ ذلكَ الشَّخصَ الواقفَ ببابِ السُّلطان. وكانَ في قصرِ الإمارةِ الأندلسيِّ بيتٌ خاصٌّ لانعقادِ مجلس الوزراءِ، في تنظيمٍ أشبهَ ما يكونُ بمجلسِ الوزراءِ الحديث[1]، وهي في هذا تخالفُ المعهودَ من نظامِ الوزارةِ في الشَّرق أو الغربِ في العصرِ الوسيطِ. ومن الطَّريف أنَّ وزير الماليَّة في الأندلُس كان يسمَّى في بعضِ الأحيانِ بـ(صاحبِ الأشغال)، وهي التَّسميةُ نفسُها المستعملةُ اليومَ في إسبانية[2].

وما يُقالُ عن الوزارةِ يُقالُ مثلُه في نظامِ (القضاء) في الأندلُس، فثمَّةَ فارقٌ جوهريٌّ بين منصِبِ (قاضي القُضاة) في الشَّرق و(قاضي الجماعة) في الأندلُس، فقاضي القُضاةِ في بغدادَ أو القاهرةِ هو قاضٍ للدَّولةِ كلِّها، ومَن سِواهُ من القضاةِ في الأقاليمِ والأمصارِ نوَّابٌ عنهُ، فهو المتصرِّفُ فيهم تعييناً وعَزلاً، ولهذا لقِّب وحدَه بـ(قاضي القضاة)، وما سواهُ (قاضي بلدِ كذا).

---

(١) – Cabinet of Ministers

(٢) – Ministro de Hacienda أي وزيرُ الأشغالِ، وتعني وزيرَ الماليَّة.

أمَّا قاضي الجماعةِ في الأندلُس فهو قاضي العاصمةِ قرطبةَ فقط، والمرادُ بـ(الجماعةِ) في اسمِه الجماعةُ المسلمةُ التي استقرَّت في العاصمةِ الجديدةِ قرطبةَ، ولذا كانَت سلطتُه قاصرةً عليها وعلى نواحيها فحسب، وبالتَّالي لم يكُن لهُ سلطانٌ على سائرِ القُضاةِ في كورِ الأندلسِ ومُدنِها الأخرى، فهُم على غرارِه مستقلُّون، وليسوا نوَّاباً عنهُ، أمَّا امتيازُه عنهُم فلا يجاوزُ النَّاحيةَ الأدبيَّة فقط، باعتبارِه قاضياً للعاصمةِ، ومستشاراً للخليفةِ، وإماماً للصَّلاة في أيَّامِ الجمُعةِ والأعيادِ، وعليه، نلاحظُ أنَّ اللَّامركزيَّةَ كانت طابعَ القضاءِ الأندلسيِّ، خلافاً للقضاءِ المشرقيِّ.

هذا، وقد عرفَ القضاءُ الأندلسيُّ (حقَّ الاستئناف)، فالخصمُ الذي لا يُرضيه حكمُ القاضي يستطيعُ التَّظلُّمَ أمام قاضٍ أخرَ يسمَّى (صاحبَ الردِّ)، فكان ينظرُ في القضيَّة كرَّةً أخرَى، فإذا وجدَ فيها مظلمةً ردَّها للقاضي، أو رفعَها للسُّلطان كي يصدرَ فيها حكمَه بعد استشارةِ (مجلسِ المَشُورة) الذي كان يضمُّ (قضاةَ الفُتيا)[1].

وإلى جانبِ القاضي في الأندلسِ كان (**صاحبُ الشَّرطة**)، وكانَ يَنظرُ ويَفصلُ في الجرائمِ السِّياسيَّة والمدنيَّة وجميعِ ما يتَّصلُ بحفظِ أمنِ البلادِ، فهو بمنزلةِ (قاضي الجناياتِ والمخالفاتِ) التي لا تدخلُ في اختصاصِ القاضي، لعدمِ تقيُّدِها التَّامِّ بأحكامِ الشَّرع، وقد رُؤيَ من بابِ السِّياسةِ تنزيهُ القاضي عن هذِه السُّلطةِ المدنيَّة، ووضعُها في يدِ شخصٍ أخرَ يكونُ عادةً من كبارِ القادةِ وعظماءِ الخاصَّة، ويسمَّى (صاحبَ الشِّرطة)، وكانَ نظامُ الشَّرطة في الأندلس موزَّعاً إلى (شرطةٍ كبرَى) تنظر في الجرائمِ التي يرتكبُها عِليةُ القومِ، و(شرطةٌ صغرى) تنظُر في الجرائمِ التي يرتكبُها عامَّةُ النَّاس[2]، ولا ريبَ أنَّ هذا النظامَ الطَّبقيَّ في المحاكماتِ يتنافى مع رُوحِ الإسلامِ، ويعدُّ من الأنظمةِ التي انفرَدت بها الأندلُس.

---

(١) - يبدو أنَّ ولايةَ الردِّ لم تكُن معهودةً إلَّا في المغربِ والأندلُس، ففقَهاء الشَّرق لم يأتوا على ذكرِها في تصانيفِهم، ولا سيَّما أبا الحسن الماورديِّ، لم يذكرها في كتابِه (الأحكام السُّلطانية). ويبدو كذلكَ أنَّ صاحبَ الردِّ كان يشبهُ وزيرَ الشِّكايات الذي ظلَّ يقومُ بدورِ الاستئنافِ في المغربِ إلى عهدٍ قريبٍ، صحيحٌ أنَّه وُجد في المشرقِ ديوانُ المظالِم، ولكن لم تكن لهُ صفةُ الثَّبات والدَّيمومة مثلَ ولايةِ الردِّ.

(٢) - انظُر: مقدِّمة ابن خلدون: ص٢٩٩و٣٤٠.

وكان يعاونُ صاحبَ الشَّرطةِ رجالٌ من (العسَس) الطوَّافين باللَّيل للحراسةِ، ويُعرفونَ بـ(الدَّابِّين)، ولا تزالُ عادةُ الحراسةِ اللَّيليَّة هذِه ماضيةً في إسبانية منذُ ذلك الحين.

وإلى جانبِ الشَّرطة كانَ نظامُ (الحِسبةِ) للإشرافِ على المعاملاتِ الجاريةِ في الأسواق، ومكافحةِ التَّعدياتِ فيها، إلى جانبِ الإشرافِ على الآدابِ العامَّة وأخلاقِ المجتمعِ، في المساجدِ والمدارسِ والحمَّاماتِ والأزقَّةِ والطُّرقات، ولعلَّ خيرَ دليلٍ على أهمِّية المحتسِب من النَّاحيةِ العمليَّة في الأندلس أنَّ ملوكَ إسبانية المسيحيِّين كانوا كلَّما استردُّوا إقليماً من المسلمينَ أبقَوا فيهِ المحتَسِبَ، ولهذا دخلَ لفظُ المحتسِب في اللُّغة الإسبانيَّة (Almotacén)، ويطلقُ على الوالي المكلَّف بضبطِ الموازينِ والمكاييل.

*- ثانياً: الملمَحُ الجُغرافيُّ والعُمرانيُّ:

إطلالةٌ على جغرافيَّةِ شبهِ جزيرةِ إيبيرية تُظهِرُ للدَّارسِ أنَّ حدودَها الطَّبيعيَّةَ تصلحُ تماماً لأن تكونَ حدوداً سياسيَّةً إداريَّةً، فسلاسلُ الجبالِ ووديانُ الأنهارِ التي تقطعُها في خطوطٍ معترضةٍ من الشَّرقِ إلى الغربِ وبالعكسِ، قد قسَّمتها إلى أقسامٍ طبيعيَّةٍ يسهلُ تحويلُها إلى وحداتٍ إداريَّةٍ وعسكريَّةٍ واضحةِ المعالِم. وبالتَّالي، لَم يكُن على المنظِّمِ الإداريِّ إلَّا أن يثبِّتَ حدودَ هذِه الوحَداتِ ويعيِّنَ قواعدَها، لكيلا يجدَ عُسراً في إدارتِها وجبايةِ ضَرائبِها، وهذا ما فعلهُ الرُّومانُ والقوطُ قبلَ الفتحِ الإسلاميِّ.

ثمَّ جاءَ المسلمونَ فأقرُّوا هذهِ التَّقاسيمَ الإداريَّة، لكنَّهم أسمَوها مُدُناً بدلاً من (Ciudades)[1]، وكُوراً - أي ولاياتٍ - عِوَضاً عن (Provincias)[2]، وألحقوا بها عدداً من المنشآتِ التي تطبعُها بالطَّابعِ الإسلاميِّ الخاصِّ، كالمساجدِ، وقصورِ الإمارةِ أو الخلافةِ، والأسواقِ، ونحوِ ذلك ممَّا يشاكلُ دينَ الدَّولةِ وتقاليدَها، وزادوا على ذلكَ باستحداثِ مدنٍ جديدةٍ اقتَضتها إقامتُهم في تلك البلاد، نذكرُ منها:

---

(١) - وتعني الإسبانيَّة: المدُن.

(٢) - وتعني بالإسبانيَّة: المحافظات.

١- الجزيرةُ الخضراءُ (Algeciras): بناها طارقُ بنُ زيادٍ بجوارِ جبلِ طارقٍ، وكانت تُعرفُ بجزيرةِ (أمِّ حكيمٍ) على اسمِ زوجتِه التي تركَها هناكَ أثناءَ قيامِه بفتح الأندلُس.

٢- جزيرةُ طَريف (Tarifa): غربَ الجزيرةِ الخضراءِ، على اسمِ (طريفِ بنِ مالكٍ) أحدِ قوَّادِ موسى بنِ نُصير، أغارَ على هذِه المنطقة، فسمِّيتْ باسمِه.

٣- قلعةُ أيُّوب (Calatayud): في شمالِ إسبانية، بناها (أيُّوب بنُ حبيبٍ اللَّخمي)، الذي وليَ الأندلسَ بعد مقتلِ ابنِ عمَّته (عبد العزيزِ بن موسى بن نُصيرٍ).

٤- مدينةُ سالم (Medinaceli): في شمالِ إسبانية، بناها القائد المغربيُّ (سالم المصمودي)، أحدِ قوَّادِ البربرِ الذين شاركوا في فتح الأندلس.

٥- تُطيلة (Tudela): على وادي الأبرو شمالَ إسبانية، بناها الأميرُ (الحكمُ بنُ هشامٍ) المعروفُ بالرَّبضي، وإليها يُنسَبُ الشَّاعرُ أبو العبَّاس القيسيُّ المعروفُ بـ(الأعمى التُّطيلي) (ت:٥٣٢ هـ/ ١١٢٧م).

٦- مُرسيَّة (Murcia): في شرقِ الأندلُس، بناها الأميرُ الأمويُّ (عبد الرَّحمن الأوسط)، سنةَ (٢١٦هـ/ ٨٣١م)، وإليها يُنسَبُ علماءُ كثُرٌ، مثل: ابن سِيدَه اللُّغويِّ صاحبِ (المخصَّص، والمحكَم والمحيطِ الأعظم) (ت:٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، والعالمِ الصُّوفيِّ ابنِ سبعين صاحبِ (الرَّسائل) (ت:٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)، وصاحب الردِّ العلميِّ المشهورِ على الإمبراطور (فريدريك الثَّاني)، والفيلسوفِ الصُّوفيِّ الأشهَر: محيي الدِّين بنِ عربيٍّ صاحبِ (الفتوحات المكِّية) (ت:٦٣٨هـ).

٧- مجْريط (Madrid): عاصمةُ إسبانية اليوم، بناها الأميرُ الأمويُّ (محمَّد بنُ عبد الرَّحمن الأوسط)، سنةَ (٢٣٨هـ-٨٥٢م)، ويُنسب إليها الرياضيُّ الفلكيُّ أبو القاسم مَسلمةُ المَجريطي (ت:٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م).

٨- المِرية (Almeria): قاعدةُ الأسطولِ الأندلسيِّ في شرقِ إسبانية، بناها المسلمونَ الأوائلُ، وازدهرَت في عهدِ الخليفةِ الأمويِّ (عبد الرَّحمن النَّاصر) سنةَ (٣٠٠هـ-٩١٢م)، وإليها يُنسَب (بنو ميمون)، قادةُ الأسطولِ الأندلسيِّ والمغربيِّ في عهدِ المرابطين والموحِّدين، والعالمُ الصُّوفيُّ أبو العبَّاس بنُ العريفِ صاحبُ (محاسنُ المجالِس) (ت ٥٢٦هـ/ ١١٤١م).

٩- سَهلة بني رَزين (Albarracin): شمالَ شرقِ مدريد، نسبةً إلى أُمراءِ بني رَزين المغاربةِ الذين حكموا تلكَ المنطقةَ.

ولا يفوتُنا أن نشيرَ إلى اسمِ (البرانس) الذي أُطلقَ على بعضِ جبالِ إسبانية الشَّماليَّة، وهو اسمٌ قديمٌ لكتلةِ البربر (البرانس) في المغرب، التي تنتمي إليها قبيلةُ (صنهاجة)، ويُضافُ إلى ما تقدَّم عددٌ كبيرٌ من الحصونِ والقصورِ والقُرى، ما زالَت أسماؤها العربيَّةُ والمغربيَّةُ حيَّةً إلى اليومِ في أراضي إسبانية.

هذا، ويُلاحَظ أنَّ كلًّا من الكُورِ والمُدنِ في الأندلس كانَ لها استقلالُها الإداريُّ عن العاصمةِ (قرطُبة)، وفي ذلك ما يدلُّ على أنَّ الأندلسيِّين لم يحرِصوا على نظامِ المركزيَّةِ في جهازِهم الإداريِّ، لأنَّ الطَّبيعةَ الجبليَّةَ للبلادِ تتأبَّى على المركزيَّةِ الإداريَّة.

فكانَ لولاةِ الكورِ وقادةِ المدنِ حظٌّ واسعٌ من النُّفوذِ المحلِّي وحرِّيةِ التَّصرُّف دونَ الرُّجوعِ إلى الحاكمِ العامِّ في قرطبة. ويمكنُ القولُ بأنَّ هذِه اللَّامركزيَّةَ ظلَّت صفةً مطَّردةً في تاريخِ إسبانية، الإسلاميِّ والمسيحيِّ، بوجهٍ عامٍّ حتَّى راهنِ عصرِها.

*- ثالثاً: الملمَحُ الاقتصاديُّ:

كانَتْ لِحضارةِ الأندلُسِ شهُرةٌ اقتصاديَّةٌ ذائعةٌ، تضافرَت على ذيوعِها هِمَمُ الأندلسيِّين في عُمومِ مَناحي الاقتصادِ؛ من صناعةٍ وتجارةٍ وزراعةٍ:

١ - الصِّناعةُ:

وكانَت متقدِّمةً على العمومِ في مدائنِ الأندلسِ، وتشكَّلت لكلِّ حرفةٍ فيها جماعةٌ أو طائفةٌ، سمِّيت بـ(الأصنافِ وأربابِ الصِّناعة)، وصارَ لكلِّ صنفٍ أو حرفةٍ رئيسٌ أو شيخٌ منتخَبٌ من أصحابِها، عُرف باسمِ (الأمينِ أو العَريف)، وكان هذا الأمينُ مسؤولاً عن طائفتِه وأهلِ حرفتِه، يُدافعُ عنهم ويمثِّلهم أمامَ حكومةِ السُّوقِ في المدينة؛ الماثلةِ بـ(المحتسِب)، فكانَ يُبلِغُه رأيَ طائفتِه في تكاليفِ السِّلعةِ المخصوصةِ بهم، وتسعيرِها للبيع، ويقومُ أيضاً بدورِ الخبيرِ الفنِّي في الخلافاتِ النَّاشبةِ بين أهلِ حرفتِه وعملائِهم حولَ السِّلعِ وأوصافِها، وكانَ رأيُه حجَّةً لدَى القاضي أو المحتسِب. وقد انتقل معنَى الأمينِ إلى اللُّغةِ الإسبانيَّة الحاليَّةِ بلفظِه (al Alamín)، واستمرَّت مهمتُّه قائمةً في بعضِ المدنِ المغربيَّة، وإن كان وجودُ النِّقابات العمَّالية الحديثةِ قد قلَّل من جدوَى منصِبه، وأدرجَه ضمنَ أعمالِ النِّقابة.

ويمكنُ القولُ: إنَّ الأصنافَ أو الطَّوائفَ الصِّناعيَّة في حضارةِ الأندلسِ تقاربُ نظامَ نقاباتِ الصُّنَّاع أو اتِّحادات العمَّال في أوروبَّة آنذاك، (النِّقابات Guilds)، أو (الشَّركات Corporations)، وتفترقُ عنها في أنَّها لا تشاركُ في إدارةِ المصالحِ العامَّةِ في المدينة، ولا تقومُ بدورٍ غيرِ دورِ التَّحكيم في المشكلاتِ المهنيَّة، ولم تعرِف في تاريخِها انقساماً كالذي ظهرَ في أوروبَّة الغربيَّة بينَ أصحابِ العملِ والعمَّال، الذي انتهى إلى نشأةِ جماعاتِ أصحابِ العملِ (الرأسماليّين)، وجماعاتِ العمَّال (البروليتاريا).

وفوقَ ذلك، فقد كفَلَت الحكومةُ في الأندلُس لعمَّالها حرِّيةً عريضةً في ممارسةِ أعمالِهم، ولم تتدخَّل إلَّا في بعضِ الصِّناعاتِ المحدودةِ التي تتطلَّبُ مزاولتُها الحصولَ على إذنٍ خاصٍّ، مثلَ: إنشاءِ الحمَّامات، وصنعَ الأسلحةِ، وسكَّ النُّقود، وتركيبَ الأدويةِ، والعملَ في دورِ الطِّراز (ألبسةِ الأمراء وأثاثِهم)، ونحوِها من صناعاتٍ تتَّصلُ بطبيعتِها بالمصلحةِ العامَّةِ أو بأمنِ الدَّولة.

أمَّا مواردُ الدَّولة الاقتصاديَّة فكانَت تقومُ على ضرائبَ مشروعةٍ وغيرِ مشروعةٍ لتمويلِ بيتِ المالِ العامِّ، ومنَ الضَّرائبِ المشروعة: الأموالُ الخارجيَّةُ المُجبَاةُ من الأراضِي الزِّراعيَّة،

وأموالُ الزَّكاة، والجزيةِ، وأموالُ مَن لا وريثَ لهُ، والعُشورُ أو الأعشارُ (وهي المالُ المُجبَى من تجَّار الفِرَنجِ الوافدين ببضائعهم إلى الموانئِ الأندلسيَّة، يدفعون عُشرَ قيمتِها)[1]، وضريبةُ التَّرتيب (وهي ضريبةٌ جديدةٌ فُرِضَت في الأندلسِ في عهدِ المرابطينَ، غرضُها ترميمُ الحصونِ والأسوارِ حول المدُنِ الرَّئيسة، يقومُ بسدادِها أهلُ هذِه المدُنِ المنتفعةِ بها).

وأمَّا الضَّرائبُ غيرُ المشروعةِ (وسمِّيت بالمُكوسِ أو المغارِم)، فهي ضرائبُ زائدةٌ نشأَت عن حاجاتٍ طارئةٍ وظروفٍ معيَّنة اضطَّرت معها الدَّولةُ إلى فرضِ ضرائبَ جديدةٍ، وكان بعضُها يُعطَى جبراً وإلزاماً، وسمِّي المُلزَمُ في الأندلسِ بـ(المستقبِل)، وسمِّي الإلزام (قَبالةً)، وبهذا اللَّفظِ دخلَ معنَى الضَّريبةِ في اللُّغةِ الإسبانيَّة (الضَّريبة Alcabala).

مِن حصيلةِ هذا الواردِ الماليِّ كانَت تتجمَّعُ ميزانيَّةُ الدَّولة (بيتُ المالِ)، ومنهُ كانَت تجري النَّفقاتُ المتنوعة؛ على الجيوشِ والشَّرِطة وقصرِ الخلافةِ والموظَّفين والدَّواوينِ والمُنشآتِ العامَّة، كالمساجِدِ والمُستشفياتِ والسُّجون، وتكاليفِ مياهِ الشُّربِ وتنظيفِ الطَّرائقِ والمسالِك والمصارفِ الصحِّيةِ وغيرِها. غيرَ أنَّ هذِه الخدماتِ الحكوميَّةَ لم تكُن ثابتةً ومطَّردةً، ممَّا اضطَّرَ بعضَ المدُنِ الكبيرةِ إلى الاعتمادِ على نفسِها في سدِّ حاجاتِها، ومِن هنا ظهرَ للمدُنِ موردٌ ماليٌّ آخرُ كانَ لهُ دورٌ مهمٌّ في تنميةِ الاقتصادِ، وهُو نظامُ (الحُبوسِ) المعروفِ في المشرِق باسمِ (**الوقف**)، وهو نظامٌ إسلاميٌّ يعني الأراضيَ والمؤسَّساتِ والدُّورَ التي تكونُ مُلكاً لشخصٍ، فيتنازلُ عن حقِّه في عائدِها أو دخلِها، ويجعلُه وقفاً محبَّساً بصفةٍ دائمةٍ على المؤسَّساتِ الدِّينية والعلميَّة والصحِّية ونحوِها من المنافعِ العامَّةِ.

ومع مرِّ العصورِ وتوالي الأجيالِ واتِّصالِ العُمرانِ وتوافرِ الموادِّ الخامِ النَّباتيَّةِ والمعدنيَّة أخذَت الصِّناعةُ الأندلسيَّةُ بالتَّطوُّرِ، بيدَ أنَّها ظلَّت في مستوَى الصِّناعةِ اليدويَّةِ على السَّائدِ في ذلكَ الزَّمان، وظلَّت هنالكَ سِلعٌ تُصنعُ في البيوتِ أو الحوانيتِ على نطاقٍ فرديٍّ، ولا نريدُ بسطَ الكلامِ في أنواعِ الصِّناعاتِ الرَّائجةِ والكثيرةِ آنذاك، ولكنَّنا نذكُرُ أهمَّها وأشهرَها:

---

(١) - **وانتقلَت هذِه الضَّريبةُ إلى اللُّغةِ الإسبانيَّة باسمِ**(sobretasa).

١- **صناعةُ المنسُوجاتِ**: ومنها الحريرُ بأنواعِه المختلفةِ، كالخَزِّ (ويصنعُ من حريرٍ وصوفٍ أو وبرٍ)، والإبريسَم (وهو حريرٌ خالصٌ)، والدِّيباج (وهو نسيجٌ حريريٌّ موشًّى بخيوطِ ذهبٍ أو فضَّة)، واشتهرَت صناعةُ الحريرِ لعنايةِ أهلِ الأندلسِ (ولاسيَّما أهلُ غرناطةَ Granada ومالقَة Malaga) بتربيةِ (دودة القَزِّ)، ووفرةِ أشجارِ التُّوتِ الحاضنةِ لها، وكانَ أكبرُ انتشارٍ لأنوالِ الحريرِ في مدينة المِرية، واشتهرَت إشبيليَةُ كذلكَ بصناعةِ الحُللِ الموشَّاةِ النَّفيسةِ ذاتِ التَّصاويرِ العجيبةِ، ومثلُها مدينةُ (سَرقُسطَة Zaragoza) في شمالِ إسبانية.

وكانَ للمنسوجاتِ الأندلسيَّةِ شهرةٌ ذائعةٌ في الأوساطِ الأوروبِّية الرَّاقية، ولا أدلَّ على ذلك مِن سيَرِ الملوكِ والبابواتِ والقادةِ الذين كانوا يحرِصونَ على اقتناءِ هذِه الملابسِ الثَّمينة، وما زالَت هنالكَ قطعٌ عديدةٌ من المنسوجاتِ الأندلسيَّةِ محفوظةٌ في المتاحفِ الدَّولية.

واشتهرَت الأندلسُ أيضاً بصناعةِ أنسجةِ الصُّوفِ، وذلكَ أنَّ قسوةَ المناخِ في شتاءِ إسبانية أملَت على الأندلسيِّين اهتماماً بمثلِ هذه الصِّناعة، وكانوا يستخدمونَ لهذا فراءَ السمُّور، وفراءَ الأرانبِ الجبليَّة، وشعرَ الماعزِ، واشتهرَت كلٌّ من (سَرقُسطَة، وقونقة Cuenca، وجنجالة Chinchilla)، بهذِه الصِّناعة.

أمَّا صناعةُ السجَّاد والبُسطِ والحصيرِ فأهمُّ مراكزها في شرقِ الأندلسِ، ومنها: (مُرسية Murcia، وبسطَة Baza)، ولعلَّ كلمةَ (الفومبرا Alfombra) الإسبانيَّة بمعنَى سجَّادةٍ أو بساطٍ جاءت من الكلمةِ العربيَّة (الخُمْرَة) أي الحصيرِ الصَّغير، أو لعلَّها من الحُمرَة، لغلبةِ اللَّونِ الأحمرِ على ألوانِ السُّجَّاد، على غرارِ البُسُطِ الفارسيَّة والمصريَّة في المشرِق.

٢- **صناعةُ السكَّر**: انتشرَت في الأندلسِ زراعةُ قصَبِ السُّكرِ وعصرِه وتصنيعِه، ثمَّ تصديرِه إلى العالمِ الخارجيِّ، وأهمُّ مراكزِ إنتاجِه وتصنيعِه: (غرناطة، ومالقة، و المنكَب Almunecar)، واستمرَّ إنتاجُ السكَّر في الأندلسِ حتَّى أواخرِ أيَّامِ المسلمينَ فيها، لدرجةِ أنَّ الإسبانَ أذِنوا لعددٍ كبيرٍ من الموريسكيِّين (المسلمينَ المُعاهَدين) المُشتغِلين بزراعةِ السكَّر بالبقاءِ في إسبانية، لكنَّهم رفضوا، وترتَّب على رحيلِهم تضاؤلُ كمِّية الإنتاج.

٣- **صناعةُ الورَق**: كانَ للأندلسِ إسهامٌ بالغٌ في صناعةِ الورقِ الجيِّد (الكاغِد) منذُ وقتٍ مبكِّر، سبقَتْ به أوروبَّة قروناً عديدةً، واشتهرَت بصناعتهِ كلٌّ من: (شاطبة Jativa، وبلنسية Valencia) في شرقِ الأندلُس.

٤- **صناعةُ الجلودِ**: وانتشرَت في الأندلسِ أيضاً الصِّناعاتُ الجلديَّة، ودبغُها على ضفافِ الأنهارِ، واختصَّت (قُرطبةُ Cordova) بشُهرةٍ عالميَّةٍ في ذلك، حتَّى نُسِبَت إليها مصطلحاتٌ إسبانيَّةٌ بهذا المعنَى، فأطلَقوا على صانعي الأحذيةِ كلمةَ (Cordonniero)[١]، وعلى الجلدِ القرطبيِّ نفسِه كلمةَ (Cordovan).

٥- **صناعةُ الزُّجاج**: أمَّا المصنوعاتُ الزُّجاجيَّة والخزَفيةُ فعُرِفَت بها (مالقة، والمرية).

٦- **صناعةُ الخشبِ**: وكانَت الشُّهرةُ فيه لمدينةِ (قرطاجنة Cartagena).

هذا إلى جانبِ المصنوعاتِ العاجيَّة المعروفةِ بدقَّتها وجمالِ زخارفِها على شاكلةِ أشخاصٍ أو حيواناتٍ، يُزيَّنُ بها الأثاثُ وبعضُ أدواتِ المنزِل، ويُقالُ: إنَّ كلمةَ العاج بالإسبانيَّة (مارفيل Marfil) مشتقَّةٌ من الأصلِ العربيِّ (ناب فيل).

٢- التِّجارةُ:

وما يقالُ عن شُهرةِ الأندلُسِ في الصِّناعة يُقالُ نظيرُه في ميدانِ التِّجارة، ولا سيَّما أنَّ الأندلسَ امتازَت بسواحلِها الطَّويلة وموانئِها العامرةِ، فهيَ تطلُّ على مياهِ البحرِ المتوسِّطِ والمحيطِ الأطلسيِّ شرقاً وغرباً وجنوباً، ولذا أطلَقوا عليها اسمَ (جزيرة الأندلُس)، إذْ لَم يُؤثَر عن العربِ أنَّهم استخدَموا مصطلحَ (شبهِ الجزيرةِ) في تصانيفِهم.

وتُعدُّ منطقةُ شرقِ الأندلسِ (ليفانتي Levante) في بلنسية (Valencia)، المطلَّةُ على البحرِ المتوسِّط أكثرَ الأقاليمِ الإسبانيَّة تعرُّباً، لأنَّ العربَ والإسلامَ أثَّرا فيها تأثيراً عميقاً، بدلالةِ أنَّ معظمَ أسماءِ أماكنِها عربيَّةُ الأصل، ويرجعُ ذلكَ إلى نشاطِ اليمنيِّين القُضاعيِّين الَّذين أسنَدَ إليهم

---

(١) – بالفرنسيَّة: (Cordonnier).

الأمويُّون حراسةَ هذه المنطقةِ وعمارتَها لِما لديهم من خبرةٍ ملاحيَّةٍ قديمةٍ في المشرِق، ولذا سمِّيت بـ(أرضِ اليمن) بمعنَى أنَّها عطيَّتُهم وإقطاعُهم. وتُعدُّ مدينةُ (المِرية Almeria) القاعدةَ التِّجاريَّةَ الرئيسةَ لهذا الإقليمِ، وقد امتلكَ تجَّارُها ثرواتٍ ضخمةً، حتَّى رويَ مثلاً أنَّ تاجراً استضافَ الحاجبَ (المنصورَ بنَ أبي عامرٍ) وجيشَه الذي يقدَّرُ بالآلاف مدَّة (١٤) يوماً.

وقد أَسهبَ الجغرافيُّون والرَّحالونَ في ذكرِ أهمِّ المنتجاتِ الأندلسيَّةِ المصدَّرةِ إلى الخارجِ، فذكروا منها: الملابسَ المطرَّزة، والأصوافَ، والأصباغَ، والحريرَ، والبسطَ الفاخرةَ، والورقَ السَّميك، والتِّين الفاخرَ المجفَّفَ، والخزَفَ المذهَّبَ، والزَّعفرانَ، وعصيرَ الكرومِ؛ حلالَهُ وحرامَهُ.

٣- الزِّراعةُ:

وازدهرَت الزِّراعةُ في الأندلسِ لِما وفَّرتُه طبيعتُها من مزارعَ وحدائقَ وبساتينَ خِصبةٍ وشهيرة، وكانَت تترابطُ فيما بينها بشبكةٍ من القنواتِ المائيَّة التي ما زالَت محتفظةً بأسمائِها العربيَّة في اللُّغة الإسبانيَّة، مثلَ: (السَّاقية Acequia بمعنَى الجدولِ الصَّغير، والنَّاعورة Noria، والبِقاع Vega)[1]، وأطلَقوا على القصورِ الملكيَّة الخَلَويَّة ذاتِ الحدائقِ والرِّياضِ اسمَ (المُنيات) جمعُ مُنيةٍ بمعنى المنتزَه، وقَد انتشرَت هذِه المُنياتُ حولَ قرطبة، وعلى ضفافِ الوادي الكبيرِ، وأشهرُها (منيةُ الرَّصافة)[2] التي ابتناها عبدُ الرَّحمن الدَّاخل في شمالِ قرطبة، و(منيةُ الزَّهراء) بناها الخليفةُ عبد الرَّحمن النَّاصر في شمالِ غَربِ قُرطبة، و(منيةُ الزَّاهرة) بناها الحاجبُ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ في شمالِ شرقِ قُرطبة، وفي مدينةِ (بلنسية Valencia) بَنى الأميرُ عبدُ الله بنُ عبدِ الرَّحمن الدَّاخل مُنيةً أُطلِقَ عليها اسمُ (الرَّصافة)، محاكياً بها قصرَ والدِه، وقد اشتُهِرت ضواحي (بلنسية) بأزهارِها ووُرودِها، وأشجارِ البرتقالِ التي تعطِّرُ جوَّها بأريجِها الزَّاكي، ومن هنا عُرِفَت بلنسية باسمِ

---

(١) – ومنها انتقلَت إلى اسمِ الولايةِ الأمريكيَّة (Las Vegas).

(٢) – انظرُ: نفحَ الطِّيب من غُصنِ الأندلُس الرَّطيب: للمَقَّرِي التِّلِمْساني: ٢/ ٦٦٤ فما بعدَها.

(مطيب الأندلُس)[1]. وفي هذا السِّياقِ نشيرُ أيضاً إلى (جنَّة العريفِ El-generalife) وهو اسمُ الحديقةِ الغنَّاءِ التَّابعةِ لقصر الحمراءِ في غرناطة (Alhambra)، ذلكَ القصرُ الذي أمسَى نموذجاً يُحتذَى في بناءِ القصورِ الملكيَّة وأشباهِها في أنحاءِ العالَمِ، وقد حافظَ الإسبانُ على القصرِ وحدائقِه الغنَّاءِ المُزدانةِ بألوانِ الورودِ وأصواتِ المياهِ[2].

واشتُهِرت كذلكَ في الأندلسِ زراعةُ أنواعٍ مختلفةٍ من الخضراواتِ والفاكهةِ، حتَّى إنَّ كثيراً من أسمائها دخلَ في اللُّغة الإسبانية، مثلَ: (الباذنجان Berenjenas، والخرشوف Alcarchofa، والسِّلق Acelga، والزَّيتون Aceituna، والزَّعفران Azafran، والأرُز Arroz، والسُّكَّر Azucar، والنَّارنج Naranja، والبطِّيخ السّندي Sandia)، وغيرِها.

ولا بدَّ للباحثِ أن يُشيدَ بالجهودِ والإضافاتِ التي أَغنَى بها الأندلسيُّونَ علومَ الزِّراعةِ، إذْ صنَّفوا فيها كتباً علميَّة عديدةً، وأجرَوا عليها تجاربَ تطبيقيَّةً أفادَت منها نظُمُ الزِّراعةِ والعلاجِ الطَّبيعيِّ في العالمِ، فمِنهُم مَن عدَّ أسماءَ النَّباتاتِ والأشجارِ جزءاً من لغةِ العربِ فدوَّنها في المعاجمِ، كصنيعِ العالمِ الأندلسيِّ الضَّرير أبي الحسن بنِ سِيده (ت:٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) في كتابِه (المُخصَّص)، ومنهم من اهتمَّ بالنباتاتِ الطبِّية التي تُستخرجُ منها الأدويةُ والعقاقيرُ، كضياءِ الدِّين المالقي المعروفِ بابنِ البيطارِ (ت:٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م) في كتابِ (الجامعِ لمفرداتِ الأغذيةِ والأدوية)، ومنهُم مَن كتبَ عن النَّبات من حيثُ زرعُه ونموُّه وتسميدُه وحصادُه، أي ما يسمَّى

---

(١) – ولا تزالُ (بلنسية Valencia) اليومَ تحتفظُ ببعضِ ما تبقَّى من نظمِ المسلمينَ المتعلِّقة بسقايةِ هذه البساتينَ، كـ(محكمةِ المياه Tribunal de Las Aguas)، التي تُعقَدُ عند بابِ الكاتدرائيَّة في السَّاعةِ العاشرةِ ظهرَ كلِّ خميسٍ، وتتألَّف هيئةُ المحكمةِ من خبراءٍ بشؤونِ الرِّيِّ، يمثِّلون نواحيَ مدينةِ (بلنسية)، ويرأسُها مندوبٌ من الحكومةِ، فإذا دقَّت السَّاعةُ الثَّانيةَ عشرةَ قامَ الحاجبُ يعلنُ افتتاحَ الجلسةِ، وينادي أصحابَ الظُّلامات، وبعد المناقشةِ والمداولةِ يُصدِرُ الرَّئيسُ حكمَهُ، وحكمُهُ مُلزِمٌ لا يقبلُ المناقشةَ أو الاستئنافَ، وهذا عينُ ما كان يحدُث قديماً أيَّام المسلمينَ عند بابِ المسجدِ الجامعِ في ذاتِ موضعِ الكاتدرائيَّة اليوم.

(٢) – وقد عبَّر عن ذلك الشاعرُ الإسبانيُّ المعاصرُ (فيديريكو جارسيا لوركا Federico Garcia Lirca) (ت:١٩٣٦م) في عنوانِ إحدى قصائدِ ديوانِه الشَّهير (ديوان التَّماريت): (غرناطةُ الَّتي تبكي)، كنايةً عن وفرةِ أمواهِها.

بـ(الفِلاحة)، كالعالِمِ الإشبيلي أبي زكريَّا يحيى بنِ العوَّام (ت:٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) في كتابِه (الفِلاحةُ في الأرَضين).

وهكذا، تَرى أنَّ حضارةَ الأندلسِ قد انطبعَت بجمالٍ طبيعيٍّ، تحكيهِ الورودُ والأزهارُ والأشجارُ، حتَّى صارَ ذلك نزعةً في طِباعِ أهلِها، تلمسُ ذلكَ في أفنيةِ بيوتِهم (Patios) وباحاتِها المزدانةِ بالنَّوافيرِ وألوانِ النَّباتِ، وفي صحونِ المساجدِ العامرةِ بأشجارِ اللَّيمونِ والبرتقالِ، وفي قصائدِ الشُّعراءِ الأندلسيِّين الطَّافحةِ بأوصافِ الطَّبيعةِ الخالبةِ، وفي مؤلَّفات العلماءِ عن الفلاحةِ والأعشابِ الطبِّيةِ، بل حتَّى في أصولِ قوانينِها وتشريعاتِها المتماشيةِ مع الميولِ الطَّبيعيةِ في النَّاسِ والأشياءِ نحوَ الجمالِ ومظاهرِه[1].

*- رابعاً: الملمَحُ العلميُّ:

والحديثُ فيهِ متشعِّبٌ وطويلٌ، ذو مادَّةٍ غزيرةٍ، تجدُها مبسوطةً فيما سَلِمَ لنا من تُراثٍ أندلسيٍّ، ولا سيَّما كتُبُ التَّراجمِ والفهارِس، وكذا الكتبُ والرَّسائلُ التي تروي فضائلَ أهلِ الأندلُس، ككتاب (فضائل الأندلس) لأبي محمَّد بنِ حزمٍ الأندلسيِّ (ت:٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، وكرسالتِه إلى الحسنِ بن الرَّبيب القيرواني، ضمن (رسائلِ ابنِ حزمٍ)، ورسالةِ أبي الوليد الشِّقُندي[2] (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) إلى يحيى بنِ المعلِّم الطَّنجي، ورسالةِ لسانِ الدِّين بنِ الخطيبِ الأندلسيِّ (ت:٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م) في مفاخراتِ (مالقة وسلا)، وفي كتابِه (الإحاطة في أخبارِ غرناطة)، ورسائلِ عليِّ بن سعيدٍ المغربيِّ (ت:٦٨٥هـ/ ١٢٦م)، وكلُّها أورَدها المَقَّرِي التِّلِمْساني (ت:١٠٤١هـ) في موسوعتِه (نفحُ الطِّيب من غُصنِ الأندلُسِ الرَّطيب).

وقد أهدَت الأندلُس للعالمِ عدداً كبيراً من العلماءِ والفقهاءِ والأدباءِ والشُّعراء والمؤرِّخين والأطبَّاء وغيرِهم، وكلُّهم أغنى حركةَ الفكرِ الإنسانيِّ؛ الشَّرقيِّ والغربيِّ معاً، بما ورَّثوهُ من تصانيفَ ورسائلَ في كلِّ أبوابِ العلومِ، نذكرُ منهُم ستَّةَ أعلامٍ على سبيلِ التَّمثيلِ لا الحصر:

---

(١) – راجع كتاب: نفح الطِّيب من غُصنِ الأندلُس الرَّطيب: للمَقَّرِي التِّلِمْساني، ففيهِ حديثٌ وافٍ في هذا الباب.

(٢) – من أهلِ شِقُنده (Segunda) في الأندلُس.

١- الفقيهُ الظَّاهريُّ أبو محمَّد عليُّ بنُ حزمٍ القُرطبيُّ الأندلسيُّ (ت:٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م): أظهرَ أصالَته واعتزازَه بنفسِه ووطنِه في كتاباتِه التي سبقَ ذكرُها آنِفاً، وأبدعَ في كتابِه الأشهرِ (طوقُ الحمامةِ في الأُلفة والأُلَّافِ)، تناولَ فيه صفةَ (الحبِّ) ومعانيَه وأسبابَه وأعراضَه، في طرحٍ بديعٍ يجانبُ ما كتبَه الأقدَمون من أشعارِ الغزلِ ومألوفِ الأشواقِ، في محاولةٍ منهجيَّةٍ مستقلَّةٍ تَحكي نُضجَهُ وأصالتَه. ولا بدعَ أن اهتمَّ الأوروبِّيون بهذا الكتابِ، فقد رأوا فيهِ أوَّلَ دراسةٍ نفسيَّةٍ تحليليَّةٍ لعاطفةِ الحبِّ والمحبِّين، وترجَموه إلى لغاتٍ عديدةٍ. أمَّا كتابُه (الفِصَلُ في المِلَلِ والأهواءِ والنِّحَلِ)، فهو موسوعةٌ نقديَّةٌ في مقارنةِ الأديانِ والمذاهبِ والفرَقِ الدِّينيةِ المختلفةِ، ويَلحَظُ الدَّارسونَ أنَّ هذا النَّوعَ من الدِّراسات (تاريخَ الأديانِ ومقارنتَها) لم يوجد في أوروبَّة إلَّا في القرنِ الماضي، وفي هذا برهانٌ على أصالةِ هذا الكتابِ وإسهامِه في توليدِ مثلِ هذه الدِّراسات.

٢- أبو مروانَ بنُ حيَّان القُرطبيُّ (ت:٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م): صاحبُ لواءِ علمِ التَّاريخ في الأندلُس، وأفصحُ النَّاس فيهِ كلاماً، وأحسنُهم لهُ تنسيقاً، عُدَّ أعظمَ مؤرِّخٍ أنجبَته إسبانية الإسلاميَّة والمسيحيَّة في العصرِ الوسيط، فقد ثبَت من الأخبارِ والماجَرياتِ التي أوردَها في كتابَيه (المقتبَس في تاريخ الأندلُس (١٠ مجلَّدات)، والمبينُ في تاريخ الأندلُس (وهو أوسعُ من المقتبَس) أنَّه على درايةٍ واسعةٍ ومعرفةٍ دقيقةٍ بجميعِ ما اتَّصلَ بتاريخِ الأندلُسِ وتاريخِ الممالكِ الإسبانية المسيحيَّة، إضافةً إلى جوانبَ عديدةٍ من التَّاريخِ الفرنسيِّ فيما وراءَ جبالِ البُرتاتِ[1]. والحقُّ أنَّ تصانيفَ ابنِ حيَّان بالنِّسبةِ للباحثينَ المحدَثين بمنزلةِ خزانةٍ علميَّةٍ للتُّراثِ الإسبانيِّ العربيِّ العريضِ والمديدِ، بكلِّ صورِه وخفاياه، فلا يسعُ أيَّ باحثٍ في تاريخ الأندلسِ تخطِّيها أو الاستغناءُ عنها.

٣- الطَّبيبُ الجرَّاحُ أبو القاسمِ خلفُ بنُ عبَّاسٍ الزَّهراوي القرطبيُّ (ت:٤٠٣هـ/ ١٠١٣م): يَعدُّه الغربُ اليومَ أشهرَ من ألَّف في الجراحةِ من العرب[2]، واشتُهِرَ عندهم

---

(١) وهي اليومَ جبالُ البرانس (Pyrenees)، سلسلةٌ تقعُ جنوبَ غربِ أوروبَّة، تفصلُ بين إسبانية وفرنسة.

(٢) - بحسَب دائرة المعارف البريطانيَّة: Encyclopedia Britannica: Article: (Abu al-Qasim)

باسمِ (Abulcasis)، ويعني(Abu-alqasim Al-zahrawi)، ويعدُّ كتابه (التَّصريف لمن عجِزَ عن التَّأليف) موسوعةً طبِّية فريدةً مزوَّدةً برسومِ الأدواتِ الجراحيَّة، وبها كانَ الزَّهراويُّ أوَّلَ من جعل الجراحةَ عِلماً قائماً بذاتِه، على أساسٍ من علمِ التَّشريح، وقد تُرجِمَ الكتابُ في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشرَ الميلادي إلى اللَّاتينية والعبريَّة. ولم يقفِ الأمرُ عندَ أبي القاسمِ الزَّهراوي، بل كانَ في إشبيليةَ لأسرةِ (بني زُهر) عموماً شهرةٌ وزعامةٌ ومؤلَّفاتٌ في عالمِ الطبِّ على عهدِ المُرابطين والموحِّدين، حتى صارَ اسمُ ابنِ زُهرٍ الأندلسيِّ (ت:٥٢٥هـ/ ١١٣١م) علَماً معروفاً في الأوساطِ العلميَّة الأوروبِّية باسم (Avenzoar) أو (Ibn Zuhr)، ومن أشهرِ مؤلَّفاتِه الطِّبيَّة (لطُّرَر، والخواصُّ، والأدويةُ المفرَدة، وغيرُها)[١].

٤- الفقيهُ[٢] الفيلسوفُ أبو الوليدِ محمَّدُ ابنُ رشدٍ القُرطبيُّ (الحفيدُ)[٣] (ت:٥٩٥هـ/ ١١٩٨م): اشتُهِر في الغربِ بشروحِه لكتُبِ أرسطو، وصارَت فلسفتُه تدرَّسُ في جامعاتِ أوروبَّة، في باريس وإيطالية، حتَّى بلغَ من حبِّ الأوروبِّيين لشروحِه أن تخيَّلوا أرسطو بعمامةٍ على غرارِ ابنِ رشدٍ، لِما امتازَتْ كتاباتُه بعُمقِ التَّحليلِ وقوَّةِ الشَّرحِ وأمانةِ التَّرجمة، ومن ثَمَّ، أطلَقوا عليه اسمَ المعلِّم الأكبر، وأسمَوهُ (Averroes)، وقد وضعهُ الشَّاعرُ الإيطاليُّ (دانتي) في ملحمتِه الشِّعرية (الكوميديا الإلهية) في منطقةِ (اللِّمبو Limbo)، بين الفردوسِ والجحيمِ، أو ما يُعرَفُ بـ(أهلِ الأعرافِ) في الإسلامِ، وألحقَ بهِ (ابنَ سينا) من المشرِق، تقديراً لأعمالِهم، وترجمَ الاسكتلنديُّ (ميخائيل سكوت Michael Scot) (ت:١٢٣٥م) أعمالَ ابنِ رشدٍ إلى اللَّاتينية في مدرسةِ (طليطلة)، بينَ سنتَي (١٢٢٥- ١٢٣٥م)، ووصلَت ترجماتُه إلى الجامعة الفرنسيَّة بباريس سنةَ (١٢٥٠م)، فكان أوَّلَ من أدخلَ فلسفةَ ابنِ رُشدٍ إلى أوروبَّة[٤].

---

(١) - انظُر: Encyclopedia Britannica: Article: (Ibn Zuhr)

(٢) - اشتهرَ فقيهاً من خلالِ كتابِه (بدايةِ المجتهد).

(٣) - هو محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن رشد المالكيُّ، جدُّه الفقيه المالكيُّ (ابن رشدٍ) (ت:٥٢٠هـ)، وهي السَّنةُ التي ولدَ فيها الحفيدُ الفيلسوف.

(٤) - انظُر: Encyclopedia Britannica: Article: (averroes)

٥- الشَّاعرُ الضَّرير مقدَّمُ بنُ معافَى القَبريُّ (ت:٣٩٩ هـ/ ٩١٢م): نسبةً إلى بلدةِ (قَبرة Cabra) من أعمالِ قُرطبة، أَوَّلُ من ابتكرَ فنَّ الموشَّحات، ذلكَ الفنُّ الذي عُدَّ ثورةً في الشِّعر العربيِّ، وحركةً من حركاتِ التَّجديد التي حرَّرته من قواعدِ العروض[1]، وفي هذا السِّياق نذكرُ الشَّاعرَ أبا بكرٍ محمَّد بنَ قزمانَ الأصغرَ القُرطبيَّ (ت:٥٠٧ هـ/ ١١١٤ م)[2] مبتكرَ فنِّ الأزجال، وكانَ يتغنَّى به في الأسواقِ بمساعدةِ بعضِ الآلاتِ وجَوقةٍ من المنشدينَ، ويَلحَظُ النقَّادُ أنَّ الموشَّح والزَّجلَ فنٌّ شعريٌّ واحدٌ مع فارقٍ أساسٍ هو أنَّ لغةَ الموشَّح عربيَّةٌ صميمةٌ ما خلا الجزءَ الأخيرَ منهُ، وهو (الخرجةُ)، فيكونُ باللُّغة الإسبانية أو العامِّية الأندلسيَّة، أمَّا لغةُ الأزجالِ فهي كلُّها باللُّغةِ العامِّية الدَّارجةِ على ألسنةِ العامَّة، تتخاللُها كلماتٌ وعباراتٌ من عُجمةِ أهلِ الأندلُس، ويُلاحظُ أيضاً أنَّ هذه الأغنيةَ الشَّعبيةَ الأندلسيَّة ذاتَ الخرجةِ الأوروبِّية وما تطوَّر عنها من زجلٍ بعد ذلكَ لم تؤثِّر في الشِّعر العربيِّ فحسبُ، بلْ في الشِّعر الأوروبِّي كذلك، الذي أخذَ بالظُّهور في جنوبِ أوروبَّة أواخرَ القرنِ الخامسِ الهجريِّ/ الحادي عشر الميلاديِّ، وكان ينشدُه المغنُّون الجوَّالون المعروفونَ باسمِ (التروبادورز Troubadours) في جنوبِ فرنسة، و(الجوغلارس Juglares) في شمالِ إسبانية، ويُقالُ أيضاً: إنَّ الأغانيَ التي كان يغنِّيها الإسبانُ في أعيادِ الميلادِ باسمِ (Villancico) هي في الأصلِ زجَلٌ أندلُسيٌّ[3].

٦- الوزيرُ المؤرِّخُ[4] الأديبُ لسانُ الدِّين بنُ الخطيبِ الغرناطيُّ (ت:٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م): وصلَت كتاباتُه ومواعظُه ونصائحُه إلى ملوكِ عصرِه من المسلمينَ والمسيحيِّين، وتركت فيهم أثراً أدبيَّاً وأخلاقيَّاً كبيراً، وكثيراً ما كانوا يستجيبونَ لها، فتنجحُ بذلكَ معظمُ أهدافِه السِّياسيَّة باعتبارِه وزيراً، وأشهرُ ما يُذكرُ هاهُنا نصائحُه التي أرسلَها إلى ملكِ قشتالة (Castille) الإسبانيِّ (بيدرو

---

(١) - انظُر: أبجد لعلوم: للقِنَّوجي: ١/ ٣١٢، وأزهار الرِّياض: للمقَّرِّي التِّلِمساني: ١/ ١٧٦و١٨٩.

(٢) - انظُر: المُغرِب في حُلى المَغرب: ابن سعيد المغربي (ت:٥٦٢هـ): ١/ ١٠٠ فما بعدها.

(٣) - انظُر: صلة الموشَّحات والأزجال بشعرِ التروبادورز: عبد الهادي زاهر: ص٢٤.

(٤) - لهُ في التَّاريخ: الإحاطة في أخبار غرناطة، رقم الحُلَل في نظم الدُّول، نُفاضَةُ الجِراب، معيارُ الاختيار في ذكرِ المعاهد والدِّيار، واللَّمحةُ البدريَّة في الدَّولة النَّصريَّة. ولهُ ديوانُ شعرٍ.

الأوَّل)[1]، وقد أوردَها بالإسبانيَّة المؤرِّخُ الإسبانيُّ القديم (بيدرو لوبيز دي أيالا Pedro López de Ayala) (ت:١٤٠٧م)، في مدوَّنته عن (حوليَّات ملوكِ قشتالة). ويقولُ المؤرِّخ الإسبانيُّ المعاصر (استيفان دي جاريباي) في كتابِهِ (مختصر تاريخ ممالكِ إسبانية): (إنَّ القيمَ الأخلاقيَّة التي اتَّسمَت بها مواعظُ هذا المسلمِ ابنِ الخطيبِ تفوقُ في قيمتِها ما كتبَه سينكا[2] وغيرُه من فلاسفةِ الرُّواقيِّين الأقدَمين)[3].

*- خامِساً: الملمَحُ القَوميُّ:

تحدَّرَ العربُ في الأندلُسِ من قبائلَ مختلفةٍ، فكانَ منهمُ: العدنانيُّون (من هاشمِّيين وأمويِّين)، واليمنيُّون (كقبائلِ كهلان والأزد)، وانضمَّ إلى هؤلاءِ في الفتحِ مصريُّون وشاميُّون وعراقيُّون، وجمعٌ غفيرٌ من البربرِ، ثمَّ امتزجَ هؤلاءِ جميعاً ببعضِ أهلِ البلادِ من قوطٍ وإسبانيِّين (رومان كاثوليك) وغيرِهم، إمَّا بالمصادقةِ أو بالمصاهرةِ.

ولم تلبثِ العصبيَّةُ القديمةُ التي كانَت ظاهرةً في المشرقِ أن عصفَت بأهلِ المغربِ والأندلسِ، وعملَت فيهم عملَها، فكانَ إذا تولَّى القيسيُّ الأمرَ نكَّلَ باليمنيِّين وقرَّب القيسيِّين، وإذا تولَّى الأمرَ يمنيٌّ نكَّل بالقيسيِّين وأعلى شأنَ اليمنيِّين، حتَّى سالَت من جرَّاءِ ذلكَ دماءٌ في كلِّ مقاطعةٍ، إلى أن اصطلَحوا أخيراً على أن تكونَ الولايةُ مسانهةً؛ أي في القيسيَّة سنةً، وفي اليمنيَّةِ مثلُها. وكانت القوميَّاتُ التي سادَت أرضَ الأندلُس أربعاً، ويُلحقُ بهم صنفٌ خامسٌ:

١- **العرَبُ**: وكانوا يشكِّلون الطَّبقة الأرستقراطيَّة، لغلبَتِهم على الإسبانِ والبربرِ، ولسابقتِهم في الإسلام، وسيادةِ لغتِهم المكرَّمةِ والمقدَّمةِ على ما سِواها.

٢- **البَربَرُ**: وهم كالعربِ في البداوةِ والإسلامِ والعصبيَّةِ القبليَّةِ والنَّخوةِ، وكانوا كذلكَ صِنوَهم

(١) - توفِّي سنةَ (١٣٦٦م)، وعُرِفَ باسم (بيدرو الرَّهيب أو القاسي).

(٢) - ويُعرف بـ (سينكا الأصغر Lucius Annaeus Seneca minor)، فيلسوف رواقيٌّ رومانيٌّ، قديمٌ شهير، (ت: ٦٥م).

(٣) - انظُر: مدوَّنة ملوك قشتالة: ١/ ٤٩٣، نقلاً عن: نحو قراءةٍ عربيَّةٍ للتَّاريخ والحاضر: مجموعةُ أبحاث في كتاب، طبعَتْهُ في الأردنِّ مؤسَّسةُ عبد الحميد شومان، ٢٠٠٧م: ص٦٧و٧٤.

في مُنازلةِ الشَّدائدِ والحروبِ.

٣- الإسبانُ: وهم مسيحيُّونَ كاثوليك، يرَونَ أنَّ البربرَ والعربَ دُخلاءُ عليهِم، وأنَّهم أحقُّ بمُلكِ بلادِهم، باعتبارِهم الأقدمَ وجوداً فيها.

٤- المُولَّدونَ في الأندلُس: وهُم نتاجُ تزاوجِ العربِ بالبربرِ، أو العربِ بالإسبانيَّات والصَّقالبة، ولعلَّ الدَّاعيَ الأبلغَ لمثلِ هذا التَّزاوجِ أنَّ قوامَ الجيشِ الفاتحِ كان من الرِّجالِ النَّازِحين من المشرقِ الذين قطَعوا مسافاتٍ مضنيةً حتَّى وصلوا إلى الأندلُس، فكانَ طبيعيَّاً ألَّا يصحبهُم عددٌ وافٍ من النِّساء، فاضطرَّتهم الحاجةُ إلى استزواجِ الإسبانيَّات ونساءِ البربرِ واستيلادِهنَّ، فتمخَّضَ عن هذِه الزِّيجاتِ جيلٌ مولَّدٌ بينَ العربيَّة والبربريَّة، أو بينَ العربيَّة والإسبانيَّة، يُشبهُ ما كانَ في المشرقِ من تزاوجٍ بين العربِ والفارسيَّات، على أنَّ كثيراً من أهلِ البلادِ الإسبانِ قد اعتنقَ الإسلامَ، وتكلَّم العربيَّةَ، بل تعصَّبَ لها مقابلَ لغتهِ الأصليَّة وديانتهِ السَّالفة.

٥- المُستَعرِبون (Mozárabes): وهم إسبانٌ مسيحيُّون ظلُّوا على ديانتِهم، لكنَّهم تعرَّبوا بدراسةِ اللُّغة العربيَّةِ وآدابِها وثقافتِها، واتَّخذوا الأسماءَ والطِّباعَ العربيَّة.

وهكذا كانَت إسبانية بعد الفتحِ الإسلاميِّ مزدحمةً بالقوميَّاتِ والأجناسِ المختلفةِ، وكانَ من الطَّبيعي أن تتَّصل هذه العناصرُ ببعضِها؛ إنْ بالمصاهرةِ أو المجاورةِ أو المحاربة، كما أسلفنا، وأن يُسفرَ هذا التَّواصلُ عَن تبادلِ الطَّبائعِ والعاداتِ والثَّقافاتِ على ما بينها من تنوُّعٍ وتباينٍ في بعضِ الوجوه. وعليه، تعاورتْ ثقافاتٌ مختلفةٌ على بناءِ الحضارةِ الأندلسيَّة، وتنوَّعت روافدُ التَّأثيرِ فيها في كلِّ أدوارِها، فكانَ منها مؤثِّراتٌ مشرقيَّة (شاميَّةٌ وحجازيَّةٌ ومصريَّةٌ وعراقيَّةٌ) ظلَّت تنزعُ إلى وطنِها الأمِّ، وأخرَى مغربيَّةٌ إفريقيَّةٌ تنزعُ إلى بلادِها في المغربِ والسُّودان، وثالثةٌ محلِّيةٌ أوروبِّيةٌ بحكمِ البيئةِ النَّاشئةِ فيها.

وثمَّةَ اعتبارٌ آخرُ في تنوُّعِ روافدِ التَّأثير، وهو أنَّ موقعَ الأندلُسِ الجغرافيِّ في الأطرافِ الغربيَّةِ البعيدةِ للعالمِ الإسلاميِّ، وفي جوارِ الغربِ المسيحيِّ في قلبِ أوروبَّة، جعلَ الأندلُسَ في مواجهةٍ مستمرَّةٍ مع الدُّولِ اللَّاتينيةِ هناك، ومن ثَمَّ، كانَ أهلُ الأندلسِ أعرفَ من غيرِهم من دولِ الإسلامِ بالغربِ، وأكثرَهم تأثُّراً وتأثيراً فيهم، ولا سيَّما أنَّ الحياةَ الإسلاميَّة في الأندلُسِ لم

تعرفِ الانفصالَ الجغرافيَّ أو العنصريَّ أو الحضاريَّ بين المُسلمينَ والمسيحيِّين، بل كانوا يحيَونَ حياةً مشتركةً، اختلطَ فيها الوافدونَ مع أهالي البلادِ الأصليِّين.

وعلى الرُّغم مِن أنَّ ما أخذَته الأندلسُ من أوروبَّة كان أقلَّ مما منحتَها إيَّاهُ من ثقافةٍ ومعارفَ، فإنَّ الطَّبيعةَ الجغرافيَّةَ والأوروبيَّةَ لأرضِ الأندلس، وكذا التَّداخلُ المستمرُّ بين الإسلامِ والمسيحيَّةِ في شبهِ جزيرة إيبيرية، قد طبَعا حضارةَ الأندلسِ بطابعٍ فريدٍ، وملمَحٍ قوميٍّ خاصٍّ، فكانَت الحضارةُ الأندلسيَّةُ وفقَ هذا المنظورِ حضارةً إسلاميَّةً عربيَّةً إسبانيَّةً معاً، ومن غيرِ الموضوعيِّ أن نسمِّيها بغيرِ هذِه التَّسمياتِ الثَّلاثِ مجتمعةً، وعلى هذا الأساسِ يستقيمُ لنا القولُ بأنَّ حركةَ الفتحِ العربيِّ والإسلاميِّ لإسبانية كانت استمراراً لدَورٍ حضاريٍّ سابقٍ، وتطويراً لهُ وإغناءً، بسببِ انفتاحِها على الحضارةِ الإسبانيَّة الأوروبيَّة عندَ الفتحِ وبعدَه.

*- يقولُ المؤرِّخُ الفرنسيُّ غوستاف لوبُون (Gustave le Bon ت:١٩٣١م): (أبدعَ العربُ في العصرِ العبَّاسيِّ حضارةً أينعَت فيها الآدابُ والعلومُ والفنونُ، وبلغَت الذُّروة، وأصبحَت إسبانيةُ في عهدِ الأمويِّين أنضرَ مقرٍّ للحضارةِ العربيَّة، وكان يقصدُ جامعاتِ العربِ في طُليطلةَ وغرناطةَ وقرطبةَ طالِبو العلمِ من جميعِ أُممِ الأرضِ على اختلافِ مِلَلِهم ونِحَلِهم، وقد كانت بغدادُ في الشَّرق، وقرطبةُ في إسبانية - وهما القاعدتان اللَّتان كان السُّلطان فيهما للإسلامِ - من مراكزِ الحضارةِ التي أضاءَت العالمَ بنورِها الوهَّاج أيَّامَ كانت أوروبَّةُ غارقةً في دياجيرِ الهمجيَّة)[1].

*- ويقولُ المؤرِّخُ الأمريكيُّ وِل ديورانت (William James Durant ت:١٩٨١م): (لم تَنعَمِ الأندلُسُ طوالَ تاريخِها بحُكمٍ رحيمٍ عادلٍ كما نَعِمَت بهِ في أيَّامِ الفاتحينَ العرَب، ذلكَ حكمٌ يُصدرُه مستشرقٌ مسيحيٌّ عظيمٌ قد يتطلَّب تحمُّسه شيئاً من التَّقليلِ من ثنائِه، لكنَّ هذا الحكمَ بعد أن تُنقِصَ منهُ ما عساهُ أن يكونَ فيهِ من التحمُّسِ يظلُّ مع ذلكَ قائماً صَحيحاً)[2].

---

(١) - انظُر: حضارة العرَب: غوستاف لوبون: ص١٥٩-١٦٠.

(٢) - انظُر: قصَّة الحضارة: وِل ديورانت: ٢٣/ ١٦٥.

ويقولُ: (وكانَ الحكَّامُ الأندلسيُّون قد أطلَقوا لغيرِ المسلمينَ جميعِهم على اختلافِ أديانِهم حرِّيةَ العبادةِ، وإذا كان اليهودُ الذين اضطَّهدَهُم القوطُ الغربيُّون أشدَّ الاضطهادِ قد ساعدوا المسلمينَ في فتوحِهم، فقد ظلُّوا يعيشونَ من ذلكَ الوقتِ إلى القرنِ الثَّاني عشرَ مع المسلمينَ الفاتحينَ في أمنٍ ووِئامٍ، وأثْرَوا وبرَعوا في العلومِ والمعارِف، وارتقَوا في بعضِ الأحيانِ إلى مناصبَ عاليةٍ في الحكومةِ، وكذلكَ المسيحيُّون فقد ظفِروا بنجاحٍ عظيمٍ، وكان المسيحيُّون من رجالِ الدِّين وغيرِ رجالِ الدِّين يَفِدون بكاملِ حرِّيتهِم وهُم آمِنونَ من جميعِ أنحاءِ أوروبَّة المسيحيَّة إلى قُرطبة أو طُلَيطلة أو إشبيلية طلَّاباً للعلمِ، أو زائرينَ، أو مُسافرينَ)[1].

*- وتقولُ الباحثةُ الإسبانيَّةُ المعاصِرةُ (مارغريتَّا لوبيز غوميز Margarita Lopez Gomez)[2]: (أعطى الإسلامُ - الذي كانَ قد خلقَ توافقاً واندماجاً بين حضارتَين متضادَّتَين باستنادِه على فكرِه الكونيِّ وصفةِ التَّسامحِ لمفهومِه الدِّينيِّ وباعتمادِه على قدرتِه الهائلةِ في التَّمثُّلِ والإبداعِ وميلِه المتميِّز إلى التَّجريبِ والاختبارِ - ثماراً عظيمةً في بلادِ الأندلسِ التي شهِدَت أهمَّ اندماجٍ عرقيٍّ وحضاريٍّ بين الشَّرقِ والغرب، وكانت قرطبةُ في القرنِ الرَّابعِ الهجريِّ/ العاشرِ الميلاديِّ أيَّام عبدِ الرَّحمنِ الثَّالث والحكمِ الثَّاني عاصمةَ الإسلامِ السِّياسيَّةَ الأكثرَ سطوعاً في ذلك الوقت، والأكثرَ تحضُّراً في ذلك الوقتِ، كما يُشيرُ المؤرِّخُ المشهورُ رامون مِنِنْدِث بيدال[3]. وشيئاً فشيئاً تحقَّقَ من بلادِ الأندلسِ تواصلٌ حضاريٌّ بين العالَمَين المتصارعَين، وكانت تربةُ شبهِ الجزيرةِ الإيبيريَّة مثالاً لذلك التَّواصلِ الذي شملَ قارَّة أوروبَّة برمَّتِها)[4].

---

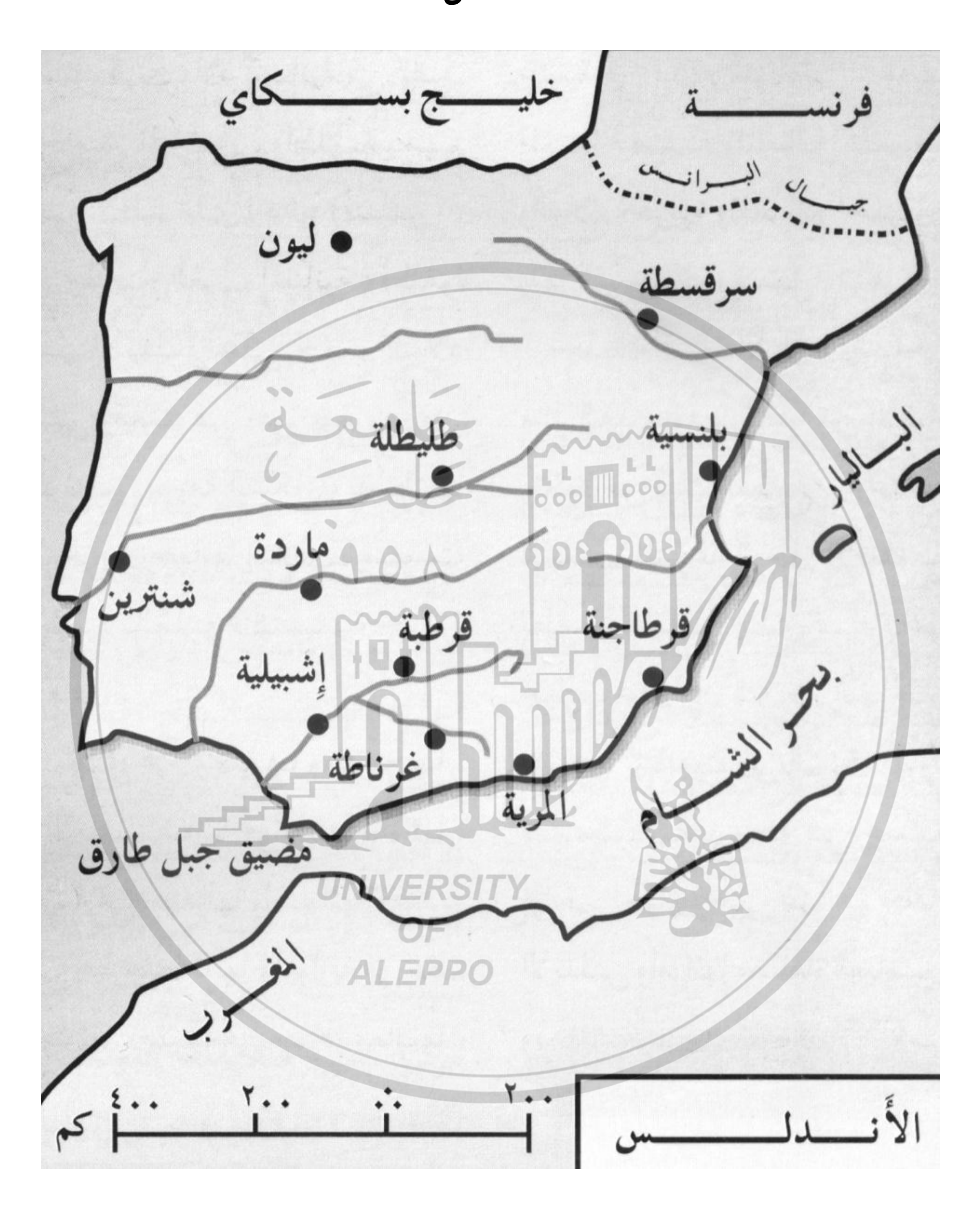
(١) - المصدر السَّابق: ٢٣/ ١٦٩-١٧٠.

(٢) - مديرةُ قسمِ التَّاريخ والفنِّ في المعهد الغربيِّ للثقافة الإسلاميَّة في مدريد، منذُ ١٩٨٥م.

(٣) - رامون مِننِدث بيدال Ramón Menéndez Pidal: مؤرِّخٌ ولغويٌّ إسبانيٌّ شَهير (ت:١٩٦٨م).

(٤) - انظُر: إسهاماتٌ حضاريَّةٌ للعالِم الإسلاميِّ في أوروبَّة عبر الأندلس: مارغريتَّا لوبيز غوميز: (مقالةٌ مخطوطة). وحريٌّ بنا هاهُنا أن نُحيل إلى كتابٍ مهمٍّ بالإسبانيَّة عَرَضَ لحضارة الإسلام في الأندلُسِ عرضاً شاملاً، للمُستشرق الهولنديِّ (رينهارت.دوزي Reinhart Dozy ت:١٨٨٣م)، عنوانُه: (تاريخ المُسلمين في إسبانية)، وكانَ قد طُبع في إسبانية في(١٨٧٧م)، ثمَّ تَرجمهُ حديثاً: حسن حبشي، بعنوان (المُسلمونَ في إسبانية)، وطُبع في الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب سنةَ٢٠٠٢م.

* الأندلُس *


خليج بسكاي
فرنسة
جبال البرانس
ليون
سرقسطة
طليطلة
بلنسية
البليار
ماردة
شنترين
قرطبة
قرطاجنة
إشبيلية
غرناطة
المرية
بحر الشام
مضيق جبل طارق
المغرب
UNIVERSITY OF ALEPPO
٢٠٠
٠
٢٠٠
٤٠٠
كم
الأندلس

*****

* قوائمُ أسماءِ الحكَّامِ الأندلسيِّين *

وفيما يأتي سَردٌ لأسماءِ الأُمراءِ والمُلوكِ الذين تعاوَروا على أَرضِ الأندلُس في زَمانها الإسلاميِّ:

* أمراءُ بني أميَّة في الأندلُس	* خلفاءُ بني أميَّة في الأندلُس
عبد الرَّحمن الأوَّل (الدَّاخل/ صقر قريش) (١٣٨هـ-٧٥٦م)	عبد الرَّحمن الثالث (النَّاصر) (٣٠٠هـ-٩١٢م)
هشام الأوَّل (العادل) (١٧٢هـ-٧٨٨م)	الحكَم الثَّاني المستنصرُ (٣٥٠هـ-٩٦١م)
الحكَم الأوَّل (١٨٠هـ-٧٩٦م)	هشام الثَّاني المؤيَّد (٣٦٦هـ-٩٧٦م)
عبد الرَّحمن الثَّاني (٢٠٦هـ-٨٢٢م)	محمَّد الثَّاني المَهديُّ (٣٩٩هـ-١٠٠٩م)
محمَّد الأوَّل (٢٣٨هـ-٨٥٢م)	سليمان المُستعينُ (٤٠٠هـ-١٠٠٩م)
المقتدِر (٢٧٣هـ-٨٨٦م)	محمَّد الثَّاني "مرَّةً ثانية" (٤٠٠هـ-١٠١٠م)
عبد الله بن محمَّد (٢٧٥هـ-٨٨٨م)	هشام الثَّاني "مرَّةً ثانية" (٤٠٣-٤٠٧هـ-١٠١٣-١٠١٦م)
	سليمان المُستعين "مرَّةً ثانية" (٤٠٣-٤٠٧هـ-١٠١٣-١٠١٦م)
	عبد الرَّحمن الرَّابع المُرتَضى (٤٠٩هـ-١٠١٨م)
	عبد الرَّحمن الخامس المُستظهِر (٤١٤هـ-١٠٢٣م)
	محمَّد الثَّالث المُستكفِي (٤١٤هـ-١٠٢٤م)
	هشام الثَّالث المُعتدُّ (٤١٨-٤٢٢هـ-١٠٢٧-١٠٣١م)
*** الدَّولةُ الزِّيريَّةُ (بَنو مَناد) في غَرناطَة**	
زاوي بن زِيري الصُّنهاجي البَربَري (٤٠٣هـ-١٠١٢م)	عبد الله بن سَيف بُلُقِّين بنِ باديس (٤٦٦هـ-١٠٧٣م)
حَبُوس بنُ ماكسن الصُّنهاجي (٤١٠هـ-١٠١٩م)	تميم بن بُلُقِّين (٤٨٣هـ-١٠٩٠م)
أبو مَناد باديس بن حَبُوس المظفَّر (٤٣٠هـ-١٠٣٨م)	
*** دولةُ بني حمُّود في مالقَة[1]**	
عليّ بن حمُّود بن ميمون النَّاصر (٤٠٧هـ-١٠١٦م)	حسَّان المُستنصِر (٤٣١هـ-١٠٣٩م)
القاسم المأمُون (٤٠٨هـ-١٠١٨م)	إدريس الثَّاني العلي (٤٣٤هـ-١٠٤٢م)
يحيى المُعتَلي (٤١٢هـ-١٠٢١م)	محمَّد الأوَّل المهديُّ (٤٣٨هـ-١٠٤٦م)
القاسم "مرَّةً ثانية" (٤١٣هـ-١٠٢٢م)	إدريس الثَّالث الموفَّق (٤٤٤هـ-١٠٥٢م)

(١) – مالقَة (Málaga): تقعُ في جنوبِ إسبانيا، أو فيما يُعرفُ اليومَ بالأندلُس الإسباني (أندلُسيا)، ذي الحكمِ الذَّاتي. أمَّا (بنو حمُّود) فيَنتَمون إلى الأدارسَة الحسَنيِّين الذينَ ثاروا على الدَّولةِ العبَّاسيَّة واستقلُّوا في شَمالِ إفريقيَة.

يحيى "مرَّةً ثانية" (٤١٦هـ-١٠٢٥م)	إدريس الثَّاني "مرَّةً ثانية" (٤٤٥هـ-١٠٥٣م)
إدريس المُتأيِّد (٤٢٧هـ-١٠٣٥م)	محمَّد الثَّاني المُستَعلي (٤٤٦-٤٤٩هـ-١٠٥٤-١٠٥٧م)
*** مُلوكُ دانْية[١] (العامِريُّون)**	*** الدَّولةُ العامريَّةُ في بَلنسِيَة**
مجاهدُ بنُ يوسُف العامريِّ (٤٠٨هـ-١٠١٧م)	عبد العزيز المَنصور (٤١٢هـ-١٠٢١م)
عليّ إقبال الدَّولة بنُ مجاهد (٤٣٦-٤٦٨هـ-١٠٤٤-١٠٧٥م)	عبد الملك المظفَّر (٤٥٣-٤٥٧هـ-١٠٦١-١٠٦٥م)
*** الدَّولةُ التُّجيبيَّةُ والهُوديَّةُ في سَرقُسْطَة[٢]**	أبو بكر بن عبد المَلك (٤٦٨هـ-١٠٧٥م)
منذرُ المنصورُ بن مطرِّف بن يحيى التُّجيبي (٤١٠هـ-١٠١٩م)	عثمان بن أبي بكر (٤٧٨هـ-١٠٨٥م)
يحيى بن المظفَّر بن مُنذر (٤١٤هـ-١٠٢٣م)	*** دَولةُ بني عبَّاد في إشبيليَة[٣]**
المُنذر بن يحيى (٤٢٠هـ-١٠٢٩م)	أبو القاسم محمَّد الأوَّل بن إسماعيل (٤١٤هـ-١٠٢٣م)
سليمان المُستعين بن هُود (٤٣١هـ-١٠٣٩م)	أبو عمرو عبادُ المعتضِد (٤٣٤هـ-١٠٤٢م)
أحمد سيف المُقتدِر بن هُود (٤٣٨هـ-١٠٤٦م)	أبو القاسم محمَّد الثَّاني المعتمِد (٤٦١-٤٨٤هـ-١٠٨٨-١٠٩١م)
يوسُف المؤتمَن بن أحمد (٤٧٤هـ-١٠٨١م)	*** الدَّولة الجَهْوَريَّة في قُرطبة**
أحمد المُستعين بن يوسُف (٤٧٨هـ-١٠٨٥م)	أبو الحزم جَهْورُ بنُ محمَّد (٤٢٢هـ-١٠٣١م)
عبد المَلك بن أحمد (٥٠٣هـ-١١٠٩م)	أبو الوليد محمَّد بن جَهْوَر (٤٣٥هـ-١٠٤٣م)
أحمد يوسُف بن عبد الملك (٥١٣-٥٣٦هـ-١١١٩-١١٤١م)	عبد الملك بن محمَّد (٤٥٠-٤٦١هـ-١٠٥٨-١٠٦٨م)
*** دَولةُ بني ذي النُّون في طُلَيطِلَة[٤]**	*** دَولةُ بَني الأفطَس في بَطَلْيوس[٥]**
إسماعيل الظَّافر (٤٢٧هـ-١٠٣٥م)	عبد الله بنُ مَسلمَةَ التُّجيبيِّ (ابنُ الأفطَس) حتَّى(٤٣٧هـ-١٠٤٥م)
يحيى المأمون بن إسماعيل (٤٢٩هـ-١٠٣٧م)	المظفَّر أبو بكر محمَّد بنُ عبد الله (٤٣٧هـ-١٠٤٥م)
يحيى القادِر بن إسماعيل بن مأمون(٤٦٧-٤٧٨هـ-١٠٧٤-١٠٨٥م)	عمر المتوكِّل بن محمَّد (٤٦٠هـ- ١٠٦٨م)
*** دَولةُ بني حمُّود في الجزيرةِ الخضراء[٦] :**	
محمَّد المَهديُّ (٤٣١هـ-١٠٣٩م)	القاسِم الواثِق (٤٤٠-٤٥٠هـ-١٠٤٨-١٠٥٨م)

---

(١) - دانية (Dania)مدينةٌ على الشَّاطئِ الإسبانيِّ، أقصى شرقِ الأندلُس.

(٢) - سَرقُسطَة أو زاراغوزا (Zaragoza) عاصمةُ إقليم (الأراغون) وسطَ شرقِ إسبانيا.

(٣) - إشبيلية (Sevilla)، وهي اليومَ في جنوب إسبانية.

(٤) - طُلَيطِلَة (Toledo)، عاصمةُ إقليم قَشتالَة أو (كاستيلا) في وسطِ إسبانية.

(٥) - بَطَلْيوس: (Badajoz)، مقاطعةٌ إسبانيَّةٌ تقعُ غربَ إسبانية، على حدودها مع البُرتغال.

(٦) - الجزيرةُ الخضراء(Algeciras)، إحدَى بلديَّات مقاطعة (قادس Cádiz)الواقعَة في إقليم الأندلس الإسبانيِّ (أندلُسيا) جنوبَ إسبانية.

* الدَّولةُ النَّصريَّةُ (بنو الأحمَر) في غَرناطَة	
محمَّد الأوَّل الغالب (٦٢٩هـ-١٢٣٢م)	محمَّد الثَّامن (٨٢٠هـ-١٤١٧م)
محمَّد الثَّاني (٦٧١هـ-١٢٧٣م)	محمَّد التَّاسع (٨٣١هـ-١٤٢٧م)
محمَّد الثَّالث (٧٠١هـ-١٣٠٢م)	محمَّد الثَّامن "مرَّةً ثانية" (٨٣٣هـ-١٤٢٩م)
ناصر أبو الجُيوش (٧٠٨هـ-١٣٠٩م)	يوسُف الرَّابع (٨٣٥هـ-١٤٣٢م)
إسماعيل الأوَّل أبو الوَليد (٧١٣هـ-١٣١٤م)	محمَّد الثَّامن "مرَّةً ثالثة" (٨٣٥هـ-١٤٣٢م)
محمَّد الرَّابع (٧٢٥هـ-١٣٢٥م)	محمَّد العاشر (٨٤٨هـ-١٤٤٤م)
يوسُف أبو الحجَّاج (٧٣٣هـ-١٣٣٣م)	المُستعين (٨٤٩هـ-١٤٤٥م)
محمَّد الخامس (٧٥٥هـ-١٣٥٤م)	محمَّد العاشر "مرَّةً ثانية" (٨٥٠هـ-١٤٤٦م)
إسماعيل الثَّاني (٧٦٠هـ-١٣٥٩م)	المُستعين "مرَّةً ثانية" (٨٥٧هـ-١٤٥٣م)
محمَّد السَّادس أبو سعيد (٧٦١هـ-١٣٦٠م)	عليّ أبو الحسَن (٨٦٦هـ-١٤٦١م)
محمد الخامس مرة ثانية (٧٦٣هـ-١٣٦٢م)	محمَّد الحادي عشَر أبو عبد الله الصَّغير (٨٨٧هـ-١٤٨٢م)
يوسُف الثَّاني (٧٩٣هـ-١٣٩١م)	عليّ أبو الحسَن "مرَّةً ثانية" (٨٨٨هـ-١٤٨٣م)
محمَّد السَّابع (٧٩٤هـ-١٣٩٢م)	محمَّد الثَّاني عشَر (٨٩٠هـ-١٤٨٥م)
يوسُف الثَّالث	محمَّد الحادي عشَر "مرَّةً ثانية" (٨٩٢-٨٩٧هـ-١٤٨٦-١٤٩٢م)
أبو الحجَّاج النَّاصر (٨١٠هـ-١٤٠٧م)	

*****


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

الفَصلُ الرَّابعُ

التَّاريخُ المَغارِبيُّ




جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

تمهيدٌ:

مقدِّماتٌ لفَهمِ تاريخ الدُّويلاتِ النَّاشئة في التَّاريخ الإسلاميّ

*- أوَّلاً: ملامحُ الدُّويلات النَّاشئةِ بنَحوٍ عامّ:

في حُدودِ نظرةٍ شُموليَّة (بانوراميَّة) لا تَخلو مِن استثناءاتٍ مَعدودةٍ مَحدودةٍ، يَستقيمُ لنا رَصدُ ملامحَ عامَّةٍ لتاريخِ الدُّويلاتِ النَّاشئة في أزمنةِ الدُّول الإسلاميَّة المركزيَّة الكُبرى، ونَعني الدَّولتَين الأمويَّة والعبَّاسيَّة، ولعلَّ الأهمَّ والأظهرَ مِن بَين تلكَ الملامحِ أمورٌ ثلاثة:

١ - **التفكُّك السِّياسيُّ**: إنَّ تفكُّك الدَّولة العربيَّة الإسلاميَّة كان بلا ريبٍ دليلَ تدهورٍ في النَّاحية السياسيَّة، إذْ قيمةُ أيِّ دولةٍ وقوَّتُها تكونان بمقدارِ تماسُكها السِّياسيِّ ووَحدَتِها، وهذا التفكُّكُ الذي أصابَها مع فُقدانِ ما بين أجزائِها من تعاونٍ أدَّى إلى ضعضَعَتِها وتَهاويها أمامَ الضَّرباتِ الأجنبيَّة .

٢- **الحُكم الاستِئثاريُّ**: وذاكَ أنَّ كثيراً مِن الدُّويلاتِ الصَّغيرة التي نشَأَت أيَّامَ الدُّول المركزيَّة الكُبرى لا ترتكزُ على أَساسٍ قويٍّ في البلادِ التي تولَّتها، فاضطُرَّ رؤساءُ هذه الدُّول إلى اعتمادِ مبدأ القوَّة والاستئثارِ لتأييدِ حُكمِهم، وأرهَقوا الشُّعوبَ بعديدٍ من الضَّرائب لزيادةِ دَخل حُكوماتِهم، ومِثلُ هذا الحُكمِ يَعسُرُ دوامُهُ إلَّا أن يكونَ القائمُ عليهِ مِن ذَوي الكفاءة النَّادرة والشَّخصيَّة المقتدِرَة، فإذا ما مالَتْ همَّتُه نحوَ الفُتور سَرَى الانحلالُ في جِسمِ الدَّولة كلِّها، ومِن ثَمَّ، فإنَّ جُلَّ هذه الدُّول لَم تُعمِّر طويلاً، وسقطَت تاركةً البلادَ في فوضًى اقتصاديَّةٍ وسياسيَّة.

٣- **التَّقدُّم الحضاريُّ**: لا يَسَعُ المطَّلعَ على حضاراتِ تلكَ الدُّول النَّاشئةِ إلَّا أن يُقرَّ لها بِوجودِ حركةٍ حضاريَّةٍ عديدةِ الوجوه، متفوِّقةٍ في بعضِ الأحيان، ثمَّ لا يلبَثُ أن يَلحظَ أنَّ التَّنافسَ الحضاريَّ في جميعِ المناشِطِ الإنسانيَّة (المادِّيَّة والفكريَّة) كان ديدنَ دولٍ كثيرةٍ فيما بينَها، ومِن ثَمَّ خلَّفَ هذا السَّعيُ والتَّنافسُ تُراثاً حضاريَّاً للدُّولِ الإسلاميَّة اللاحقةِ، ولكنَّ هذا التقدُّمَ الحضاريَّ ما لَبِثَ أَنْ بَهُتَ وزَالَ أَمامَ الوافدِ الأجنبيِّ، ربَّما لِعدَمِ وجودِ قوَّةٍ سياسيَّةٍ تَصونُه.

*- ثانياً: مدخلٌ إلى التَّأريخ المغاربيِّ:

لا ينبغِي للنَّاظرِ في هذا البابِ أن يَعزُبَ عن ذهنِه - قُبيل وقوفِه على أسماءِ الدُّولِ الحاكمةِ في تاريخ المغربِ الإسلاميِّ - أنَّ تاريخَ المغربِ امتازَ بعددٍ من الظَّواهر مازَتْهُ مِن تواريخ غيرِه من سائرِ بلادِ الإسلام:

١- **أوَّلها**: طولُ مدَّة الفتح: فقد استغرَقَ إتمامُ فتحِ المغربِ في عُهودِ الإسلامِ الأُولى فَتحاً عامَّاً شاملاً نحوَ سبعينَ سنة، كلُّها حُروبٌ عنيفةٌ أبدَى العربُ والبربرُ فيها من ضُروبِ البَسالةِ ما يجعلُ هذا الفتحَ في ذاتِه ملحمةَ شَعبَيْن:

- الشَّعبِ العربيِّ المناضِل المُصرِّ على إدخالِ الشَّعب البربريِّ كلِّه في الإسلام.

- والشَّعبِ البربريِّ الذي أَبى الخُضوعَ للفاتحين العرَب.

وطالَ الصِّراعُ بين العربِ والبربرِ حتَّى أخذَ العربُ والإسلامُ معاً بنَواصي البَربرِ وأَدخَلُوهم في الدِّين.

٢- **والظَّاهرةُ الثَّانية**: هي أنَّ طولَ الصِّراعِ علَّمَ كِلا الجانبَين احترامَ الآخر، ثمَّ إنَّ طولَ أَمدِ الحربِ كانَ كفيلاً بأن يعرِّفَ البربرَ فضائلَ الإسلام، فأَخذوا يُسلِمون رُوَيداً رُوَيداً على طول مراحلِ الفتحِ الإسلاميِّ، وقُربَ النِّهايةِ كانت أعدادٌ كبيرةٌ جدَّاً من البربرِ قد أسلمَت وأخذَت مكانَها في جيوشِ الفتح، واشتركَ الاثنانِ معاً في فتحِ الأندلُس.

هذه الظَّاهرةُ مِن تاريخِ الإسلامِ تُفضي بِنا إلى استجلاءِ واحدةٍ من أَظهرِ ملامحِ وخَصائصِ تاريخِ المغربِ الإسلاميِّ، وهي أنَّ فتحَهُ وإسلامَه كانا كاملَين، إذْ لَم تبقَ في أراضيهِ بعدَ تمامِ الفتحِ أيُّ أقلِّيَّةٍ غيرِ إسلاميَّة، ولعلَّ النَّاظرَ في التَّاريخِ المغاربيِّ الذي نَعرضُ لهُ في هذا الكتابِ، أو المبسوطِ في كتبٍ أخرَى، يُدركُ حقيقةَ هذِه الخصيصةِ في تاريخِ المغربِ العربيِّ، وأنَّه آلَ إلى وحدةٍ دينيَّةٍ، بل مذهبيَّةٍ أيضاً، إذ أَمسَى عُمومُ المغربِ العربيِّ من حُدودِ مصرَ الغربيَّة إلى المُحيط، ومن البحرِ المتوسِّط إلى مشَارفِ إفريقيَة المداريَّة والاستوائيَّة أرضاً إسلاميَّةً على المذهبِ السُّنِّي.

سِيرةُ السِّياسَةِ في التَّاريخ المَغارِبيِّ

حَكمَ المغربَ العربيَّ دولٌ أو دُويلات، امتدَّ سلطانُ بعضِها إلى الأندلُس وصِقلِّية، وأسَّس بعضُها عدَّةَ نزَلاتٍ إسلاميَّةٍ على سواحلِ البحرِ الأبيضِ، كبني الأَغلَب والأدارسةِ والمُرابِطين والمُوحِّدين وبَني مَرِينَ وغيرِهم[1].

١- الأدارِسَةُ (المغرِب) :

ظهرَ من العلَويَّةِ في المغربِ رجلٌ جليلٌ اسمُهُ (إدريسُ بنُ عبدِ الله بنِ الحسنِ المثنَّى بنِ الحسَنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ)[2]، اتَّخذ حِزباً قويَّ الشَّوكةِ، واستولَى على (تِلِمْسانَ)[3] وجميعِ المغربِ الأقصى، وأسَّسَ مدينةَ (فاس)[4] ومَسجدَها ودُورَ كُتُب.

لبثَ الأدارسةُ في الحكمِ (٢٠٣ مائتَي سنةٍ وثلاثَ سنينَ وشهرَين) تقريباً، من (١٧٢هـ-٧٨٨م) إلى (٣٧٥هـ-٩٨٥م)، وكان عمَّالُهم بالمغرب من (السُّوسِ الأقصَى) غرباً إلى مدينة (وَهران)[5] شرقاً، وقاعدةُ مُلكِهم مدينةُ (فاس)، فكانوا بذلكَ أوَّلَ دولةٍ تستقلُّ عن الخلافةِ العبَّاسيَّةِ القائمةِ بالمَشرِق، وأوَّلَ دولةٍ علَويَّةٍ في تاريخِ الإسلامِ، ونازعَهم المُلكَ في المغرِبِ دَولتان عظيمتان؛ دولةُ العُبَيديِّين بإفريقية، ودولةُ بني أميَّة بالأندلُس، وكانوا يُزاحمونَ الخلفاءَ إلى سُدَّة الخلافةِ، ويَقعُدُ بهم عَنها ضعفُ سُلطانِهم وقلَّةُ مالِهم.

(١) - طبعاً ثمَّةَ تداخلاتٌ في أسماء البلدان وتقاسيمِها وحدودِها الجغرافيَّة عبر التَّاريخ المغاربيِّ والمشارقيِّ على السَّواء، وأعني أنَّ أسماء البلدان وحدودَها التَّاريخيَّة التي نُسمِّيها في هذا الكتاب إنَّما توافقُ بنحوٍ تقريبيٍّ حدودَها المعروفةَ منذُ القرنِ التَّاسِع عشرَ مع بدايات الاستعمار الأوروبِّي لبلاد المغربِ الإسلاميِّ سنةَ (١٨٣٠م)، والتي ترسَّخت في البلاد العربيَّة عموماً بعد اتِّفاقيَّة (سايكس بيكو) سنةَ (١٩١٦م). وانظُر: ص١٨٦ مِن هذا الكتاب.

(٢) - انظُر: ص٧٨ من فصل التَّاريخ العبَّاسيِّ، وانظر: العالَمَ الإسلاميَّ: عمر رضا كحَّالة: ٢/ ٨٥ فما بعدها.

(٣) - تِلِمْسان: اليومَ مدينةٌ شهيرةٌ غربَ الجزائِر.

(٤) - فاس: أكبرُ مدنِ مملكةِ المغرِب اليومَ.

(٥) - وهران: مدينةٌ ساحليَّةٌ غربَ الجزائر.

٢- المُرابِطون (المغرِب) :

أثارَ (عبدُ الله بنُ ياسين الجُزولي) أحدُ فقهاءِ مدينةِ (سُوس) الحميَّةَ الدِّينيَّةَ في بعضِ سكَّانِ بَراري المغرِب، فانقادوا إليه وتلقَّبوا بالمُرابِطينَ أو المُلثَّمين، وجَعلَ قائدَهم ابنَ أُختِه (أبا بكر زكريَّا بنَ عُمر)، ففَتحوا (وجدَة)[1]، وغيرَها، ثمَّ اجتازوا سنةَ (٤٦٠هـ-١٠٦٨م) جبلَ (أطلس)[2]، ثمَّ أسَّس أبو بكرٍ مدينةً سمَّاها (مرَّاكش) .

ثمَّ وَليَ الحكمَ خالُه (**يوسُف بنُ تاشَفين اللَّمتوني**)[3]، واختارَه المُرابطون قائدَهم، فرتَّب خُفَراءَ مِن عَبيدٍ اشتراهُم من بلادِ (غِينيةَ)[4] وغيرِها، ثمَّ سارَ بهم فأخذَ مدينتَي (فاس) و(مكناس)[5] من العربِ والبَربر، وعلى التَّوالي استولَوا على مدائنِ (سبتَة[6] وطَنجة[7] وسالَةَ أو سَلا[8])، واعترفَ المغربُ بسَلطنةِ يوسفَ بنِ تاشَفين سنةَ (٤٧٧هـ-١٠٨٤م). ولمَّا اشتدَّ الخطبُ بعرَبِ (إسبانيا) هُرِعَ ملوكُ إشبيليةَ وغَرناطةَ وغيرِهما إلى يوسفَ بنِ تاشَفين، فاستَنجَدوه على الفرَنجَة، فارتحلَ وعبرَ البحرَ، ونزلَ في الأندلُس بجيشٍ جرَّار أَدَبَّ في نفوس مُسلِمي الأندلُس الحماسةَ والنَّشاطَ، وكانَ النَّصرُ حليفَهُم في **معركة الزَّلَّاقة** (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م). ورأى ابنُ تاشَفين جمالَ بلادِ الأندلُس فتاقَت نفسُه لأخذِها، وأدركَ الأندلسيُّون منهُ ذلكَ فانحلَّت بينهُ وبينَهم عُرى الاتِّفاق، وانتهزَ الفرصةَ الإسبانُ، فجَمعوا جُموعَهم وعادوا إلى المُحاربةِ في كرَّةٍ ثانية .

---

(١) - وجدَة: مدينةٌ مغربيَّةٌ أقصى شرق المملَكةِ، على الحدودِ المغربيَّةِ الجزائريَّة.

(٢) - جبل أطلَس: شمالَ غربِ أفريقيَةَ في ساحلِ المملكة المغربيَّةِ على الأطلَسي، فيه قمَّة (طُبقال) الشَّهيرَة.

(٣) - اللَّمتوني: نسبةٌ إلى قبيلة (لَمتونة) المشهورَةِ في بلادِ موريتانيا، دخلت الإسلامَ في القرنِ الميلاديِّ السَّابع.

(٤) - غينية: هي اليومَ دولةٌ إفريقيَّةٌ على شاطئ الأطلسيِّ، عاصمتُها (كوناكري).

(٥) - مكناس: مدينةٌ مغربيَّةٌ في الشَّمالِ، شرقيَّ (الرَّباطِ) العاصِمَة.

(٦) - سَبْتة: مدينةٌ ساحليَّةٌ مغربيَّة، تحتلُّها إسبانيا، ذاتُ حكمٍ ذاتيٍّ، محاطةٌ بالأراضي المغربيَّة، ومثلُها (مليلَة).

(٧) - طَنْجَة: مدينةٌ مغربيَّةٌ، وهي نقطةُ التقاءٍ بين البحر الأبيضِ المتوسِّط و المحيطِ الأطلسيِّ من جهة، وبين القارَّةِ الأوروبِّية والقارَّةِ الإفريقيَّة من جهةٍ أخرى.

(٨) - سَلا: مدينةٌ مغربيَّةٌ على المحيطِ الأطلسيِّ، شمالَ الرَّباط.

وتمَّ فيما بعدَ الزلَّاقة ببضعِ سنينَ للمُرابطين ما أَرادوا، فاستولَوا على مُدن (قرطُبَةَ، وغَرناطةَ، وإشبيليةَ) وغيرِها من مُدن أندلسِ الجنوبيَّة، وقضَوا على حكمِ بني عبَّادٍ وغيرِهم، ولَم يبقَ في جميع البلادِ الإسلاميَّة الواقعةِ في جنوبي الأندلُسِ غيرُ سَلطنةِ المُرابطين.

وخرجَ المُرابطونَ من مرَّاكش قاصدينَ أواسطَ إفريقيةَ، وانتصرَ (أبو بكر بنُ عُمر) على أَعوان المَلكِ (سُنِّي عليّ)[١]، وهُو بَربريُّ الأَصل، شيَّد مملكةَ (**السُّونغاي**) في (غانة)[٢] سنةَ (٤٨٠هـ-١٩٨٧م)، وهؤلاء (السُّونغاي) هم من الجنسِ النُّوبي، ارتَحلوا من مصرَ العُليا عندَ الفَتح العربيِّ، وكانَت لهم دولةٌ لَم تبدأ بالانحطاطِ إلَّا في زمن فتحِ السُّودانِ على يدِ المَنصورِ السَّعديِّ[٣] سُلطانِ مرَّاكش.

ومدَّ (أبو بكرِ بنُ عُمر) رُواقَ سُلطانهِ إلى أبعدَ من زاوية (النِّيجر)[٤]، وجميعِ البلادِ المعروفةِ بـ(ساحلِ الذَّهب)[٥] و(الدَّاهومي)[٦] وبلادِ (نيجيريا)[٧] إلى بُحيرةِ (تشاد)[٨]، وكانَت هذه السَّلطنةُ موزَّعةً في أربعِ ممالكَ، وكانت قاعدتُها (جنة)[٩].

هذا ما كانَ من جهةِ البَربر، أمَّا العربُ فإنَّ فصائلَ (بني هلال)[١٠] تقدَّمت من نَواحي

---

(١) - سُنِّي علي: كانَ حاكمَ مملكةِ (صنغي) أو (السُونغاي) في غربِ إفريقيا.

(٢) - غانة: أو جمهوريَّة غانا، جمهوريَّةٌ إفريقيَّةٌ على السَّاحل الشَّمالي لخليج غينيا الواقعِ غربَ إفريقية.

(٣) - المنصورُ السَّعديُّ: المولى أحمدُ المنصورُ بنُ عبدِ الملك الذَّهبيِّ (٩٨٦هـ-١٥٧٨م)، من سلاطين الأشراف السَّعديِّين في مرَّاكش.

(٤) - النِّيجر: هي اليومَ (جمهوريَّةُ النِّيجر) في غربِ إفريقية، وهي دولةٌ حَبيسةٌ (لا تطلُّ على سَواحل)، جنوبُها (نيجيريا).

(٥) - ساحلُ الذَّهب: تسميةٌ أطلقها الإنكليزُ على جمهوريَّة (غانا)، إحدى دولِ غربِ القارَّةِ الإفريقيَّة.

(٦) - الدَّاهومي: هيَ اليومَ (جمهوريَّة بنين Benin)، إحدى الجمهوريَّات الصُّغرى غربَ إفريقية.

(٧) - نيجيريا: (جمهوريَّة نيجيريا الإتحاديَّة)، تقعُ غربَ إفريقية، وهي اليومَ أكبرُ دولِ إفريقية من حيثُ تعدادُ السكَّان.

(٨) - جمهوريَّة تشاد اليوم دولةٌ وسطَ إفريقية في منطقةِ الصَّحراء الكُبرى لاتطلُّ على منفذٍ بحريٍّ خارجيٍّ سوى بُحيرةِ تشاد.

(٩) - جنَّة: مدينةٌ في (جمهوريَّة مالي) غربَ إفريقية.

(١٠) - بنو هلال: قبائلُ عربيَّةٌ نسبةً إلى (هلالِ بنِ عامرِ بنِ صَعصعَة) منَ القبائلِ العدنانيَّة، كانوا بدواً في وسطِ نَجْد، وهاجروا من الجزيرةِ العربيَّة إلى الشَّام، ثمَّ إلى صعيدِ مصرَ، ومنه انتقلوا إلى المغربِ العربيِّ الكبير. وكان لهجرتِهم التي

(طرابلُس)[1] إلى واحة (ودَّان)[2]، ومن هناك إلى (وَلاتة)[3]، ثمَّ تقدَّمت نحوَ (السُّودان)، فتلاقَت معَ البَربرِ الآتينَ من الشَّمالِ الغربيِّ واختلَطَت بهِم[4]. وامتدَّ سلطانُ الإسلامِ في الجنوبِ الغربيِّ إلى (البامباره) و(المادينغ) و(البلة)[5] في القَرنِ الميلاديِّ الثَّانيَ عشرَ، ووصلَ الإسلامُ في الجنوبِ الشَّرقيِّ إلى بُحيرة (تشاد) في القَرنِ الميلاديِّ الثالثَ عشَرَ، وأمَّا في الشَّمالِ الشَّرقيِّ فكانَت (الغالةُ) و(النُّوبةُ)[6] دخَلوا في الإسلامِ بينَ سنتَي (٦٩٩-٧٥١هـ)، و(١٣٠٠-١٣٥٠م) .

كانَت مدَّةُ دولةِ الملثَّمين أو المُرابطين نحوَ ثمانينَ سنة، من (٤٦٠هـ) إلى (٥٤٢هـ)، وكانَت سطوةُ دولتِهم تمتدُّ من مدينةِ (أفراغة)[7] مِن قاصيةِ شَرقِ الأندلُس إلى مدينةِ (أشبونة)[8] على البحر المحيطِ من غربِ الأندلُس، ومن برِّ العُدوةِ من (جزائر بني مَزَغنَّة)[9] إلى (طَنجةَ) إلى آخر (السُّوسِ الأَقصى) إلى (جبالِ الذَّهبِ) من بلادِ السُّودان (أيْ إفريقية المداريَّة الاستوائيَّة).

عُرفَت بـ(التَغريبة الهلاليَّة) أثرٌ ظاهرٌ في تعريبِ المغرب وتقليصِ حجم البربَر فيه ونشرِ الإسلام على ما يقولُه بعضُ المؤرِّخين، ويُنازِعُ آخرون في هذا الأثر، ويرَونَ لهم آثاراً سلبيَّةً. انظُر مثلاً: رحلة بني هلال وخصائصها التَّاريخيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة: د. عبد الحميد بوسماحة، الجزائر، دار السَّبيل، ٢٠٠٨م.

(١) – طرابلُس: عاصمةُ ليبيا اليومَ.

(٢) – ودَّان: تقعُ اليوم وسطَ ليبيا، جنوبَ شرقِ العاصمَة طرابلُس.

(٣) – ولاتة: مدينةٌ موريتانيَّةٌ، شرقَ العاصِمةِ (نواكشوط).

(٤) – قالَ القَلقَشَنديُّ في صُبح الأعشَى (٥/ ٢٨١): (ولمَّا أسلمَ الملثَّمون من البَربر تسلَّطوا عليهم بالغَزو حتَّى دانَ كثيرٌ منهم بالإسلام، وأَعطى الجزية آخرون، وضعفَ بذلك ملكُ غانةَ واضمحلَّ، وتغلَّب عليهم أهلُ صُوصُو المجاوِرونَ لهم، وملَكوا غانةَ من يدَي أهلِها، وأمَّا ملوكُ مالي فقَد دَخلوا في الإسلامِ من زمنٍ قديم). وانظر: الحاشية (١٠)ص١٦٧ .

(٥) – البامباره والمادينغ والبلة: قبائلُ وشعوبٌ عاشَت في غربِ إفريقية.

(٦) – قبائلُ تسكنُ المنطقةَ الواقعةَ في شَمالِ السُّودان و جنوبِ مِصرَ.

(٧) – أفراغَة: أو (براغا Braga)، مدينةٌ برتغاليَّة شمالَ غربِ البُرتغال اليوم.

(٨) – أشبونَة: أو لشبونة (Lisbon)، أو (Lisboa)، وهي اليومَ عاصمةُ البُرتغال.

(٩) – جزائرُ بني مزَغنَّة: على سَاحل الجزائر، وقيل: منها جاء اسمُ دولةِ الجزائر، لوجود أربعِ جزُرٍ على خليجِها.

٣- الموحِّدون (المغرِب) :

كان بعضُ الأقوامِ المُنقادينَ للمُرابطينَ يَنظرون إليهِم بعَين الحسَد، ويَشتهُون أن يَحوزوا مثلَ ما حازُوه من الأموالِ والجاه، وأخذَ على عاتقهِ تطبيقَ ذلك رجلٌ يُسمَى (محمَّدَ بنَ عبدِ الله) وشُهرتُه (ابنُ تومَرت) أحدُ الخدَم بمَسجدِ قُرطبة، اطَّلع في صِباه على مَبادي العُلوم، ثمَّ سارَ إلى بغدادَ فأخذَ فيها العلمَ عن الإمامِ الغزاليِّ، وجاءَ المغربَ ونزلَ مرَّاكش، وشرعَ بقوَّةِ فِطنتهِ بإزالةِ سَلطنةِ المُرابطين، فأخذَ ينتقدُ كلَّ ما رآهُ من رؤسائِهم مُغايراً لِما أمرَ القرآنُ بهِ، فطُرِدَ، ولمَّا طُرد أعلنَ أنَّ هذا أوانُ إحياءِ الآدابِ الدِّينيَّة، وأنَّه المَهديُّ الجديدُ المعيدُ للفضائلِ والعَدل، واستَصحبَ رجالاً ذَوي هِمَّةٍ أخذوا يَنصحون ويُنذِرون، فهُرِعَ جمٌّ غَفيرٌ من مرَّاكش وغيرِها إلى استماعِ نُصحِهم وإنذارِهم.

ولمَّا رأى هذا الرَّجلُ كثرةَ حزبِهِ وخوفَ ملوكِ تلك البلادِ منهُ ووُقوعَ أبصارِهم علَيه، رحلَ إلى بلدةِ (تِنمال)[1] بإقليمِ سُوس بالمَغرِب، وضمَّ إليه رجالاً لقَّبهُم بـ(المُوحِّدين)، وأمرَهم أن يَبنوا بذلكَ المَحلِّ قلعةً لا يُمكنُ العدوَّ مهاجَمتَها، وجعلَ أمورَ هذا الحزبِ شُورَى بين عشرةٍ من أفطنِ تلامذتِه -أجلُّهم رجلٌ اسمُه عبدُ المؤمنِ بنُ عليّ-وبينَ سَبعينَ رجلاً، ثمَّ انضمَّ إليه أعداءُ المُرابطين. ولمَّا وجدَ حزبَهُ كافياً في بلوغِ مُراده بدأَ سنةَ (٥٠٦هـ-١١١٢م) في محاربةِ المُرابطين وانتصرَ عليهم في ثلاثِ وقائعَ، ثمَّ حاصرَ سنةَ (٥٠٧هـ-١١١٣م) مرَّاكش التي هي مركزُ شوكةِ عائلةِ المُرابطينَ في الأقاليمِ الشَّماليَّة من إفريقية، فانتصرَ في بعضِ وقائعَ، ثمَّ غُدِرَ به وسُفِكَ دمُ كثيرٍ من عساكرِه سنةَ (٥١٩هـ-١١٢٥م)، وبلغَ به الخطبُ حدَّ اليأس حتَّى تركَ دَعوى العظَمة .

ثمَّ ابتكرَ تلميذُه (عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ) وسائلَ حربيَّةً جديدةً، وأخذ يُثير الحميَّةَ في قلوبِ الرِّجالِ حتَّى جبرَ جميعَ الخسائرِ سنةَ (٥٢٤هـ-١١٣٠م)، وصمَّم رأيَه على العودِ إلى الحربِ، وعَهِدَ إليه شيخُه ابنُ تومَرت بالخلافةِ، ثمَّ تُوفِّي بعدَ أربعةِ أيَّام، فقامَ تلميذُه عبدُ المؤمن بأعباءِ

---

(١) - تِنمال: بلدةٌ مغربيَّةٌ على جبالِ الأطلَس غربَ المغرِب على الأطلسيِّ.

الخلافةِ أحسنَ قيامٍ، وأدخلَ تحت حُكمِهِ جميعَ القبائلِ الممتدَّةِ من مدينةِ (تِنمال) تحت بلادِهِ إلى مدينة (صال)[1]، ثمَّ أخذَ بلادَ (فاس) وبلادَ (طاسَة)[2] سنةَ (٥٣١هـ-١١٣٧م)، ثمَّ سار إلى (تِلِمْسان) وبعضِ الأقاليمِ المجاورةِ لمرَّاكش، فصفَّ عساكرَه بقُرب تِلِمسان على هيئةِ شكلٍ مُربَّع، وأخذَ يقاتلُ جيشَ المُرابطينَ حتَّى هزمَه، وسارَ إلى (تونُس) واستولَى علَيها وعلى طرابلُس والقَيروانِ والمهديَّةِ[3] وغيرِها .

وبعثَ عبدُ المؤمنِ جيشاً فتحَ جُزءاً عظيماً من إقليمِ (الجرف)[4]، وأوقفَ سيرَ ملكِ البُرتغال سنةَ (٥٤٢هـ-١١٤٧م)، وبعثَ جيشاً آخرَ سنةَ (٥٤٧-٥٥١هـ/ ١١٥٢-١١٥٦م) فحارَبَ مدينةَ (المرية)[5] وأخذَها من ألفونس السَّابع، وجيشاً ثالثاً فتحَ سنةَ (٥٥١-٥٥٥هـ/ ١١٥٦-١١٦٠م) غَرناطةَ والبلادَ الممتدَّة إلى (الوادي اليانع)[6] .

اقتصرَ الموحِّدونَ على مَنع غاراتِ النَّصارى مِن بُرتغالٍ وإسبانٍ على البلادِ الإسلاميَّة، ولكنَّهم لَّما رأَوا اتِّحادَ النَّصارَى بعضِهم معَ بعضٍ اضطَّروا إلى مُحاربةِ الإسبانيِّين والبُرتُغاليِّين في معاركَ عدَّة، لعلَّ أشهرَها (**معركةُ الأرْك**)[7]. وقد جدَّد هؤلاءِ الموحِّدونَ لإسبانيا الرَّونقَ الذي كان لها زمنَ الأمويِّين، فقد اعتَنى كلٌّ من (عبدِ المؤمنِ) و(أبي يوسُف يعقوبَ المنصورِ) بالعلومِ والصَّنائعِ والشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، وأسَّسوا مدارسَ عامَّةً، وغَمروا بعطائِهم عُلماءَ الإسلامِ.

---

(١) – صال: أو (سال)، مدينةٌ ساحليَّةٌ مغربيَّةٌ، محاذيةٌ للرَّباط.

(٢) – طاسَة: أو (تازَة)، مدينةٌ مغربيَّةٌ، تقعُ اليومَ وسطَ المَملكة.

(٣) – المَهديَّة: مدينةٌ ساحليَّةٌ تونسيَّة، تقعُ جنوبَ (تونُس) العاصِمَة.

(٤) – إقليم الجرف: هو اليومَ واحةٌ كبيرةٌ بالمغرِب، من جهةِ مكناس، وثمَّةَ قريةٌ اسمُها (الجرف) أيضاً جنوبَ شرقِ تونُس.

(٥) – المِريَة: (Almeria)، مدينةٌ إسبانيَّة، جنوبَ شرقِ إسبانيا على البحر المتوسِّط.

(٦) – الوادي اليانع: واسمُه اليومَ (غواديانة Guadiana)، فيه نهرٌ باسمِه، واحدٌ من الأنهار الرَّئيسةِ الحادَّةِ بين إسبانيَة والبُرتغال، ولعلَّ في التَّسميةِ الإسبانيَّة مُحاكاةً صوتيَّةً للاسمِ العربيِّ (الوادي اليانع) .

(٧) – معركةُ الأرْك: عند منطقةِ (الأرْك Alarcos) الإسبانيَّة، في شعبان (٥٩١هـ) تمُّوز (١١٩٥م)، انتصر فيها الموحِّدون أيَّامَ مَلِكِهِم (أبي يوسُف يعقوبَ المَنصور)، واستردُّوا منهُم مدناً كان الإسبانُ قد أَخذوها من المسلمينَ قبلَ أربعين سنةٍ.

وكانَ بهزيمةِ (محمَّد النَّاصر) مَلكِ الموحِّدينَ في واقعةِ (**حِصنِ العُقاب**)[1] سنةَ (٦٠٩هـ،١٢١٢م) بدءُ اضمحلالِ سلطنةِ الموحِّدين، فقَد عصَاهُم بها رجالُ إسبانيا وانحطَّت سلطنتُهم بالمغرِب، وعصاهُم بعدَ ذلكَ والي تونُس سنة (٦٤٠هـ-١٢٤٢م)، واستقلَّ بالحكمِ الذي استمرَّ في عائلتِهِ المعروفةِ بعائلة أبي حَفص أو الحَفصيِّين، واستقلَّ بنو مَرِينٍ أو المَرِينيُّون في مرَّاكش سنةَ (١٢٦٩م)

انصرَمت دولةُ الموحِّدين سنةَ (٦٧٤هـ-١٢٧٥م) بعد أن حكَمت (١٧٤سنة)، كانت هذه الدَّولةُ من أعظمِ الدُّول وأَقواها، وقد نالَت الشُّهرةَ العظيمةَ في الأعمالِ البحريَّة، وكانت مملكتُها واسعةَ الأطرافِ حصينةَ الأكناف، نالَت من السُّلطةِ وارتفاعِ الشَّأنِ مالَم تنلْهُ دولةُ المرابطينَ من قبلُ، فكانَت تُحَدُّ جنوباً بـ(الصَّحراءِ الكُبرى)، وغَرباً بـ(بَحر الظُّلماتِ=المحيطِ الأطلَسيِّ)، وشَرقاً بـ(الرِّمال) الفاصلةِ لها عن مِصر، وشَمالاً بـ(بحرِ الرُّوم=المتوسِّط)، وكانوا يَملكونَ مُدنَ إشبيليةَ وقُرطبةَ وغَرناطةَ ومالقةَ والمريةَ وجميعَ شواطىءِ (الوادي الكبير)[2]، وكان يَفصل مملكتَهم في الشَّمال الشَّرقيِّ عَن مملكَتَي قَشتالةَ وابنِ سَعد الذي كان يحكمُ بَلَنسيةَ ومَرسيَّةَ (معاهدُ الإسبانِ)، وكان لهم عدَّةُ مدنٍ على الشَّاطىء الأيمنِ من (وادي يانبة)[3] الذي كانوا يَملكون جميعَ شاطئِه الأيسَر، وكان لهم أيضاً جميعُ القِسمِ الجنوبيِّ من بلادِ البُرتغال الحاليَّة المسمَّاة بإقليمِ الغَرب آنذاك، وبذلكَ كانت دولةُ الموحِّدين عُرضةً من هذه الجهاتِ لِغاراتِ أعدائِهم .

٤- المَرِينيُّون (المغرِب) :

قامَت دولةُ بني مَرين في المغرِبِ الأقصَى زُهاءَ قرنَين من الزَّمان، بدءاً من سنةِ (٦١٤هـ-١٢١٧م)، وأصلُ بَني مَرين بدوٌ رُحَّلٌ من جبل (زنانة)[4] بالمغرِب، وكانوا قبلَ استيلائهم على

---

(١) - العُقاب: بلدةٌ اسمُها اليوم (لاس نافاس دي تولوزا Las Navas de Tolosa)، إحدى بلديَّات مقاطعةِ (بُرغُش Burgos) الواقعةِ في منطقة (قَشتالة وليون) شمالَ غربِ إسبانية.

(٢) - الوادي الكبير: أو النَّهر الكَبير (غوادالْكفير Guadalquivir)، نهرٌ إسبانيٌّ في منطقة الأندلُس، يصبُّ في المحيطِ الأطلسيِّ غربَ (مضيق جبلِ طارِق).

(٣) - يانبة: (L'Ènova) مدينةٌ في مقاطعة بَلنسية ، شرقَ إسبانيَة.

(٤) - زنانة: أحد أقاليم المملكةِ المغربيَّة، واسمُها أيضاً عمالة (سيدي البرنوصي).

مُلكِ المغربِ أحياءً ظواعنَ بمَجالاتِ القَفر من (فجيج)[1] إلى (سِجِلْماسة)[2] إلى (ملوية)[3]، وربما يتخطَّون في ظَعنِهم إلى (بلاد الزَّاب)، ويتَّصل نسبُ مَرِين جدِّهم بـ(زنانةَ بنِ يحيى أبي الجيل).

ولَمَّا همَّ (أبو يوسُف يعقوبُ المنصورُ) مَلكُ الموحِّدينَ بغزوِ فِرَنْجِ الأندلُس استفزَّهُم إلى **(معركةِ الأَرْك)** الإسبانيَّة سنةَ (٥٩١هـ)، فشَهِدُوها وأبلَوا فيها البلاءَ الحسنَ، وكان رئيسُهم إذْ ذاكَ (محيو بنُ أبي بكر)، أصابتْه في تلك الواقعةِ جِراحاتٌ هلكَ مِنها سنةَ (٥٩٢هـ-١١٦٩م).

أمَّا سببُ دخولِهم بلادَ المغرِب فإنَّه لَمَّا كانَت وقعةُ **(حِصنِ العُقاب)** بالأندلُس سنةَ (٦٠٩هـ-١٢١٢م)، وهُزِمَ (محمَّد النَّاصر) وهلكَ الجمهورُ من حاميةِ المغربِ حتَّى خلَت البلادُ من أهلِها، وحدثَ عقِبَ ذلك الوباءُ العظيمُ الذي أهلكَ النَّاسَ إلَّا قليلاً، وماتَ النَّاصرُ، بايعَ الموحِّدون ابنَه (يوسفَ المُستنصرَ) وهو يومئذٍ صبيٌّ حدَثٌ لا يُحسن التَّدبيرَ، وشغَلتْه مع ذلك أحوالُ الصِّبا ولذَّاتُ المُلكِ عن القيامِ بأمرِ الرَّعيَّة، فتضافرَت هذهِ الأسبابُ على الدَّولةِ الموحِّديَّةِ فأضعفَتْها لحينِها، وأمرضَتْها المرضَ الذي كان سَبباً في مُلاشاتِها. كان بَنو مَرِين يومئذٍ يتنقَّلون بينَ قِفار المغربِ وصحارِيه لا يَدخلون تحتَ حُكمِ سُلطان، ولا تنالُهم الدَّولةُ بهَضيمةٍ، ولا يُؤدُّون إليها ضَريبة، ولا يَعرِفون تجارةً ولا حِرَفاً، إنَّما شغَلَهُم الصَّيدُ والغاراتُ على أطرافِ البلادِ، وكانوا يتردَّدونَ على منابِت الكلأ صَيفاً، ثمَّ يرحَلون عنها شتاءً. وفي سنةِ (٦١٠هـ-١٢١٣م) أقبَلوا على عادتِهم وأطلُّوا على المغربِ فألِفُوه وقد تبدَّلَت أحوالُه وبادَتْ خيلُه ورجالُه، فاغتنَموا الفُرصةَ وانتَشروا في نَواحي المغربِ واقتَسموا بالغاراتِ والنَّهب بَسيطَهُ، ولجأَت الرَّعايا من ذلك إلى الحصُون والمعاقلِ، وكان رئيسُهم لَمَّا دخَلوا المغربَ (عبدُ الحقِّ بنُ محيو).

ولَمَّا كثُر عَيثُهم وتضاعفَ على الرَّعيَّةِ بلاؤُهم، رُفِعَت الشِّكاياتُ إلى خليفةِ مرَّاكش (يوسفَ المستنصرِ بنِ النَّاصر)، فجهَّز لهُم جيشاً، وأمرَ عمَّالَه باستِئصالهم، ثمَّ التَقى الجمعان،

---

(١) - فجيج: مدينةٌ مغربيَّةٌ في الجنوبِ الشَّرقيِّ للبلاد.

(٢) - سِجِلْماسة: مدينةٌ مغربيَّةٌ جنوبَ جبل الأطلسِ الكبير.

(٣) - ملوية: شمالَ المغربِ، وفيها نهرُ ملويَّة الشَّهير، أكبرُ أنهار المغرِب.

وكان الظُّهور لبَني مَرِينٍ على الموحِّدين سنةَ (٦١٣هـ-١٢١٦م) . وزحفَ الأميرُ (عبدُ الحقِّ بنُ محيو) إلى بعضِ المدُن فافتتَحها وفرَّق جميعَ الأسلابِ والغنائمِ على جُنوده، ولَم يُمسِكْ لنفسِه منها شَيئاً، فكان ذلكَ من أكبرِ الأسبابِ في اجتماعِ القلُوبِ علَيه، ثمَّ تضافرَ المُوحِّدونَ مع كثيرٍ من عَربِ المغربِ على قتالِ بَني مَرين وطَرْدِهم من البلادِ، ولمَّا علِم بَنو مَرينٍ بذلكَ اجتَمعوا إلى أميرِهم عبدِ الحقِّ فصبَّرهم وقال لهُم: (يا معشرَ مَرين، أمَا ما دُمْتُم في أمرِكُم مُجتمعينَ وفي آرائِكم متَّفقين، وكنتُم على حربِ أعدائِكم أعواناً وفي ذاتِ الله إخواناً، فلا أَخشى أن أَلقى بكُم جميعَ أهلِ المغرِب، وإن اختلَفَت أهواؤُكم وتشتَّت آراؤُكم ظَفِرَ بكُم عدوُّكم)(١)، ثمَّ بايَعوه على السَّمع والطَّاعة وعدَمِ الاختلاف، ثمَّ نهَضُوا مع أميرِهم للقاءِ عدوِّهم، فكانت بينهُم حروبٌ داميةٌ، قُتلَ فيها الأميرُ عبدُ الحقِّ وكبيرُ أولادِه إدريسُ سنةَ (٦١٤هـ-١٢١٧م) .

ولمَّا رأَت بَنو مَرينٍ ما وقعَ بأميرِها وابنِه حَمِيَت وغَضِبَت وأقسَمَت لا يُدفَنُ حتَّى يُؤخذَ بثأرِه، ثمَّ استأنَفوا القتالَ وصبَروا صَبراً جميلاً فنصرَهُم اللهُ على عدِّوهم، وشرَّدوهم في الشِّعاب والأوديةِ، واحتَوَوا على أموالِهم . ولمَّا قُتل (عبدُ الحقِّ) بايعَ بَنو مَرِينٍ ابنَه الأميرَ (أبا سعيدٍ عُثمانَ)، ولمَّا رأى أبو سعيدٍ ما علَيه دولةُ الموحِّدين من الاضمحلالِ وما نزلَ بالمغربِ من الجَوْر والعَسْف؛ سارَ على رأس جيشٍ فأخضعَ المدُنَ والحصونَ، وضربَ علَيها الإتاوةَ في كلِّ سَنة .

وجاءَ الأميرُ (أبو سعيدٍ عثمانُ الثَّاني) فرفعَ شأنَ بَني مَرِينٍ، وأَوصلَ مملكَتَهم إلى مرتبةِ الدُّول العتيدَة، وجنَّد الجنودَ ونشرَ البُنودَ، وقسَّمَ بلادَ المغربِ وقبائلَه، وأقطعَ كلَّ قبيلٍ ناحيةً جعلَها لهُ طُعْمةً .

ولمَّا رسَخَت قدمُ الأميرِ (يعقوبَ بنِ عبدِ الحقِّ المنصورِ) بالمغرِب واتَّسع سُلطانُه قطعَ دعوةَ (الحفْصِيِّين) أصحابِ تونُس وإفريقيَة، وافتَتح (سجلماسة) وانتزَعها من أيدي بَني عبد الوادِّ (وهُم بَنو زيَّان)، واستنصرَ بَنو الأحمرِ في غَرناطَةَ يعقوبَ فنصرَهم على الإسبانيول، وجهَّز

---

(١) - انظُر: الاستِقصَا لأخبارِ دولِ المغربِ الأقصَى: لأبي العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصريِّ السَّلاوي المغربيِّ (ت: ١٣١٥هـ): ٣/ ٧، الدَّار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م.

جيشاً لمقاتلَتهم، وانتصرَ عليهم .

والخلاصةُ أنَّ دولةَ بَني مَرِينٍ قَضتْ معظمَ أيَّامها -بعدَ أن استقلَّت في دولتِها الخاصَّة- في مقاتلةِ الإسبانيول برَّاً وبَحراً، وكانوا حيناً يتنازعُونَ السُّلطانَ معهُم، فيؤدِّي هذا التَّنازعُ إلى استعمالِ وسائط الحربِ والقتالِ .

وفي آخرِ دولةِ بَني مَرينٍ، وبعد مقتلِ أميرِهم (أبي عَنان)، استَولى البرتُغالُ على غالبِ ثغورِ المغربِ الأقصى، واستفحلَ أمرُ الإسبانيول والبرتُغالِ خُصوصاً، وكثُرَت أسفارُهم البحريَّة، واستولَوا على عدَّةِ جزائرَ في المحيطِ الأطلسيِّ، وكشَفوا بعضَ سَواحلِ السُّودان وغيرِها، ومالُوا لتملُّك سواحلِ المغربِ الأقصى، فاستولَوا على (سبْتة) سنةَ (٨١٨هـ-١٤١٥م) بعدَ حصارِها ستَّ سنين، وعلى (قصر المجازِ)[١] أو (قصرِ مَصمودة) سنةَ (٨٦٢هـ-١٤٥٨م)، وعلى (طَنجة) سنةَ (٨٦٩هـ-١٤٦٥م)، وعلى (أصيلا)[٢] سنةَ (٨٧٦هـ-١٤٧١م)، وعلى مدينةِ (أَسَفي)[٣] وبعضِ جهاتِ السُّوس وغيرِ ذلك من الثُّغور العديدةِ، ولَم يبقَ من ثغورِ المغربِ الأقصى بيدِ أهلِه إلَّا القليلُ .

٥- بنو وطَّاس، أو دولةُ بَني مَرِين الثَّانيةُ (المغرِب) :

وملكَ بعد بَني مَرينٍ بَنو وطَّاس، وكانوا امتداداً لدولةِ بني مَرين الأولَى، كانوا يسكُنون بلادَ الرِّيف، ثمَّ كان لكثيرٍ منهُم المراتبُ العاليةُ والوظائفُ العظيمةُ في دولةِ بَني مَرين الأولَى، فمنهُم مَن ساعدَ على ارتقائِها وتنظيمِ أحوالِها، ومنهُم من امتدَّت يدُه إلى العبَثِ بها .

وأوَّلُ من وَلي السَّلطنةَ (أبو عبدِ الله محمَّد الشَّيخُ) سنةَ (٨٧٦هـ-١٤٧١م)، استولَى أبو عبد الله على (فاس) والْتفَتَ لتدويخِ القبائلِ حتَّى دخَلوا في طاعتِه، وفي عَهدِه مُحِيَتْ دولةُ بني

---

(١) - قصر المَجاز: منطقةٌ تُدعى اليومَ بجماعة قصرِ المجاز، تابعةٌ لإقليم (تَطوان) الواقعِ شمالَ المملكةِ المغربيَّة في جبالِ الرِّيف على البحرِ الأبيضِ المتوسِّط. أمَّا تسميتُه بقصرِ (المصمودة) فنسبةً إلى قبيلةٍ مغربيَّةٍ أصلُها من جبلِ الأطلَس.

(٢) - أصيلا: أو أرزيلا، مدينةٌ مغربيَّةٌ على شاطئِ المُحيط الأطلسيِّ.

(٣) - أَسَفي: مدينةٌ مغربيَّةٌ على الأطلسيِّ، قربَ الدَّار البيضاء.

الأحمرِ من الأندلُس، ولَم يبقَ بها للمُسلمينَ سُلطانٌ، واستَولى البرتغالُ في زمانِه على ساحلِ (البريجة)[1]، وشيَّدوا بها مدينةً جديدةً حَصينة، ولَم يتمكَّن بَنو وطَّاس من مقاتلةِ هؤلاءِ البُرتغال لاشتغالِهم مع بُرتغالِ (سَبتة) و(طَنجة) وغيرِهما .

وبعدَ وفاةِ (أبي عبد الله محمَّدِ الشَّيخِ) بُويع ابنُه محمَّد الملقَّب بـ(البُرتغالي)، وفي عصرِهِ استَولى البرتغالُ على غالبِ الثُّغور وضايَقوا المسلمينَ أشدَّ المضايقَة، وقد اهتمَّ هذا السُّلطانُ بأمرِهم، وردَّد عليهمُ الجيشَ بعدَ الجيشِ، حتَّى شُغِلَ بمُقارَعتِهم عَن النَّظر في أحوالِ البلادِ المرَّاكشيَّة، فكان ذلك من أكبرِ الأسبابِ لظهورِ دولةِ (الأشرافِ السَّعديِّين).

وقامَ بالأمرِ من بعدِ محمَّد البُرتغاليِّ (أبو حسُّون)، ثمَّ قَبضَ عليهِ أحدُ أقارِبه وخلَعَه، ثمَّ قام بالأمرِ (أبو العبَّاس أحمدُ)، وحصلَ بينَه وبينَ السَّعديِّين وقائعُ انتهَت بانتصارِ السَّعديِّين .

وقام بالأمرِ من بعدِ أبي العبَّاس السُّلطانُ (أبو حسُّون) مرَّة ثانيةً سنةَ (٩٦١هـ-١٥٥٤م)، ولَّما قَبضَ (الشَّيخُ السَّعديُّ) على بني وطَّاس فرَّ أبو حسُّون إلى الجزائرِ واستنجدَ بـ(**العُثمانيِّين**) الذين كانوا استَولَوا على المغربِ الأوسَطِ[2] وانتزَعوه من يد (**بَني زيَّان**)، فأجابُوه إلى مَطلبِه، وأقبَلوا معهُ بجيشٍ كثيفٍ تحت قيادةِ (صالح باشا)، واستَولَوا على (فاس) بعد حروبٍ عظيمةٍ، وفرَّ منها (الشَّيخُ السَّعديُّ)، ولَّما وصلَ السَّعديُّ إلى مرَّاكش أخذَ في استنفارِ القبائلِ وبقيَّةِ الجنودِ لقتالِ أبي حسُّون، ونَهضَ إلى (فاس)، فقابل أبا حسُّون ودارَت الحربُ بينَهما، وكانت الهزيمةُ على أبي حسُّون، واستَولى الشَّيخُ السَّعديُّ[3] أخيراً على (فاس) سنةَ (٩٦١هـ-١٥٥٤م)، وبمَقتلِ أبي حسُّون آخر حكَّام بني وطَّاس انقَرضت دولةُ الوطَّاسيِّين، أو الدَّولةُ المَرينيَّةُ الثَّانيةُ من المغرِب .

٦- الأَشرافُ السَّعديُّون (المغرِب) :

تولَّى مملكةَ مرَّاكش في أوائلِ القَرنِ الميلاديِّ السَّادسَ عشرَ الشُّرفاءُ السَّعديُّون أو

---

(١) - البريجة: وهي مدينة (الجديدة) بالمغربِ حالياً، على المُحيطِ الأطلسيِّ.

(٢) - المغربُ الأوسَط: وهو اليومَ دولةُ (الجزائر) تقريباً، وكانَت حدودُهُ تمتدُّ وتَضيقُ تبعاً للحقَبِ التَّاريخيَّة.

(٣) - كانت دولةُ الأشرافِ السَّعديِّين قائمةً بمرَّاكش منذُ سنة (٩١٦هـ/ ١٥١١م).

(الزَّيدانيُّون) مِن (آل زَيدانَ ابنِ أحمَدَ من نَسلِ الحسَنِ السِّبط)، كان يُقيمُ أسلافُ السَّعديِّين بـ(درعة)[1]، إلى أن نشأَ منهُم (أبو عبدِ الله محمَّدُ القائمُ بأمرِ الله)، فتنشَّأ على عفافٍ وصلاح، وحجَّ البيتَ الحرامَ، ولقيَ جماعةً من العلماءِ في وفادتِه على الحرمَين. وفي سنةِ (٩١٧هـ-١٥١١م) بايَعهُ بعضُ قبائلِ (السُّوس) التي كانَت في أمرٍ مَريج، ولَم يكن هناك أمرٌ تجتمعُ عليهِ الكلِمةُ.

وكان هؤلاءِ الأشرافُ أوَّلَ أمرِهم داعينَ إلى الجهادِ، وطلَبوا من عاملِ مرَّاكش (ناصر بوشتنوف) أَن يُظاهرَهم على جهادِ العدوِّ، فأسعَفَهم وقدِموا مرَّاكش فدخَلوها وأحسنَ إليهم، وبعدَ أيَّامٍ خرجوا به للصَّيدِ فسمَّموه،[2] فهلكَ فصفَتْ للسَّعديِّين مرَّاكشُ وأعمالُها.

ولمَّا تمَّ للأشرافِ أمرُ (درعةَ) و(السُّوس) و(مرَّاكش)، حارَبوا الوطَّاسيِّين وانتَصروا علَيهم، واستَولَوا على (تافيلالْت)[3] و(أغادير)[4] و(أسَفي) و(آزمور)[5]، ثمَّ حاصَروا (فاس) وقبضوا على الوطاسيِّين، وغرَّبوهم إلى (دَرعة). ولمَّا استتبَّ الأمرُ لأبي عبد الله القائمِ السَّعديِّ ندبَ النَّاسَ إلى مقارعةِ البُرتغالِ والجهادِ فيهم وردِّ جموعِهم عَن ثغورِ المغربِ وبلادِه، فجمعَ أبو عبد الله الجموعَ من المُسلمينَ وحاربَهم وانتصرَ عليهم، ولمَّا رأى النَّاسُ ذلكَ خضَعوا لسُلطانِه، وتفاءلُوا بطائرِه الميمُون، ثمَّ خلَفَه خلفاءُ قضَوا أكثرَ أيَّامهم في الحروبِ والغاراتِ ومُحاربةِ الأعداءِ من بُرتغاليِّين وإسبانيول وعُثمانيِّين من بَني جِلدَتِهم حتَّى انقرَضَتْ دولتُهم سنةَ (١٠٦٩هـ-١٦٥٩م).

٧- الأَشرافُ الحسَنيُّون (المغرِب):

قامَت دولةُ الأشرافِ السِّجلماسيِّين الحسَنيَّةِ في المغربِ الأقصى، فاتَّخذ (المولى محمَّدُ بنُ

---

(١) – درعَة: مدينةٌ مغربيَّةٌ قربَ جبل الأطلَس، وبها وادٍ شهيرٌ باسمِها.

(٢) – انظُر: الاستِقصَا لأخبارِ دولِ المغربِ الأقصَى: لأبي العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصريِّ السَّلاوي المغربيِّ (ت:١٣١٥هـ): ٥/ ١١، الدَّار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م.

(٣) – تافيلالت: مدينةٌ مغربيَّةٌ في الصحراء المغربيَّة، جنوبَ شرقِ المَملكة.

(٤) – أغادير: أو أكادير، هي اليومَ عاصمةُ جهةِ (سوس ماسا درعة) بجنوبِ غربِ المغرِب.

(٥) – آزمور: مدينةٌ مغربيَّة، قربَ مدينةِ (الجديدة)، جنوب شرق الدَّار البيضاء، على الأطلسيِّ، فيها نهر أمِّ الرَّبيع الشَّهير.

الشَّريف) جيشاً، وانضمَّ إليه من أهلِ (سِجِلماسَةَ) وأعمالِها سنةَ (١٠٤٥هـ-١٦٣٥م)، وكان أصحابُ (أبي حسُّون المَرينيِّ آخرِحكَّام بني وطَّاس) قد أساؤوا السِّيرةَ بـ(سِجِلماسةَ)، ونصبوا حِبالةَ الطَّمعِ في النَّاس حتَّى ملَّتْهم القلوبُ، وزَرعوا بُغضَ المملكةِ السُّوسيَّةِ في قلوبِ الخاصَّةِ والعامَّة، ولَمَّا دعا النَّاسَ إلى الإيقاع بأهل السُّوسِ أجابُوه، وأجمعَ رأيُهم على بَيعةِ (المولى محمَّد بنِ الشَّريف) فبايَعوه سنةَ (١٠٥٠هـ-١٦٤٠م)، في حياةِ أَبيه، ووافقَ على بيعتهِ أهلُ الحلِّ والعقدِ بـ(سجلماسة)، فكانَ أوَّلَ ملوكِ الحسَنيِّين، واستتبَّ أمرُه واستَولَى على (درعةَ) وأعمالِها، واتَّسعت أَيالاتُهُ، وتوفَّرت جموعُه، وعظُمَت جبايتُه، وطار في بلادِ المغرب صِيتُه .

ولَمَّا قُتِلَ (المولى محمَّدُ بنُ الشَّريف) سنةَ (١٠٧٥هـ-١٦٦٤م)، انحشَرتْ جموعُه كلُّها إلى أخيهِ (المولى الرَّشيد)، فبايَعوه البيعةَ العامَّةَ، وعظمَ أمرُه وفتح مدينةَ (تازا أو طاسَة) و(سِجلْماسةَ) و(فاس) و(زاوية الشَّيخ)[1] و(مرَّاكش) و(تارودانت)[2] و(إيليغ)[3] وسائرَ (السُّوس).

وكانَت أساطيلُ الحسَنيِّين تطوفُ حوالي بلادِ المغربِ وما جاورَها، فيُغيرُ قرصانُ البِحار على سفُنِ الفِرنجِ ويأخذونها غنيمةً ممَّا جعلَ المُستعمِرينَ يبرِّرون موقفَهم في الاستيلاءِ على المغرِب.

وكان بعضُ الأوروبِّيين كالدَّانماركيِّين وغيرِهم يؤدُّونَ إلى سلطنةِ مرَّاكش كلَّ سنةٍ مالاً في مُقابلةِ عدَمِ التعدِّي على سفُنِهم التِّجاريَّة. وظلَّت دولةُ الأشرافِ الحسَنيَّة تُدافعُ تيَّارَ دولِ الاستعمارِ مِن إسبانيولٍ وبرتغالٍ وإفرنسيس وإنكليز وعُثمانيِّين وغيرِهم، تارةً بعقدِ معاهداتٍ، وأُخرى بوقائعَ حربيَّةٍ داميَة، حتَّى غُلِبَت على أمرِها وسُلِب منها استقلالُها، وذلك لَمَّا احتلَّت **فرنسا** الجزائرَ في بدايةِ الثُّلُث الثَّاني من القرنِ التَّاسعَ عشرَ الميلاديِّ، وظلَّت فرنسا تعملُ في السرِّ والخفاءِ لتصلَ إلى ثغرةٍ تنفُذ منها إلى إخضاعِ الدَّولةِ المرَّاكشية والسَّيطرةِ عليها .

ولَمَّا جلسَ (المولى عبدُ العزيز) على عرشِ المغربِ تحفَّزتْ فرنسا لبَسط نفُوذِها على

---

(١) - زاوية الشَّيخ: مدينةٌ مغربيَّةٌ على جبل الأطلس.

(٢) - تارودانت: مدينةٌ مغربيَّةٌ عريقة بمنطقةِ (سوس) وسطَ المغرِب.

(٣) - إيليغ: مدينةٌ مغربيَّةٌ بمنطقة (سوس).

مرَّاكش، فكانت إنكلترا واقفةً لها بالمرصادِ خشيةً من امتدادِها إلى جبلِ طارق، ولَمَّا حلَّ عامُ (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م)، جرَت مذاكراتٌ بين إنكلترا وفرنسا أسفَرتْ عن توقيعِ معاهدةٍ في (٨ **نيسان**)، نصَّت المادَّةُ الأولى منها على تنازلِ فرنسا عن حُقوقها في مصرَ لإنكلترا، ونصَّت المادَّةُ الثانيةُ على أنَّ فرنسا لا ترغبُ في إجراء تبديلِ الحالةِ السِّياسيَّةِ في مرَّاكش، وأنَّ بريطانيا تعترفُ بأنَّه من شأنِ فرنسا أن تُحافظَ على سلامةِ بلادِ مرَّاكش، وأن تُقدِّم لها جميعَ ما تحتاجُ إليه من المساعداتِ الإداريَّة والاقتصاديَّة والماليَّة والإصلاحاتِ العسكريَّة، وأنَّ بريطانيا لا تُمانع في بسطِ نفوذِ فرنسا على مرَّاكش بشرطِ المُحافظةِ على حُقوقها وامتيازاتِها.

وفي شهرِ (تشرين الأوَّل) من السَّنةِ نفسِها عُقد اتِّفاقٌ بين فرنسا وإسبانيا، حُدِّدَتْ فيه مصالحُهما في مرَّاكش، فأحدثَ ذلك ضجَّةً كُبرى في الأنديةِ الألمانيَّة، وعدَّتْهُ الحكومةُ الألمانيَّةُ عملاً مغايراً لنصوصِ (معاهدةِ برلين)، وطلَبتْ وضعَ المسألة المرَّاكشيَّة على بساطِ البَحث، فأذعَنتْ فرنسا، ووافقَت على عقدِ مؤتمرٍ دوليٍّ عامٍّ لوضعِ حدٍّ نهائيٍّ للقضيَّة المرَّاكشيَّة، فعُقد المؤتمرُ في (**الجزيرةِ الخضرَاء**) إحدى مدُنِ الإسبان، حضَرهُ مَندوبُو الدُّول صاحبةِ الشَّأن ووُضِعَت (صفرَ١٣٢٤هـ-٧نيسان١٩٠٦م)، معاهدةٌ تحتوي على (١٢٣مادَّة)، منها: المادَّة الأولى تنصُّ على الاعترافِ باستقلالِ السُّلطان، والمادَّةُ الثَّانية تنصُّ على المُحافظةِ على كيانِ السُّلطةِ المرَّاكشيَّة تحت حمايةِ فرنسا، ونصَّت المادَّةُ الثَّالثة على أنَّ لِلدُّولِ الموقِّعةِ على هذِه المعاهدةِ الحرِّيةَ التِّجاريَّةَ وغيرَها من الشُّؤون. غيرَ أن المرَّاكشيِّين رفَضوا الخضوعَ لمقرَّراتِ المؤتمر، وقامَت ثورةٌ بزعامةِ (**الرَّسولي**)، أرسلَتْ فرنسا على إثرِها قوَّةً لإخمادِها، واحتلَّت (العوجاءَ) و(الدَّارَ البيضاءَ) و(الشَّاوية)[1]، وجاءَت إسبانيا على الإثْر، فحشَدتْ قوَّاتٍ في (مليلة وسَبتة)، وخلعَ أهلُ المغربِ (المولى عبدَ العزيزِ) عن كرسيِّ المملكةِ، وولَّوا مكانَه (المولَى عبدَ الحفيظ) .

وفي (٥صفَر١٣٢٩هـ-آذار١٩١١م) هاجَمت القبائلُ مدينةَ فاس، فاستنجدَ السُّلطانُ بالجنودِ الفرنسيَّة، فأرسلَت فرنسا قوَّةً لحمايةِ السُّلطان، واحتلَّت في شهرِ أيَّار (فاس)، كما احتلَّ في

---

(١) - الشَّاويَّة: منطقةٌ مغربيَّةٌ شرقَ الدَّار البيضاء.

الوقتِ نفسِه الجنودُ الإسبانُ (العرايش)[1]، فعدَّت ألمانيا هذا العملَ مُخالفاً لاتفاقيَّةِ (الجزيرة) في إسبانية، وأرسلَت أُسطولَها إلى (أغادير)، وعُقِدَ بسببِ ذلك حينها مؤتمرٌ في الجزيرةِ في (ذي القعدة١٣٢٩هـ-٤تشرين الأول١٩١١م) اعترَفت بمُوجبهِ ألمانيا:

١- بحمايةِ فرنسا على مرَّاكش لقاءَ تنازُلِها لألمانيا عن (٢٧٥٠٠ كم) في الكونغو[2] .

٢- أن تحتلَّ فرنسا أيَّ مقاطعةٍ في مرَّاكش تراها مناسبةً لحفظِ الأمن .

٣- أن تمثِّل فرنسا السُّلطانَ بأمورِه الخارجيَّة .

٤- حرِّية التِّجارةِ في هذِه البلاد .

وبعد انفِضاضِ مؤتمرِ الجزيرة الخضراء وُقِّعت معاهدةٌ في (ربيع الثَّاني١٣٣٠هـ-٣٠آذار١٩١٢م) بين مرَّاكش وفرنسا، اعترفَ سلطانُ المغربِ بمُوجبها أنَّ بلادَه أصبَحتْ محميَّةً فرنسيَّة، وكانت إسبانيا تدَّعي حقَّ الحمايةِ على جانبٍ من المغربِ الأقصى، فاتَّفقت هيَ وفرنسا في تشرينَ الثَّاني من تلكَ السَّنةِ على تحديدِ مصالِحِهما، ونصيبِ كلٍّ منهما من تلكَ البلاد .

وحدَثت ثوراتٌ عديدةٌ بمرَّاكش خلال الحربِ العالميَّةِ الأولى وبعدَها ضدَّ المُحتلِّين، أشهرُها ثورةُ الأمير (**عبدِ الكريم الخطَّابي**)[3]، فقد شكَّل جمعيَّةً وطنيَّةً عقَدَت اجتماعَها الأوَّلَ في بدءِ سنةِ (١٣٤٠هـ-١٩٢١م)، فكانَ قرارُها الأوَّلُ إعلانَ استقلالِ البلادِ وتشكيلَ حكومةٍ دستوريَّة جمهوريَّةٍ، يَرأسُها (عبد الكريم الخطَّابي) زعيمُ الثَّورة، ثمَّ وَضعَت دُستوراً للبلادِ مبدؤُه سلطةُ الشَّعب، وجعلُ السُّلطتَين؛ التَّشريعيَّةِ والتَّنفيذيَّةِ في يدِ الجمعيَّةِ الوطنيَّة، وجعلُ رئيسِ الجمهوريَّة رئيساً للجمعيَّة المذكورة، وأُوجِبَ على كلِّ شيخٍ وزعيمٍ وقائدٍ من أعضاءِ المجلسِ

---

(١) – العَرايش: مدينةٌ مغربيَّةٌ في الشَّمالِ الغربيِّ من المغرِب، على المُحيطِ الأطلسيِّ.

(٢) – الكونغو: وسطَ إفريقيا، وهي اليومَ جمهوريَّة الكونغو الدِّيموقراطيَّة، كانت تُسمَى (زائير) بين عامَي ١٩٧١ و١٩٩٧م.

(٣) – عبد الكريم الخطَّابي: أبوهُ محمَّد بنُ عبد الكريم الخطَّابي ولدَ أبوهُ في بلدة (أغادير) بالمغرِب، وتزعَّمَ قبيلةَ (بني ورياغل)، وقاد ثورةً ضدَّ الإسبان، لكنَّ المنيَّةَ عاجلتهُ في سنةَ (١٣٣٩هـ- ١٩٢٠م)، فخلَفَهُ ابنُه (الأميرُ عبدُ الكريم الخطَّابي) في زعامةِ قبيلته، في النِّضال ضدَّ الإسبانِ والفرنسيِّين، إلى أن تُوفِّيَ بالقاهرَة في (رمضان ١٣٨٢هـ- ٦ شباط ١٩٦٣م).

تنفيذُ المقرَّراتِ التي تُقرُّها الجمعيَّة، وهم مسؤولونَ عنها تُجاهَ الرَّئيس بصفتِه رئيسَ الحكومةِ.

وبذلَ الأميرُ عبدُ الكريم كثيراً من الجهودِ السِّياسيَّة والجهودِ الحربيَّةِ لإيقافِ الطَّامعينَ المُستعمِرين عن هيمنتِهم والاعترافِ باستقلالِ بلادِه. واهتمَّت الجمعيَّةُ الوطنيَّةُ اهتماماً عظيماً في تكوينِ الجيش، فجعلَتْه مقدِّمةَ القضايا، فأقرَّت التَّجنيدَ العامَّ، واستعَرَت نارُ الحربِ بين الجيشَين؛ الرِّيفيِّ والإسبانيِّ، وهُزِم الأخيرُ في كثيرٍ من المعارك، وقرَّر مجلسُ الوزراءِ الإسبانيِّ انتدابَ وفدٍ للمفاوضةِ الأميرِ عبدِ الكريم في عَقد الصُّلح مع (الرِّيف) وإنهاءِ الحرب، وقد اشترطَ مندوبُ الرِّيف لعقدِ الهدنةِ مع الإسبان الشُّروطَ الآتية:

١ – أن تدفع إسبانيا عشرينَ مليوناً من الجنيهاتِ تعويضاً.

٢ – أن تسلِّم إسبانيا لحكومةِ الرِّيف (١٥) طائرةً، و(١٠٠) ألفِ بندقيَّة، و(١٢٠) بطاريَّة مدافع جبليَّة.

٣ – أن يجلوَ الإسبانُ عن مرَّاكش إلى حدود مليلة وسَبتة.

٤ – إذا قبلَت إسبانيا بشروطِ هذه الهدنةِ سيُبحثُ في الصُّلح ومبادلةِ الأَسرى.

وقد رفضَها الإسبانُ، وأصدَروا بلاغاً بتنفيذ الجلاءِ عن (٢٠٠) مركزٍ من مراكزِ الرِّيف.

وعزَّ على فرنسا أن ترى جمهوريَّةَ عبد الكريمِ مجاورةً للجزائرِ في المغربِ، ولمرَّاكش في الشَّمال، فأخذ (المرشال ليوتي)[1] يُعدُّ قوَّاتِه على الحدود، ويُقيم المخافرَ الأماميَّةَ استعداداً للحرب، وجعلَت بعضُ صحف (باريس) تمهِّد السَّبيلَ لإقناع الرَّأي العامِّ الفرنسيِّ بضرورةِ الحرب مع الأميرِ عبد الكريم الخطَّابي، فاشتعلَت نارُ الحرب بين الخطَّابي والفرنسيِّين، وانتصرَ الخطَّابي في كثيرٍ من المعارِك ، غيرَ أنَّ قوَّة الاستعمارِ قد تغلَّبت على الحقِّ، وقَضَت على هذِه الجمهوريَّة الفتيَّة.

وأخيراً تزعَّم (**محمَّد الخامسُ**)[2] الحركةَ الوطنيَّةَ المرَّاكشيَّة، فخلَعه الفرنسيُّون ونفَوه، ونوَّعَ الاستعمارُ الفِرنسيُّ الأساليبَ لخنقِ هذِه الحركةِ المباركة، فلَم يَستطيعوا، بل اضطُّروا إلى إعلانِ

(١) – المرشال ليوتي: أو (ليوطي Lyautey)، قائد قوَّات فرنسا في المغرب آنذاك.

(٢) – محمَّد الخامس بن يوسُف: ملكُ المغرِب، ولدَ سنةَ (١٩٢٧م)، وتوفِّيَ سنةَ (١٩٦١م).

تصريح (**سان كلو**)[1] في (صفَر١٣٧٥هـ-٦تشرين الأوَّل١٩٥٥م) الذي اعترفَ بمبدأ المفاوضةِ في سَبيلِ تحقيقِ الاستقلالِ المرَّاكشي، وعادَ محمَّد الخامِس إلى بلادِه وعرشِه في (١٦تشرين الأوَّل)، وتألَّفت أوَّلُ حكومةٍ برئاسةِ (مبارك البكاري) في (٨كانون الأوَّل ١٩٥٦م-رجَب١٣٧٥هـ). تمَّ توقيع التَّصريح المُشترَك المغربيِّ الفرنسيِّ في باريس الذي ألغى معاهدةَ الحمايةِ المفروضةِ على مرَّاكش منذُ (٣٠ربيع الثاني١٣٣٠هـ-آذار١٩١٢م) .

وفي (٧نيسان١٩٥٦م)، تمَّ توقيعُ التَّصريح المشتركِ المغربيِّ الإسبانيِّ الخاصِّ بإلغاءِ نظامِ اتِّفاقيَّةِ (ربيع الثاني١٣٣٠هـ-٣٠آذار١٩١٢م)، ووكذا اتِّفاقيةُ مدريد الموقَّعةُ في (٢٧تشرين الثاني) من السَّنةِ نفسِها، وجرى اعترافُ إسبانيا باستقلالِ المغربِ ووَحدةِ أقاليمِه، وفي (٢٥أيار١٩٥٦م) تمَّ توقيعُ الاتِّفاقيَّة الدُّبلوماسيَّة بين المغرِب وفرنسا، وأُرسِل في (٧تمُّوز) من السَّنة المذكورةِ وفدٌ مغربيٌّ فتسلَّم سُلطاتِ الإسبانِ في منطقةِ شَمال المغرب.

وفي (١٤تمُّوز ١٩٥٦م) أَرسلَ وزيرُ خارجيَّة مرَّاكش إلى الأمينِ العامِّ لهيئةِ الأممِ طلبَ انضمامِ المغربِ إلى المنظَّمةِ الدَّوليَّة، فأَوصى مجلسُ الأمنِ بالإجماعِ الجمعيَّةَ العامَّةَ لهيئةِ الأممِ المتَّحدةِ بقَبولِ المغربِ عُضواً في الهيئة، وقُبل الطَّلبُ وأصبحَ المغربُ في عدادِ أعضاءِ هيئة الأممِ المتَّحدَة .

٨- بَنو زيَّان (الجزائر)[2] :

يُنسَبُ الزيَّانيُّون إلى (يَغَمْراسَن بن زيَّان بنِ ثابِت) من بَني (عبد الوادِّ)[3]، الذي تزعَّم قبيلتَه في الجزائر سنةَ (٦٣٣هـ-١٢٣٦م)، ثمَّ أسَّس بَنو زيَّان أو الزَّيانيُّون سنةَ (٦٤٦هـ-١٢٤٨م) في مدينتَي (تِلِمسان) و(الجزائر) سَلطنَتَهُم، وامتدُّوا إلى نواحي (فاس)، وجلسَ على

---

(١) – سان كلو: (San clu) منطقةٌ في ضاحيةِ باريس.

(٢) – حَكمَ الجزائرَ قبلَهم آلُ رُستُم نحواً من (١٣٠سنة)، من ١٦٤-٢٩٦هـ/ ٧٨١-٩٠٩م)، وعاصِمتُهم (تاهَرت).

(٣) – بنو عبد الوادِّ: قيلَ: هُم سلالةٌ بربريَّة، وقيل: هُم من نسلِ القاسمِ بن محمَّدِ بنِ عبد الله بنِ إدريسَ الأصغَر بنِ إدريس الأكبر جدِّ الأدارسَة الأشراف.

كرسيِّ الحكمِ منهُم عشرةُ ملُوكٍ، أشهرُهم (أبو موسى حمو) الذي غدَت (تلِمْسانُ) في عَهدِه ما بين (٦٥٣هـ-١٣٥٢م) و(٧٨٨هـ-١٣٧٦م) من أحسنِ حواضرِ العالمِ الإسلاميِّ، وانقَضَت أيَّامُهم بعد ذلكَ سنةَ (٧٩٦هـ-١٣٩٤م)، على إثر صراعاتٍ معَ المَرينيِّين .

٩- بَنو الأغلَب (تونُس) :

قامَت دولةُ بَني الأغلَب أو الأغالِبة في تونُس سنةَ (١٨٤هـ-٨٠٠م)، وتُنسبُ هذه الدَّولةُ إلى (الأَغلبِ بنِ سالم بن عقال التَّميمي)،وهو ممَّن قام مع (أبي مُسلمٍ الخراسانيِّ) في الدَّعوةِ للعبَّاسيِّين، وفي عهدِ المنصورِ العبَّاسيِّ وليَ الأغلبُ إفريقيةَ فقَدِمَ القَيروانَ سنةَ (١٤٨هـ-٧٦٥م).

وأخذَ بَنو الأغلبِ يَغزُون في القرنِ الهجريِّ الثَّاني/ الثَّامن الميلاديِّ سواحلَ البحرِ الأبيضِ المتوسِّط، ويَبعثون في السُّفنِ رجالاً يُغيرون عل سَواحل مملكَتَي إيطاليا وفرنسا، وعلى جزائر (قَرسَقة)[١] و(سردانية)[٢] و(صِقِلْية)[٣] و(مالطة)[٤].

استَولَى الأغالبةُ على (صِقلْية)، وسكنَ المسلمونَ مُدُنَها، ورتَّبوا وقسَّموا البلادَ وخطَّطوها، وأنشَطوا الفِلاحةَ والصِّناعات .

ثمَّ تقدَّم الأغالبةُ إلى إيطاليا وحارَبوا الفرنسيِّينَ واليُونانَ وأمراءَ (لومبَرْديَة)[٥]، واستَولَوا على بعضِ مرافئَ في (البحرِ الأَدْرِياتيكي)[٦]، وخرَّبوا سواحلَ الأقاليمِ الشَّرقيَّة من إيطاليا،

---

(١) - قَرسَقَة: هي جزيرة (كورسيكا Corsica أو Corse) الآن، جزيرةٌ فرنسيَّةٌ في البحر المتوسِّط، جنوبَ شرق فرنسا.

(٢) - سردانية: أو (سردينيا Sardegna)، جزيرةٌ إيطاليَّةٌ في المتوسِّط، ثاني أكبر جزيرةٍ فيه بعد صقلية، تقع بين فرنسا وإيطاليا وتونُس، جنوب (كورسيكا).

(٣) - صِقِلْية: (Sicilia)، جزيرةٌ إيطاليَّةٌ شهيرةٌ، أكبرُ جزُرِ المتوسِّط، جنوبَ شبهِ الجزيرةِ الإيطاليَّة، ذاتُ حكمٍ ذاتيّ.

(٤) - مالطَة: (Malta)، دولةٌ أوروبِّيةٌ، مكوَّنةٌ من ثلاثِ جزُرٍ صغيرةٍ في المتوسِّط، جنوبَ صِقلْية، وشمالَ تونُس وليبيا، تقعُ جغرافياً ضمنَ قارَّة أفريقيا، لكنَّها سياسيَّاً تقعُ ضمنَ قارَّة أوروبَّا.

(٥) -لومْبَرْديَة:(Lombardia)في الشَّمالِ الإيطاليِّ جنوبَ سويسرا، أحدُ الأقاليمِ العشرينِ المكوِّنةِ إيطاليا، وهو أكثفُها سكَّاناً.

(٦) - البحر الأَدْرِياتيكي: (Adriatic Sea)، أحدُ فروع البحر المتوسِّط، يفصلُ شبهَ الجزيرةِ الإيطاليَّة عن شبهِ جزيرةِ البلقان، تحدُّه إيطاليا من الغربِ والشَّمالِ، ومن جهةِ الشَّرق تطلُّ عليه من الشَّمال للجنوبِ: سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة

واستولَوا على بعضِ مدُنِ إيطاليا الجنوبيَّة.

وجهَّزوا أنفُسَهم للمَسيرِ إلى (روما) و(القُسطنطينيَّة)، غيرَ أنَّ عقَباتٍ حالَتْ دونَ أُمنيتِهم، وردَّتهم على أعقابِهم إلى إفريقية. وأخيراً، هزمَ أبو عبدِ الله الشِّيعيُّ (الحسينُ بنُ أحمد) رائدُ الدَّعوةِ للعبيديِّين؛ هزمَ بَني الأغلبِ في عدَّة مواقعَ فتفرَّقوا، وانقَضت أيَّامُهم سنةَ (٢٩٦هـ-٩٠٩م).

١٠- الفاطميُّون (شَمال إفريقية):

تأسَّستْ دَولةُ الفاطميِّين أو (**العُبَيديِّين**) بشمالِ إفريقية سنةَ (٢٩٦هـ-٩٠٩م)، وأصلُ هذِه الدَّولة فرقةٌ من المُوالين لأهل البيت، قامَ أبو عبد الله الشِّيعيُّ (الحسينُ بنُ أحمد) بالدَّعوة لآلِ البيتِ في بلاد المغرِب، وكان يدعو إلى محمَّد والدِ عُبيدِ الله المهديِّ، فلمَّا توفِّي محمَّد أوصى إلى ابنه (**عُبيد الله المَهديِّ**) وعهدَ إليه بأمر الدَّعوة، وشاعَ ذلك في خلافةِ العبَّاسيِّ (المكتفي بالله)، فطلَبَ عُبيدَ الله فهرَب هو وابنُه (أبو القاسمِ محمَّد)، وتوجَّها نحوَ المغربِ في زيِّ التُّجار حتَّى لحقَا بـ(سِجِلْماسة)، فأقاما بها يَنتحلانِ مهنةَ التجَّار، وكان صاحبُها (اليَسعُ بنُ مِدرار)، ثمَّ قبض (اليَسعُ) على عُبيد الله وحبسَه، ولمَّا علِمَ أبو عبد الله الشَّيعيُّ بذلك سارَ إلى (اليَسعِ) وحاصرَه وهزَمه، وجدَّد البيعةَ لعُبيد الله المهديِّ، واستَولَى المهديُّ على مُلك بني الأغلبِ بإفريقية، وتلقَّب بالمهديِّ أميرِ المؤمنين، وشيَّد سنةَ (٣٠٦هـ-٩١٨م) مدينةَ (المهديَّة)[1]، وبذلكَ صفا لهُ الجوُّ وقويَت شوكةُ الفاطميِّين، ثمَّ بعثَ عُبيدُ الله العمَّالَ في النَّواحي، وقضى من بعدُ على الأغالبة في تونُس، والأدارسةِ في المغرِب، وآل رستُم[2] في الجزائر.

ثمَّ إنَّ المهديَّ أراد فتحَ الدِّيار المصريَّة لضعفِ دولةِ الإخشيدِ، ولإزالة سلطةِ بني العبَّاس

والهرسك وصربيا ومونتنيغرو وألبانيا. سمي بذلك نسبةً إلى مدينة (أَدْريا أو هَدْريا) الواقعةِ شمالَه في الأراضي الإيطاليَّة.

(١) - المهديَّة: اليومَ مدينةٌ ساحليَّةٌ على ساحلِ تونُس الشَّرقيِّ.

(٢) - بَنو رُستُم: أو الرُّستميُّون، سلالةٌ من الإباضيَّة، حكموا الجزائرَ (١٣٠سنةً) تقريباً، من (١٦٤إلى ٢٩٦هـ)، (٧٨١ إلى ٩٠٩م)، عاصمتُهم (تاهَرت) في الجزائِر، ومؤسِّسُ السَّلالة (عبد الرَّحمن بن رُستُم)، قيل: هو فارسيُّ الأصل.

أعدائِه، فحاربَهم برّاً وبحراً، وجرَت بينهُ وبينَ العبَّاسيِّين عدَّةُ وقعاتٍ انهزم المهديُّ في أكثرِها .

وجهَّز (القائمُ أبو القاسم محمَّد) أسطولاً ضخماً لغزوِ ساحلِ أوروبَّا، فافتتح (جِنوَة)[1]، وأثخنَ في (جزيرة سردينية) وغيرِها، وملكَ القائمُ (الإسكندريَّة)، ولكن أجلاهُ عنها الإخشيدُ[2].

وبعدَ المهديِّ جاءَ المعزُّ لدين الله الفاطميُّ، وجهَّزَ (أبا الحسينِ جوهَراً الصقليَّ) خادِمَه في جيشٍ عظيمٍ، وأرسلَه إلى أقاصي المغرِب سنة (٣٤٦هـ-٩٥٧م)، حتَّى انتهى إلى البحر المحيطِ، وجالَ في أكثرِ بلادِه وفتح (فاس) عنوةً، واستمرَّ المعزُّ يَغزو الجهاتِ، فاتَّسعَت أملاكُ الفاطميِّينَ العلويِّين اتِّساعاً عظيماً، ولَمَّا رأى المعزُّ اضطِّراب أحوالِ (مصر)، وكان ينتظرُ هذِه السَّانحة من زَمنٍ، وذلكَ بعد موتِ كافور الإخشيديِّ، جهَّز جيشاً وأرسلَه تحت قيادةِ جوهرِ الصقلِّي سنةَ (٣٥٥هـ-٩٦٦م)، إلى الدِّيار المصريَّة، فاستَولَى عليها بلا حَرب، وأقامَ فيها دعائمَ الفاطميِّينَ العلَويِّين ، ثمَّ إنَّ المعزَّ سار من إفريقية قاصِداً ديارَ مصر (٣٦١هـ-٩٧٢م)، بطريقِ البحر، واستعملَ على إفريقيةَ (**يوسُف بُلُكِّين بن زِيري بن منادِ الصَّنهاجي**)، وجعلَ على بلادِ صقلية (أبا القاسم عليَّ ابنَ الحسنِ بن عليٍّ)، وعلى طرابلُس الغربِ (عبدَ الله بن يخلُف الكتامي)، واستَصحبَ المعزُّ معهُ أهلَه وخزائنَه، ولَمَّا وصلَ الإسكندريَّةَ سنةَ (٣٦٢هـ-٩٧٣م)، أتاهُ أهلُ مصرَ وأعيانُها فلَقِيَهم وأكرمَهم، ثمَّ دخلَ مدينةَ (القاهرة) التي اختطَّها جوهرُ الصقلِّي سنةَ (٣٥٨هـ-٩٦٩م)، وقامَت فيها دولتُهم الفاطميَّةُ إلى عهد الأيوبيِّين سنةَ (٥٦٧هـ-١١٧١م) على ما سيأتي ذكرُه في تاريخ مِصرَ مِن الفَصلِ الآتي.

---

(١) - مُقاطَعةُ جنوَة: (Province of Genoa)، في شمالِ إيطاليا، تُطلُّ على البحرِ اللِّيغوري (Ligurian Sea)، نسبةً لمقاطعة (ليغوريا) شمالَ إيطاليا، و هو جزءٌ من المتوسط، تطلُّ عليه كلٌّ من فرنسا وإيطاليا وموناكو.

(٢) - الإخشيدُ: لقبٌ أشاعَهُ الرَّاضِي العبَّاسي على (أبي بكر محمَّد بن طُغج ت:٣٣٤هـ)، وهو في الأَصل مؤلَّفٌ من كلمتَين: (آق) وهي بالتُّركيَّة (أبيض)، و(شِيد) وهي بالتُّركيَّة (الشَّمسُ)، ومَعناهُما مجتمعَين (بياضُ الشَّمس)، وقد أُطلِقَ هذا اللَّقب على ملوك (فرغانَة) في أوزبكستان، ثمَّ هو لقبُ حكَّام (مصر) الذين جاؤوا بعدَ انهيار الدَّولة الطُّولونيَّة في مصر.

١١- بَنو زِيري (تونُس) :

قامَت دولةُ بني زِيري الصَّنهاجيين في تونُس سنةَ (٣٦١هـ-٩٧٢م)، وتُنسبُ هذِه الدَّولةُ إلى (صَنهاجة) وهي قبيلةٌ من قبائلِ البَربر، وكانَت لهم في إفريقيةَ طيلةَ مدَّةِ دولةِ الفاطميِّين العُبيديِّين دولةٌ ضَخمة، فكانوا عمَّالاً للعُبيديِّين، ثمَّ تغلَّبوا واتَّسع ملكُهم واستفحلَ أمرُهم في إفريقية، وعِدَّةُ ملوكِهم ثمانيةٌ، ومدَّة مُلكِهم (١٨١سنة)، وذلكَ من حين ذهابِ المعزِّ إلى مصر، إلى أن انقرَضتْ دولتُهم سنةَ (٥٤٢هـ)، ولو اعتبرنا أَوَّلَ دخولِهم في الإمارةِ واستعمالَ العُبيديِّين لهم فإنَّه كانَ من سنةِ (٣٣٥هـ)، فإنَّ المدَّة تكونُ (٢٠٧سنين).

١٢- بَنو حَفْص (تونُس) :

قامَت سنةَ (٦٠٣هـ-١٢٠٧م) دولةُ بني حفصٍ في تونُس، والحفصيُّون يُنسبون إلى (أبي حفصٍ عمرَ بن يحيى الهنتاني)، وكان من أصحابِ (المهديِّ محمَّد بن تُومرت الموحِّدي) وخواصِّه المقرَّبين، فلمَّا توفِّي ابنُ تومَرت وبايعَ الموحِّدونَ عبدَ المؤمن بنَ عليٍّ، كان أَوَّلُ من بايَعه (أبو حفصٍ عمرُ الهنتاني) هذا، فجعلَه عبدُ المؤمن رئيسَ وزرائِه، وجرَتْ بعد ذلك عادةُ الموحِّدين على توليةِ (بني أبي حَفص) الوزارةَ والولاياتِ الهامَّة.

كانَت أيامُ (بني حَفصٍ) في ابتداء أمرِهم من غُرَرِ الأيام، وعمَّت بلادُ الإسلامِ بإفريقيةَ وأوروبَّا، وأَتتْهُم البيعةُ من الأندلُسِ وغيرِها من البلادِ، وارتفعَ مقامُهم، وتلقَّبوا بألقابِ الخلفاء، وامتدَّ سلطانُ الطَّبقة الأُولى من الحفصيِّين من (تِلِمْسان في الجزائر) إلى (طرابلُس الغَرب في ليبيا)، ولم يزلْ أمرُهم على أحسنِ حالٍ حتَّى وقعَ بينهُم التَّحاسدُ وافتراقُ الكلِمة، فأخذَت دولتُهم في الإدبار، إلى أن كان ما كانَ من حضورِ العساكرِ **العثمانيَّةِ** إلى تونُس، واستيلائِهم عليها في عَهد الحفصيِّ (محمَّد بن الحسن)،وبذلكَ انقرضَ ملكُهم سنةَ (٩٨٢هـ-١٥٧٤م)، بعدَ أن حكَموا (٣٧٩سنة).

والخلاصةُ قد بَقي الحكمُ متوارَثاً للحَفصية بتونُس، والزَّيانية بتِلِمْسان، والمَرِينيَّة بمرَّاكش، من القرنِ الثالثَ عشرَ إلى القرنِ السَّادسَ عشرَ بعد الميلادِ .

وليسَ في طوْقِنا الآنَ أن نبيِّن حدودَ تلكَ الممالكِ الثلاثةِ بغايةِ الضَّبط، والغالبُ على الظَّنِّ أنَّ مُلكَ الحفصيَّةِ كان يمتدُّ مِن تونُس إلى نهايةِ أرض (بجاية)[1]، والزَّيانيَّةِ على أَرض تِلِمْسان والجزائر، والمَرينيَّةِ إلى جميعِ البلادِ الممتدَّةِ من تِلِمْسان إلى(الأوقيانوس الأطلانطيكي)[2]،وكان بينَ تلكَ الممالكِ حُروبٌ أَوجبَتْ تغيُّراً كلِّياً لكلِّ مملكةٍ هاجَرت[3].

١٣- العائلةُ الحُسَينيَّة (تونُس) :

قامَت في تونُس سنةَ (١١١٧هـ-١٧٠٥م) العائلةُ الحُسَينيَّة، وانتخَب الأهالي بطيبِ نفسٍ واختيارٍ منهُم (حُسينَ بنَ عليّ باشا) وسلَّموا لهُ الأمرَ، وأقرَّت الدَّولةُ العثمانيَّةُ ولايتَه، وما زالَت الولايةُ متوارَثةً في عائلتِه كبيراً عن كبيرٍ إلَّا ما ندَر، وأَمضت الدَّولةُ العثمانيَّةُ ذلك في حياتِه، ومن ذلك التَّاريخ استقرَّت الرِّياسةُ العامَّةُ التُّونسيَّةُ لـ(الباي)، وصارَ هو الذي يُولِّي (الدَّاي)، إلى أن انقطعَ هذا اللَّقبُ وعُوِّض برئيسِ الضَّابطيَّة في سنةِ (١٢٧٧هـ-١٨٦٠م) .

وفي (جُمادى الثَّانية١٢٩٨هـ-١٢أيَّار١٨٨١م)، أُمضِيَت معاهدةٌ بينَ (محمَّد الصَّادق باي)[4] وبينَ (الجنرال بريار) ممثِّل فرنسا في تونُس، وتشتملُ المعاهدةُ المذكورةُ على عشرةِ موادٍّ، جُعِلَت فيها تونُس تحتَ حمايةِ فرنسا التي يكون لوكيلِها المقيمِ بالولايةِ حقُّ القيامِ بجَميع الأعمالِ الخارجيَّة، وتتعهَّدُ الحكومةُ الفرنسيَّةُ بحمايةِ تونُس من جميعِ الطَّوارئ وأن يكونَ لها أكبرُ نفوذٍ وما أشبهَ ذلكَ من امتيازاتٍ جعَلَت تونُسَ وأهلَها في قبضةِ فرنسا، وعرفَت المعاهدةُ بـ**(معاهدَة باردو)**[5]. وكانت الأسبابُ التي مهَّدت لقيامِ الحمايةِ بتونُس تتَّصلُ إلى حدٍّ بعيدٍ بضعفٍ عامٍّ في أهمِّ الميادينِ الحيويَّة التي ترتكزُ عليها حياةُ الدَّولةِ واستقرارُها.

---

(١) - بجايَة: اليومَ مدينةٌ جزائريَّةٌ على ساحلِ المتوسِّط.

(٢) - الأوقياونس الأطلانطيكي: تَسميةٌ قديمةٌ للمُحيط الأطلسيِّ.

(٣) - انظُر في هذا: خُلاصة تاريخ العرَب: لويس بيير أوجين سيديو (ت:١٨٧٦م)، ترجمة: علي باشا مبارَك، بيروت، دار الآثار، ط٢، ١٤٠٠م.

(٤) - محمَّد الصَّادق باي بنُ حُسَين (ت:١٨٨٢م)، باي تونُس الثَّاني عشَر.

(٥)- عُدَّت معهدةُ باردو أو معاهدةُ قصر السَّعيد بدايةَ الاحتلالِ الفرنسيِّ لتونُس، وقَصر باردو إِحدى ضَواحي مدينةِ تونُس.

فقَد كانَت السِّياسةُ التُّونسيَّةُ في منتَصفِ القرنِ التَّاسعَ عشرَ الميلاديِّ تُعاني انعِزالاً يكادُ يكونُ تامَّاً عن التيَّارات العالميَّة، حتَّى إنَّ الحكومةَ التُّونسيَّة لَم تُبدِ حِراكاً إزاءَ ما دُبِّر لها في (مؤتمر برلين) سنةَ (١٢٩٥هـ-١٨٧٨م)، الذي أُطلِقَت فيه يدُ فرنسا لتفعلَ بتونُس ما تَشاء .

وكان الاقتصادُ التُّونُسيُّ في حالةٍ من الانهيارِ والضَّعف، جعلَت البلادَ عاجزةً حتَّى عن تمويلِ ميزانيَّة الدَّولة، الأمرُ الذي اضطَّر المَسؤولين التُّونُسيِّين إلى الاقتراضِ من عدَّة دولٍ أجنبيَّة، لا لتأسيسِ مشاريعَ اقتصاديَّةٍ تعودُ على البلادِ بالخير والرَّفاهية، وإنَّما لتسديدِ المصاريفِ الاعتياديَّةِ للدَّولة، وقد نتجَ عن تكاثُرِ دُيونِ الدَّولةِ وتضخُّمِها دخولُ تونُسَ تحت عجزٍ دَوليٍّ ماليٍّ، إذ أُنشِئَت سنةَ (١٢٨٧هـ-١٨٧٠م)، لجنةٌ ماليَّةٌ دوليَّةٌ للإشرافِ على الميزانيَّة التُّونسيَّةِ ومُراقبتِها.

ولقد ساعدَ ضعفُ الجهازِ الدِّفاعيِّ التُّونسيِّ على تجرُّءِ فرنسا وهجومِها منَ الجزائرِ على تونُس، وفرضِ الحمايةِ علَيها. على أنَّ التدخُّلَ الأجنبيَّ في الشُّؤونِ التُّونسيَّة ابتدأ منذُ ظهورِ نظامِ **(الامتيازاتِ القنصليَّة)**، ذلك النِّظامُ الذي جعلَ الأجانبَ لا يقعونَ تحتَ طائلةِ القضاءِ الوطنيِّ، الأمرُ الذي فتحَ المجالَ للدَّسائسِ والمؤمراتِ ضدَّ أمْنِ الدَّولةِ وسلامتِها، حتَّى انتَهى نفوذُ الفرنسيِّين إلى خَلْعِ ملكِ تونُسَ الشَّرعيِّ (محمَّدِ المُنصِف باي)، وذلكَ في (ربيع الثَّاني١٣٦١هـ-٧أيار١٩٤٣م) واعتقالِه في مدينة (بوردو)[1] بفرنسا، وتولَّى بعدَه آخرُ ملوكِ الحسَنيِّين (محمَّد الأمين باي) إلى سنةِ (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) حينَ قيام الجمهوريَّة التُّونُسيَّة.

وبعدَ جهادٍ مَريرٍ وصراعٍ دامٍ طويلٍ مع الاستعمارِ الفرنسيِّ، عقدَت تونُس اتِّفاقاً مع الحكومةِ الفرنسيَّةِ في (شوَّال١٣٧٤هـ-٣حزيران١٩٥٥م)، إثْرَ مفاوضاتٍ دارَت بينَ وفدَيْ تونُس وفرنسا على الاعترافِ لتونُس بالتَّصرُّف الكاملِ في سيادتها الدَّاخليَّة. ثمَّ جرَت مفاوضاتٌ بين فرنسا وتونُس بباريسَ في (رجَب١٣٧٥هـ-٢٧شباط١٩٥٦م)، وتمَّ الاتِّفاقُ بينَهما على الأمورِ الآتية:

(١) - بوردو: (Bordeaux) مدينةٌ في الجنوبِ الغربيِّ الفرنسيِّ.

١- إنَّ المعاهدَة المُبرمةَ في (١٢أيار١٨٨١م) بين فرنسا وتونُس لا تصلُحُ لضبطِ العلاقاتِ الفرنسيَّةِ التُّونسيَّة.

٢- إنَّ كلَّ ما يتنافى من تدابيرِ الاتِّفاقيَّات المُبرمةِ في (٣حزيران١٩٥٥م) مع النِّظامِ الجديدِ لتونُس بوصفِها دولةً مستقلَّةً وذاتَ سيادَة؛ فإنَّه يقعُ تحويرُه أو إلغاؤُه .

٣- ويترتَّبُ على ذلك أيضاً ممارسةُ تونُس لمسؤوليَّاتها في ميادينِ الشُّؤونِ الخارجيَّةِ والأمنِ والدِّفاع، وكذلكَ تأليفُ جيشٍ وطنيٍّ تونُسيٍّ، وتتَّفقُ فرنسا وتونُس على أن تُحدِّدا أو تُتِمَّا -في دائرةِ احترامِ سيادتَيهما- تدابيرَ التَّكافلِ في أجواء الحرِّيَّة، وذلكَ بتنظيمِ تعاوُنِهما في الميادينِ التي ترتبطُ فيها مصالحهُما، وخاصَّةً في ميادين الدِّفاع والعلاقاتِ الخارجيَّة، وستَضبطُ الاتِّفاقاتُ بين فرنسا وتونُس صِيغَ الإعانةِ التي تُقدِّمها فرنسا لتونُس قصدَ تأليفِ الجيشِ الوطنيِّ التُّونسيِّ.

ثمَّ وُقِّع اتفاقٌ دبلوماسيٌّ بين تونُس وفرنسا في (١٥حزيران ١٩٥٦م-١٣٧٥هـ) يؤكِّد **استقلالَ تونُس** وتصرُّفَها في شُؤونها الدَّاخليَّة والخارجيَّة، وقد نصَّ هذا الاتِّفاقُ على **الفُصول الآتية** :

أوَّلاً - تُمثِّلُ فرنسا في تونُس، وكذلك البلادُ التونُسيَّة في باريس بواسطةِ سَفير، يُلقَّبُ كلُّ ممثِّلٍ لهذَينِ القُطرَين بـ(سَفير فَوق العادَة مبعوث خاصّ للجمهوريَّةِ الفرنسيَّة لدى ملكِ تونُس)، و(سَفير فَوق العادَة مبعوث خاصّ لملكِ تونُس لدى الجمهوريَّة الفرنسيَّة) .

ثانياً - في الأقطارِ التي لَم تقرِّر البلادُ التُّونُسيَّةُ توجيهَ بعثةٍ دبلوماسيَّةٍ إليها فإنَّ الجمهوريَّةَ الفرنسيَّةَ مستعدَّةٌ للقيامِ هناكَ بتَمثيلِ ورعايةِ التُّونسيِّين والمصالحِ التُّونسيَّة إذا طلَبت الحكومةُ التونسيَّةُ ذلك، وفي هذه الصُّورة فإنَّ الأعضاءَ الدُّبلوماسيِّين والقناصلَ الفرنسيِّينَ يعملونَ طِبقَ تعليماتِ الحكومةِ التُّونسيَّة .

ثالثاً - تؤيِّد فرنسا ترشيحَ البلادِ التُّونسيَّة في المنطقةِ الأمميَّة، التي لَم يكُن لتونُس تمثيلٌ بها .

رابعاً - ريْثما يتمُّ إبرامُ المعاهدةِ التي تضبطُ كيفيَّةَ المشاركةِ في ميدانِ الشُّؤونِ الخارجيَّة فإنَّ الحكومتَين تتخابران وتتشاوران في جميعِ الأمورِ التي لها مصلحةٌ مشتركةٌ في هذا الميدان، وذلك في جوِّ المودَّة والتَّضامُن الذي يَسودُ علائقَهما.

وأُبرِمت في (رجَب١٣٧٦هـ-٢٠آذار١٩٥٧م)، مع (مرَّاكش) معاهدةُ إخاءٍ وتضامُن، كما أُبرِمت أيضاً مع (ليبيا) معاهدةُ إخاءٍ وحُسنُ جوارٍ في (جُمادى الثَّانية١٣٧٦هـ-٦كانون الثاني١٩٥٧م) .

١٤- الجُمهوريَّة التُّونُسيَّة :

وفي (٢٦ذي الحجة١٣٧٦هـ-٢٥تموز١٩٥٧م) اجتمعَ نوَّابُ الأمَّة في المجلسِ القوميِّ التأسيسيِّ، وناقَشوا نظامَ الدَّولة، ثمَّ أعلَنوا أن تونُس **دولةٌ جمهوريَّة**، وأسنَدوا رئاسَتها إلى (الحبيب بو رقيبة)[1]، وهذا نصُّ القرار:

(نحنُ نوَّابَ الأمَّةِ أعضاءَ المجلسِ التَّأسيسيِّ، بمُقتضى مالَنا من نفوذٍ كاملٍ مُستَمدٍّ من الشَّعب، وتدعيماً لأركانِ استقلالِ الدَّولة وسيادةِ الشَّعب، وسيراً في طريقِ النِّظام الدِّيموقراطيِّ الذي هو وجهةُ المجلسِ في تسطيرِ الدُّستور، نتَّخذُ باسمِ الشَّعب القرارَ التاليَ النَّافذَ المفعولِ حالاً:

١- نُلغي النِّظامَ الملَكيَّ إلغاءً تامَّاً .

٢- نُعلِنُ أنَّ تونُسَ دولةٌ جمهوريَّة .

٣- نكلِّف رئيسَ الحكومةِ السيَّدَ حبيبَ بو رقيبة بمهامِّ رئاسةِ الدَّولة على حالِها الحاضرِ، ريْثما يدخلُ الدُّستورُ في حيِّز التَّطبيق، ونطْلِقُ عليه لقبَ رئيسِ الجمهوريَّة التُّونُسيَّة .

٤- نكلِّفُ الحكومةَ بتنفيذِ القرار، واتِّخاذِ التَّدابيرِ اللَّازمةِ لصيانةِ النِّظامِ الجمهوريِّ، كما نكلِّفُ كلاً من رئيسِ المجلسِ والأمينِ العامِّ لمكتبِ المجلسِ والحكومةِ بإبلاغِ هذا القرارِ الخاصَّ والعامَّ، أصدرناه في قصرِ المجلسِ بـ(باردو) في (٢٦ذي الحجة١٣٧٦هـ-٢٥تموز١٩٥٧م) .

١٥- عائلةُ القَرَه مانلي في طرابلُس (ليبيا):

استقلَّت عائلةُ (القره مانلي) بولاية طرابلُس سنةَ (١١٢٣هـ-١٧١١م)، ونَصَّب الجنودُ

---

(١) - الحبيب بورقيبة: وُلدَ سنةَ (١٩٠٣م)، وتوفِّي في إبريل (٢٠٠م)، خلَفَهُ الرَّئيسُ الحاليُّ (زينُ العابدينَ بن علي) منذُ (١٩٨٧م).

(أحمد القره مانلي) وهو رأسُ هذه العائلةِ التي استقلَّتْ بالحكمِ في ولايةِ طرابلُس مدَّة تزيدُ عَن (قرنٍ) من الزَّمان، وقد اشتُهِرَت هذهِ العائلةُ بالأعمالِ البحريَّة حتَّى إنَّ الدُّولَ البحريَّةَ الأوروبِّيَةَ قامَت لها بدفعِ جزيةٍ سنويَّةٍ في مقابلةِ منعِ تعدِّي قُرصانِها على سفُنهم بالبحرِ المتوسِّط .

وفي (محرَّم١٢٥١هـ-١٨٣٥م)، أبحرَ أسطولٌ تركيٌّ مؤلَّفٌ من اثنينِ وعشرينَ قطعةٍ بحريَّةٍ قاصداً ميناءَ طرابلُس، وعندما صعدَ (عليّ باشا القرَه مانلي) آخرُ ولاةِ هذِه العائلةِ إلى سفينةِ (الأميرال) لاستقبال (مُصطفى نجيب) ممثِّلِ السُّلطانِ العُثمانيِّ، أمرَ هذا باعتقالِه على ظهرِ السَّفينة، ونزلَ (مُصطفى نَجيب) فأعلنَ خلْعَ (علي باشا) المذكورَ وتوليةَ (محمَّد باشا رائس)، ولمَّا تولَّى (محمَّد باشا) كان أوَّلُ عملٍ قام بِهِ هو إجلاءُ أفرادِ الأسرةِ القرَه مانليَّة إلى القُسطنطينيَّةِ باستثناءِ (يوسُف القرَه مانلي) وبعضِ أولادِه، ثمَّ تتابعَ الولاةُ العثمانيُّون بعد ذلكَ على (ليبيا)، وتخلَّلتْ حُكمَهُم ثوراتٌ واضطِّرابات .

احتلالُ إيطاليا لطرابلُس وليبيا: قد حاولَت إيطاليا قبلَ احتلالها ليبيا أن تخلقَ ذريعةً لمحاربةِ تركيَّا، وحاوَلت التحرُّشَ بالأتراكِ عدَّة مرَّات، كما أرسلَتْ أساطيلَها إلى السَّواحلِ الطَّرابلسيَّة للاستكشافِ وإثارةِ الشُّعور.

وفي (رمضَان١٣٢٩هـ-٧أيلول١٩١١م)، وجَّهت إيطاليا إنذاراً إلى (حقِّي باشا) الصِّدرِ الأعظمِ العثمانيِّ، تطلُبُ فيهِ تسليمَ ليبيا، وقد سارعَ الصَّدرُ الأعظمُ إلى تلبيةِ هذا الطَّلب، وأمرَ الجنودَ بالانسحابِ والعودةِ إلى القُسطنطينيَّة دونَ قتالٍ .

وبَينما أخذَ الأتراكُ يتجمَّعون عندَ (قرقارش)[1] تمهيداً لانسحابِهم، دخلَت ميناءَ طرابلُس باخرةٌ ترفعُ العلمَ الألمانيَّ وفيها سلاحٌ، فاستَولَى عليها الطَّرابلسيُّون، ووزَّعوا السِّلاحَ على القُرى والقبائلِ المختلِفة، ثمَّ أرسلَ الشُّيوخُ والزُّعماءُ برقيَّاتٍ إلى القُسطنطينيَّةِ يُبدونَ فيها استعدادَهُم للقِتال، فاستُجِيبَ طلبُهم، وسقَطَت وزارةُ (حقِّي باشا)، وتولَّت وزارةُ (سعيد باشا) الحكمَ، وأعلَنت الحربَ على إيطاليا في (شوَّال١٣٢٩هـ-٢٩أيلول١٩١١م).

(١) - قرقارش: منطقةٌ داخلَ مدينةِ طرابلُس الغَرب.

وفي (٣تشرين الأوَّل١٩١١م) وصلَت البوارجُ الحربيَّةُ الإيطاليَّةُ ميناءَ طرابلُس، وأخذَت تقذفُ المدينةَ بقنابِلها، ثمَّ أنزلَ الإيطاليُّونَ جنودَهم إلى المدينةِ، وكان عددُهم حوالي (١٢٠ألفاً)، مجهَّزينَ بأحدثِ الأسلحةِ، والتحَموا مع الطَّرابلسيِّين في عدَّة معاركَ انتَهت بعَقدِ معاهدةٍ بين تركيًّا وإيطاليا في (١٨تشرين الأول١٩١٢م)، سلَّمَتْ تركيًّا بمُوجِبها ليبيا إلى إيطاليا.

وبإعلانِ الحربِ العالميَّة الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) استُؤنِفَ القتالُ كرَّةً أُخرى بين إيطاليا وتركيًّا، فاتَّصل الأتراكُ باللِّيبيِّين واتَّفقوا معهُم على مُحاربةِ إيطاليا، وأمدُّوهم بالأسلحةِ والذَّخائر، بواسطةِ الغوَّاصاتِ الألمانيَّةِ.

وأنشأ الطَّرابلسيُّونَ حكومةً وطنيَّةً عامَ (١٣٣٢هـ-١٩١٤م) في (مصراته)[١] برئاسةِ (رمضان السُّويحلي)[٢]، وعيَّنَ الأتراكُ (الأميرَ عثمان فؤاد) حفيدَ السُّلطانِ مُراد أميراً على البلادِ، كما تولَّى (إسحاقُ باشا التُّركيُّ) القيادةَ العامَّةَ للجيشِ الطَّرابلسيِّ، فأخذَ الطَّرابلسيُّون يَشنُّون على الإيطاليِّين الحربَ، وتقهقرَ الإيطاليُّونَ إلى داخلِ مدينةِ طرابلُس، حيثُ اعتصَموا طيلةَ مدَّةِ الحربِ. وعقِبَ انتهاءِ الحربِ العالميَّةِ الأُولى سنةَ (١٣٣٧هـ-١٩١٨م)، استأنَفَت إيطاليا القتالَ مع الوطنيِّين، ونكَّلَتْ بهِم[٣]، ولَم تخضَع ليبيا بكاملِ أجزائِها لحُكمِ الطُّليانِ إلَّا في عامِ (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)

١٦- المَملكةُ اللِّيبيَّةُ المُتَّحِدَة :

بعدَ إعلانِ إيطاليا - ومعَها ألمانيا- الحربَ على إنكلترا وفرنسا في (ذي القعدة١٣٥٨هـ-١٠كانون الثاني١٩٤٠م)، عقدَ الزُّعماءُ اللِّيبيُّون اجتماعاً في (القاهرة) تقرَّر فيهِ إنشاءُ جيشٍ ليبيٍّ للاشتراك معَ الإنكليزِ في تحريرِ ليبيا، وسُمِّيَ بـ(الجيشِ العربيِّ اللِّيبيِّ)، وقامَ الإنكليزُ بتدريبهِ

---

(١) - مصراتَه: ثالثُ كُبرَى المدُنِ اللِّيبيَّةِ على ساحلِ البحرِ المتوسِّط.

(٢) - رمضان السُّويحلي (١٨٨٠م-١٩٢٠م): من زعماء الجهاد في طرابلُس الغربِ ضدَّ الإيطاليِّين.

(٣) - ولعلَّ في طليعتِهم المجاهدَ الكبيرَ (عمر المُختار) الذي استبسَلَ مع طائفتهِ السَّنونسيَّةِ في مُقاومةِ الطِّليانِ في منطقةِ الجبلِ الأخضَر، شمالَ شَرقي ليبيا، حتَّى يوم إعدامِه في (١جمادَى الأولى ١٣٥٠هـ- ١٦ أيلول ١٩٣١م)

وإعدادِه للقتالِ، وبلَغت قوَّةُ هذا الجيشِ عامَ (١٣٦١هـ-١٩٤٢م)، خمسَ فِرَقٍ، اشترَكَتْ في الحربِ ضدَّ الألمانِ والطُّليان .

وفي (المحرَّم١٣٦٢هـ-٢٣كانون الثاني١٩٤٣م) تقهقرَ الألمانُ والإيطاليُّون، ودخلَ الإنكليزُ مدينةَ (طرابلُس)، وبذلكَ انتهى حكمُ الطُّليان في هذِه البلادِ، وأعقبَ ذلكَ تأليفَ أحزابٍ سياسيَّةٍ طالبَت بالاستقلالِ والوَحدة والانضمامِ إلى الجامعةِ العربيَّة، وقد تكلَّلت تلكَ الجهودُ بأن اتَّخذت الجمعيَّةُ العموميَّةُ للأممِ المتَّحدةِ في (ذي الحجَّة١٣٦٧هـ-٢١تشرين الأوَّل١٩٤٨م)، قراراً بأن تُصبح ليبيا المكوَّنةَ من ولاياتٍ: (طرابلُس الغرب، وبَرقة[1]، وفزَّان[2])، دولةً مستقِلَّة ذاتَ سيادةٍ، على أن يُصبح هذا الاستقلالُ نافذاً في أقربِ وقتٍ، بحيثُ لا يتأخَّرُ ذلك بحالٍ من الأحوالِ عَن (ربيع الثاني١٣٧١هـ-أوَّلِ كانون الثَّاني١٩٥٢م) .

١٧- الجُمْهُوريَّة اللِّيبيَّة :

ثمَّ نادَت الجمعيَّةُ الوطنيَّةُ اللِّيبيَّةُ في (٢٢صفَر١٣٧٠هـ-٢كانون الأوَّل١٩٥٠م) بالأميرِ (**محمَّد إدريس المَهدي السَّنوسيِّ**)[3] أميرِ (برقة) مَلِكاً دُستوريَّاً للمملكةِ اللِّيبيَّة المتَّحدة. وبعد إتمامِ عمليَّةِ نقلِ السُّلُطاتِ، وصُدورِ الأمرِ الملكيِّ البريطانيِّ بإنهاءِ سُلطةِ ملكِ بريطانيا العُظمى في إقليمَي (طرابلُس) و(بَرقة)، والإعلانِ الصَّادرِ في (فزَّان) بإلغاءِ جميعِ السُّلطاتِ التي كانت للجُمهوريَّةِ الفرنسيَّةِ في ذلكَ الإقليم، أعلنَ الملكُ إدريسُ الأوَّلُ في (ربيع الثَّاني١٣٧١هـ-٢٤كانون الأول١٩٥١م)، بصفةٍ رسميَّةٍ في (قصر المنارِ) بحضُورِ رئيسِ وزراءِ الحكومةِ المُوقَّتةِ ووُزرائِها ومندوبِ الأممِ المتَّحدةِ في ليبيا وممثِّلين دبلوماسيِّين لدُولٍ أجنبيَّةٍ وأعيانٍ من الأقاليمِ

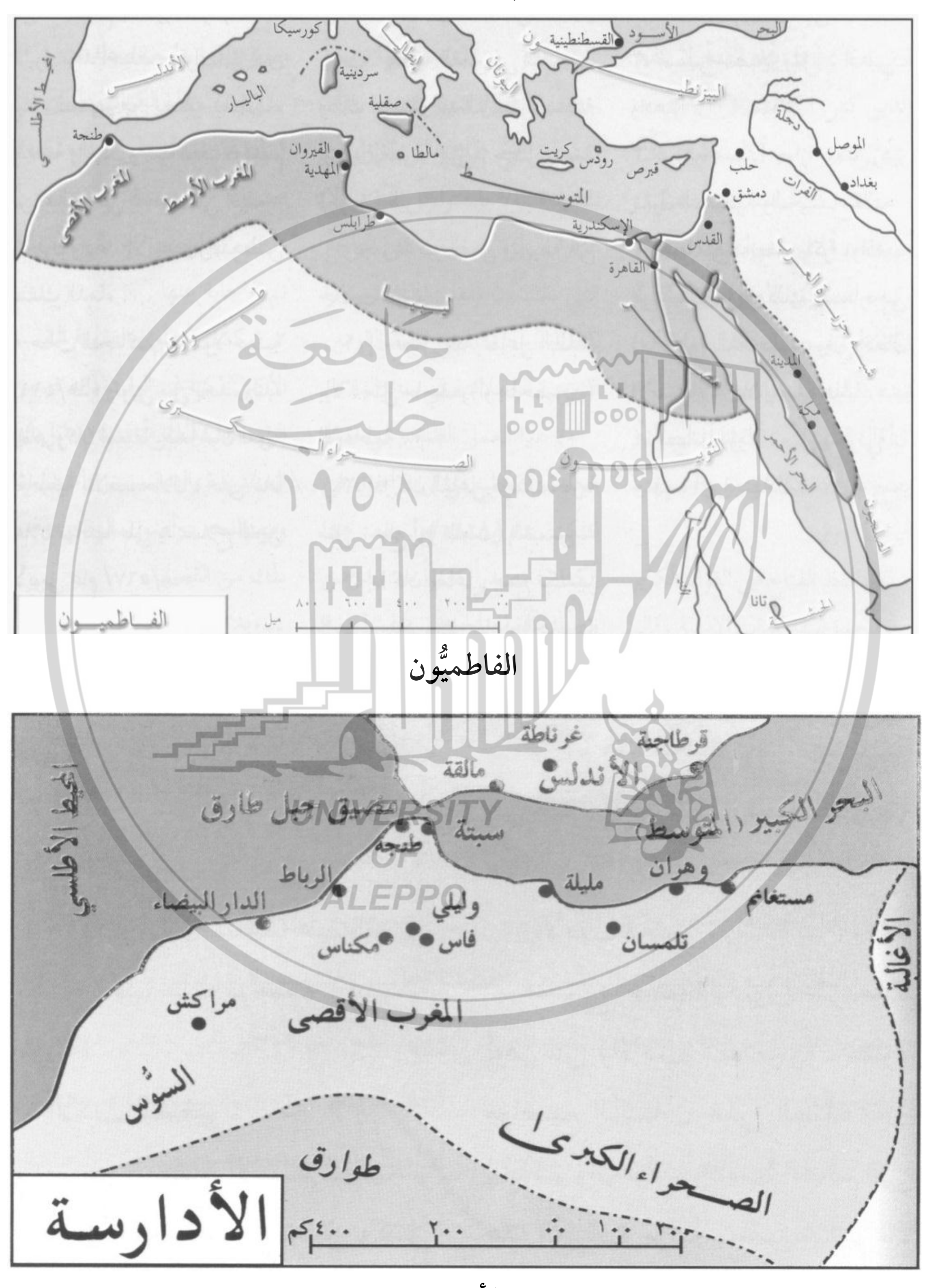
---

(١) – برقة: أو (بركا)، ويُعرَفُ أيضاً بإقليمِ سيرين (Cyrenaica)، إقليمٌ في شرقِ ليبيا.

(٢) – فزَّان: المنطقةُ الجنوبيَّةُ الغربيَّةُ من ليبيا، مُعظَمها أراضٍ صَحراويَّة.

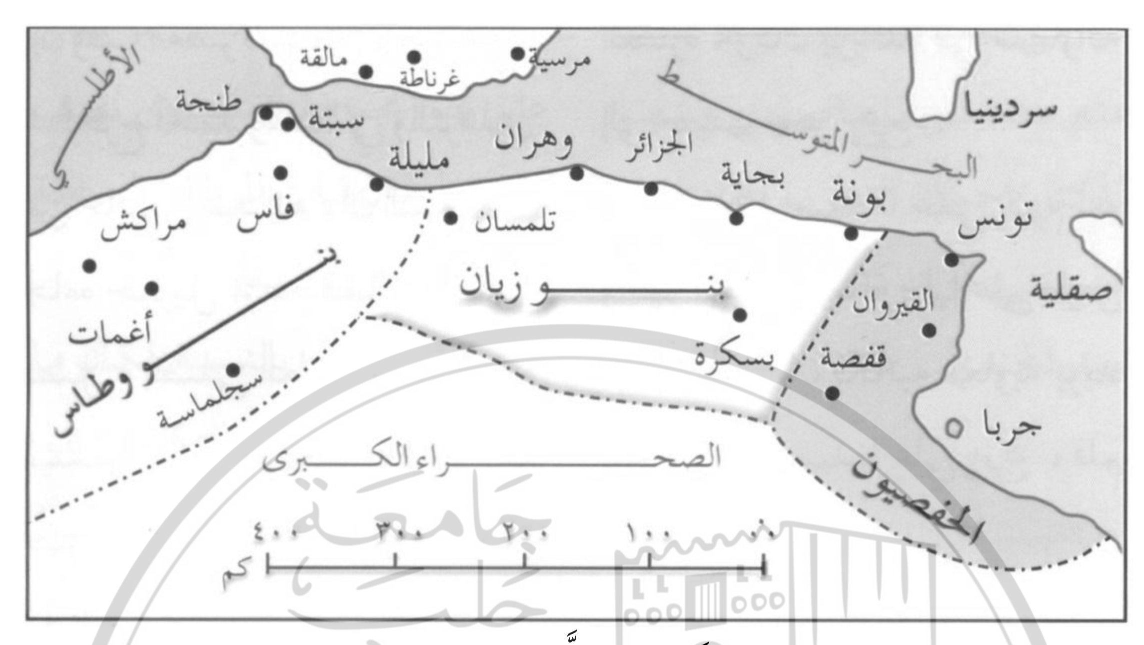
(٣) – إدريسُ الأوَّل (ت: ١٤٠٤هـ١٩٨٣م بالبقيع) ،: محمَّد إدريس الخطَّابي الإدريسيِّ الحسَني ابنُ المَهديِّ ابنِ (محمَّد علي السَّنوسيِّ؛ مؤسِّسِ الطَّريقةِ السَّنوسيَّة)، ظلَّ ملكاً على ليبيا حتَّى (ثورةِ الفاتِح) في ١أيلول ١٩٦٩م، يومَ أطاحَ القذَّافي بحُكمهِ الملكيِّ.

الثَّلاثة؛ أعلنَ أنَّ ليبيا أصبَحت دولةً مستقلَّةً ذاتَ سيادةٍ، وأنَّه سيَحكمُ البلادَ بطريقةٍ دُستوريَّة، ثمَّ أصبحَت ليبيا في عدادِ أعضاءِ هيئةِ الأممِ المتَّحِدَة.

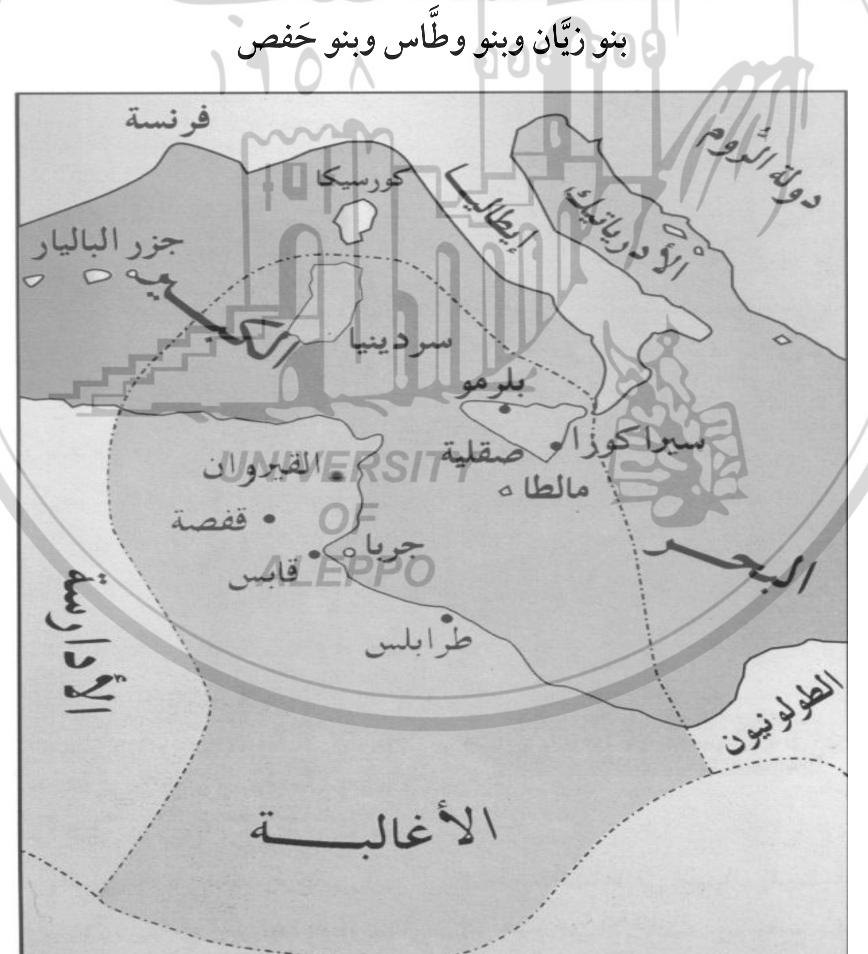


الفاطميُّون

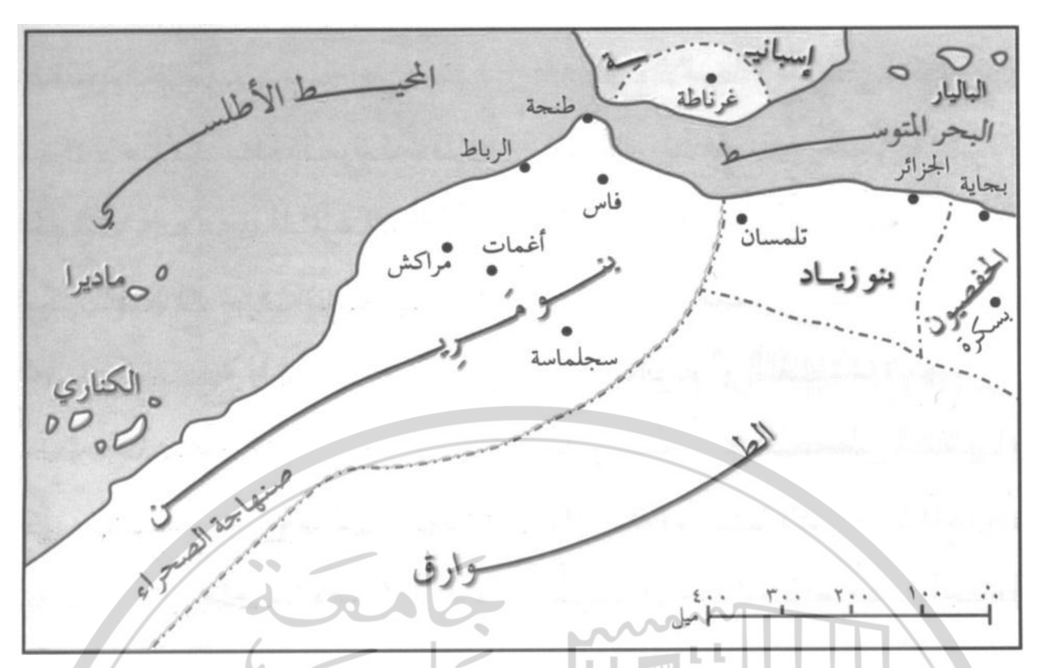
الأدارسَة



بنو زيّان وبنو وطّاس وبنو حَفص



الأغالبة



بنو مَرين

* قوائمُ أسماء الحكَّام المَغارِبيِّين *

* الأدارسة	* الموحِّدون
إدريس الأوَّل مِن نسل الحسن بنِ عليٍّ (١٢٧هـ-٧٨٨م).	محمَّد بنُ عبد الله (المَهديُّ بنُ تومَرت) (٥٤١هـ-١١٢٩م)
إدريس الثَّاني بن إدريس الأوَّل (١٧٧هـ-٧٩٣م)	عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ (٥٤٢هـ-١١٣٠م)
محمَّد بن إدريس الثَّاني (٢١٣هـ-٨٢٨م)	أبو يَعقوب يوسُف الأوَّل (٥٥٨هـ-١١٦٣م)
عليُّ الأوَّل بن محمَّد (٢٢١هـ-٨٣٧م)	أبو يوسُف يعقوبُ المنصورُ (٥٨٠هـ-١١٨٤م)
يحيى الأوَّل بن محمَّد (٢٣٤هـ-٨٤٨م)	محمَّد النَّاصر (٥٩٥هـ-١١٩٩م)
يحيى الثَّاني بن يحيى الأوَّل	يوسُف الثَّاني المُستنصِر (٦١١هـ-١٢١٤م)
علي الثَّاني بن عمر بن إدريس الثَّاني	عبدالواحِد بن يوسُف (٦٢٠هـ-١٢٢٣م)
يحيى الثَّالث بن القاسم بن إدريس الثَّاني	عبد الله العادِل (٦٢١هـ-١٢٢٤م)
يحيى الرَّابع بن إدريس بنِ عمر	يحيى بنُ النَّاصر (٦٢٤هـ-١٢٢٧م)
موسَى بن أبي العافيَة	أبو العلاء إدريسُ المأمون (٦٢٦هـ-١٢٢٩م)
كنون بن محمَّد بن القاسِم	عبد الواحِدِ الرَّشيد (٦٣٠هـ-١٢٣٢م)
أبو العيش أحمدُ بنُ القاسِم	أبو الحسن عليُّ السَّعيد (٦٤٠هـ-١٢٤٢م)
أبو القاسِم الحسن بنُ كنون (الحجَّام)	أبو حفصٍ عمرُ المُرتضى (٦٤٦هـ-١٢٤٨م)
	أبو العلاء إدريسُ الواثقُ بالله (٦٦٥-٦٦٧هـ-١٢٦٦-١٢٦٩م)

* المُرابِطون	
يَحيى بنُ عُمر (٤٤٨هـ-١٠٥٦م)	تاشَفينُ بنُ عليٍّ (٥٣٧هـ-١١٤٣م)
أبو بكر زكريَّا بنُ عُمر	إبراهيمُ بنُ تاشَفين (٥٤١هـ-١١٤٥م)
يوسفُ بنُ تاشَفين (٤٨٠هـ-١٠٨٧م)	إسحاقُ بنُ عليٍّ (٥٤٢هـ-١١٤٦م)
عليُّ بنُ يوسُف (٥٠٠هـ-١١٠٦م)	
* المَرينيُّون	
عبدُ الحقِّ بنُ محيو (٥٩٢- ٦١٤ هـ)، (١١٩٥ – ١٢١٧م)	عبدُ الله (حوالي ٨٧٥هـ-١٤٧٠م)
أبو سعيد عثمانُ الأوَّل بن عبد الحقِّ (٦١٤هـ-١٢١٧م)	المولى سعيدُ (حوالي ٨٧٦هـ-١٤٧١م)
محمَّد الأوَّل بن عبد الحقِّ (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)	المولى أحمد
أبو يحيى أَبو بكر (٦٤٢هـ-١٢٤٤م)	المولى ناصرُ بوكنتوف (٩٠٨هـ-١٥٠٢م)
عمرُ بنُ أبي بكر (٦٥٦هـ-١٢٥٨م)	المولى أحمدُ (٩٢٦هـ-١٥٢٠م)
أبو يوسُف يعقوبُ بنُ عبد الحقِّ المنصور (٦٥٧هـ-١٢٥٩م)	المولى أبو حسُّون (٩٦١هـ-١٥٥٤م)
أبو يعقوب يوسُف بنُ يعقوب ناصرُ دينِ الله (٦٨٥هـ-١٢٨٦م)	
المولى أبو حسُّون (حوالي ٨٦٢هـ-١٤٥٨م)	
* الأشرافُ السَّعديُّون	
أبو ثابت عامرُ (٧٠٦هـ-١٣٠٧م)	أبو عبد الله القائم بأمر الله (٩١٦هـ-١٥١١م)
أبو الرَّبيع سُليمان (٧٠٨هـ-١٣٠٨م)	أبو العباس أحمد الأعرج (٩٢٣هـ-١٥١٧م)
أبو سعيد (عُثمانُ الثَّاني) (٧١٠هـ-١٣١٠م)	محمد الشيخ الأول المهدي (٩٥١هـ-١٥٤٤م)
أبو الحسن عليٌّ (٧٣٢هـ-١٣٣١م)	المولى عبد الله الأول (٩٦٤هـ-١٥٥٧م)
أبو عَنان أحمد (٧٤٩هـ-١٣٤٨م)	المولى محمد (٩٨١هـ-١٥٧٤م)
السَّعيد (الأوَّل) (٧٥٩هـ-١٣٥٨م)	أبو مروان عبد الملك الأول (٩٨٣هـ-١٥٧٥م)
أبو سَليم إبراهيمُ (٧٦٠هـ-١٣٥٩م)	المولى أحمد المنصور بن عبد الملك الذَّهبي (٩٨٦هـ-١٥٧٨م)
أبو عمر تاشَفين (٧٦٢هـ-١٣٦١م)	المولى المأمون (١٠١٢هـ-١٦٠٢م)
عبدُ الحليم (٧٦٢هـ-١٣٦١م)	المولى عبد الله الثاني (١٠٢٢هـ-١٦١٣م)
أبو زيان محمَّد الثَّاني (٧٦٣هـ-١٣٦١م)	المولى عبد الملك (١٠٣٣هـ-١٦٢٤م)
السَّعيد الثَّاني (٧٧٤هـ-١٣٧٢م)	محمد الشيخ الثاني (١٠٣٦هـ-١٦٢٧م)
أبو العبَّاس أحمدُ (٧٧٦هـ-١٣٧٤م)	المولى أحمد العباس (١٠٦٤-١٠٦٩هـ-١٦٥٤-١٦٥٩م)

موسى (٧٨٦هـ-١٣٨٤م)	*** دَولةُ بني زِيري الصَّنهاجيِّين في تونُس**
المنتصِرُ (٧٨٦هـ-١٣٨٤م)	يوسفُ بنُ بُلُكِّين بنِ زِيري بنِ باديس (٣٦١هـ-٩٧٢م)
الواثقُ (٧٨٨هـ-١٣٨٦م)	المنصورُ بنُ يوسُف (٣٧٣هـ-٩٨٣م)
أبو العبَّاس أحمدُ "مرَّةً ثانيةً" (٧٨٩هـ-١٣٨٧م)	باديسُ بنُ المنصور (٣٨٦هـ-٩٩٦م)
أبو فارِس (٧٩٦هـ-١٣٩٣م)	المعزُّ بن باديس (٤٠٦هـ-١٠١٥م)
أبو سعيدٍ (حوالى ٨١٤هـ-١٤١١م)	تميمُ بن المعزِّ (٤٥٣هـ-١٠٦١م)
سعيدٌ ويعقوبُ (٨٢٤هـ-١٤٢١م)	يحيى بنُ تميم (٥٠١هـ-١١٠٨م)
عبدُ الله (٨٢٦هـ-١٤٢٣م)	عليُّ بن يحيى (٥٠٩هـ-١١١٥م)
محمَّد بنُ أبي عنان أحمدُ	الحسن بن عليٍّ (٥١٥-٥٤٢هـ-١١٢١-١١٤٧م)
*** الأشرافُ الحسَنيُّون**	
المولى محمَّدُ بن الشَّريف (١٠٥٠هـ-١٦٤٠م)	المولى عبد الرَّحمن بنُ هاشم (١٢٣١هـ-١٨١٦م)
المولى الرَّشيد (١٠٧٥هـ-١٦٦٤م)	المولى محمَّد بن عبد الرَّحمن (١٢٧٦هـ-١٨٥٩م)
أبو النَّصر المولى إسماعيل (١٠٨٤هـ-١٦٧٢م)	المولى الحسنُ (١٢٩٠هـ-١٨٧٣م)
أحمد الذَّهبيُّ (١١٣٩هـ-١٧٢٧م)	المولى عبدُ العزيز (١٣١١هـ-١٨٩٤م)
المولى عبد الله بنُ إسماعيل (١١٤١هـ-١٧٢٨م)	المولى عبدُ الحفيظ (١٣٢٦-١٣٣٠هـ-١٩٠٩-١٩١٢م)
المولى محمَّد بنُ عبد الله (١١٧١هـ-١٧٥٧م)	السُّلطان يوسُف (١٣٣٠-١٣٤٦هـ-١٩١٢-١٩٢٧م)
المولى يَزيد (١٢٠٤هـ-١٧٨٩م)	الملكُ محمَّد الخامِس (١٣٤٦-١٣٨٠هـ-١٩٢٧-١٩٦١م)
المولى سُليمان (١٢٠٦هـ-١٧٨٩م)	
*** دَولةُ الفاطميِّين (العُبيديِّين) بإفريقيَة**	*** دَولةُ بَني حَفْصٍ بتونُس**
عُبيدُ الله المهديّ (٢٩٦هـ-٩٠٨م)	عبد الواحِدِ بنُ أبي بكر بن أبي حفص (٦٠٣هـ-١٢٠٧م)
القائمُ أبو القاسم محمَّد (٣٢٢هـ-٩٣٤م)	أبو زكريَّا يحيى بنُ عبد الواحد (٦١٨هـ-١٢٢١م)
إسماعيلُ المنصور (٣٣٤هـ-٩٤٦م)	المستنصرُ بالله محمَّد بنُ يحيى (٦٤٧هـ-١٢٤٩م)
المعزُّ لدين الله أبو تَميم (٣٦١هـ-٩٧٢م)	يحيى بن محمَّد (٦٧٥هـ-١٢٧٦م)
العزيزُ بالله بنُ المعزِّ لدين الله	أبو حَفص عمرُ الملك (٦٨٣هـ-١٢٨٤م)
الحاكمُ بأمر الله بنُ العزيز بالله	محمَّد بن يحيى الواثقُ (٦٩٤هـ-١٢٩٥م)
الظَّاهرُ بنُ الحاكم (٥٦٧هـ-١١٧١م)	أبو حفص عمرُ (٧٤٧هـ-١٣٤٦م)
	براهيم المستنصرُ (٧٥٣هـ-١٣٥٢م)

* الأَغالِبةُ	... تابع (دولة بني حفص بتونُس)
إبراهيمُ الأوَّل (١٨٤هـ-٨٠٠م)	أبو البقاء خالدُ (٧٧٠هـ-١٣٦٩م)
عبد الله الأوَّل (١٩٦هـ-٨١١م)	أبو العبَّاس أحمد (٧٧٢هـ-١٣٧٠م)
زيادةُ الله الأوَّل (٢٠١هـ-٨١٦م)	أبو فارس عبدُ العزيز بنُ أحمد (٧٩٦هـ-١٣٩٤م)
أبو عقال الأغلَب (٢٢٣هـ-٨٣٧م)	محمَّد بنُ أبي فارس (٨٣٧هـ-١٤٣٤م)
محمَّد الأوَّل (٢٢٦هـ-٨٤٠م)	أبو عَمرو عثمان (٨٣٩هـ-١٤٣٦م)
أحمد بنُ أبي العبَّاس (٢٤٢هـ-٨٥٦م)	يحيى بن أبي عبد المسعود (٨٩٣هـ-١٤٨٨م)
زيادةُ الله الثَّاني (٢٤٩هـ-٨٦٣م)	محمَّد بن الحسن (٨٩٩هـ-١٤٩٤م)
محمَّد الثَّاني (٢٥٠هـ-٨٦٤م)	الحسن بن محمَّد (٩٣٢هـ-١٥٢٦م)
إبراهيم الثَّاني (٢٦١هـ-٨٧٤م)	أحمد بنُ الحسن (٩٤١هـ-١٥٣٤م)
عبد الله الثَّاني (٢٨٩هـ-٩٠٢م)	محمَّد بن الحسن (٩٧٨-٩٨٢هـ-١٥٧٠-١٥٧٤م)
زيادة الله الثَّالث (٢٩٠-٢٩٦هـ-٩٠٣-٩٠٩م)	
* عائِلةُ القَرَه مانلي بطَرابلُس الغرَب	
أحمدُ القَرَه مانلي (١١٢٣هـ-١٧١١م)	عليُّ الجزائريُّ (١٢٠٧هـ-١٧٩٣م)
محمَّدُ بنُ أحمد (١١٥١هـ-١٧٣٨م)	يوسفُ بنُ عليِّ بنِ محمَّد بنِ أحمدَ القَرَه مانلي (١٢١٠هـ-١٧٩٥م)
عليُّ بنُ أحمد (١١٦٧هـ-١٧٥٤م)	عليُّ بنُ يوسُف (١٢٤٦-١٢٥١هـ-١٨٣٠-١٨٣٥م)
* العائلةُ الحُسَينيَّةُ بتونُس	
حسينُ بنُ عليّ باشا (١١١٧هـ-١٧٠٥م)	الباي المشيرُ أحمد (١٢٥٣هـ-١٨٣٧م)
الباي علي باشا (١١٥٣هـ-١٧٤٠م)	الباي المشيرُ محمَّد (١٢٧١هـ-١٨٥٥م)
الباي محمَّد الرَّشيد (١١٦٩هـ-١٧٥٦م)	المشيرُ محمَّد الصَّادق باي (١٢٧٦-١٢٩٩هـ/ ١٨٥٩-١٨٨٢م)
الباي علي الثَّاني (١١٧٢هـ-١٧٥٩م)	عليّ باي (١٢٩٩هـ-١٨٨٢م)
الباي حمُّوده (١١٩٦هـ-١٧٨٢م)	محمَّد الهادي باي (١٣٤٠هـ-١٩٢٢م)
الباي عُثمان (١٢٢٩هـ-١٨١٤م)	محمَّد النَّاصر باي
الباي محمُود (١٢٣٠هـ-١٨١٥م)	محمَّد الحبيب باي
الباي حُسين (١٢٣٩هـ-١٨٢٤م)	محمَّد المنصف باي (١٣٦٢هـ-١٩٤٣م)
الباي مُصطفى (١٢٥١هـ-١٨٣٥م)	محمَّد الأمين باي (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)

*****

الفَصلُ الخامسُ:

التَّاريخُ المَشارِقيُّ

في مِصرَ والشَّام وجَزيرَةِ العرَب




جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

تمهيدٌ:

مدخلٌ إلى تاريخ مِصرَ والشَّام

منذُ أن استقرَّ الإسلامُ في مصرَ استحالَت ولايةً إسلاميَّةً تابعةً للخلافةِ في المدينة أوَّلاً، ثمَّ في الكوفة أيَّامَ عليٍّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ في دمشقَ، ثمَّ في بغداد، بعد ذلك بدأت مصرُ تتحوَّلُ شيئاً فشيئاً إلى قاعدةٍ رئيسةٍ من قواعد دولةِ الإسلام. فمنذُ العقد الأوَّل للنِّصف الثَّاني من القرن (الثَّالث الهجريِّ/ التَّاسع الميلاديِّ) بدأتْ في الظُّهور على خارطةِ تاريخِ الإسلام وَحدةٌ سياسيَّةٌ جديدةٌ يمكن تَسميتُها بدولةِ (مصرَ والشَّام)؛ تطوَّرت مع الزَّمن حتَّى أصبحَت (سلطنةَ مصرَ والشَّام) بدءاً من (العصر الأيُّوبيِّ) في النِّصفِ الثَّاني من القرن السَّادس الهجريِّ.

هذه الدَّولة شملَت (مصرَ والشَّام)، غير أنَّ سُلطاتِها كانَت تشملُ الشَّام كلَّه أحياناً، وأحياناً أخرى جُزءاً منه أو جُلَّهُ بتعبيرٍ أدقَّ، وقاعدةُ هذه الدَّولة (مصرُ)، وليس معنى ذلك أنَّ بلاد الشَّام كانت -بذلك- خاضعةً لمصرَ، وإنَّما كان البَلَدان بلداً واحداً ذا قِسمَين: مصرَ والشَّام، وقد تُسمَّى بلادُ الشَّام (**نيابةَ السَّلطنة**)، ولكن ليس معنَى هذا أيضاً أنَّها خاضعةٌ لمصر، وإنَّما معناه أنَّ مصرَ كانت (**قاعدةَ السَّلطنة**)، أمَّا بلادُ الشَّام فكانت الجزءَ الشَّماليَّ منها، يحكمُها إمَّا قائدٌ من أكبر رجال الدَّولة، أو نائبٌ للسَّلطنة يقيمُ بدمشق، وقد يدخل (**الحجازُ**) في تبعيَّة دولةِ (مصرَ والشَّام) وقد لا يدخل، ولكنَّه -على أيِّ حال- كان من الناحيةِ الماليَّة -على الأقلِّ- مندرجاً في هذه الوَحدةِ السِّياسيَّة الكبيرة.

ومنذُ بدءِ ظهور هذه الوَحدة مِن قبلُ في (العصر الطُّولونيِّ) منتصفَ القرنِ الهجريِّ الثَّالث، جرَى العُرفُ على أن يُرسلَ صاحبُ مصرَ الأموالَ السَّنويَّة إلى بلاد الحجاز معونةً لحكَّامها على القيام بمسؤوليَّاتهم قِبَلَ الحرمَين الشَّريفين ومطالبِ الحجِّ الذي كان يكبِّدُ صاحبَ الحجاز نفقاتٍ طائلةً.

وإلى ما قبلَ قيام الكيانِ السِّياسيِّ المعروفِ الخاصِّ بالحجازِ كان على والي مصرَ في عصرِ الولاة أن يُرسلَ الأموالَ إلى عاملِ دولة الخلافةِ العثمانيَّة، فهي المسؤولةُ عن بلادِ الحجازِ والحرمَين الشَّريفَين ومَوسمِ الحجِّ في حالِ دخول الحجاز في دولة مصرَ والشَّام. فقد كان الواقع آنئذٍ أنَّ دولةَ مصرَ والشَّام تابعةٌ -اسميَّاً على الأقل- لدولةِ العثمانيِّين، وهي إذْ تُرسِلُ الأموالَ إلى الحجاز فهي تنوبُ عن دولةِ الخلافة في القيامِ بنفقاتِ الحجاز، سواءٌ أكانت دولةُ مصرَ والشَّام على خلافٍ أو وِفاقٍ مع الدَّولةِ العثمانيَّة.

و**مصرُ** المَعنيَّة في هذه الدَّولة هي: كلُّ بلاد مصر بحدودِها التَّاريخيَّة منذُ الفتح العربيِّ، أي أنَّها تمتدُّ جنوباً إلى مملكة النُّوبة ودنقلة[1]، أمَّا من ناحية الشَّرق فتمتدُّ حتَّى (ثغر عيذاب) على البحر الأحمر، وتشملُ معظمَ بلادَ البجاة[2] أو البشاريِّين في السُّودان، وأمَّا من ناحية الغرب فكانت الحدودُ تشملُ صحراءَ مصرَ الغربيَّةَ كلَّها وتدخلُ فيها واحةُ سنترية (واحة سيوة الآن)، وتمتدُّ غرباً حتَّى تشملَ بلاد بَرْقة (شرقَ ليبيا اليومَ)، وتدخلُ فيها بداهةً بلادُ السَّاحل المتوسِّط من الإسكندرية إلى بَرْقة، وكانت منطقةُ السَّاحل هذه تسمَّى (مراقية)، وهي الصِّيغة العربيَّة لاسم (Marmarica).

أمَّا **بلادُ الشَّام** فيُقصَدُ بها: بلادُ الشَّام في المصطلحِ العربيِّ، أي كلُّ البلاد الممتدَّةِ من نهرِ الفرات -شاملةً جزءاً من الجزيرة الفراتيَّة- من ناحية الشَّرق إلى البحر المتوسِّط من ناحيةِ الغرب، ومن الحدود الشَّماليَّة للجزيرة العربيَّة جنوباً، وكذا من العقبةِ إلى شاطئ الخليج العربيِّ إلى جبالِ طوروس بامتداداتِها إلى الشَّرق شمالاً.

---

(١) - ولو أنَّ بلاد النوبة كانت تعدُّ محالفةً لمصر أو معاهدةً لها، وبينهما اتِّفاق يسمَّى البَقط (باللاتينيَّة Pactum) كان يُلزم أصحاب النّوبة بأداء جزية سنويَّة رمزاً للبقاء على العهد.

(٢) - البجاة أوالبجا اسمٌ يُعرَفُ به الشَّعبُ الذي يسكنُ ما بين ساحلِ البحرِ الأحمرِ وبين نهر النِّيل في السُّودان.

المبحثُ الأوَّل:

التَّاريخُ المَشارِقيُّ في مِصرَ

١- الطُّولُونيُّون :

قامَت الدَّولةُ الطُّولونيَّةُ بمِصرَ سنةَ (٢٥٤هـ-٨٦٨م) إلى سنةِ (٢٩٢هـ-٩٠٤م)، وتُنسَبُ هذهِ الدَّولةُ إلى رجلٍ تركيٍّ يُدعى (طُولُون) والدِ الأَميرِ (أحمد)، أَصلُه من (تركستان)[١]، أُخِذَ أَسيراً في إِحدى الوقائعِ الحربيَّةِ، وجِيء به إِلى (ابن أسدِ الصُّماحي) عاملِ المأمونِ على (بُخارَى)[٢]، فبعثَهُ ابنُ أسدٍ إلى الخليفةِ ضمنَ المماليكِ الذين أرسلَهُم إليهِ سنةَ (٢٠٠هـ-٨١٦م)، فأُعجب المأمونُ بتناسبِ أعضائهِ وقوَّةِ بِنيتهِ، فأَلحقَهُ بحاشيتهِ وصارَ يُرقِّيه إلى أن جعلَهُ رئيسَ حرَسهِ.

وأمَّا ابنُه (أحمدُ بن طُولُون) فقَد تولَّى على مصرَ في أواخرِ خلافةِ الواثِق سنةَ (٢٥٥هـ-٨٦٩م)، ولمَّا تمَّ أمرُ الأميرِ أحمد بنِ طُولون في ولايتهِ على مصرَ استكثرَ من شراءِ المماليكِ (الدَّيالمة)، واشترَى عَبيداً من (الزِّنج)، واتَّخذ كثيراً من (شناترة العرَب)[٣]، ممَّا قوَّى ساعدَه فسَطا علَى الخلفاءِ وادَّعى الخلافةَ لنفسهِ بمصرَ، وانفردَ بخَراجِها، وحاربَهُ المعتضدُ بالله أشدَّ المحاربةِ فلَم يقدِر علَيه.

قالَ إبراهيمُ ابنُ وَصيف شَاه الكاتِب[٤]: (لمَّا تولَّى الأميرُ أحمدُ بنُ طُولونَ على مصرَ أخذَ في

---

(١) - تُركستان: تقعُ وسطَ آسيا، شمالَ باكستان وأفغانستان، تُقسمُ اليومَ إلى قسمَين: تُركستان الشَّرقيَّة الواقعةِ في الصِّين والمعروفةِ باسمِ (سنكيانغ)، ودولةِ تُركستان المُستقلَّةِ عن الاتِّحادِ السُّوفييتي. وانظر: العالَمَ الإسلامي: عُمر رضَا كحَّالة: ٢/ ١١٣ فما بعدها.

(٢) - بُخارَى: مدينةٌ عريقةٌ في الجُزءِ الغربيِّ لجُمهوريَّةِ أوزبكستان، وهيَ ثاني مدُنِها بعدَ العاصِمةِ (سمَرقَند).

(٣) - الشَّناتِرَة: قبيلةٌ من قبائلِ العرَبِ في اليَمَن.

(٤) - مؤرِّخٌ مصريٌّ (ت:٥٩٩هـ)، لهُ كتابُ (تاريخُ مصر) وغيرُه.

أسبابِ عمارةِ قُرى مصرَ وعمارةِ جُسورها وقناطِرها وحَفْرِ خُلجانِها وسَدِّ تُرَعِها، فاستقامَتْ أحوالُ الدِّيارِ المصريَّةِ في أيَّامه بعدَما كانَت قَد تلاشَى أمرُها إلى الخرابِ وانحطَّ خَراجُها في أيَّامِ من تقدَّمهُ من العمَّال)[1] .

وسارَ أحمدُ بنُ طُولونَ بعدَ أن استخلَفَ بمصرَ ابنَهُ (العبَّاسَ) إلى (دمشقَ) فملَكَها، وأقرَّ قوَّادَ (أماجور)[2] على إقطاعِهم، وسارَ إلى (حمصَ) فملكَها، وكذلكَ (حَماه) و(حلَب)، وسارَ إلى (أنطاكيةَ) فملكَها بعدَ قتالٍ شَديد، ومضَى إلى (طَرطوس) فدخلَها، ولمَّا بلَغَهُ أنَّ ابنَهُ العبَّاسَ خالفَ عليهِ بمِصرَ وأخذَ الأموالَ وسارَ إلى (بَرقة)[3] عقدَ على جيشٍ وبعثَ به إلى (بَرقة) فقاتَلَ جيشَ ابنِه العبَّاس وهزَمَهُ سنةَ (٢٦٧هـ-٨٨١م)، وأَسرَ العبَّاسَ وأخذَهُ إلى والِده فحبَسَه، ثمَّ خرجَ بنفسِه فأقامَ بـ(الإسكندريَّة)، واشتدَّت العداوةُ بينَه وبينَ الموفَّق العبَّاسي، وفي سنةِ (٢٦٩هـ-٨٨٣م)، حصلَت بينَ عساكرِ ابنِ طُولون والموفَّقِ وقعةٌ انهزمَ فيها جيشُ ابنُ طُولون وثارَت علَيه عمَّالُه في الشَّامِ فسارَ ثانيةً إليها فنازلَها، ورَجعَ إلى مصرَ وماتَ سنةَ (٢٧٠هـ-٨٨٤م).

لَم يكُن خلفاءُ أحمدَ بنِ طولُون في مُستَوى سلَفِهم، فانحدرَتْ أمورُ الدَّولةِ حتَّى كانَتْ نهايتُها سنةَ (٢٩٢هـ-٩٠٤م)، وعادَتْ مصرُ ولايةً عبَّاسيَّةً كما كانَت[4].

٢- الإِخْشِيديُّون :

قامَ المعتضدُ العبَّاسيُّ أواخرَ أيَّام الطُّولونيِّين يريدُ الاستيلاءَ على مصرَ، فسارَ إلى (آمد)[5]

---

(١) - انظُر: الجزء الأوَّل من بدائعِ الزُّهور في وقائع الدُّهور: المُسمَّى (تاريخَ ابنَ إياس): لمحمَّد بن أحمد بن إياس الحنفيِّ (ت: ٩٣٠هـ)، أكملهُ المؤرِّخُ المصريُّ عبد الرَّحمن الجبَرتي في كتاب (عجائب الآثار).

(٢) - أماجُور التُّركيُّ: عيَّنَهُ المعتمدُ العبَّاسيُّ أميراً على دمَشق (ت: ٢٦٤هـ).

(٣) - بَرقَة: أو (بركا)، ويُعرَفُ أيضاً بإقليم سيرين (Cyrenaica)، إقليمٌ في شرقِ ليبيا.

(٤) - اِلحَظْ في هذه الدَّولة وما بعدَها امتدادَ دولة مصرَ إلى الشَّام في كثيرٍ من الأحيان كما أشرنا في التَّمهيد لهذا الفصل.

(٥) - آمِد: جنوبَ شرقِ تركيًا، على شاطئ دِجلةَ الأيسَر، وهيَ مدينةُ (ديار بكر)، على تسميةِ المُسلمين الفاتحينَ أيَّام الأمويِّين.

سنةَ (٢٨٥هـ-٨٩٨م)، فافتتَحها بالأَمان، وماتَ المُعتضدُ وخلَفهُ المكتَفي بالله، وبعدَ أن هزمَ القرامطةَ[1] سنةَ (٢٩١هـ-٩٠٤م)، عزَمَ على فتحِ مصرَ، فبعثَ سنةَ (٢٩٢هـ-٩٠٥م)، جيشاً مع قائدهِ (محمَّد بنِ سُليمان الكاتبِ الحَنيفيِّ)، فاستولَى على (دمشقَ)، وسارَ حتَّى دَنا من مصرَ، فاستعدَّ (هارونُ بن خمارَويه)[2] للمُدافعة، إلَّا أنَّ غالبَ قوَّادِه غدَروا بهِ ولحِقوا بعسكرِ الخليفةِ العبَّاسيِّ، وجرَى بينَ (هارون) و(محمَّد بنِ سُليمان) عهدٌ فأمَّنهُ ثمَّ هرَب، واستولَى محمَّد بنُ سُليمان (قائدُ جيش المكتفي العبَّاسي) على مصرَ، وأخرجَ وُلْدَ أحمدَ بنِ طُولونَ وقوَّادَهم، ولَم يبقَ بمصرَ منهُم أحدٌ يُذكَر، وخلَت منهمُ الدِّيارُ وحلَّ بهم الذُّلُّ بعدَ العزِّ.

وبعدَ ذلكَ، لَّما رأَى (أبو بكر محمَّد بنُ طُغج ت:٣٣٤هـ أميرُ مصرَ مِن قِبَل العبَّاسيِّين) ما كانَ من انحلالِ الدَّولة العبَّاسيَّةِ وانقسامِ الدَّولةِ صرَّحَ باستقلالِه في مصرَ سنةَ (٣٢٣هـ-٩٣٥م)، واضطرَّ الخليفةُ الرَّاضي العبَّاسيُّ إلى تَثبيتِه، وملَّكَهُ فوقَ ذلك الشَّامَ والجزيرةَ والحرمَين وغيرَ ذلك، ولقَّبهُ بـ(الإخشيد)[3]، وكانَ ذلكَ لقبَ مُلوك (فرغَانة) في (أُوزبكستان)[4]. ومن سُلالةِ أبي بكرٍ هذا جاءَت الدَّولةُ الإخشيديَّة.

حاربَ الإخشيدُ (أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ رائق)[5]، ودخلَ (دمشقَ) وأصلحَ أمورَها وعادَ إلى مصرَ، ثمَّ حصلَ انقسامٌ في العائلةِ الإخشيديَّة، وارتبكَت أحوالُ الدَّولة من جرَّاءِ فتنٍ متنوِّعةٍ كان يُرى منها قربُ انقراضِ الدَّولةِ الإخشيديَّة، ممَّا سهَّل للفاطميِّينَ (العُبيديِّين) سيادتَهُم على مِصرَ.

---

(١) - انظُر: عهدَ المُكتَفي بن المُعتضِد (ص٨٩)، من فصلِ التَّاريخ العبَّاسيِّ.

(٢) - هارون بن خُمارَويه: رابعُ أمراءِ الطُّولونيِّين في مصرَ سنةَ (٢٨٣هـ-٨٩٢م).

(٣) - الإخشيدُ: في الأَصل لقبٌ مؤلَّفٌ من كلمتَين: (آق) وهي بالتُّركيَّة (أبيض)، و(شِيد) وهي بالتُّركيَّة (الشَّمسُ)، ومَعناهُما مجتمعَين (بياضُ الشَّمس)، وانظرُ: ص٤٢ من هذا الكتاب.

(٤) - أوزبكستان: جمهوريَّةُ أوزبكستان، في وسطِ آسيا، وعاصمتُها اليومَ (طَشْقَند).

(٥) - أبو بكر محمَّدُ بنُ رائق: ولَّاهُ المُتَّقي بنُ المُقتدِر العبَّاسي إمرةَ دمَشق سنةَ (٣٢٧هـ)، وقُتِلَ سنةَ (٣٣٠هـ).

٣- الفَاطِميُّون :

بعدَ أن دخلَ الفاطِميُّون[١] مصرَ سيَّر (جوهرُ الصِّقلِّي) جَيشاً مع (جعفرِ بنِ فلاحٍ)[٢] إلى الشَّام، فبلغَ (الرَّملةَ)[٣] وبِها (الحسنُ بنُ عبد الله بنِ طُغْج الإخشيديُّ) وغيرُه من بَواقي الإخشيديِّين، فحاربَهم ودخلَ (الرَّملةَ) عُنوةً، ثمَّ سارَ إلى (طبريَّة)[٤]، وقصدَ (دمشقَ) فافتتَحها عُنوةً كذلكَ، ودارَت حروبٌ هائلةٌ بين (القرامِطة)[٥] وجيشِ المعزِّ الفاطميِّ بالقُرب من عَين شمسٍ (المطريَّة)[٦]، وكادَ جيشُ المعزِّ يضعفُ لولا انهزامُ (حسَّان بنِ الجرَّاح الطَّائيِّ)[٧] بالعرَبِ من جيشِ القرامطَة، ذلكَ الانهزامُ أضعفَ جانبَ القرامطة، وجعلَ جيشَ المعزِّ ينتصرُ ويقتَفي أثرَهم إلى بلادِهم في الإحساءِ والقَطيفِ من جَزيرةِ العَرَب.

ولَم يكتفِ الفاطميُّون بهذا الفوزِ السِّياسيِّ الذي أَحرَزوهُ، بلْ أَخذوا يُنازعونَ العبَّاسيِّينَ في قَضايا دينيَّةٍ، واعترفَ بخلافتِهم كثيرٌ من البلادِ الإسلاميَّة.

وكانَ للفاطميِّينَ تاريخٌ حضَاريٌّ عَريضٌ، فقدِ اجتهدُوا في إنجاحِ التِّجارةِ والصِّناعةِ والفِلاحةِ والعُلوم عُموماً، وبنَوا المساجدَ الفاخرةَ الباذِخة، وحسَّنوا إدارةَ الخراجِ وطرائقَ تحصيلِه، وكانَتْ لهُم آثارٌ حضَاريَّةٌ منوَّعةٌ لا تزالُ تَحكيها مطارحُ كثيرةٌ مِن آثار مصرَ الحاضِرَة.

---

(١) - عَنِ الفاطميِّين انظُر: التَّاريخَ المغاربيَّ في الفصلِ السَّابق ص١٨٣-١٨٤.

(٢) - جعفرُ بنُ فلاح: أوَّلُ مَن وليَ دمَشقَ للفاطميِّينَ سنةَ (٣٥٩هـ)، وقُتِلَ سنةَ (٣٦٠هـ).

(٣) - الرَّمْلة: مدينةٌ فلسطينيَّةٌ بينَ (يافا) و(القُدس)، تقعُ اليومَ داخلَ الأراضِي المُحتلَّةِ (إسرائيل).

(٤) - طبَرَيَّة: مدينةٌ فلسطينيَّةٌ بينَ الجَليلِ والجولانِ السُّوريِّ.

(٥) - انظُر: ص٨٩ من التَّاريخ العبَّاسيِّ.

(٦) - المطَريَّة: إحدى مراكز مُحافظةِ (الدَّقهليَّة) في مصرَ، قربَ القاهرَة، وهيَ أيضاً منطقةٌ معروفةٌ بالقاهرَة، وعين شمس: تسميةٌ قديمةٌ لمدينةٍ كانَت في موقعِ القاهرَةِ اليَوم، قيلَ إنها مدينةُ فرعون مصر، سمَّاها القراعنةُ (أون)، واليونانيُّون (هليوبوليس).

(٧) - حسَّان بنِ الجرَّاح الطَّائيِّ: أميرُ العرَبِ ببلادِ الشَّام.

٤- الأيُّوبيُّون[1] في مِصرَ (الصَّلاحيُّون) :

استولَى صلاحُ الدِّين الأيُّوبيُّ (يُوسُفُ بنُ نجمِ الدِّين أيُّوبَ بنِ شَاذي) سنةَ (٥٦٧هـ-١١٧٢م) على بلادِ مصرَ عامِلاً لنورِ الدِّين الزِّنكيِّ بالشَّام، ولَمَّا تمَّ استيلاءُ صلاحِ الدِّين قطعَ خطبةَ (العاضدِ لدينِ الله) آخرِ خلفاءِ الفاطميِّين بأمرِ نور الدِّين الزِّنكي وأقامَ الخطبةَ العبَّاسيَّة، وثقُلَ مرضُ (العاضدِ) في هذه السَّنةِ وماتَ، وبمَوتهِ انقَضَت أيَّامُ الخلفاءِ الفاطميِّين وعدَّتُهم (أربعةَ عشر)، وملَكوا (مائتَي سنةٍ وازدادُوا ثمانيَ سنين) .

ولَمَّا استقرَّ (صلاحُ الدِّين يوسُفُ) عامِلاً لنورِ الدِّين على مصرَ أحضرَ أباهُ وإخوتَه وأهلَه فقَدِموا علَيه من الشَّام، وأَقطعَهُم الإقطاعاتِ العَظيمة، وفي (٥٦٧هـ-١١٧٢م) جرَتْ بين نور الدِّين وصلاحِ الدِّين وَحشةٌ في الباطنِ، لأنَّ صلاحَ الدِّين كان يَميلُ إلى الاستقلالِ، ولذلكَ أخذَ في إعدادِ القوَّات، ولَمَّا أحسَّ نورُ الدِّين منهُ ذلكَ كتبَ إليهِ يَستقدِمُه مع فرقةٍ من رجالهِ مُظهِراً لهُ الاستنجادَ في (حربِ الصَّليبيِّينَ) عندَ (الكَرَك)[2]، وكانَ في الحقيقةِ يقصِدُ إبعادَهُ عَن مصرَ ليأمنَ غائلَته، فأدركَ صلاحُ الدِّين ذلكَ، وأخذَ يُعدُّ العُدَّةَ حتَّى اشتدَّ النُّفورُ بينَ هذَين الرَّجُلَين، وهمَّ نورُ الدِّينِ بحشدِ الجيوشِ وتَسييرِها إلى مصرَ لإخراجِ صلاحِ الدِّين منها وإقامةِ حاميةٍ لحمايةِ الحدودِ التي يُخشى هُجوم الصَّليبيِّين علَيها، وبَينا هو على أُهْبةِ الرَّحيلِ فاجأَتْهُ المنيَّةُ فماتَ بدمشقَ سنةَ (٥٦٩هـ-١١٧٤م)، وبمَوتهِ رأى صلاحُ الدِّين إذْ ذاكَ من قوَّاتهِ والأحوالِ المحيطةِ بهِ ما يُغريهِ ببُلوغِ ما كان يتمنَّاهُ من الاستقلالِ بالملك، فصرَّحَ بسُلطانهِ في مصرَ والشَّام، وتلقَّبَ بـ(الملكِ النَّاصِر)، وأخذَ يُحاربُ (الملكَ الصَّالحَ إسماعيلَ بنَ محمود نور الدِّين بنِ زَنكي)[3]

---

(١) - الأيُّوبيُّون: نسبةٌ إلى (نجمِ الدِّين أيُّوبَ بنِ شادي)، حاكمِ قلعةِ (تكريتِ) شمالَ العراق مِن قِبَلِ السَّلاجقَة، وفي هذِه القلعةِ وُلدَ صلاحُ الدِّين الأيُّوبيُّ (ت:٥٨١م في قلعةِ دمَشق). وكانَ أيُّوبُ باديءَ أمرِه خادمَ محمود الزَّنكي والدِ نورِ الدِّين، ثمَّ صارَ في خدمةِ نورِ الدِّين.

(٢) - الكَرَكُ: اليومَ مدينةٌ أردُنيَّةٌ جنوبَ شرقِ البحرِ الميِّت، جنوبَ العاصِمةِ (عمَّان).

(٣) - تُوفِّي سنةَ (٥٧٧هـ)، ودُفِنَ في قلعةِ حلَب.

و(سيفَ الدِّين غازي)[1] في البلادِ الشَّاميَّة، وغلَبَهُا وتمَّ لهُ الاستيلاءُ على مصرَ والشَّام.

وعادَ صلاحُ الدِّين إلى مصرَ سنةَ (٥٧٢هـ-١١٧٦م)، بعدَ أن استخلفَ أخاهُ (تُوران شاه)[2] على دمشقَ، وكان أَمرَ قبلَ سفَرِهِ إلى الشَّام وزيرَهُ الأميرَ (بهاءَ الدِّين الأسديَّ)[3] أن يُقيم البناياتِ اللَّازمةَ لرَونقِ البلادِ؛ بلادِ مصرَ، ومنَعَتِها، فأنفذَ بهاءُ الدِّين ما عُهِدَ إليه بحميَّةٍ ونشاطٍ.

ولِصلاحِ الدِّين وقَعاتٌ مع (الصَّليبيينَ) انتصرَ فيها نَصراً ظاهراً وذائِعاً، سنعرضُ لها في بحثِ الحروبِ الصَّليبيَّة[4].

٥- المَماليكُ البَحريَّة :

قامَت دولةُ المماليكِ التُّرك الأُولى المعروفةُ بـ(البحريَّة) سنةَ (٦٤٨هـ-١٢٥٠م)، وسُمُّوا بالبحريَّةِ لأنَّ (الملكَ الصَّالحَ نجمَ الدِّين أيُّوبَ) أسكنَهم (قلعةَ الرَّوضةِ) البحريَّةِ في جزيرةِ الرَّوضةِ في النِّيل، وصارَ أولئكَ المماليكُ يتدرَّبون على الأعمالِ البحريَّة. ولَّما قامَت بمصرَ المنازعاتُ بخُصوصِ مُلكِ مصرَ اتَّفقَ كُبراءُ الدَّولةِ على إقامةِ (عزِّ الدِّين أيبك التُّرْكُماني الجاشنكير[5] الصَّالحيِّ) في السَّلطنةِ لعدَم اعتيادِ المُسلِمينَ على حُكومةِ النِّساء، فتزوَّج عزُّ الدِّين بـ(شجرة الدرِّ)[6]، وانضمَّ حزبُها إلى حزبِه، وفازَ بمُبايعةِ الأشرفِ (مظهرِ الدِّين موسى) سنةَ (٦٤٨هـ-١٢٥٠م) .

---

(١) – سيفُ الدِّين غازي بنُ الملكِ قُطبِ الدِّين مَودود بنِ زَنكي، أخي نورِ الدين محمودِ بنِ زَنكي.

(٢) – توران شاه: لقبٌ يَعني (ملك الشَّرق).

(٣) – وهُو الملقَّب بـ(قراقوش)، وعُرِفَ أيضاً بـ(الخادمِ الأبيَض)، وكانَ وزيرَ قصرِ صلاحِ الدِّينِ في مِصرَ، ولَّما فتَحَ صلاحُ الدِّينِ (عكَّا) سلَّمهُ إيَّاها، وغزاها الإفرنجُ من بعدُ وأسَروهُ، فافتكَّهُ صلاحُ الدِّين. توفِّي سنةَ (٥٩٧هـ).

(٤) – انظُر: ص٢٤٦.

(٥) – الجاشنكير أو الجاه شَنكير: لقبٌ تُركيٌّ للمَملوكِ الذي يَلِي طعامَ المِلك.

(٦) – شجرةُ الدُّرِّ: أمُّ خليل، الملقَّبةُ بـ(عصمةِ الدِّين)، أصلُها منَ التُّرك أو الأرمَن، كانَت جاريةً للمُستعصِم العبَّاسيِّ،ثمَّ اشتراها الملكُ الصَّالحُ أيُّوبُ وتزوَّجها فولدت لهُ (خليلاً)، أعلَنَت نفسَها ملكةَ مصرَ عقبَ وفاةِ الملك الصَّالح أيُّوبَ وابنِه تُوران شَاه، وتزوَّجَت بعدَه بعزِّ الدِّين أيبَك وزيرِ الصَّالح أيُّوب، وتنازلَت لهُ عن المُلكِ اسميَّاً، وظلَّتْ هيَ الحاكمةَ فعلاً، إلى أن ماتَ، وماتت بعدَهُ سنةَ (٦٥٥هـ-١٢٥٧م).

وأخذَ المُعزُّ (عزُّ الدِّين أَيبك) يَسعى للاستقلالِ بالسُّلطةِ حتَّى أبطلَ اسمَ (الأشرفِ موسى) واستقلَّ بالسُّلطة. وحاربَ (سيفُ الدِّين مظفَّر قُطُز)[1] سنةَ (٦٥٨هـ-١٢٦٠م) جيوشَ (هولاكو) بالشَّام، وبعد وقائعَ[2] انهزمَ التَّتارُ هزيمةً نكراء، وأعادَت جيوشُ مصرَ فتحَ (حماه) و(دمشقَ) وبقيَّةَ بلادِ الشَّام.

وفي أَيَّام الظَّاهِر (ركنِ الدِّين بِيبَرس البندَقداريِّ) سنةَ (٦٦٠هـ-١٢٦٢م) قدِمَ شخصٌ إلى مصرَ من بَني العبَّاسِ الذين سَلِموا من قتلِ التَّتارِ في بغدادَ، واسمُه (أحمدُ بنُ الظَّاهر بنِ النَّاصر)، فعَقَدوا لهُ مجلساً من شَيخِ الإسلامِ وغيرِه من القضاةِ والعلماءِ ومَشايخِ الصُّوفيَّةِ والطُّرقِ وسائرِ الأمراءِ وأربابِ الدَّولةِ والسُّلطانِ الظَّاهرِ بِيبَرس نَفسِه واستَثبَتوا نسَبه، فكانَ (عمَّ المُستعصمِ العبَّاسيِّ)، وجِيءَ بجماعةٍ من العربِ العارفينَ بهِ فشَهِدوا بنسَبِهِ، فبايَعهُ السُّلطانُ الظَّاهرُ والقضاةُ والعلماءُ وغيرُهم بالخلافةِ ولقَّبوهُ بـ(المُستنصرِ بالله)، وبايعَ المستنصرُ الملكَ الظَّاهرَ بالسَّلطنةِ وفوَّض إليهِ أمرَ البلادِ الإسلاميَّةِ وما يُضافُ إلَيها، ومن وقتِئذٍ صارَت (القاهرةُ) مقرَّ الخلفاءِ العبَّاسيِّينَ يُبايِعُهم سلاطينُها وليسَ بيدِهم من الملكِ والتَّصرُّفِ شيءٌ، بل الأمرُ بيدِ السَّلاطين، واستمرَّ ذلك إلى دُخولِ السُّلطانِ (سليمِ الأوَّل) مصرَ سنةَ (٩٢٢هـ-١٥١٦م)، وانتقالِ الخلافةِ الإسلاميَّةِ للعُثمانيِّين كما سَيأتي[3].

وجهَّزَ الملكُ (الظَّاهرُ بِيبَرس) جَيشاً وسارَ به من مصرَ إلى الشَّامِ وأغارَ على (عكَّا) و(صُور) و(طرابلس)[4] و(حصنِ الأكراد)[5]، وكانَت في أيدي (الصَّليبيِّين)، وسارَ إلى (أرمينية)[6]

---

(١) - سيفُ الدِّينِ المُظفَّر قطُز: كانَ مملوكاً لعزِّ الدِّين أيبَك، ثم مَلِكَ مملكةَ مصرَ، وماتَ سنةَ (٦٥٨هـ-١٢٦٠م).

(٢) - أشهرُها موقعةُ (عين جالوت) في فلسطين، بينَ بيسانَ والنَّاصِرَة، في (٢٥رمضان٦٥٨هـ-٣أيلول١٢٦٠م).

(٣) - انظرُ: ص٢١١، وانظرُ: فصلَ التَّاريخ العُثمانيِّ.

(٤) - عكَّا وصُور: مدينتان فلسطينيَّتان ساحليَّتان، وطرابلُس: مدينةٌ لبنانيَّةٌ ساحليَّة.

(٥) - حصنُ الأكراد: هوَ المعروفُ اليومَ بـ(قلعةِ الحِصن)، الواقعةِ على سلاسلِ جبالِ السَّاحلِ السُّوريِّ، ضمنَ مُحافظةِ حِمص.

(٦) - أرمينيَة: كانت مملكةُ آسيا الصُّغرى أيَّامَ الرُّوم يُطلَق عليها (أرمينية العُظمى) شرقَ نهر الفُراتِ، وأرمينية اليومَ هي الجزءُ الشَّرقيُّ من أَرمينية القديمة.

واستولَى عليها، واقتحمَ (الفُراتَ) وحاربَ (التَّتارَ) وهزَمهم، وغزا (بلادَ الرُّوم) بعساكرِه الوفيرَة.

٦- المَماليكُ الجراكِسة (البُرجيَّة)[1] :

قامَت سنةَ (٧٨٤هـ-١٣٨٢م) دولةُ المماليكِ الثَّانيةُ المعروفةُ بـ(الجراكِسة)، وسببُ قيامِها أنَّ (الصَّالحَ حاجِّي بنِ الأَشرفِ شعبانَ)[2] بُويع لهُ وعمرُه لا يتجاوزُ الستَّ سنَوات، فثارَت في أوَّلِ حُكمهِ عُربانُ (بلادِ البِحيرَة)[3] ونهَبوا البلادَ، فجرَّد عليهِم (برقوقُ) ستَّةَ أمراءٍ وخمسمائةَ مملوكٍ فحارَبوهُم حتَّى شتَّتوا شملَهم وغنِموا منهُم غنائمَ وافرَة.

ثمَّ اتَّفق أنَّ (الشَّيخَ الصَّفويَّ)[4] أبلغَ (الأتابكيَّ برقوقَ) خبرَ اتِّفاقِ بعضِ المماليكِ على قتلِه، فعزمَ برقوقُ من وقتها على إظهارِ مقصِده، فجمعَ الخليفةَ العبَّاسيَّ المُقامِ بمصرَ (المتوكِّلَ على الله) والقُضاةَ وأخبرَهم بالحالةِ التَّعِسةِ التي وصلَت إليها البلادُ من اختلالِ الأمنِ ورَحيلِ السُّكانِ من شدَّةِ المظالمِ والتعدِّيات، وأنَّه إذا لَم تُسلَّم البلادُ لسلطانٍ قويٍّ ذي بطشٍ ساءَت الحالُ أكثرَ ممَّا هيَ وعمَّ الاضطِّرابُ، وبعدَ أن تداولَ المذكورُون في الأمرِ طويلاً قرَّروا خلعَ (الملكِ الصَّالح حاجِّي) ومبايعةَ (الأتابكيِّ برقوق) في أوَّلِ دولةِ المماليكِ الثَّانيةِ المعروفةِ بـ(الجراكسة)، فكانَ أوَّلَ ملُوكِها.

وفي عهدِ (الظَّاهر برقوق) (٧٩٥هـ-١٣٩٣م) استفحلَ أمرُ (تَيمورلَنك المَغولي) ونازلَ (بغدادَ) وامتلَكها من نائبِها السُّلطان (أحمد بنِ إدريسَ) الذي قدِمَ مصرَ مُستنِصراً بالظَّاهر

---

(١) - الجراكِسَةُ أو الشَّراكسة: نسبةٌ إلى أصلِهم، والبُرجيَّةُ: نسبةٌ إلى مساكنِهم التي كانَت في أبراجِ القلعةِ بالقاهِرَة. الجركسُ أو الشَّركسُ عرقٌ موطنهُ الأصليُّ قُفقاسيا الشَّماليَّة (القوقاز)، الواقعةُ بينَ بحر قزوين والبحرِ الأسوَد.

(٢) - الملكُ الصَّالحُ حاجِّي زينُ الدِّين بنُ الأشرفِ شَعبان آخرُ ملوك المماليكِ البحريَّة سنةَ (٧٨٣هـ-١٣٨١م) .

(٣) - البِحيرَة: اليومَ مُحافظةٌ مصريَّةٌ غربَ الدِّلتا.

(٤) - الأميرُ شَيخُ -وشَيخ لقبٌ- ابنُ عبد الله الصَّفويُّ الخاصكي: أميرُ مجلسِ الظَّاهر بَرقوق ومن خواصِّ أصحابِه (ت:٨٠١هـ).

برقوق، فقابلَه برقوقُ بالإكرامِ والحفاوَةِ سنةَ (٧٩٧هـ-١٣٩٥م)، وأخذَ يُجهِّز الجيوشَ لمساعدتِه، وخرجَ بها إلى الشَّام واستصحبَ معهُ السُّلطانَ أحمد، ثمَّ بعثَ جيشاً مع السُّلطانِ أحمدَ يساعدُه على فتحِ بغداد فتمَّ له ذلكَ وضربَ السكَّةَ باسمِ السُّلطان بَرقوق وخطَب لهُ.

وبعد بَرقوق جاءَ (الملكُ النَّاصرُ فَرَجُ أبو السَّعادات)، فغزا دمشقَ وافتتَحها وفتحَ كثيراً من بلادِ الشَّام، وعُني بالإصلاحاتِ الدَّاخليَّة، فعمَّ الأمنُ في أطرافِ البلادِ.

وتَواطأ الأمراءُ الخارجونَ عن طاعةِ (النَّاصرِ فرَج) على خلعِهِ وإجلاسِ (الخليفةِ العبَّاسيِّ المُستعينِ بالله) مكانَه، وقد تمَّ ذلكَ، وصارَ الخليفةُ العبَّاسيُّ حينَها سُلطاناً وخليفةً معاً، لكنَّهُ خُلعَ بعدَ ذلكَ عن السَّلطنةِ، ولَم يلبَث في الخلافةِ بعدَها إلَّا قليلاً .

وفي آخر عهدِ المماليكِ الجراكسَة خرجَ آخرُ ملوكهِم (الملكُ الأشرفُ طُومان باي)[١] سنةَ (٩٢٣هـ-١٥١٧م) بجَيش يضمُّ (أربعينَ ألفاً) منَ الجراكسةِ بقَصد قتالِ السُّلطانِ العُثمانيِّ (سليمِ الأوَّل)[٢] ومَنْعِه من دخولِ مصرَ، ووقعَ القتالُ بينَ الجيشَين في سهلِ (بِرْكة الحجِّ)[٣]، فانهزَمت الجراكسةُ، وهرب (طُومان باي) وعسكرُه بعدَ أن قُتِلَ منهُم خلقٌ كثيرٌ، ثمَّ قُبِضَ عليهِ وجِيءَ به إلى السُّلطانِ سليم، وأُذِنَ لهُ بالحضورِ في الاجتماعاتِ التي كان يعقدُها السُّلطانُ للنَّظرِ في أمرِ البلادِ، وكان يَسألهُ في كثيرٍ من المسائلِ المتعلِّقةِ بها وبخَراجِها وإدارتِها، واستمرَّ على ذلكَ عشرةَ أيَّام، ثمَّ رأى السُّلطانُ سليمٌ لزومَ قتلِه، فأمرَ بشَنقِه سنةَ (٩٢٣هـ-١٥١٧م)، وبقتلِه انتهَت دولةُ المماليكِ الجراكسَةِ بعدَ أن حكَموا (١٤٠سنَة) تقريباً[٤]، ومن وقتئذٍ صارَت البلادُ المصريَّةُ وتوابعُها من الولاياتِ العثمانيَّةِ الكبيرة، وانتقلَت الخلافةُ إلى سلاطينِ آل عُثمان.

---

(١) - وهو غيرُ الملكِ العادلِ طومان باي الذي وَلِيَ سنةَ (٩٠٦هـ-١٥٠١م) لمدَّةِ ثلاثةِ أشهرٍ، ثمَّ قامَ عليهِ المماليكُ فاختَفَى.

(٢) - سليمُ الأوَّل بن بايزيد الثَّاني بن محمَّد الفاتح، تاسعُ خلفاءِ العُثمانيِّين وأوَّلُ من تلقَّب منهُم بأمير المؤمنين (ت:٩٢٦هـ-١٥٢٠م).

(٣) - بِركةُ الحجّ: منطقةٌ أثريَّةٌ اليومَ، تقعُ وسطَ مدينةِ السُّويداء السُّوريَّة.

(٤) - وكانَ مجموعُ مدَّةِ المماليكِ في الدَّولتَينِ؛ البحريَّةِ والجراكسَة نحوَ (٢٧٥ سنة).

٧- العائلةُ المُحَمَّديَّةُ العلَوِيَّةُ (الخديويَّة)[1] :

قامَت العائلةُ المحمَّديةُ العلَويَّةُ في مصرَ سنةَ (١٢٢٠هـ-١٨٠٥م)، أسَّس هذِه العائلةَ (محمَّد عليّ باشا الكبير)، وُلد بمدينةِ (قُوله) من أعمالِ (مقدونية)[2] سنةَ (١١٨٢هـ-١٧٦٨م)، وكان والدُه يُسمَّى (إبراهيم آغا) من ضبَّاط تلكَ المدينة، ولمَّا توفِّي والدُه تركَه في سنٍّ لا يتجاوزُ أربعَ سنَوات، فكفِلَه عمُّه، ثمَّ ماتَ عمُّه بعدَ ذلك بمدَّةٍ يسيرَة، فتكفَّل بهِ حاكم المدينةِ المذكورة، وربَّاهُ عند أحدِ أصدقاءِ والدِه، فشبَّ على حبِّ استعمالِ السِّلاح، وزوَّجهُ وهو ابنُ ثمانيةَ عشرَ عاماً بإحدَى قريباتِه، وكانَت ذاتَ يَسارٍ، فكان ذلكَ مبدأَ ثروتهِ، واشتغَلَ بالتِّجارة ونجحَ فيها، خُصوصاً في تجارة التَّبغ التي هي أعظمُ حاصلاتِ بلدَتِه .

ولَّما عُيِّن (كوجك حُسين باشا) من قبَل الدَّولةِ العُثمانيَّةِ لإخراجِ الفرنسيِّين من مصرَ كتب إلى جورباجيِّ (حاكِم) مدينةِ قُولَه (حُسين آغا) بإرسالِ عدَّةٍ من العسكرِ، فأرسلَ مائتَي جنديٍّ مع صهرِه (محمَّد علي آغا) هذا، بصُحبةِ الأسطولِ الذي أقلَع إلى مصرَ سنةَ (١٢١٤هـ-١٧٩٩م)، وبعد إخراجِ الفرنسيِّين من الدِّيار المصريَّة سنةَ (١٢١٦هـ-١٨٠١م)، ترقَّى (محمَّد علي) إلى رتبةِ قائدِ فِرقة، ثمَّ توظَّفَ في معيَّةِ (محمَّد خسرو باشا) والي مصرَ العُثمانيِّ، ولَم يزلْ (محمَّد علي) يتقدَّم إلى أن ارتَقى إلى رتبةِ (أميرِ لواء)، فظهرَ حينئذٍ إقبالُه وعَلا نجمُ سعدِه حتَّى خافَهُ (خُسرو باشا) وأرادَ الفَتكَ بهِ.

وبعدَ حدوثِ أمورٍ ووقائعَ يطولُ شرحُها صدرَت الأوامرُ السُّلطانيَّة بتوليةِ **(محمَّد علي باشا)** على الدِّيارِ المصريَّة في شهرِ صفَر من سنةِ (١٢٢٠هـ-١٨٠٥م)، عمَلاً بإرادةِ أعيانِ البلادِ وأُمرائِها. وأخذَ (محمَّد علي) بعدَ توليتِه يَسعى بشتَّى الطُّرق في تسكينِ الاضطِّرابات وقطعِ دابرِ الفتَنِ واستمالةِ قلوبِ المشايخِ والعلماءِ وأصحابِ الكلِمة.

---

(١) – الخديوي: لقبُ حكَّام مصرَ في زمانِ الدَّولةِ العُثمانيَّة.

(٢) – مقدونية: اليومَ جمهوريَّةُ مقدونية، دولةٌ أوروبِّية في منطقةِ البلقان، جنوبَ شرقِ القارَّةِ الأوروبِّية.

ثمَّ إنَّ الحكومةَ الإنكليزيَّةَ عدَّت تثبيتَ (محمَّد علي) مُخِلَّاً بنفُوذِها ومُضرَّاً بمصالحِها، فجرَّدت حملةً تحت قيادةِ (الجنرال فريزر) لإرجاعِ سُلطةِ المماليك، فوصلَ الإنكليزُ الإسكندريَّةَ في (٩محرَّم١٢٢٢هـ-١٧آذار١٨٠٧م)، وفي (٤رجب١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)، عُقد صلحٌ بينَ محمَّد عليّ والإنكليزِ مؤدَّاه أن يَخرجَ الإنكليزُ من الإسكندريَّة، وفي (١٧رجب١٢٢٢هـ-١٨٠٧م) خرجَ الإنكليزُ من الإسكندريَّة ودخلَها محمَّد عليّ. ولَّما رسخَت قدمُ محمَّد عليّ وقويَت شوكتُه سعَى بعضُ النَّاسِ في مصالحتِهِ مع المماليكِ، لكنَّهُ أخذَ يَسعى في تخليصِ مصرَ منهُم، وعزمَ على إبادتِهم ودمارِهم .

وتمَّ لمحمَّد عليّ ما أرادَ، وذلكَ أنَّ السُّلطانَ العُثمانيَّ (محمودَ الثَّاني) كلَّفه بقَهر (الوهَّابيِّ)[1] الذي كان استفحلَ أمرُه في جَزيرةِ العرَب، وأمرَه بإخضاعِ (**الوهَّابيِّين**)[2]، فانتهزَ محمَّد علي الفرصةَ وأجابَ السُّلطانَ طائِعاً، وشرعَ يجمعُ القُوى اللَّازمةَ لتلكَ الغزوةِ، وبعد أن رتَّب الحملةَ صورةً وجعلَها تحت قيادةِ ابنه (طُوسون)، وأمرَ بخُروجِ الحملةِ وقوَّادِها وعسكرَ بهم في (الحصوةِ) المسمَّاة اليَومَ بـ(العبَّاسيَّة) في القاهرَة، دَعا جميعَ الأعيانِ والأمراءِ والمماليكِ لوداعِ ابنِه (طُوسون) والاحتفالِ بخروجِه ورجالِهِ إلى الغَزوة.

وفي (صفَر١٢٢٦هـ- أوَّل آذار١٨١١م)، اجتمعَ النَّاسُ ووردَ المماليكُ إلى قلعةِ محمَّد علي أفواجاً، وصار محمَّد علي يستقبلُ المماليكَ ويرحِّبُ بهم في سَرايتِهِ، حتَّى إذا تكاملَ الجمعُ وأزفَت السَّاعةُ الموعودةُ أمرَ محمَّد عليّ بمَسيرِ الموكبِ فسارَ، وكانَ المماليكُ في الخلفِ حولهُم الفرسانُ والمشاةُ حتَّى إذا قرُبوا من (بابِ العزَب) من أبوابِ قلعةِ القاهرةِ وسارُوا في طريقٍ ضيِّقٍ منحدرٍ بين أسوارٍ عاليةٍ، أمرَ محمَّد عليّ بغَلقِ الأبوابِ، وأشارَ إلى (الأرناؤوط)[3] فهَجَموا على المماليكِ

---

(١) - محمَّد بنُ عبد الوهَّاب بن سليمانَ التَّميمي الحنبليّ، مؤسِّسُ الحركةِ الوهَّابيَّةِ في السُّعوديَّة، ولدَ في مدينةِ العينيَّةِ قربَ الرِّياض سنةَ (١١١٥هـ-١٧٠٠م)، وتوفِّيَ سنةَ (١٢٠٣هـ-١٧٩١م).

(٢) - انظُر: ص٢٧٩

(٣) - الأرناؤوط: طائفةٌ من الحرسِ، ولقبٌ أطلقهُ العثمانيُّون على كلِّ من جاءَ من (ألبانيا) إحدى دولِ البلقان جنوبَ أوروبَّا، إذ كانَت ألبانيا تُعرَفُ قديماً ببلادِ الأرناؤوط، وهو عرقٌ يندرجُ تحتهُ شعوبٌ كثيرةٌ من ألبان ويُوغسلاف وغيرِهم.

بغتةً، فارتاعوا وحاولوا الفِرارَ فلَم يجدُوا لهم ملجأً، وسقطَ المشاةُ على المماليكِ من خلفِهم ضَرباً برصاصِ البنادقِ، فأرادوا الرُّجوعَ إلى الخلفِ فلَم يتمكَّنوا من كثرةِ الخيولِ وضِيقِ الطَّريق، وبهذِه المذبحةِ (**مذبحةِ القلعَة**) انقرضَت طائفةُ المماليكِ.

ولَّما خلَت البلادُ من المماليكِ، واطمأنَّ بالُ محمَّد عليّ من خوفِ حدوثِ ثورةٍ في البلادِ، أصدرَ الأوامرَ بتجهُّزِ الجيوشِ لحربِ (**الوهَّابيِّين**)، فسافَرت تلكَ الجيوشُ تحت قيادةِ نجلِه (**طُوسون**) إلى (يَنبُع)[1] في (١٢شَعبان ١٢٢٦هـ-٣أيلول١٨١١م)، فاستخلَصَت من أَيدي الوهَّابيِّين المدينةَ ومكَّة، ثمَّ وقعَ بين الطَّرفَين قتالٌ شديدٌ اضطَّر (طُوسون) إلى الهزيمةِ، ولَّما عاد الجيشُ المصريُّ إلى (يَنبُع) أرسلَ (طُوسون) إلى أبيهِ يُعلِمُه بالخبرِ، فجهَّز لهُ جيشاً آخرَ حملَ به (طُوسون) على الوهَّابيِّين فقهرَهم في عدَّة مواقع، وأرادَ محمَّد عليّ مُشارفةَ القتالِ بنَفسِه، فسارَ إلى الحجازِ وقبض علَى الشَّريف (غالب بنِ مُساعد) أميرِ مكَّةَ لَّما تحقَّق فيهِ من الميلِ إلى الفتنةِ وأرسلَه إلى مصرَ، ومنها نفَتهُ الدَّولةُ إلى (سلانيك)[2].

وبينما محمَّد عليّ يستعدُّ لفتحِ ما بقيَ بيدِ الوهَّابيَّةِ من الأقطارِ العربيَّة، بلَغه أنَّ بِيَدِ (لطيف باشا) خَطَّاً سُلطانيَّاً يَقضي بتقليدِه الولايةَ المصريَّة، فأسرعَ (محمَّد لاظ أُوغلي) نائبُ محمَّد علي بمصرَ مدَّةَ تغيُّبِه بالقبضِ على (لَطيف باشا) وقتلِه، ولَّما حضرَ محمَّد عليّ إلى مصرَ أخذَ يقوِّي الثُّغورَ ويجهِّزُ المعدَّاتِ الحربيَّة، وأمرَ نجلَه (طُوسون) بأن يَعقدَ شُروطاً بينَه وبين أميرِ الوهَّابيَّة (عبدِ الله بن سُعود) تَقضي بأن يَردَّ الوهابيُّونَ جميعَ ما سلَبوهُ من الحُجرةِ النَّبويَّة، وأن يَبقى (عبدُ الله) أميراً ببلادِه بشرطِ الطَّاعةِ لمحمَّد عليّ، وعادَ (طُوسون) إلى مصرَ، وبعد قليلٍ من الزَّمنِ أُصيبَ بمرضٍ لَم يُمهِلْه وماتَ.

ولَّما رأى الوهابيَّون في أنفسِهم القدرةَ على القتالِ استعدُّوا لهُ، واستعدَّ محمَّد عليّ لقتالهم، وأعدَّ السُّفنَ لحملِ الجنود، وجعلَ على هذِه القوَّة ولدَه (**إبراهيم**) في (١٢شوَّال١٢٣١هـ-

(١) - يَنبُع: مدينةٌ سعوديَّةٌ على ساحل البحرِ الأحمرِ في منطقةِ المدينةِ المنوَّرة.

(٢) - سلانيك (Thessaloniki)، كانَت من مُدنِ الدَّولةِ العُثمانيَّة، وهي اليومَ مدينةٌ يونانيَّة.

١٣أيلول١٨١٦م)، ولمَّا اجتمعَت الجيوشُ في (يَنبُع) تقدَّم بها إبراهيمُ إلى (الدَّرعيَّة)[١]، وبعد حصارِها أيَّاماً سلَّمَها عبدُ الله بنُ سعودٍ على غَيرِ شرطٍ، ثمَّ قُبِضَ عليه وعلى أتباعهِ وبُعثَ بِهِ وبكثيرٍ من أمراءِ الوهابيِّين إلى مصرَ، ثمَّ أَرسلوا عبدَ الله بنَ سُعودٍ إلى دارِ الخلافةِ العُثمانيَّةِ فقُتلَ هو وأتباعُه، وبمَوتهم انتَهى أمرُ الوهَّابيِّين، وعادَ إبراهيمُ إلى مصرَ بجميعِ عساكرِه، وأنعمَ عليهِ السُّلطان بلَقبِ (والي مكَّة).

وبعد أن فرغَ محمَّد عليّ من هذِه الطَّائفة التَفتَ إلى تنظيمِ البلادِ وإصلاحِ القُطرِ المصريِّ، فقطعَ دابرَ الأشقياءِ، وأمَّن السبُل، وأخذَ في تحسينِ سَيرِ التِّجارة برَّاً وبحراً، واهتمَّ بالزِّراعةِ وأمرَ بحَفرِ التُّرعِ وإصلاحِها، وأنشطَ الحركةَ العلميَّة، وأصلحَ الجيشَ والإدارةَ، إلى ما هنالكَ من الإصلاحاتِ العُمرانيَّة التي قامَ بها.

وجهَّز محمَّد عليّ سنةَ (١٢٣٤هـ-١٨١٩م) جَيشاً، وجعل ابنَه (**إسماعيل**) قائداً عامَّاً على هذِه القوَّة، وأرفقَهُ بصهرِه (أحمد الدَّفتردار)، فتوجَّها بالجيوشِ وتقدَّما نحوَ (دنقله)[٢]، وهزمَ إسماعيلُ المماليكَ في (واقعةِ كورتي)[٣] (١٢٣٥هـ-١٨٢٠م)، ثمَّ امتلكَ في زمنٍ قليل بلادَ (النُّوبة) وبلادَ (سنار)[٤]، ورأى إسماعيلُ نقطةَ اتِّصالِ النِّيلِ الأبيضِ بالنِّيلِ الأزرقِ أنَّها أعظمُ تلك البقاعِ وأحسنُها، فأخذَ في تحصينِها وأسَّس على رأسِها مدينةَ (**الخُرطوم**).

وأَحسنَتِ الحكومةُ المصريَّةُ معاملةَ (**الأُمراءِ السُّودانيِّين**)، وكانَت هذه المعاملةُ سبباً لمقاصدِ الحكومةِ في إدارةِ شؤونِ البلادِ وإصلاحِ أحوالِها، ونظَّمت مدينةَ (الخُرطوم)، وقسَّمت مقاطعاتِ **السُّودان**، وحسَّنتِ الزِّراعةَ، ونشرَت أصولَ الصِّناعة والتِّجارة فيها، وما إلى ذلكَ من أعمالِ العُمران.

---

(١) - الدَّرعيَّة: مدينةٌ سعوديَّة شمالَ غربِ مدينةِ الرِّياض.

(٢) - دُنقُلَة:أو دُنقُلا (Dongola)، مدينةٌ في شمالِ السُّودان على الضفَّةِ الغربيَّةِ من نهر النِّيل.

(٣) - كورتي: إحدى مُدنِ الولايةِ الشَّماليَّةِ في السُّودان.

(٤) - بلادُ النُّوبَة: بلادٌ في شمال السُّودانِ وجنوبِ مصرَ. وبلادُ سنار: ولايةٌ سودانيَّة في الجزء الجنوبيِّ الشَّرقيِّ من السُّودان.

ثمَّ عزمَ محمَّد عليّ على تَوسيعِ تُخومِ الدِّيارِ المصريَّة، ففتحَ سنةَ (١٢٣٥هـ-١٨٢٠م) (سِيوَة)[١]، وأخضعَ سكَّانَها، واعترَفوا بالطَّاعةِ والخضوعِ للحكومةِ المصريَّة.

وفي عامِ (١٢٣٩هـ-١٨٢٤م) أرسلَ محمَّد عليّ بأمر البابِ العالي حملةً مصريَّةً تحت قيادةِ ابنِه (إبراهيم) للمحاربةِ في بلادِ **(اليونان)** والقضاءِ على ثورةِ **(المورَة)** فيها، فسارَ وحاربَ، وأظهرَت الحملةُ المصريَّةُ في تلك الحروبِ شجاعةَ الأبطالِ، ولولا اتِّحادُ الدُّولِ مَثنَى وثُلاث (فرنسا وإنكلترا ورُوسيا) على الجنودِ العثمانيَّةِ والمصريَّةِ لَما قامَت لليونانِ قائمةٌ في تلكَ الحربِ.

وجرَّد محمَّد عليّ عامَ (١٢٤٧هـ-١٨٣١م) حملةً في البرِّ والبحرِ إلى **(الشَّام)**، فأرسلَ المشاةَ والمدفعيَّةَ عن طريقِ (العريشِ)[٢] برَّاً، وسارَ إبراهيمُ في رجالِه بَحراً.

أمَّا حملةُ البرِّ فاستولَت على (غزَّة) و(يافا)[٣]، ثمَّ وصلَ إبراهيم باشا إلى (يافا)، وسارَ في جيشِه إلى (عكَّا)، ثمَّ سارَ إلى (دمشقَ) فأخضعَها ولَم تُدافع إلَّا يَسيراً، وبَرِحَها إلى (حمصَ) حيثُ كانت تنتظرُه الجنودُ العثمانيَّةُ تحتَ قيادةِ (محمَّد باشا) والي طرابلُس، فوصلَها (صفرَ١٢٤٨هـ-٨تمُّوز١٨٣٢م)، وبعدَ الأخذِ والرَّدِّ استولَى إبراهيمُ على (حمصَ)، فخافَت الشَّامُ سطوةَ هذا القائِد، فسلَّمتْ لهُ (حلبَ) وغيرَها من مُدُنِ الشَّام.

بعثَ البابُ العالي حسينَ باشا (السَّرَ عسكرَ) بجَيشٍ عثمانيٍّ لإيقافِ إبراهيم باشا عندَ حدِّه، فجاءَ وعسكر في (اسكندرونة)[٤]، فلاقاهُ إبراهيم باشا وحاربَه وانتصرَ علَيه، ثمَّ تقدَّم في (آسيا الصُّغرى)[٥] تاركاً (جبالَ طوروس)[٦] وراءَه، وكان البابُ العالي أرسَلَ (رشيد باشا) في

(١) - سِيوَة: مدينةٌ مصريَّةٌ، في صحراء مصرَ الغربيَّة على حدودِها مع ليبيا، يتكلَّمُ أهلُها الأمازيغيَّة، فيها واحةٌ شهيرةٌ باسمِها اليوم.

(٢) - العَريش: مدينةٌ مصريَّةٌ على ساحل المتوسِّط، وأكبرُ مدنِ محافظةِ شَمالِ سَيناء.

(٣) - غزَّة: أكبرُ مدنِ فلسطين، جنوبَ غربِ فلسطين على ساحلِ المتوسِّط. ويافا: مدينةٌ فلسطينيَّةٌ ساحليَّةٌ أُلحقَتْ بتلِّ أبيب.

(٤) - الإسكندرونة: مدينةٌ وميناءٌ في شمالِ السَّاحل السُّوري، أُلحقَت بتُركيَّة سنةَ (١٩٣٩م)، بناءً على اتفاقٍ بين فرنسا وتركيَّة أيَّام وجود فرنسا في سوريَّة، ولَم تعترِف سوريَّة بشرعيَّةِ هذا الاتِّفاق.

(٥) - آسيا الصُّغرَى: وتُعرَفُ ببلادِ الأناضُول، والأناضُول شبهُ جزيرةٍ جبليَّةٍ في غربِ آسيا على البحرِ المتوسِّط تشملُ معظمَ الأراضي التركيَّةِ اليَوم.

جيشٍ لملاقاتِه، فجنَّدَ إبراهيم جُنداً كبيراً من البلادِ التي افتتَحها، وسارَ نحو (القُسطنطينيَّة)[٢] لملاقاةِ رشيد باشا، فالتقى الجيشانِ في (رجَب١٢٤٨هـ-١كانون الأول١٨٣٢م)، في (قونية)[٣] جنوبَ آسيا الصُّغرى، فتقهقرَ رشيد باشا برِجالِهِ، واخترقَ إبراهيم باشا آسيا الصُّغرَى حتَّى هدَّد (الأستانَة).

ولَم يقفْ بإبراهيمَ عن المسيرِ إلَّا **توسُّطُ الدُّولِ**، وفي مقدِّمتهنَّ (الدَّولةُ الرُّوسيَّة)، إذ أنفذَت إلى مصرَ (البرِنس مُورافيف) لمخاطبةِ محمَّد عليّ بذلكَ وتهديدِه، فبعثَ إلى إبراهيمَ أن يتوقَّفَ عن المسيرِ، ثمَّ عُقدتْ بمَساعي الدُّولِ معاهدةٌ من مقتَضاها أن تكونَ الشَّامُ قِسماً من مملكةِ مصرَ، وأن يكونَ إبراهيم باشا حاكماً عليها وجابياً لخَراج (أضَنة)[٤].

عادَ إبراهيم باشا إلى الشَّامِ واهتمَّ بتدبيرِ أحكامِها، وأخذَ يُدير الأحكامَ بكلِّ درايةٍ وحكمةٍ خشيةَ سُوءِ العُقبى، وبالرُّغم من ذلكَ لَم ينجُ من ثوراتٍ استعرَت نيرانُها في الشَّام، وحروبٍ التقى فيها الجيشانِ العثمانيُّ والمصريُّ.

وتوالَت الحوادثُ إلى (جمادَى الأُولى١٢٥٦هـ-١٥تموز١٨٤٠م)، فانعَقدَت (**معاهدةُ لوندرا**)[٥]، القاضيَةُ بِعدِّ (محمَّد علي باشا) من تابعي الدَّولةِ العثمانيَّة.

وبعد ذلكَ بيسيرٍ من الزَّمن، جاءت الجيوشُ الإنكليزيَّةُ إلى (صَيدا)[٦]، ثمَّ سارَ الأسطولُ

---

(١) – جبالُ طُوروس: سلسلةُ جبالٍ في جنوبِ شَرق هضبةِ الأناضول التُّركيَّة، منها ينحدرُ نهرُ الفرات إلى سورية.

(٢) – القُسطنطينيَّة: عاصمةُ الأمبراطوريَّة الرُّومانيَّة مِن (٣٣٠-٣٩٥م)، وعاصمةُ الدَّولة البيزنطيَّة من (٣٩٥-١٤٥٣م)، حين استَولى عليها العُثمانيُّون، فدخل محمَّد الفاتح القُسطنطينية، وأطلق عليها (إسلام بول)، أو (الآستانة)، وبدخُوله صارَت المدينةُ عاصمةَ السَّلطنة العُثمانيَّة. غُيِّر اسمُها في عام (١٩٣٠م) إلى (إسطنبول) ضمن إصلاحات أتاتورك القوميَّة.

(٣) – قُونيَة: مدينةٌ تُركيَّةٌ، تقعُ في الجزء الجنوبيِّ من وسطِ الأناضول.

(٤) – أضَنَة: خامسُ أكبرِ محافظاتِ تركيَّا، تقعُ جنوبَ البلادِ على جبالِ طوروس.

(٥) – أو لوندرة، نسبةً إلى مدينةِ (لوندرا) في بريطانيا.

(٦) – صَيدا: ثالثُ أكبرِ المدُنِ اللُّبنانيَّة، تقعُ في الجنوبِ على البحرِ المتوسِّط.

الإنكليزيُّ لحصارِ (**بَيروت**)، وكانت تحتَ قيادةِ (سُليمان باشا الفرنساويِّ)[1]، وقد حصَّنها تَحصيناً منيعاً، ولكن لسوءِ الحظِّ جاءتْهُ الأنباءُ أنَّ إبراهيم باشا قُتِلَ وتشتَّت رجالُه، ولَمَّا رأى سُليمان نفسَه منفرِداً في بيروت تركَ المدينةَ فاستولَى عليها الإنكليزُ، ثمَّ اتَّصل به أنَّ إبراهيم باشا لا يزالُ حيَّاً ويأمرُه بالثَّباتِ أمامَ العدوِّ .

ثمَّ سارَ (الكومودور شارل نابييه) قائدُ الأسطولِ الإنكليزيِّ إلى الإسكندريَّة بستِّ سفُنٍ إنكليزيَّة، وعرضَ على محمَّد عليّ باشا الصُّلحَ فقَبِلَ، وعقَدوا معاهدةً وقَّع عليها الطَّرفان، ومانَعت الدُّولُ في تثبيتِها، وبقيَت الأمورُ على حالها حتَّى دارَت المخابراتُ بين البابِ العالي ومحمَّد عليّ باشا، فأراد السُّلطانُ إرضاءَ محمَّد عليّ، فأعطاهُ ولايةَ مصرَ على أن تكونَ **وراثيَّةً لنَسلِه** بشرطِ أن يكونَ للسُّلطانِ العُثمانيِّ الحقُّ المطلقُ في أن يَختارَ من عائلةِ محمَّد عليّ مَن يُريدُ لتوليَتِها، فتردَّد محمَّد عليّ بادئَ الأمر، ثمَّ أمرَ جيوشَهُ أن تنسَحِبَ من الشَّام .

وتولَّى (**إبراهيمُ باشا بن محمَّد عليّ**) الإمارة المصريَّةَ بعد تنازلِ أبيه عامَ (١٢٦٥هـ-١٨٤٩م)، وقد تقدَّم في سيرةِ أبيهِ معظمُ سيرةِ حياتِه، لأنَّهما -في الواقِع- عَمِلا مَعاً في مصرَ، وكان إبراهيمُ ساعدَ أبيه الأيمَنَ في فتوحهِ وسائرِ أعمالِهِ العسكريَّة، ولم يدُم حكمُ إبراهيمَ إلَّا (أحدَ عشرَ شهراً)، وتوفِّي قبلَ والدِه.

ثمَّ تولَّى (**عبَّاس الأوَّل** بنُ طُوسُونَ بنِ محمَّد عليّ) (١٢٦٦هـ-١٨٤٩م)، وكان على جانبٍ من العلمِ والمعرفَة، وشهِدَ أكثرَ الوقائعِ الحربيَّة، وفي عهدِه أُنشئَ الخطُّ الحديديُّ بين مصرَ والإسكندريَّة، وأُسِّست المدارسُ الحربيَّةُ في (العبَّاسيَّة)، ومُدَّتْ الخطوطُ البَرقيَّة، وجُهِّزَت حملةٌ عسكريَّةٌ لنجدةِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ في حَربها ضدَّ (الرُّوس).

ثمَّ تولَّى الحكمَ (**سعيدُ بنُ محمَّد عليّ**) سنةَ (١٢٧٠هـ-١٨٥٤م)، وفي عهدِه تمَّ توسيعُ

---

(١) - سليمان باشا الفرنساوي: أو الكولونيل سيف، ولد عام (١٧٨٨م)، في مدينة ليون بفرنسا، و نزح إلى مصرمع الحملةِ الفرنسيَّة، وبقيَ بها واعتنقَ الإسلام، وكان القائدَ العامَّ للجيش المصريِّ في عهدِ الخديوي عبَّاس، وكان محمَّد علي قد عهدَ إليه من قبلُ بتكوين النَّواةِ الأولى من الضبَّاط الذين سيُدرِّبونَ الجيشَ المصريَّ.

الخطوطِ الحديديَّةِ والبَرقيَّة بينَ الإسكندريَّةِ ومصرَ، وعُدِّلت الضَّرائبُ، وزِيدَ كثيرٌ منها، وثارَت مديريَّةُ (الفيُّوم)[1] على الحكومةِ فأخمَدَت ثورتَها، وأُعطيَت بلادُ السُّودان بعضَ الامتيازاتِ، ووَلي عليها الأميرُ (**حليم**) حكمداراً .

ثمَّ تولَّى الحكمَ (**إسماعيلُ بنُ إبراهيم باشا**) سنةَ (١٢٨٠هـ-١٨٦٣م)، ووقَعت في ولايتِهِ حوادثُ عظيمةٌ بالدِّيار المصريَّة منها: الاحتفالُ بفَتح (**قناة السُّويس**)[2] سنةَ (١٢٨٦هـ-١٨٦٩م)، وكان قد بُوشِرَ بحَفرِها على عهدِ عمِّه (سعيد باشا)، وحضرَ ذلك الاحتفالَ ملوكُ أوروبَّا أو مَن يقومُ مقامَهم، وأَعدَّ لضيوفهِ من وسائلِ الزِّينةِ شيئاً كثيراً، حتَّى إنَّه بنى (الأُوبرا الخديويَّةَ) بالقاهرَة لتكونَ مَرسَحاً يشاهدُ فيهِ ضيوفُه صنوفَ التَّمثيل.

وقَد فُتِحَت القناةُ وبيَدِ الحكومةِ المصريَّةِ (٤٤ ٪) من أسهُمِها، ونحوُ (٥٢ ٪) من أسهُمِها لفَرنسا، وأمَّا إنكلترا فلَم تشترِ إلَّا (٨٥ سهماً) فقَط.

ثمَّ تهوَّر إسماعيلُ في النَّفقاتِ على البلادِ وعلى نفسِه، فاضطَّرَ للأموالِ فجعلَ يبدِّدُ ما في يدَيه من الأسهُم، واحتاجَ أخيراً إلى مبلغٍ كبيرٍ، فتقدَّمت فرنسا لابتياع تلكَ الأسهُم، فانتبَهت إنكلترا لما يترتَّبُ على ذلكَ من ازديادِ نفوذِ فرنسا في تلكَ المنطقة، فابتاعَت من إسماعيل (مئةً وستَّاً وسَبعينَ ألفَ سهمٍ)، بمبلغ (أَربع ملايين جُنيه)، ثمَّ تورَّطَ في إسرافِ المالِ، فاحتاجَ إلى مالٍ آخرَ، فاقترَضَ (مليون جُنيه) من شركةِ (السنديكات الكبرى)[3]، ورهنَ عندَها ما تبقَّى من حصَّةِ مصرَ من أرباحِ القناةِ، أي (١٥٪).

وبسبَبِ إسرافهِ الكبير تدخَّلَت بعضُ الدُّول الأوروبِّية ذاتُ العلاقةِ في الشُّؤون الماليَّة المصريَّة، فوضَعوا (**قانونَ التَّصفية**)، وعجَزت مصرُ عن دفع (المليون جُنيه) المذكورُ، فتنازلَت عن

(١) - الفيُّوم: مُحافظةٌ مصريَّةٌ، تقعُ في إقليم شَمالِ الصَّعيد.

(٢) - قناةُ السُّويس: قناة مائيَّة تقعُ إلى الغربِ من شبهِ جزيرةِ سَيناء، وهي ممرٌّ ملاحيٌّ بطول (١٦٣كم) في مصرَ، بين (بورسعيد) على البحر الأبيض المتوسِّط، و(السُّويس) على البحرِ الأحمر.

(٣) - السِّنديكات: عبارةٌ عن تجمُّعاتٍ أو اتِّحادات نقابيَّة في نطاقٍ جغرافيٍّ، وكانَت في فرنسا.

الرَّهن، وتألَّفت شركةٌ فرنسيَّةٌ دفعَت الدَّين، وقامَت مقامَ مصرَ في الاستيلاء على حصَّتها المشارِ إلَيها.

وكان إسماعيلُ قبلَ بيعِ أسهُمِ القناةِ قد باعَ أرباحَها لعشرينَ سنة، فلمَّا باعَ الأسهُمَ لإنكلترا ساوَتْ تلكَ الأرباحُ أن تُسدِّدها الحكومةُ المصريَّة بأقساطٍ مقدارُها (مائتا ألفِ جُنيه) كلَّ سنةٍ إلى عامِ (١٣١٤هـ-١٨٦٩م) .

ثمَّ عيَّنت الدُّولُ ذاتُ العلاقةِ سنةَ (١٢٩٥هـ-١٨٧٨م) لجنةً ماليَّةً مختلفةً لمراقبةِ حساباتِ الحكومةِ المصريَّة، فرأَت فيها عَجزاً مقدارُه (مليون ومائتا ألفِ جُنيه)، فتنازلَ إسماعيلُ عن أملاكهِ الخاصَّة وأملاكِ عائلتِه التي تُعرف بـ(**أملاكِ الدُّومين**)[1] للحكومةِ، كما تقرَّر في تلكَ السَّنةِ استقراضُ (ثمانية ملايين جُنيه ونصف)، وجُعِلَت أملاكُ الدُّومين رَهناً لها، وعُرِفَ هذَا الدَّينُ بـ(**دَين روتشيلد**)[2].

ثمَّ صادقَ إسماعيلُ على تعيينِ ناظِرَينَ في مجلسِ النُّظَّار؛ أحدُهما إنكليزيٌّ للماليَّة، والآخرُ فرنسيٌّ للأشغالِ العُموميَّة، ثمَّ أخرجَ الناظرَين الأجنبيَّين بعدَ ذلكَ، فعَظُمَ ذلكَ على دولتَي إنكلترا وفرنسا، فعمَدتا إلى الانتقامِ، وسعَتا في ذلكَ لدى البابِ العالي سرّاً وجَهراً، حتَّى صدرَ الأمرُ الشَّاهاني سنةَ (١٢٩٦هـ-١٨٧٩م)، بإقالتِه وتوليةِ ابنِه (**محمَّد توفيق**)، ورحلَ إسماعيلُ إلى (أوروبَّا).

وفي (١٧ربيع الأوَّل١٣٠٤هـ-١٣كانون الثَّاني١٨٨٧م) ألحَّ البابُ العالي على الحكومةِ الإنكليزيَّة أن تعيِّن وقتَ جلاءِ جيوشِها عن القُطرِ المصريِّ، فأجابَت أنَّها لا يُمكِنها ذلكَ إلَّا متى استتبَّ النِّظامُ فيه. وفي (٣شباط) تقرَّر أن يكونَ جيشُ الاحتلالِ الإنكليزيِّ مُنحصراً في ثلاثةِ

---

(١) - أملاكُ الدُّومين: أي الأملاكُ الحكوميَّةُ الخاصَّة، مأخوذة من (Domain)، بمعنى الحقلِ أو الميدانِ الخاصِّ بحاكمٍ أو حكومَة.

(٢) - دين روتشيلد: نسبةً إلى عائلةِ روتشيلد (Rothschild) الألمانيَّة في فرانكفورت، وهيَ أسرةٌ مصرفيَّةٌ مشهورةٌ في أوروبَّا.

مراكز: فيقيمُ في القاهرة (٢٩٠٠جنديٍّ)، وفي الإسكندريَّة (٩٠٠جنديّ)، وفي أسوان[1] (٤٠٠٠جنديّ) .

ثمَّ خلفَ محمَّد توفيق ابنُه (**عبَّاس حِلمي**) سنةَ (١٣٠٩هـ-١٨٩٢م)، وقد تزعَّم حركةَ إجلاءِ البريطانيِّين عن مصرَ (**مصطفى كامل**)، فجاهدَ بقلمِه ولسانِه، في مصرَ وتركيَّا ورُبوع أوروبَّا، يكتبُ ويخطبُ، فأنشأ (**جريدةَ اللِّواء**)، وأخذَ يتَّصلُ برجالِ الصَّحافةِ والسِّياسةِ والنُّفوذِ والأدبِ من مشاهيرِ الغَربِ[2]. ثمَّ عُقد اتفاقٌ في (٨نيسان١٩٠٤م-١٣٢٢هـ) بين إنكلترا وفرنسا هذا نصُّه: (تصرِّحُ حكومةُ جلالةِ الملكِ -ملكِ إنكلترا- أنَّها لا تنوي تغييرَ حالةِ مصرَ السِّياسيَّة، وتصرِّحُ حكومةُ الجمهوريَّةِ الفرنسيَّةِ أنَّها لا تُعيقُ عملَ بريطانيا العُظمى في مصرَ بطلبِ تحديدِ زمنِ الاحتلالِ الإنكليزيِّ، أو بأيِّ أسلوبٍ آخر).

ولمَّا توفِّي مصطفى كامِل سنةَ (١٣٢٦هـ-١٩٠٨م)، خلَفه رفيقُه في الجهادِ (**محمَّد فريد**)، فاضطَّلع بأعباءِ الزَّعامة في ظروفٍ أشدَّ وأحرجَ من ظروفِ سلَفهِ، هذا إلَّا أنَّ وفاةَ مصطفى كامل وما أحدثَتهُ من قوَّةٍ واستقرارٍ في الشُّعور الوطنيِّ، قد نبَّهَتْ سلطاتِ الاحتلالِ إلى خطرِ الحركةِ

---

(١) - أَسْوان: محافظةٌ مصريَّة، وهي بوَّابةُ مصرَ الجنوبيَّة.

(٢) - وهاكَ نموذجاً ممَّا سطَّرهُ قلمُه إلى رئيس الوزراء البريطانيِّ (وليام غلادستون William Gladstoneت:١٨٩٨م) في (ربيع الثَّاني١٣١٤هـ-٢٨أيلول١٨٩٦م): (أيُّها السيد المُبجَّل، إنَّ الذي يخاطبكُم اليومَ هو مصريٌّ، تشرَّفَ من قبلُ بمُراسلتِكم، ولمَّا شرَّفتمُوني في شهرِ ينايرَ الماضي بجوابِكم الذي صرَّحتُم فيه أنَّ وقتَ الجلاءِ عن مصرَ قد حانَ منذُ أعوامٍ كتبتُ إليكُم راجِياً باسمِ الإنسانيَّةِ والشَّرفِ البريطانيِّ أن تُلقُوا خطبةً تذكِّرونَ فيها حكومةَ المِلكَةِ بأنَّ هناكَ معاهداتٍ خاصَّةً بمصرَ يجبُ احترامُها، فلَم يَصِلني جوابٌ ما، وحسِبْتُ أنَّ رجائي لَم يؤثِّر أيَّ تأثيرٍ في روحكمُ الشَّريفةِ الكريمةِ، واليومَ أرى من الأسفِ أنَّكم لا تميلونَ إلَّا إلى المسيحيِّين من بَني الإنسانِ، أوَليسَ لنا حقٌّ كذلكَ نحنُ معشرَ المصريِّينَ المسلمينَ في دَعواكُمُ المؤثِّرةِ وندائِكم القويِّ؟!. أمَّا أنا فأظنُّ ذلك، وخُصوصاً لأنَّكم بدعوتِكم للجلاءِ عن مصرَ لا تُدافعونَ عن حقوقِ أمَّةٍ متمدِّنةٍ معتدلةٍ فقَط، بلْ تدافعونَ كذلكَ عن مقامِ بريطانيا وشرَفِها، وإنَّ اليومَ الذي تُدافعونَ فيهِ عن مصرَ تستميلونَ إليكُم -لا محالةَ- كلَّ المسلمينَ الذين يعتقدونَ الآنَ دفاعَكُم عن الأرمنِ تحيُّزاً للمسيحيَّةِ ودفاعاً عنها، لا عَن الإنسانيَّة، وعلى هذا أؤمِّلُ أن تُعيروا رَجائي التفاتَكُم ورعايتَكُم، ومعَ انتظارِي لجوابِكم أَرجو منكُم أيُّها السيِّدُ العَظيمُ المقامِ أن تتفضَّلوا بقَبولِ صادقِ اعتباري وعظيمِ احترامي) .

الوطنيَّة وعِظَمِ شأنِها، فحفَّزتْها إلى مضاعفةِ الجهودِ لاضطِّهادِها وإخمادِها، واتَّبعت في ذلكَ سياسةً جديدةً للوصولِ إلى هذِه الغاية، هي **سياسةُ الوِفاقِ** التي عُقِدَت بين (الخديوي عبَّاس حِلمي) و(المعتمِد البريطانيِّ)، وحلَّتْ محلَّ سياسةِ الخلافِ والمُشادَّة التي كانت قائمةً بينَ الخديوي وسلُطاتِ الاحتلال، وبذلكَ استهدفَت الحركةُ الوطنيَّة لمحاربةِ السُّلطَتين المتحالفَتَين، ولكنَّ محمَّد فريد لَم يَهِنْ ولَم يضعُف، بل استمرَّ في نضالِه، وقاومَ الاحتلالَ باستِمساكِه بالجلاءِ، وظلَّ يجاهدُ ويناضلُ، حتَّى فاضَت روحُه في (ربيع الأوَّل١٣٣٨هـ-١٥تشرين الثَّاني١٩١٩م) في (برلين)[1].

وفي (المحرَّم١٣٣٣هـ-١٨كانون الأول١٩١٤م) أُعلِنَت الحمايةُ البريطانيَّةُ على مصرَ، ثمَّ أُعلِنَ في غَدِه قيامُ السُّلطانِ (**حسين كامل**) على العَرش، ولم تمضِ أشهرٌ قليلةٌ بعد إعلانِ الحمايةِ حتَّى أَطلقتِ السلطاتُ الإنكليزيَّةُ أيديَها في دواوينِ الحكومة، إلَّا ما هيَ في غنًى عنهُ، ولا قُدرةَ لها على إدارتِه.

ثمَّ وليَ السُّلطانُ (**فؤادُ الأوَّل**) سلطنةَ مصرَ سنةَ (١٣٣٥هـ-١٩١٧م)، ولمَّا أُعلِنَت الهدنةُ في (صفَر ١٣٣٧هـ-١١تشرين الثَّاني ١٩١٨م)، ذهبَ (**سعد زَغلول**) وصاحباهُ (علي شَعراوي) و(عبدُ العزيز فَهمي) فقابَلوا معتمَدَ الدَّولةِ البريطانيَّةِ بمصرَ، وبعد مناقشةٍ وجيزةٍ قالوا : (إننا نريدُ أن نكونَ أصدقاءَ للإنكليزِ صداقةَ الحرِّ للحرِّ لا العبدِ للسيِّد)، فصاحَ المعتمَدُ دَهَشاً: (إذَن، أنتُم تطلبونَ الاستقلال؟!)، فأجابه سعدٌ: (نَعم، ونحنُ أهلٌ لهُ)، فأجابَ المعتمَدُ: (إنِّي لا أعرفُ شيئاً عن أفكارِ الحكومةِ البريطانيَّة في هذا الصَّدد).

ثمَّ طلبوا منهُ السَّماحَ لهم بالسَّفر إلى الخارجِ للمطالبةِ بإلغاءِ الحمايةِ والاعترافِ باستقلالِ مصرَ أمامَ (**مؤتمر الصُّلح**) في (**فرساي**)[2] فرفَض طلَبهم، فأخذَ عندئذٍ الزعماءُ ينشرونَ الدَّعوةَ للاستقلالِ في أنحاءِ البلادِ، وأيَّدهُم الشَّعبُ تأييداً كبيراً، ومنَحهُم توكيلاً للمطالبةِ باستقلالِ

---

(١) - برلين: (Berlin)، عاصمةُ ألمانيا الاتِّحاديَّةِ اليَوم.

(٢) - فرسَاي: (Versailles)، مدينةٌ في شَمالِ فرنسا.

مصرَ استِقلالاً تامَّاً، وتألَّفَ (**حزبُ الوفدِ المصريِّ**) برئاسةِ سعدٍ زَغلول، للسَّعيِ لتحقيقِ هذا الغَرض.

فلمَّا رأى الإنكليزُ حماسةَ الشَّعبِ واشتدادَ الحركةِ الوطنيَّة، غضبُوا وعزَموا على استعمالِ القوَّة، فنفَوا (سعد زَغلول) وثلاثةً من زُملائهِ: (محمَّد محمود) و(حمد الباسِل) و(إسماعيل صِدقي) إلى جزيرةِ (مالطة)[1] في (جُمادى الثَّانية١٣٣٧هـ-آذار١٩١٩م)، فقامَت في البلادِ ثورةٌ تعرفُ بـ(**ثَورةِ ١٩١٩م**)، ثمَّ أُطلقَ سراحُهم في (رجَب ١٣٣٧هـ-نيسان١٩١٩م)، فسافَروا إلى (باريس)، ولحقَ بهم آخرونَ من أعضاءِ الوفدِ للدِّفاع عن قضيَّةِ البلادِ أمامَ (مؤتمر الصُّلح) في (فرساي)، ولكنْ لَم يُقبَل اشتراكُهم فيه، واعترَفَ المؤتمرُ بالحمايةِ البريطانيَّةِ على مصرَ، فأخذَ الوفدُ يعملُ على إفهامِ أهلِ أوروبَّا وأميريكا مركزَ مصرَ وعدالةَ مطالِبها وحقَّها في الاستقلال.

غيرَ أنَّ الإنكليزَ لَم يعترفوا بالوفدِ المصريِّ، وأُرسلَت لجنةٌ برياسةِ الوزير البريطانيِّ (**ملنر**) إلى مصرَ لبحثِ أسبابِ الثَّورة، فقاطَعها الشَّعبُ المصريُّ، ولذلكَ اضطرَّت إنكلترا أن تعترفَ بالوفدِ المصريِّ، وحدثَت مفاوضاتٌ بينَ سعدٍ واللَّجنةِ في (لندُن). وبعد مدَّةٍ قصيرةٍ حدثَ نزاعٌ بين سعدٍ و(**عدلي يكَن**) رئيسِ الوزراء، واستقالَ بعضُ زعماءِ الوفد، وكوَّنوا (**حزبَ الأحرارِ الدُّستوريِّين**)، وسافرَ عَدلي إلى (لندُن) على رأسِ وفدٍ رسميٍّ لمفاوضةِ الحكومةِ الإنكليزيَّة، ولكنَّ المفاوضاتِ لَم تنجَح، وعادَ إلى مصرَ واستقالَ في (ربيع الثَّاني١٣٣٩هـ-كانون الأوَّل١٩٢٠م) .

وعلى أَثرِها اشتدَّت الحركةُ الوطنيَّة بفضلِ جهادِ (سعدٍ) وخُطبهِ الحماسيَّة، فلجأ الإنكليزُ إلى القوَّةِ مرَّةً ثانيةً لوقفِ هذه الحركةِ، فنفَوا سَعداً وبعضاً من كبارِ أنصاه إلى جزيرةِ (سيشل)[2] في (المحيطِ الهنديِّ).

---

(١) – مالطة أو جُمهوريَّة مالطا (Malta): دولة أوروبية مؤلَّفةٌ من ثلاث جزُرٍ صغيرة، تقع في البحر المتوسط، جنوبَ صقلية في إيطاليا وشمالَ تونُس وليبيا، وتقعُ ماطا ضمن القارَّة الإفريقيَّة، لكنَّها سياسيَّاً ضمن القارَّة الأوروبِّية.

(٢) – سِيشِل: (Sesel) اليومَ دولةٌ في إفريقيا، تقعُ في المحيط الهنديِّ، مكوَّنةٌ من عدَّة جزُر نحو (١١٥) جزيرة.، عاصمتُها مدينة فكتوريا هي العاصمة.

وبعد نَفي سَعدٍ وصحبِه أعلَنت الحكومةُ الإنكليزيَّةُ (**تصريحَ ٢٨شباط ١٩٢٢م**)، تهدئةً للحالةِ بمَساعي (عبدِالخالِق ثروَت)، وبمُوجبِه أعلَنت إنكلترا إلغاءَ الحمايةِ البريطانيَّةِ على مصرَ، واعترفَت بمصرَ مملكةً مستقلّةً ذاتَ سيادَة، وأصبحَ السُّلطانُ ملِكاً على البلادِ.

واحتفظَت إنكلترا لنفسِها بأربعِ نُقطٍ، أو أربعةِ تحفُّظاتٍ، هيَ:

١- أن يكونَ لها حقُّ حمايةِ قناةِ السُّويس.

٢- أن يكونَ من حقِّها حمايةُ مصالحِ الأجانبِ والأقلِّياتِ الدِّينيَّةِ بمِصرَ.

٣- أن تُدافعَ عن مصرَ من أيِّ تدخُّلٍ أو اعتداءٍ أجنبيٍّ.

٤- أن تتفاوضَ الدَّولتان فيما بعدُ في مركزِ السُّودان.

ولَمَّا تمَّ وضعُ الدُّستورِ سنةَ (١٣٤١هـ-١٩٢٣م)، بُدِئ في تنفيذِه، فأُجريت انتخاباتٌ لاختيارِ أعضاءِ **المجلس النِّيابيِّ**، فحصلَ الوفدُ المصريُّ فيه على أغلبيَّةٍ عظيمةٍ، فألَّف سعد زَغلول الوزارةَ الدُّستوريَّةَ الأولى، وافتتحَ المجلسَ في (شعبان ١٣٤٢هـ-١٥آذار ١٩٢٤م).

وبعدَ وفاة سَعد زغلول في (ربيع الأوَّل١٣٤٦هـ-آب١٩٢٧م)، خلَفه في زعامةِ الوفد (**مصطفى النحَّاس**)، وتولَّى رئاسةَ الوزارة، وحاولَ في أثنائها الوصولَ إلى اتِّفاق مع الإنكليز يحقِّقُ به مطالبَ البلاد.

وجرَت مفاوضاتٌ بين إنكلترا ومصرَ في عدَّةِ مناسباتٍ، منذُ إعلانِ تصريح (٢٨شباط)، لحلِّ مسألةِ **التحفُّظاتِ الأربعةِ**، ولكنَّها فشِلَت جميعُها، وأهمُّها مفاوضاتُ سنةِ (١٩٣٠م) التي قام بها مصطفى النحَّاسُ رئيسُ الوزارة وقتئذٍ، وعلى أثرِ فشلِ هذِه المحاولةِ أُقيلَت وزارةُ النحَّاس، وتألَّفت وزارةٌ جديدةٌ برئاسةِ (**إسماعيل صِدقي**)، وقامَت بوضعِ دستورٍ جديدٍ يعُرف بـ(**دُستور سنةِ١٩٣٠م**)، وعارضَهُ بشدَّةٍ الوفدُ المصريُّ والأحرارُ الدُّستوريُّون وغيرُهما من الأحزابِ المصريَّة، واستمرَّ هذا الدُّستورُ معمولاً بهِ حتَّى ألغَتهُ وزارةُ (**محمَّد توفيق نَسيم**) في (شَعبان ١٣٥٣هـ-تشرين الثَّاني ١٩٣٤م)، وأعادَت دستورَ (١٩٢٣م).

وفي سنةِ (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م) أظهرَ الشَّعبُ المصريُّ والملكُ فؤادُ الرَّغبةَ في اتِّحادِ

الأحزابِ للوصولِ إلى اتِّفاقٍ مع الإنكليز، وقد لبَّى الزُّعماءُ النِّداءَ، وتكوَّنت (**الجبهةُ الوطنيَّةُ**) برئاسةِ (**مصطفى النحَّاس**).

وعقِبَ وفاةِ الملك فؤاد الأوَّل سنةَ (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م)، نُودي بابنهِ (**فاروق**) ملِكاً على مصرَ، ولَّما كان عمرُه إذ ذاك أقلَّ من ثماني عشرةَ سنة، تألَّف مجلسُ الوصايةِ برئاسةِ (الأمير محمَّد علي توفيق) وليِّ العهد وبعُضويَّةِ (عبد العزيز عزَّت) و(محمَّد شريف صَبري)، ليُشرِفَ على أحوالِ الدَّولةِ حتَّى يبلغَ الملكُ السنَّ الدُّستوريَّة.

وفي سنةِ (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م) أظهرَ المصريُّونَ والإنكليزُ رغبةً في التَّفاهُم وحلِّ المشكلاتِ التي كانَت بينَ البلدَين، فجرَت مفاوضاتٌ بينَ الجبهةِ الوطنيَّةِ برئاسةِ مصطفى النحَّاس، وبينَ هيئةٍ بريطانيَّةٍ برئاسة (مايلز لامبسون) المندوبِ السَّامي البريطانيِّ بمصرَ، وبدأت المفاوضةُ بـ(قصر الزَّعفران) بالقاهرَة في (المحرَّم١٣٨٨هـ-آذار١٩٣٦م)، وانتهَت بنجاحٍ بـ(قصر إنطونيادس) بالإسكندريَّةِ في آب، وسافر أعضاءُ الجبهةِ الوطنيَّةِ إلى (لندُن) بدعوةٍ من الحكومةِ البريطانيَّة لإمضاءِ المعاهدَةِ هناك، وقد تمَّ إمضاؤُها في (جُمادى الثَّانية ١٣٥٥هـ-٢٦آب ١٩٣٦م)، وصارَت تعرَفُ بـ(**معاهدة الزَّعفران**).

ولَّما كانَ يقطُنُ مصرَ أجانبُ كثيرونَ يتمتَّعون بامتيازاتٍ عظيمةٍ، تُعرفُ بـ(الامتيازاتِ الأجنبيَّة)، اتَّفقَت مصرُ مع الدُّولِ ذاتِ العلاقةِ على عقدِ مؤتمرٍ في (**مونترو**)[1] بسُويسرا في (نيسان ١٩٣٧م)، للنَّظرِ في مسألةِ الامتيازاتِ الأجنبيَّةِ بمصرَ، وسافرَ وفدٌ مصريٌّ برئاسةِ مصطفى النحَّاس لحضورِ هذا المؤتمر، وبعدَ مناقشاتٍ وافقَت الدُّولُ على إلغاءِ الامتيازاتِ الأجنبيَّةِ بمصرَ، على أن يتمَّ ذلك في (اثنَي عشرَ عاماً)، ابتداءً من (شَعبان ١٣٥٦هـ-١٥ تشرين الأوَّل ٩٣٧م) .

٨- جُمهوريَّةُ مِصرَ العربيَّة :

وفي (ربيع الأوَّل١٣٦٩هـ-كانون الثَّاني١٩٥٠م)، انتُخب (**جمال عبد النَّاصر**) رئيساً

(١) – مونترو: (Montreux)، مدينةٌ في غربِ سويسرا.

للهيئةِ التَّأسيسيَّةِ بالإجماعِ، ثمَّ أعيدَ انتخابُه سنةَ (١٣٧٠هـ-١٩٥١م)، ثمَّ تقرَّر القيامُ **بالثَّورة** ليلةَ (**٢٣تموز/ يوليو١٩٥٢م**)، ونجَحت تلكَ الثَّورة، وما انتصف نهارُ (**٢٣يوليو**) حتَّى كانت السَّيطرةُ على الجيشِ قد أصبَحت مُطلقةً، وانهارَت القِلاعُ واحدةً وراءَ الأُخرى في ساعاتٍ، وطلَبت قيادةُ الثَّورة من (المَلِك فاروق) أن يَعهدَ أوَّلاً لـ(**عليّ ماهر**) بتأليفِ الوزارة، فقَبِلَ وقدِمَ (عليّ ماهر) إلى الإسكندريَّة.

وفي السَّاعة السَّادسةِ من صباحِ (٢٦تمُّوز) ترأَّس (زكريَّا محيي الدِّين) مؤتمراً من ضبَّاطِ جميعِ القوَّاتِ الموجودةِ في الإسكندريَّة، وشرح لهم واجباتِهم، ثمَّ أصدرَ إليهم الأوامرَ النِّهائيَّة، وبعد نصفِ ساعةٍ تحرَّكت القوَّاتُ فاحتلَّتْ مراكزَها قبلَ الثَّامنةِ صباحاً،وأقامَت القوَّاتُ التي سَتشتركُ في عمليَّة إبعادِ (فاروقَ) عن عرشِه حِصاراً على (سراي رأس التِّين) و(سراي المنتزَه)[1]، وفي الوقتِ ذاتِه كانت هناكَ قوَّاتٌ بالقاهرة تُحاصرُ قصرَي (عابدين) و(القُبَّة).

ثمَّ وُجِّه إلى (فاروق) إنذارٌ من قيادة الثَّورة بالتَّنازلِ عن العرشِ ومُغادرةِ البلادِ، فقَبِلَ الإنذارَ وتنازلَ عن العرشِ لابنِهِ الطِّفلِ (**فؤاد الثَّاني**)، وغادرَ البلادَ في السَّاعةِ السَّادسةِ من يوم (٢٦تمُّوز١٩٥٢م).

وقد حقَّقت هذه الثَّورةُ الأُمورَ الآتية:

١- في (١٨حزيران) أُلغيَت الملَكيَّةُ وأُعلِنَت الجمهوريَّةُ.

٢- وفي (ربيع الأوَّل١٣٧٣هـ-٩تشرين الثَّاني١٩٥٣م)صدرَ قرارٌ بمصادرةِ أملاكِ الأسرةِ المالكةِ السَّابقةِ أيَّاً كان نوعُ هذهِ الأملاك.

٣- وفي (شَعبان١٣٧٤هـ-١٩٥٥م) اشتركَت حكومةُ الجمهوريَّةِ المصريَّةِ في (**مؤتمر باندونغ**)[2]، ولعبَت في هذا الحقلِ الدَّوليِّ الآسيويِّ الإفريقيِّ دَوراً هامَّاً .

---

(١) - سراي رأس التين وسراي المُنتزَه: كلاهُما بالإسكندريَّة.

(٢) - مؤتمر باندونغ (Bandung)، أو (Afro-Asian Conference)، عُقِدَ في باندونغ الإندونيسيَّة، حضرتهُ وفودُ (٢٩) دولةً إفريقيَّة وآسيويَّة، شارك فيه عبد الناصر وجواهِر لال نهرو رئيس الهند وجوزيف تيتو رئيس يوغسلافيا وأحمد

وبعد سنتَين ونصفِ سنةٍ، أي في (جُمادى الأُولى١٣٧٧هـ-كانون الأوَّل١٩٥٧م)، عُقد في القاهرةِ (مؤتمرُ الشُّعوبِ الإفريقيَّةِ الآسيويَّة)، فجاءَت أعمالُه متمِّمةً لأعمالِ (مؤتمر باندونغ).

وقد حقَّقت الجمهوريَّةُ الجلاءَ التامَّ عن أرضِ الوطنِ المصريِّ، وفي (ذي القعدة ١٣٧٥هـ / حُزيران١٩٥٦م)، أعلنَ (جمال عبد النَّاصر) رئيسُ جمهوريَّة مصرَ (تأميمَ شركةِ قناةِ السُّوَيس)، وعودةَ الحقوقِ إلى أصحابِها، وسيطرةَ مصرَ سيطرةً نهائيَّةً كاملةً على جميعِ مرافِقِها.

فثارَ الذينَ كانتِ القناةُ وشركتُها مصدرَ أرباحٍ ونِعَمٍ لهُم، ومنفذاً إلى داخلِ الحظيرةِ المصريَّةِ، ووسيلةً للمِساسِ بسيادةِ مصرَ، فدبَّروا مؤامراتِهم واتَّخذوا أداةً للبدءِ بتنفيذِها (دولةَ إسرائيل).

وفي (ربيع الأوَّل١٣٧٦هـ-٢٩تشرين الأوَّل١٩٥٦م)، كان **(العدوانُ الثُّلاثيُّ)** على مصرَ؛ عدوانُ الإنكليزِ والفرنسيِّين والصُّهيونيِّين، وصمدَت مصرُ، وكتبَت (بور سعيد)[1] اسمَها في سجلِّ التَّاريخِ الخالدِ، وفشلَتْ المؤامرةُ، ووقفَ العالمُ في صفِّ مصرَ لأنَّ حقَّ مصرَ كان واضِحاً جليّاً لا يُمكن نُكرانُه.

وواصلَت الجمهوريَّةُ تنفيذَ مناهجِها الإصلاحيَّة في جميعِ الميادين، فأمَّمت بعضَ المرافِقِ، فضمِنَت استثمارَها لمصلحةِ الشَّعب، لا لمصلحةِ الأفرادِ والجماعاتِ، ومصَّرَتْ بعضَ المرافقِ، فقَضَتْ بذلكَ على استغلالِ الأجانبِ لخيراتِ البلادِ والاستئثارِ بها.

ثمَّ عادَت البلادُ إلى الحياةِ الدُّستوريَّة، ووُضِعَ الدُّستورُ الجديدُ موضعَ التَّنفيذ، وأسفَرت الانتخاباتُ النِّيابيَّةُ عن قيامِ (مجلسِ الأمَّةِ المصريِّ) في (ذي الحجَّة١٣٧٦هـ-تمُّوز١٩٥٧م)، وأصبحَ لمصرَ أسطولٌ حربيٌّ بجانبِ أسطولِها التِّجاريِّ، وصارَ لمصرَ غوَّاصاتٌ تجوبُ البحارَ

سوكارنو رئيس إندونيسيا وغيرُهم، وتبنَّى مجموعة قراراتٍ لنُصرةِ القضايا العربيَّة، وكانَ النُّواةَ الأولى لنشأة (حركةِ عدمِ الانحياز) التي هدَفَت أوَّل ما هدَفَت إلى النَّأي عن الانخراطِ في سياساتِ الحربِ الباردةِ بين الولاياتِ المتَّحدةِ الأمريكيَّة والاتِّحاد السُّوفييتيِّ.

(١) - بُور سعيد: محافظةٌ مصريَّةٌ في شمالِ شرقِ مصرَ على بوَّابة قناة السُّويس الشَّماليَّة على المتوسِّط.

بجانبِ الطَّائراتِ المحلِّقةِ في الجوِّ.

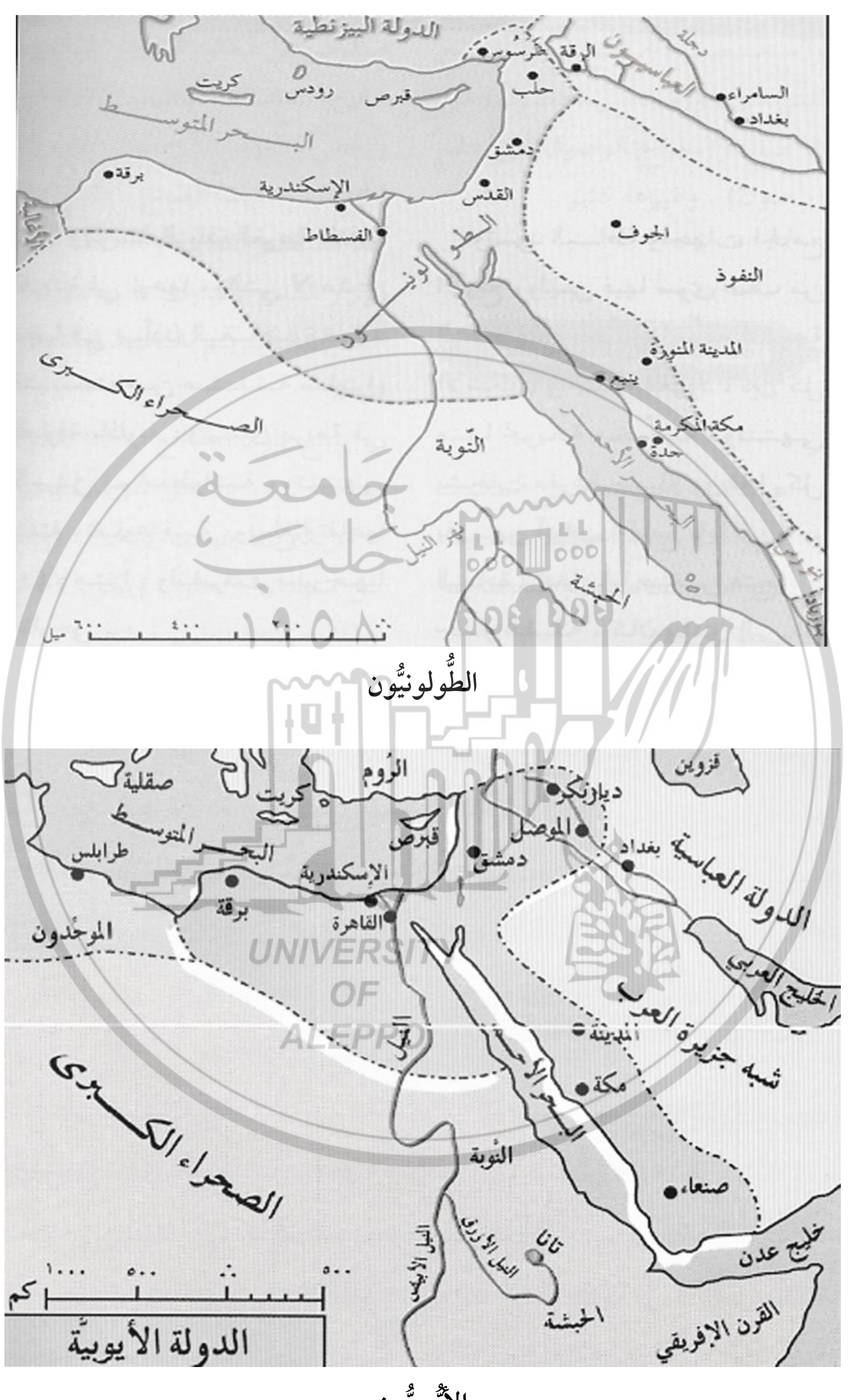
واتَّفقَت حكومةُ الجمهوريَّةِ مع الحكومةِ السُّوفييتيَّة على تنفيذِ جميعِ المشروعاتِ الصِّناعيَّةِ التي تحوِّلُ مصرَ إلى بلدٍ صناعيٍّ .

وأخذَت الحكومةُ في تشييدِ المدارسِ باستمرارٍ، واعتنقَت الجمهوريَّةُ المصريَّةُ (نظريَّة الحيادِ الإيجابيِّ)[1]، وقامَت الحكومةُ بأعمالِ التَّحسينِ والتَّجميلِ في العاصِمةِ والمُدنِ والأقاليمِ، وأخيراً في (١ شباط١٩٥٨م) اتَّحدت مصرُ وسوريَّة تحتَ اسمِ (الجمهوريَّة العربيَّة المُتَّحِدَة).

*****

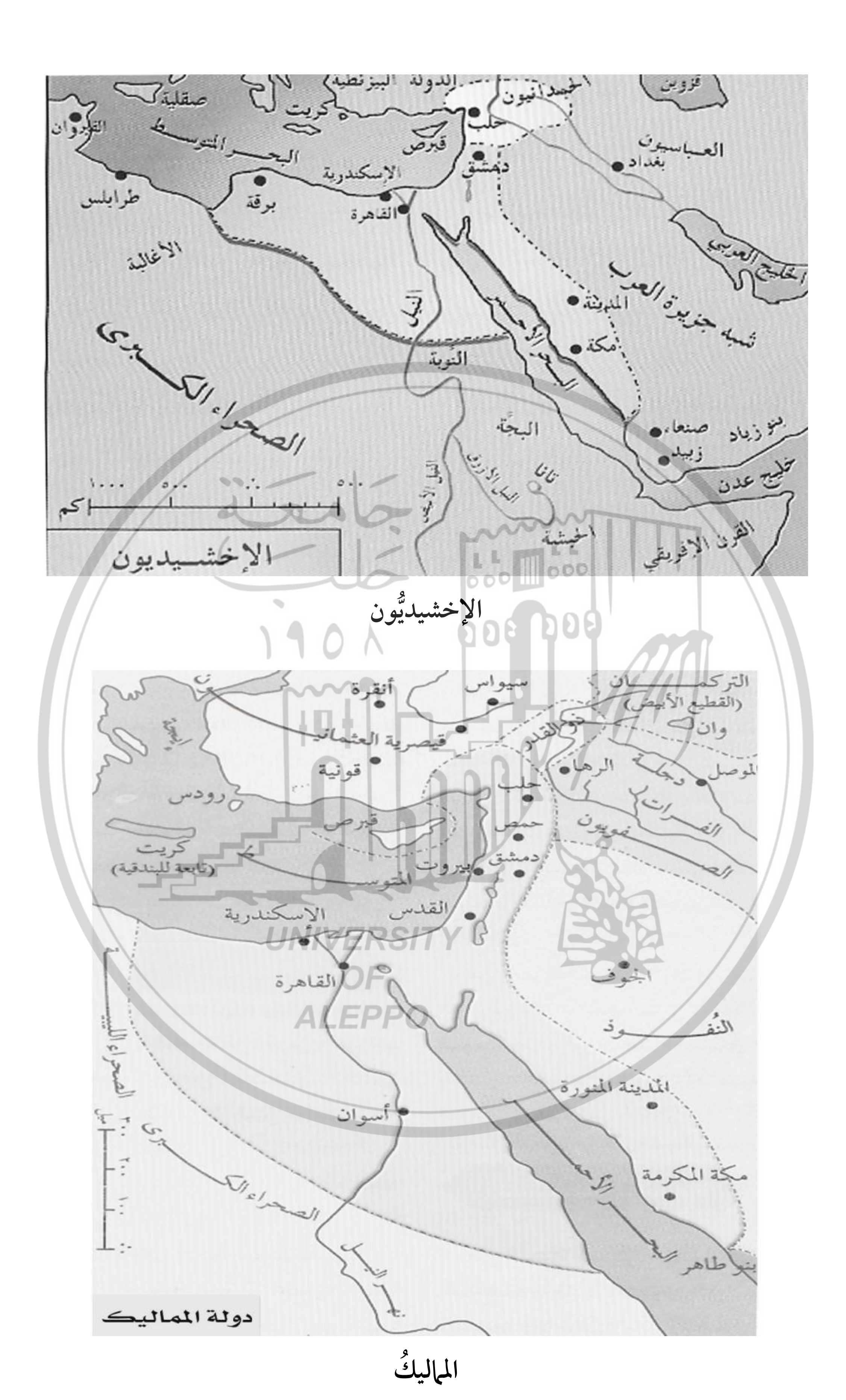


(١) - وهي نظريَّةُ عدمِ الانحياز، وهُو مفهومٌ سياسيٌّ تنتهجُهُ الدُّولُ بمقتضَى إرادتها الحرَّة وحقِّها في سلوكِ السِّياسة التي تراها مناسبةً لمصلحتِها القوميَّة في علاقتها مع الدُّولِ الأُخرى، وليسَ لعدمِ الانحيازِ مفهومٌ قانونيٌّ، ولا يخوِّل الدُّولَ حقوقاً معيَّنةً أو يفرضُ عليها واجباتٍ خاصَّةً إلا التزامَ موقفِ الحيادِ الذي تقفهُ الدَّولةُ المحايدةُ في حالِ نشُوبِ الحرب. وكانَت نواةُ هذا المفهومِ في مؤتمرِ (باندونغ) في إندونيسيَة، سنةَ (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م).



الطُّولونيُّون

الأيُّوبيُّون



الإخشيديُّون

المماليكُ

* قوائمُ أَسماءِ الحكَّامِ في مصرَ *

* الطُّولُونيُّون	* الإخشِيديُّون
أحمدُ بنُ طُولُون (٢٥٤هـ-٨٦٨م)	محمَّد بن طُغُج بن جَفّ الفَرغانيُّ (الإخشيدُ) (٣٢٣هـ-٩٣٥م)
أبو الجيشِ خَمارَويه بنُ أحمَد (٢٧٠هـ-٨٨٣م)	أبو القاسمُ أنوجور بن إخشِيد (٣٣٤هـ-٩٤٦م)
جيشُ بن خَمارَويه (٢٨٢هـ-٨٩٥م)	أبو الحسَن عليُّ بنُ إخشِيد (٣٤٩هـ-٩٦٠م)
هارونُ بن خَمارَويه (٢٨٣هـ-٨٩٢م)	أبو المسك كافورُ الإخشيديُّ (مَولَى الإخشِيد) (٣٥٥هـ٩٦٦م)
شَيبانُ بن أحمدَ بنِ طولُون (٢٩٢هـ-٩٠٤م)	أبو الفَوارسِ أحمدُ بن عليِّ بنُ إخشِيد (٣٥٧-٣٥٨هـ، ٩٦٨-٩٦٩م)
* الفاطِميُّونَ في مِصرَ	* الأيُّوبيُّونَ في مِصرَ
أَبو تميم المعزُّ لدينِ الله معَدُّ (٣٦١هـ٩٥٢م)	الملكُ النَّاصرُ صلاحُ الدِّين يوسفُ بنُ أَيُّوبَ بنِ شَاذي (٥٦٧هـ-١١٦٩م)
العزيزُ بالله أبو منصورٍ نزارٌ (٣٦٥هـ-٩٧٥م)	الملكُ العزيزُ بالله عُثمانُ بنُ يوسُف (٥٨٩هـ-١١٩٣م)
الحاكمُ بأمرِ الله المنصورُ (٣٨٦هـ-٩٩٦م)	الملكُ المنصورُ محمَّدُ بنُ العزيز (٥٩٥هـ-١١٩٨م)
الظَّاهرُ لإعزازِ دينِ الله أبو الحسَنِ عليٌّ (٤١١هـ-١٠٢٠م)	الملكُ العادلُ نجمُ الدِّين بنُ أيوبَ (أخو صلاحِ الدِّين) (٥٩٦هـ-١٢٠٠م)
المُستنصرُ بالله أبو تميمٍ معدٌّ (٤٢٧هـ-١٠٣٦م)	الملكُ الكاملُ محمَّدُ بنُ العادل (٦١٦هـ-١٢١٨م)
المُستَعلي بالله أبو القاسمِ أحمدُ بنُ معدٍّ (٤٨٧هـ-١٠٩٤م)	الملكُ العادلُ أبو بكرٍ بنُ الكامِل (٦٣٥هـ-١٢٣٨م)
الآمرُ بأحكامِ اللهِ الأميرُ أبو عليٍّ المنصورُ (٤٩٥هـ-١١٠١م)	الملكُ الصَّالحُ نجمُ الدِّين أَيُّوبُ بنُ الكامِل (٦٣٧هـ-١٢٤٠م)
الحافظُ لدينِ الله أبو الميمونِ عبدُ المجيدِ بنُ محمَّد بنِ المُستَنصِر (٥٢٤هـ-١١٣٠م)	الملكُ المعظَّمُ طُوران شاه بنُ الصَّالح (٦٤٧هـ-١٢٤٩م)
الظَّافرُ بأمرِ الله أَبو منصورٍ إسماعيل (٥٤٤هـ-١١٤٩م)	الملكُ موسَى الأشرفُ (مظهرُ الدِّين موسَى) (٦٤٨-٦٥٠هـ-١٢٥٠-١٢٥٢م)
الفائزُ بنصرِ الله أبو القاسمِ عيسَى (٥٤٩هـ-١١٥٤م)	
العاضدُ لدينِ الله عبدُ الله بنُ يوسُفَ بنِ الحافِظ (٥٥٥-٥٦٧هـ-١١٦٠-١١٧١م)	

* العائلةُ المحمَّديَّةُ العلَويَّةُ في مِصرَ	
محمَّد عليّ باشا (١٢٢٠هـ-١٨٠٥م)	محمَّد توفيق باشا بن إسماعيل (١٢٩٦هـ-١٨٧٩م)
إبراهيم باشا بن محمَّد عليّ (١٢٦٥هـ-١٨٤٩م)	عبَّاس حِلمي (عبَّاس الثَّاني) (١٣٠٩هـ-١٨٩٢م)
عبَّاس باشا الأوَّل بن طوسُون بن محمَّد عليّ (١٢٦٦هـ-١٨٤٩م)	حُسَين كامِل (١٣٣٣هـ-١٩١٤م)
محمَّد سعيد باشا بن محمَّد عليّ (١٢٧٠هـ-١٨٥٤م)	فؤادُ الأوَّل (١٣٣٥هـ-١٩١٧م)
إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمَّد عليّ (١٢٨٠هـ-١٨٦٣م)	فاروقُ الأوَّل (١٣٥٥-١٢٧١هـ-١٩٣٦-١٩٥٢م)

* المماليكُ البَحريَّة	* المماليكُ الجراكِسَة (البُرجيَّة)
شجَرةُ الدُّرِّ (زوجُ الملكِ الصَّالِحِ نجمِ الدِّينِ أَيُّوبَ) (٦٤٨هـ-١٢٥٠م)	الملكُ الظَّاهرُ برقوقُ بنُ أنس سيفُ الدِّين (٧٨٤هـ-١٣٨٢م)
الملكُ المعزُّ عزُّ الدِّين أَيْبَكُ التُّركماني (٦٤٨هـ-١٢٥٠م)	الملكُ النَّاصرُ فرجُ بنُ بَرقوق أبو السَّعادات (٨٠١هـ-١٣٩٨م) .
نورُ الدِّين عليُّ بنُ أَيْبَك (٦٥٥هـ-١٢٥٧م)	الملكُ المنصورُ عبدُ العزيز لنُ بَرقوق عزُّ الدِّين (٨٠٨هـ-١٤٠٥م)
الملكُ المُظفَّر سيفُ الدِّين قُطُز (٦٥٧هـ-١٢٥٩م)	الملكُ النَّاصرُ فرجُ بنُ بَرقوق "مرَّةً ثانية" (٨٠٩هـ-١٤٠٦م)
الظَّاهرُ ركنُ الدِّين بِيبَرس البندُقْداريُّ (٦٥٨هـ-١٢٦٠م)	الملكُ العادلُ المستعينُ بالله العبَّاسيُّ (٨١٥هـ-١٤١٢م)
الملكُ السَّعيدُ ناصرُ الدِّين بركَة خان بن بيبَرس (٦٧٦هـ-١٢٧٧م)	الملكُ المؤيَّدُ شيخُ المحموديُّ (٨١٥هـ-١٤١٢م)
الملكُ العادلُ بدر الدِّين سلامش بنُ بيبَرس (٦٧٨هـ-١٢٧٩م)	الملكُ المظفَّرُ أحمدُ بنُ شَيخ (٨٢٤هـ-١٤٢١م)
الملكُ المنصورُ سيفُ الدِّين قَلاوونَ (٦٧٨هـ-١٢٧٩م)	الملكُ الظَّاهرُ ططَر سيفُ الدِّين (٨٢٤هـ-١٤٢١م)
الملكُ الأشرفُ خليلُ بن قَلاوون (٦٨٩هـ-١٢٩٠م)	الملكُ الصَّالحُ محمَّد بنُ ططَر ناصرُ الدِّين (٨٢٤هـ-١٤٢١م)
الملكُ النَّاصرُ محمَّد بنُ قَلاوون (٦٩٣هـ-١٢٩٣م)	الملكُ الأشرفُ برس باي (برسباي) (٨٢٥هـ-١٤٢٢م)
الملكُ العادلُ زينُ الدِّين كتبُغا (٦٩٤هـ-١٢٩٤م)	الملكُ العزيزُ يوسفُ بنُ برس باي جمالُ الدِّين (٨٤١هـ-١٤٣٨م)
الملكُ المنصورُ حسامُ الدِّين لاجين (٦٩٦هـ-١٢٩٦م)	الملكُ الظَّاهرُ جُقمُق (٨٤٢هـ-١٤٣٨م)
الملكُ النَّاصرُ محمَّد بنُ قَلاوونَ "مرَّةً ثانية" (٦٩٨هـ-١٢٩٨م)	الملكُ المنصورُ عثمانُ بنُ جُقمُق فخرُ الدِّين (٨٥٧هـ-١٤٥٣م)
الملكُ المظفَّرُ رُكنُ الدِّين بيبَرس الجاشنكير (٧٠٨هـ-١٣٠٨م)	الملكُ الأشرفُ إينال (٨٥٧هـ-١٤٥٣م)
الملكُ النَّاصر محمَّد بنُ قَلاوونَ "مرَّةً ثالثة" (٧٠٩هـ-١٣٠٩م)	الملكُ المؤيَّدُ أحمدُ بنُ إينال شهابُ الدِّين (٨٦٥هـ-١٤٦٠م)
الملكُ المنصورُ أبو بكر سيفُ الدِّين (٧٤١هـ-١٣٤٠م)	الملكُ الظَّاهرُ خُوش قدم (خُشقدم) سيفُ الدِّين (٨٦٥هـ-١٤٦١م)
الملكُ الأشرفُ كُجك علاءُ الدِّين (٧٤٢هـ-١٣٤١م)	الملكُ الظَّاهرُ بلباي سيفُ الدِّين (٨٧٢هـ-١٤٦٧م)
الملكُ النَّاصرُ أحمدُ شهابُ الدِّين (٧٤٢هـ-١٣٤٢م)	الملكُ الظَّاهر تمربُغا (٨٧٢هـ-١٤٦٨م)
الملكُ الصَّالحُ إسماعيلُ عمادُ الدِّين (٧٤٣هـ-١٣٤٢م)	الملكُ الأشرفُ قايت باي (قايتَباي) سيفُ الدِّين (٨٧٣هـ-١٤٦٨م)
الملكُ الكاملُ شعبانُ سيفُ الدِّين (٧٤٦هـ-١٣٤٥م)	الملكُ النَّاصرُ محمَّد بنُ قايتباي(٩٠١هـ-١٤٩٦م)
الملكُ المظفَّرُ حاجِّي زينُ الدِّين (٧٤٧هـ-١٣٤٦م)	الملكُ الظَّاهرُ قانسُو (قانصُوه) (٩٠٤هـ-١٤٩٨م)
الملكُ النَّاصرُ حسَنُ سيفُ الدِّين (٧٤٨هـ-١٣٤٧م)	الملكُ الأشرفُ جُنبلاط (٩٠٥هـ-١٥٠٠م)
الملكُ الصَّالحُ صالحٌ (٧٥٢هـ-١٣٥١م)	الملكُ العادلُ طُومان باي (٩٠٦هـ-١٥٠١م)
الملكُ النَّاصرُ حسَنُ "مرَّةً ثانية" (٧٥٥هـ-١٣٥٦م)	الملكُ الأشرفُ قانسو (قانصُوه) الغُوري (٩٠٦هـ-١٥٠١م)
الملكُ المنصورُ محمَّد بنُ المُظفَّر صلاحُ الدين (٧٦٢هـ-١٣٦١م)	الملكُ الأشرفُ طومان باي (٩٢٢هـ-١٥١٦م)
الملكُ الأشرفُ شعبانُ بنُ حُسَينٍ زينُ الدِّين (٧٦٤هـ-١٣٦٣م)	
الملكُ المنصورُ عليُّ بنُ شَعبانَ علاءُ الدِّين (٧٧٨هـ-١٣٧٦م)	
الملكُ الصَّالح حاجِّي (أمير حاج) بنُ شَعبانَ زينُ الدِّين (٧٨٣هـ-١٣٨١م)	

*****

المبحثُ الثَّاني:
التَّاريخُ المَشارِقيُّ في بلادِ الشَّام

١- الحمدانيُّون في حلَب :

قامَت الدَّولةُ الحمدانيَّةُ[1] في حلبَ وما إلَيها سنةَ (٣٣٣هـ-٩٤٥م)، وسبَبُ قيامِها أنَّ الخليفةَ المُتَّقيَ العبَّاسيَّ بعثَ (محمَّد بنَ رائق)[2] ليُنقِذَ الشَّامَ ومصرَ من (الإخشيد)، فلَم يَضرب ابنُ رائقٍ الإخشيدَ ضربةً قاسيةً، واكتَفى بأن تركَ لهُ مصرَ إلى الرَّملةِ (رملةِ فلسطينَ) سنةَ (٣٢٩هـ-٩٤١م)، وقعدَ في القسمِ الأكبرِ من الشَّامِ مقابلَ جِزيةٍ سنويَّةٍ قَدرُها (مئةٌ وأربعونَ ديناراً).

كانَ هذا الأميرُ يحاولُ أن يُقيمَ لهُ في الشَّامِ دولةً، فعَصا فيه، وقامَ يناجِزُهُ (الحسنُ بنُ عبدِ الله بنِ حَمدان) القتالَ، وكانَ (الحسنُ) هذا قد استأثرَ بـ(الموصلِ) و(الجزيرةِ) من أَرضِ العِراق، فقَتل ابنَ رائقٍ، وقضَى على ثورتِه سنةَ (٣٣٠هـ-٩٤٢م)، وكتبَ بالأمرِ إلى الخليفةِ (المتَّقي بالله)، فحلَّ ذلكَ من نفسِه محلّاً عظيماً، ولقَّبهُ (**ناصرَ الدَّولة**)، ولقَّبَ شقيقَه عليَّاً (**سيفَ الدَّولة**)، وهذا هو صاحبُ الدَّولةِ التي اشتُهر أمرُها في حلبَ وما إلَيها.

سارَ سيفُ الدَّولةِ سنةَ (٣٣٣هـ-٩٤٥م) إلى حلبَ، فلقِيَ فيها (يأنسَ المؤنسي)[3]، ففارقَها (يأنسُ) واستأمنَ إليهِ في قطعةٍ من الجيش، فاستولَى علَيها سيفُ الدَّولةِ، وسارَ إلى (دمشقَ) وأقامَ الدَّعوة لـ(المُستكفي) ولأخيهِ ولنفسِه.

---

(١) - يُنسَبُ الحمدانيُّونَ إلى (حَمدانَ بنِ حَمدونَ التَّغلبيِّ الوائليِّ) الذي استقلَّ بحُكمِ الموصلِ من أرضِ العراق سنةَ (٢٦٠هـ)، وفي سنةِ (٢٩٣هـ) ولَّى المُكتفي العبَّاسيُّ ابنَهُ (أبا الهيجاء عبدَ الله بنَ حمدانَ) ولايةَ الموصِل، وتولَّاها بعدهُ ابنُه (الحسنُ بنُ عبد الله ناصرُ الدَّولة)، وكانَ أخوهُ (عليُّ بنُ عبد الله سيفُ الدَّولةِ) في واسِط، ثمَّ مدَّ نفوذَه إلى (حلَب) سنةَ (٣٣٣هـ-٩٤٥م).

(٢) - أبو بكر محمَّد بنُ رائِق: ولَّاهُ المُتَّقي إمرَةَ دمَشق، فحاولَ الاستقلالَ بها فقتلَه ناصرُ الدَّولةِ بنُ حَمدان بتوجيهٍ منَ المتَّقي العبَّاسيِّ سنةَ (٣٣٠هـ-٩٤٢م).

(٣) - يأنس المؤنسيُّ: والي حلبَ، عيَّنهُ الإخشيدُ صاحبُ مصرَ.

ولَمَّا بلغَ **الإخشيدَ** -وكانَ في دمَشق-أنَّ سيفَ الدَّولةِ سارَ إلى (حمص) يُريدُ (دمشقَ) جرَّدَ عسكراً كبيراً، فسارُوا إلى دمشقَ، ثمَّ ساروا إلى حمصَ، فالتقَوا مع سيفِ الدَّولةِ بـ(الرَّسْتَن) من أرضِ حمصَ، فهزمَهُم سيفُ الدَّولةِ، فعادُوا إلى دمشقَ، ثمَّ خرَجوا عنها يُريدونَ (الرَّملةَ) من فِلسطين، ثمَّ قصَدوا إلى (مصرَ)، وسارَ سيفُ الدَّولةِ في إِثْرِهم يُريدُ (دمشقَ)، وكُتِبَ الرُّجحانُ لجيشِ سيفِ الدَّولةِ على جيشِ الإخشيدِ، وأقامَ سيفُ الدَّولةِ بها، وجبَى خَراجَها.

ثمَّ التقَى عساكرُ الإخشيديَّةِ معَ عساكرِ سيفِ الدَّولةِ بـ(مرجِ عذراء)[1]، وكانَت الواقعةُ أوَّلاً لسيفِ الدَّولةِ ثمَّ آخرُها علَيه، فانهزمَ وتقطَّعَ أصحابُه وتَبِعُوه إلى حلبَ، ولَم يستطعْ سيفُ الدَّولةِ بعدَ ذلكَ أن ينالَ من الإخشيديَّةِ وبقِيَت لهم (دمشقُ) وما وراءَها حتَّى (مصرَ).

حاربَ سيفُ الدَّولةِ (**الرُّومَ**) وغزاهُم، وكذلكَ الرُّومُ أغاروا علَى أطرافِ الشَّامِ فسبَوا وأَسروا وعاثُوا. وتوفِّيَ سيفُ الدَّولةِ بنُ حَمدان سنةَ (٣٥٦هـ-٩٦٧م)، بعدَ أن غزا الرُّومَ (أربعينَ) غزوةً لهُ وعلَيه، فحفِظَ بغزَواتِهِ بَيضةَ العربِ والإسلامِ، ولَولاهُ بعدَ ضَعفِ العبَّاسيِّين لتقدَّمَ الرُّومُ في بلادِ الشَّامِ، وربَّما استَصفَوها كلَّها.

وبعدَ حروبٍ وغزَواتٍ؛ أحياناً مع الإخشيديِّين والفاطميِّين، وأُخرى مع الرُّوم، انقرَضت دولةُ بني حَمدان سنةَ (٣٩٤هـ-١٠٠٤م)، بعدَ أن دامَت حكومتُهم في (حلبَ وحَماه وحمصَ والمعرَّة وأنطاكيةَ) زُهاءَ (٦٢سنة)، عزيزةً مُستقلَّةً في أوَّلها، خاضعةً لسلطانِ غيرِها في آخرِها.

٢- تَقسيمُ الشَّامِ بينَ القَبائلِ العربيَّة وبَني مِرداس :

عندَ موتِ الحاكمِ بأمرِ الله الفاطميِّ سنةَ (٤١١هـ-١٠٢٠م)، وبعدَ انقضاءِ دولةِ الحمدانيِّن، اجتمعَ حسَّانُ بنُ المُفرِج بنِ الجرَّاح (أميرُ بني طيِّء)، وصالحُ بنُ مِرداس (أميرُ بني كِلاب)، وسِنانُ بنُ عُلَيَّان (أميرُ بني كَلب)، فتَحالَفوا واتَّفقوا علَى أن يكونَ من (حلبَ) إلى (عانة)[2] لصالح بن مِرداس، ومن (الرَّملة) إلى (مصرَ) لحسَّان، و(دمشقُ) لسِنان.

---

(١) - مرج عَذراء: هي اليومَ مدينةُ (عدرا) شرقَ دمَشق، التي قُتِلَ فيها الصَّحابيُّ الجليلُ (حجرُ بنُ عديٍّ الكنديِّ).

(٢) - عانَة: مدينةٌ عراقيَّةٌ على ضفَّةِ الفُرات، غربَ مدينةِ الرَّمادي.

قصدَ (**صالحُ بنُ مِرداس**) حلبَ وبها رجلٌ يقالُ لهُ (ابنُ ثُعبان) يتولَّى أمرَها للمِصريِّين، فسلَّم أهلُ البلدِ لصالحٍ لإحسانهِ إليهِم، وسُلِّمت القلعةُ إليهِ سنةَ (٤١٤هـ-١٠٢٣م)، وملكَ من (بعلبكَّ)[1] إلى (عانة)، وتلقَّبَ بـ(أسدِ الدَّولَة).

وافتتحَ (**حسَّانُ بنُ المُفرِج**) الطَّائي مدينةَ (الرَّملة) سنةَ(٤١٥هـ-١٠٢٤م)،وأتى علَيها حَريقاً ونَهباً وأَسراً.

وحاصرَ (**سنانُ بنُ عُلَيَّان الكلبيُّ**) مدينةَ (دمشقَ) سنةَ (٤١٦هـ-١٠٢٥م)، وجرَت بينَه وبينَ أهلِها حربٌ شديدةٌ، وخرَّب (داريَّا)[2] وأعمالَها، ولَم تُعمَّر هذِه الدُّولُ إلَّا قليلاً، وطغَى علَيها سيلُ السَّلجوقيِّين الجارِفُ.

٣- السَّلاجِقَةُ والأَتابكَةُ والأُرتُقيَّة (في بلادِ الشَّام):

ظهَرت دولةُ (**آل سَلجوق**)[3] في الشَّام سنةَ (٤٧٨هـ-١٠٨٥م) على يدِ (تُتُش بن أَلْب أرسَلان بنِ داودَ بنِ سَلجوق)،وجلسَ على كرسيِّ حُكمِها خمسةُ ملُوك، وانقضَت حياتُها سنةَ (٥١١هـ-١١١٧م).

ومن المماليكِ الذين حكَموا الشَّامَ فأصبَحوا ملُوكاً وتسمَّتْ دولتُهم بأسمائِهم (**الدَّولةُ الأتابكيَّة**)[4] في (دمَشق)، أسَّسها (سيفُ الإسلامِ ظهيرُ الدِّين طُغْتَكِين بن أَيُّوب) سنةَ (٤٩٧هـ-١١٠٤م)، وعدَدُ ملُوكِها ستَّةٌ، وانتهَى أمرُها سنةَ (٥٤٩هـ-١١٥٤م) .

---

(١) - بعلبكّ: مدينةٌ لبنانيَّةٌ في شمالِ سهلِ (مُحافظةِ البقاع).

(٢) - داريَّا: منطقةٌ معروفةٌ في ريفِ دمَشق.

(٣) - آل سَلجوق أو السَّلاجقةُ: سُلالةٌ تُركيَّةٌ، أصلُهم من برِّ سنجار (وسنجارُ اليَوم مدينةٌ في العراقِ تقعُ إلى الغربِ من محافظةِ نينوى شمالَ العراق)، دخلو الإسلامَ في عهدِ زعيمِهم سَلجوق بن دُقاق، سنةَ (٣٤٨هـ-٩٦٠م).

(٤) - الأتابِكَة: جمعُ أتابِك، وهي كلمةٌ مركَّبةٌ من لفظَين تُركيَّين: (أتا) أي الأب أو المربِّي، و(بِك) أي الأمير، فيكون معنى الكلمةِ (مربِّي الأمير)، ثمَّ صارَت مع الأيَّام تُستَعملُ لدلالاتٍ أُخرى بينَها الملكُ والوزيرُ الكبيرُ والأمراءُ البارزونَ الذين يَمُتُّون بصلةِ القرابةِ إلى السَّلاجقةِ والأمراءِ الأقوياء. كذلك أُطلِقت في عهدِ المماليكِ على من تُعهدُ إليه إمارةُ العسكرِ، ومنهُ شاعَ لقبُ (أتابِك العسكر). وأوَّلُ مَن لُقِّبَ بهذا اللَّقب نظامُ المُلكِ وزيرُ السُّلطانِ مَلِكْشاه السَّلجوقيِّ.

والتحقَ ناصرُ الدِّينِ (**أُرْتُق بنُ أكسُك التُّرْكُماني**) بصاحبِ دمشقَ (تُتُش)، وعاونَهُ على الاستيلاءِ على (حلبَ)، وساعدَه في كثيرٍ من المواقفِ، فأقطَعَهُ (فلسطينَ) سنةَ (٥٨٤هـ-١١٨٨م)، ولمَّا توفِّيَ صارَت (القُدسُ) وعمَلُها لولدَيهِ (إيلْغازي) و(سَقْمان) ابنَي أُرْتُق، وبقيَتْ في حكمِ الأُرتُقيَّةِ ثلاثَ عشرةَ سنةً وأيَّاماً.

٤- النُّوريَّةُ أو الزَّنكيَّة في الشَّام (أتابكةُ حلَب):

تُنسَبُ الدَّولةُ النُّوريَّةُ إلى الملكِ العادلِ (**محمُود نورِ الدِّين بنِ زَنكي بنِ آق سُنقُر**)، وكانَ محمودُ يُلقَّبُ بـ(**الزَّنكي**)، وكانَ جدُّه (آق سنقر) واليَ حلبَ وغيرِها من بلادِ الشَّام، ونشأَ أبوهُ (زَنكي) بالعراقِ، ثمَّ وليَ ديارَ (الموصل) والبلادَ الشَّاميَّة، وظهرَت كفاءَتُه في مقابلةِ العدوِّ، ففتحَ (الرُّها)[1] و(المعرَّةَ)[2] و(كفرطاب)[3] وغيرَها من الحصونِ الشَّاميَّة، فلمَّا انقضى أجلُه قامَ ابنهُ نورُ الدِّين مقامَهُ سنةَ (٥٤١هـ-١١٤٦م)، فقصدَ (حلبَ) فملَكها.

ولَم يكَد نورُ الدِّين يتربَّعُ في دستِ الحُكمِ في حلبَ حتَّى بدَت آياتُ فضلِه وصحَّةِ حكمهِ وعقلِه وعَزمهِ، وأصبحَ لدولتِه المقامُ الأسنى في الشَّام.

كانت همَّةُ نورِ الدِّين منصرفةً إلى توحيدِ القوَّةِ الإسلاميَّة، فأخذَ يَسعى لذلكَ حتَّى تمَّ لهُ ما أرادَ، خرجَت بهذا الشَّامُ من انقسامِ الكلمةِ وتشتُّتِ الأهواءِ والآراءِ، ومن خيانةِ الملُوكِ والأمراءِ إلى تماسكٍ وتعاضُدٍ، ومن ظُلمةِ الجهلِ والغُرورِ إلى ضياءِ العلمِ والنُّور، ومن سَلْبِ أموالِ الأمَّةِ إلى إمتاعِها بالعدلِ الشَّاملِ والأَمنِ الكاملِ، بسقَتْ فروعُها في أيسرِ زمنٍ وأحرجِ العُصور، فخطبَ النَّاسُ وُدَّها في كلِّ مكانٍ وودُّوا لو كانَ لها الحكمُ علَيهم.

قضَى نورُ الدِّين مدَّةَ ملكِه في الشَّام لم يتجاوَز (أربعاً وعشرينَ سنة)، مقاتِلاً الأعداءَ في

---

(١) - الرُّها: في الجزيرة الفُراتيَّة شمالَ شرقِ سوريَّة، وهي اليومَ ضمنَ حدودِ جمهوريَّة تركيَّا في الجنوبِ، تُعرف أيضاً بمدينة (أورفا).

(٢) - المعرَّة: أو معرَّة النُّعمان، مدينةٌ سوريَّة جنوبَ مُحافظةِ إدلب.

(٣) - كفَر طاب: بلدةٌ في ذلك العصرِ بين المعرَّةِ ومدينةِ حلَب.

الغربِ والجنُوب، وانتصرَ على أعدائهِ نصراً ظاهراً، وفتحَ خمسينَ حِصناً ونيِّفاً، وأقامَ المعالمَ الحضَاريَّةَ وهو مشتغلٌ بحفظِ الأَوطانِ.

٥- الأَيُّوبيُّونَ في الشَّام :

خلَّفَ صلاحُ الدِّين الأَيُّوبيُّ سبعةَ عشرَ ذكَراً وابنةً واحدةً، ونابَ بعضُ أولادِه عنهُ في أكثرِ بلادِه، وخلَّف أخاهُ (الملكَ العادلَ أبا بكر)، وكانَ ينوبُ عنهُ في مصرَ والشَّامِ في حياتِه، فوقعَ الخُلْفُ بينَ بنيهِ وعمِّهم في الباطنِ أوَّلاً، ثمَّ أعلنَ كلُّ واحدٍ لصاحبِه خُصومَتَه.

وكان (الملكُ الأفضلُ نورُ الدِّين عليٌّ) أكبرُ أولادِ صلاحِ الدِّين قَد حلَفَ لهُ النَّاسُ عندما اشتدَّ مرضُ والدِه، فاستقرَّ في مُلكِ دمَشقَ وبلادِها المنسوبةِ إلَيها، وبحلَبَ (الملكُ الظَّاهرُ غياثُ الدِّين غازي)، وبالكَرَك والشُّوبك[1] والبلادِ الشَّرقيَّة (الملكُ العادلُ سيفُ الدِّين أَبو بكر بنُ أيُّوب)، وبحماه وسلميَّة والمعرَّة ومنبج وقلعةِ نجم[2] (الملكُ المنصورُ ناصرُ الدِّين محمَّد بنُ الملكِ المظفَّرِ تقيِّ الدِّين عُمر)، وببعلبكَّ (الملكُ الأمجدُ نجمُ الدِّين بهرَام شاه)، وبحمصَ والرَّحبة[3] وتَدمُر[4] (شيركُوه بن محمَّد)، وببُصرى[5] (الملكُ المظفَّر خضرُ بنُ صلاحِ الدِّين) وكانَ في خدمةِ أخيهِ الملكِ الأفضلِ، وبيدِ جماعةٍ من أمراءِ الدَّولةِ بلادٌ وحصونٌ.

قضَى أبناءُ أيُّوبَ أكثرَ أوقاتِهم وهُم يتَنازَعونَ المُلك، فكانَ هذا التَّنازعُ والتَّناحُر داعِياً لضَعفِ كيانِهم وتَشتيتِ شَملِهم وأُفولِ ممالِكهِم.

---

(١) – الكَرَكُ: اليومَ مدينةٌ أردُنيَّةٌ جنوبَ شرقِ البحرِ الميِّت، جنوبَ العاصِمةِ (عمَّان)، وقريبٌ منها (الشُّوبك).

(٢) – سلَميَّة: مدينةٌ سوريَّةٌ شَرق مدينةِ حماه. ومَنبج: مدينةٌ شمالَ شرقِ حلَب. وقلعةُ نجمٍ: في شرقِ مَنبج.

(٣) – الرَّحبة: بلدةٌ سوريَّة تقعُ في مُحيطِ منطقةِ الميادين، وفيها قلعةٌ معروفةٌ باسمِها على ضفَّةِ الفُرات.

(٤) – تدمُر (Palmyra): مدينةٌ أثريَّةٌ في وسَطِ سوريَّة، تتبعُ لمُحافظةِ (حِمص).

(٥) – بُصرَى: أو بُصرى الشّام، مدينة أثريَّةٌ في جنوبِ سوريَّة، تتبعُ لمُحافظةِ (دَرعا).

المبحثُ الثَّالث:

الحروبُ الصَّليبيَّة

مِن (٤٩١هـ-١٠٩٧م) إلى (٦٩٢هـ-١٢٩٢م)

*- أوَّلاً: مداخلُ إلى تأريخ الحروبِ الصَّليبيَّة:

تُعدُّ الحروبُ الصَّليبية مِن أَعاظمِ الحوادث في التَّاريخ الإسلاميِّ العامِّ، بل مِن أشهرِ حوادثِ التَّاريخ العالميِّ، إذْ نبَتت فكرتُها في الغرب المسيحيِّ من خلالِ توجيهٍ بابويٍّ رَغِبَ في اكتنافِ المقدَّسات المسيحيَّة في فلسطين، خُصوصاً منها مدينةُ القدس وقبرُ المسيح عيسى ابنِ مريم عليهما السَّلام في (بيت لحم) القريبةِ من القُدس، وكانَت هذه الفكرةُ قد أخذَت شكلَ الحركةِ أواخرَ القرن الخامس الهجريِّ/الحادي عشرَ الميلاديِّ، واستمرَّت في عُنفِها إلى أواخرِ القرنِ السَّابع الهجريِّ/الثَّالث عشرَ الميلاديِّ، وفي رواياتٍ إلى القرنِ التَّاسع الهجري/الخامسَ عشرَ الميلاديِّ.

- المدخلُ الأوَّل: أصلُ الحروبِ الصَّليبيَّة :

ليسَ مِن مقصودِ هذا الكتابِ دَرسُ أسبابِ هذه الحروبِ وتطوُّرِ هذه الأسباب، وحسبُنا هاهُنا أن ننبِّهَ إلى أنَّ أصلَ هذِه الحركة قد تولَّد مِن رَحِمِ البابَوية، بقصدِ تقوية مركز البابويَّة في العالم المسيحيِّ، وتوحيدِ العالم المسيحيِّ كلِّه تحت سُلطانها، والرَّاجحُ أنَّ أوَّلَ من فكَّر في ذلك كان (البابا جويجوري السَّابع)[1]، وكان رجلاً واسع الطُّموح والنَّشاط، وكان قد شجَّع رهبانَ ديرٍ كاثوليكيٍّ في فرنسة، فاشتعلَت فيهِم حماسةٌ دينيَّةٌ، وتجرَّد رجالُ الدَّير آنذاك لنَشر المسيحيَّة بين قبائلِ وسَطِ أوروبَّة -مِن المجَر وشمالها- من الشُّعوب النورمانديَّة، وأحسَّ (البابا جويجوري) أنَّ

---

(١) - بابا ألماني اسمُه الأوَّل (هادبراند Hidebrand) .

تحت يده قوَّةً يمكن أن يَستخدِمَها لفَرضِ إرادته على بلاد الغربِ الأوروبيَّة وتوحيدِها تحت لوائه.

في ذلك الوقت تلقَّى البابا استغاثةً من الإمبراطور (ألكسيوس كومنين) إمبراطور الدَّولة البيزنطيَّة، يطلب فيها أن يُمدَّه الغربُ الأوروبيُّ بجنودٍ يؤازرونَهُ في دفع الخطر السُّلجوقيِّ الذي بدأ يزحفُ باتِّجاه الغربِ بعدَ أن تعاظمَ وجودُه في الشَّرق ولا سيَّما بعد معركة **(مَلاذ كُرد) سنةَ (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)**[1]، وبرَغمِ ما كانَ من انشقاقٍ عظيمٍ - دينيٍّ وسياسيٍّ- بين الدَّولة البيزنطيَّة والكنيسة الكاثولكيَّة في روما منذُ سنة (٤٤٧هـ/ ١٠٥٤م)، فإنَّ هولَ هذا الزَّحفِ السُّلجوقيِّ دفعَ (ألكسيوس كومنين) للاستنجادِ ببابا روما (جويجوري)، وبدلاً من أن يُبادر هذا الأخيرُ بالنَّجدةِ فقَط فكَّر في استنهاضِ هِمَمِ الرُّهبان الكاثوليكيِّين ورجالِ الكنيسة في الغرب للدَّعوة إلى توحيد الغربِ الأوروبيِّ تحت لواء البابويَّة، وإنشاء مملكةٍ مسيحيَّةٍ دينيَّةٍ كونيَّةٍ واحدة يسيطر عليها البابوات، غيرَ أن الفرصةَ لم تسعفِ البابا جويجوري السَّابع بالمضيِّ في مشروعه إلى أكثر من ذلك، فقد توفِّي سنةَ (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، وخلفه البابا (أوربان - أورباونس- الثَّاني)، وكان تلميذاً لهُ متحمِّساً لآرائه.

- المدخلُ الثَّاني: حربُ الاسترداد في الأندلُس:

في ذلك الوقتِ كانت الحربُ بين الإسلام والنَّصرانيَّة في الأندلُس-وهي شبهُ الجزيرة الأيبيرية- قد تطوَّرت إلى ما يُعرَفُ تاريخيًّاً بحربِ الاسترداد (الريكونكيستا La Reconquista)، أي

---

(١) - كان السُّلطان السُّلجوقي (ألب أرسلان) قد انتصرَ على الإمبراطور البيزنطيِّ (رومانوس الرَّابع) في موقعة (ملاذكُرد) سنةَ (١٠٧١م) في أقصى شمالِ أذربيجان، وفتح الطَّريق بذلكَ أمام قبائل الأتراك لِتدخُلَ آسية الصُّغرى (شرقَ أوروبَّة) التي كانت إذْ ذاك في عِدادِ أراضي الدَّولة البيزنطيَّة، بما في ذلك جزءٌ كبيرٌ من بلاد الأرمن، وكان الأرمنُ يومَها منتشرينَ في مساحاتٍ واسعةٍ تمتدُّ من شرق البحر الأسودِ جنوباً إلى شمالِ بلاد الجزيرة والموصل، وعقبَ انتصار (ملاذكرد) تدفَّقت جموعٌ من الأتراك السَّلاجقة فدخلت آسية الصُّغرى، واستقرَّت في شرقها، وأنشأَت فيها سلطنةً سلجوقيَّة عُرِفَت باسم (سلطنة سلاجقة الرُّوم)، وأخذَت هذه السَّلطنة تمتدُّ شرقاً حتَّى استحوذَت على النِّصف الشَّرقيِّ من آسية الصُّغرى، وجعلَت عاصمتَها في مدينة (قونية)، وأخذَت تَزحفُ إلى الغرب بعدَ ذلك.

استردادُ بقيَّة أراضي شبهِ الجزيرةِ من المسلمين، وذلك عقب سقوطِ الخلافة الأمويَّة الأندلسيَّة سنةَ (٤٢٢هـ/ ١٠٣١م) وانقسامِ الأندلسِ الإسلاميِّ إلى دويلاتٍ متنازعةٍ عرفت باسمِ (دول الطَّوائف) أو (ممالك الطَّوائف)، وقد بدأ حربَ الاسترداد هذه (فرناندو الأوَّل - فيرديناند -) ملك ليون وقشتالة سنة (٤٤٨هـ/ ١٠٥٧م)، وصارت السِّياسةَ الرئيسةَ للممالكِ النَّصرانية المُتاخِمة للأندلس.

ثمَّ صارت حقيقةً واضحةَ المعالمِ استراتيجيَّاً وتكتيكيَّاً عندما استولَى (ألفونسو السَّادس) مَلِكُ قشتالة وليون على مملكة (طليطلة) في (٨٧٥هـ/ ٦حزيران ١٠٨٥م)، واستعادَ بِها عاصِمةَ (القوط=قومٌ من النُّورمان جنوبَ فرنسَا) القديمةَ، ونقل عاصمةَ مملكتِه إليها.

وتطوَّرت الحربُ بين المسلمينَ والنَّصارى، فاتَّجهت همَّةُ المسيحيِّين في الغربِ بقيادة الممالكِ المسيحيَّة في إسبانية إلى القيامِ بحَربٍ عامَّةٍ على الأندلُسِ الإسلاميِّ أخذَت طابعاً دينياً، ووضع المقاتلون فيها شارةَ الصَّليب على صدورهم وظهورِهم ودُروعهم، وأصبحت كلُّ قوَّةٍ عسكريَّةٍ من أولئك الذين يحملونَ شارةَ الصَّليب تسمَّى حملةَ الصَّليب (بالإسبانية Cruzda)(١)، وفي الوقت نفسِه تمكَّن (النورمان) من استعادة (صقلِّية) جنوبَ إيطاليا مِن أيدي المسلمينَ (الأغالِبة) سنةَ (١٠٦١-١٠٩١م)، وعمَّت الغربَ الأوروبيَّ روحٌ من الحماسةِ الدينيَّة زادَها أُواراً أنَّ سكَّان الغربِ الأوروبِّي زادوا خلال القرنَين العاشرِ والحادي عشرَ الميلاديَّين زيادةً تُقدَّر بضعفِ عددِ السكَّان، فاحتاجوا إلى أراضٍ جديدة يتوسَّعون فيها ويزرعونها ويعتاشونَ منها، وانتهزَ البابا؛ بابا روما أُوربان -أُوربانوس- الثَّاني هذِه الظُّروفَ للدَّعوة إلى قيامِ حربٍ مسيحيَّةٍ شاملةٍ على بلادِ الإسلام، وبخاصة بلاد الشَّام وفلسطين بُغيةَ استعادةِ المقدَّسات المسيحيَّة والأراضي التي عاش ودعَا فيها المسيحُ ابنُ مريمَ عليهما السَّلام.

وشجَّع على نشاطِ هذه الحملةِ ازديادُ عدد الحجَّاج النَّصارى إلى الأراضي المقدَّسة المسيحيَّة ازدياداً كبيراً، وما شاعَ في ذلك الحين -وهو غيرُ صحيحٍ- مِن أنَّ الأتراك السَّلاجقة -

---

(١) - ومن هُنا جاء اسمُها في اللُّغات الأوروبِّية (Kreuzzug – Crusade – Groisade – Cruciatae) .

ولا سيَّما سلاجِقة الرُّوم - يعترضون قوافلَ الحجَّاج المسيحيِّين القادمين من الغرب ويعتدونَ عليها وعلى المقدَّسات المسيحيَّة، وقد أخذَتْ الحركةُ الصَّليبيةُ في التَّهيكُلِ والظُّهور في سنةِ (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، عندما دَعا البابا أُوربان الثَّاني إلى توثيقِ الرَّوابط بين الغربِ المسيحيِّ والدَّولة البيزنطيَّة، وقد شدَّ أزرَها بالفعلِ عبرَ إمدادِها بالجنودِ لمحاربةِ المُسلمين السَّلاجقة.

- المدخلُ الثَّالث: بدءُ الحملاتِ الصَّليبية:

وفي سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) دعا البابا أوربانوس الثاني في مَجْمع دينيٍّ عُقد في مدينة (كليرمونت) الفرنسيَّة إلى تجنيد جيشٍ مسيحيٍّ وتسييره إلى بلاد المسلمين لتحقيقِ ذلك الغرض، ومن ذلك الحين بدأ ما يسمَّى بالحروب الصَّليبية، لأنَّها في الحقيقة حركةٌ طويلةُ المدى استمرَّت مِن أواخرِ القرنِ (الخامس الهجريِّ/الحادي عشر الميلاديِّ) إلى أواخرِ القَرن (السَّابع الهجريِّ/ الثَّالث عشرَ الميلاديِّ)، بل لدينا أخبارٌ عن حملاتٍ مسيحيَّةٍ بعد ذلك[1].

وخلال هذه المدَّة التي ذكرناها قام الغربُ الأوروبيُّ بإرسالِ ثماني حملاتٍ صليبيَّةٍ كُبرى على بلاد المسلمين، اشتركَت فيها كلُّ بلاد أوروبَّة المسيحيَّة، من إنكلترا واسكُتلندا إلى بلاد المجَر، وعمَّت كلَّ بلاد الأناضول والشَّام ومصر، ولم تخمُد تلكَ الحملاتُ إلَّا بعد أن أيقنَ الغربُ الأوروبيُّ بعَجزه عن الاستيلاءِ على بلادِ المسلمينَ في المَشرِق.

وفي أثناءِ تلك الحقبةِ المديدة التي نشطَت فيها الحركةُ الصَّليبية ظهرَت عواملُ وأهدافٌ أخرى لا علاقةَ لها بالأراضي المقدَّسة، منها - على سبيل التَّمثيل- طمعُ كثيرٍ من نبلاءِ وباروناتِ الغربِ في إنشاءِ ممالكَ لهم في بلادِ المسلمين، وتطلُّع فرسانهم ومقاتليهم إلى الإغارةِ على بلاد المسلمين بقصدِ نهبِها، وسلبِ ما تيسَّر لهم سلبُه من خيراتها .

---

(١) - من المؤرِّخين مَن يمدُّها إلى أبعدَ ممَّا ذكرنا، أي إلى أواخر القرنِ التَّاسع الهجريِّ/ الخامس عشرَ الميلاديِّ)، ويعدُّ في هذه الحقبةِ المتطاولة (خمسَ عشرةَ) حملةً صليبيَّة.

- المدخلُ الرَّابع: ثلاثُ حمَلاتٍ صَليبيَّة وصَحوةٌ إسلاميَّة:

وفي العادةِ يكتفي عديدٌ مِن مؤرِّخي الحروبِ الصَّليبيَّة بتفصيلِ الحمَلاتِ الصَّليبيَّة الثَّلاثِ الأولى، لأنَّها كانت بالفعل حمَلاتٍ عسكريَّةً بحريَّةً برِّيةً استنفدَت كلَّ جهودِ أوروبَّة خلال قرنَين كاملَين من الزَّمان.

وقد كان العالمُ الإسلاميُّ ضعيفاً مفكَّكاً يومَ وصولِ الحملةِ الصَّليبيَّة الأولى إلى بلاد الشَّام سنة (٤٩١هـ/ ١٠٩٧م) بسببِ انهيارِ سلطنةِ السَّلاجقة وخلوِّ بلاد الإسلام من دولةٍ موحَّدة تجمعُ المسلمين لمواجهةِ الخطرِ الصَّليبيِّ، ممَّا شجَّع الغربَ على بذلِ أقصى الجهد في تأجيجِ تلك الحروبِ في حملتَيها الأولى والثَّانية، بل والثَّالثة أيضاً، بعد أن تمكَّن المسيحيُّون من الاستيلاءِ على بيت المقدِس وإنشاءِ مملكةٍ صليبيَّةٍ مسيحيَّةٍ في فلسطين عاصمتُها القُدس، وثلاثِ إماراتٍ مسيحيَّة؛ اثنتان منها في الشَّام هُما (أنطاكية وطرابلس)، والثَّالثةُ في بلاد الجزيرة من شَمال العراق وهي إمارةُ (الرُّها)[1].

ثمَّ استيقظَ العالم الإسلاميُّ من سُباته ونفضَ عنهُ غبارَ الوهَن، ودخلَ في حركةِ نهوضٍ وتجمُّعٍ واسعةِ المدَى، بدأَت في بلاد الجزيرةِ والموصل، ثمَّ اتَّسع نطاقُها فشملَت بلادَ الشَّام بفضل أتابكة الموصل وحلَب، ثمَّ بلغت النَّهضةُ الإسلاميَّةُ أوجَها في النِّصف الثَّاني من القرن (السَّادس الهجريِّ/ الثَّاني عشرَ الميلاديِّ) بعد انضمامِ مصرَ إلى الحركةِ على يد الملكِ العادلِ (نور الدِّين محمود بن عماد الدِّين زَنكي)، وانتقالِ قيادةِ الحركةِ بعدَ ذلك إلى مصرَ حينَ قيام الدَّولة الأيوبيَّة على يد (السُّلطان صلاح الدِّين الأيوبيِّ)، الذي كانَ لهُ انتصارٌ حاسمٌ على الصَّليبيِّين في بلاد الشَّام في **معركة حطِّين**، في صيفِ سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، استعادَ فيها القُدس، وبذلك انكسَرت حِدَّة المَوجةِ الصَّليبيَّة الضَّارية، بدءاً من الحملةِ الصَّليبية الرَّابعةِ كما سنَرى في التَّفاصيلِ الآتية.

---

(١) - وهي اليوم ضمن حدودِ جمهوريَّة تركيَّة في الجنوب، تُعرفُ أيضاً باسمِ (أورفا).

*- ثانياً: سيرةُ الحروبِ الصَّليبيَّة:

كانَ لقدومِ الزوَّارِ منَ النَّصارى إلى (بيتِ المقدسِ) شأنٌ عظيمٌ، وكادَت تكونُ هذِه الزِّيارةُ أكبرَ العلاقاتِ التي كانت تربطُ الغربَ بالشَّرق، وكانَ عددُ الزوَّارِ النَّصارى يَزدادُ يوماً عَن يومٍ إلى تلكَ الدِّيار، وكانَت الأرضُ المقدَّسةُ بيدِ (التُّركمان) من سَلاجقةٍ وأُرتُقيَّةٍ ونَحوِهما، ممَّن خلَفوا العربَ في السُّلطان، وكانَ الفرقُ بينَ السُّلطتَين يومَها بيِّناً، إذ أخذَ التُّركمان يُشدِّدون ولا يَسمحونَ لأولئكِ الحجَّاجِ النَّصارى بالدُّخولِ إلى الأرضِ المقدَّسةِ إلَّا مَن كان يحملُ معهُ إجازةَ مرورٍ يَمنحونَهُ إيَّاها.

واتَّفق أنَّ راهِباً فرنسيَّاً يُدعى (بطرُس)[1]، وزادَ التَّاريخُ (النَّاسك)، كانَ ترهَّبَ وانزَوى عن الأهلِ والأصحابِ وساحَ مُتنسِّكاً، فزارَ بيتَ المقدِس، وأخذَته الحميَّةُ والتعصُّبُ لاستخلاصِ تلكَ الأماكنِ من أيدِي المُسلمينَ بدَعوى أنَّ زوَّارَ بيتِ المقدِس منَ النَّصارى مُضطَّهَدون، فلمَّا رجعَ إلى (إيطاليا) اجتمعَ بالبابا (أوربانوس الثَّاني) وخاطَبه في ذلك، فوافقَهُ البابا، وأمرَه أن يطوفَ ببلادِ الفِرَنجِ يَدعُوهم ويُحرِّضُهم لإنقاذِ الأرضِ المقدَّسة.

بدأَ هذا الرَّاهبُ ينتقلُ من بلدٍ إلى بلدٍ ومن مقاطعةٍ إلى مقاطعةٍ، يندُبُ ما آلَت إليهِ حالُ زوَّارِ بيتِ المقدِس، ويستفزُّ غِيرةَ أُممِ الفِرَنجِ وحماستَهُم، داعياً إلى إقامةِ **(حربٍ مقدَّسة)** تحفظُ بها النَّصرانيَّةُ كيانَها وتُنزِل بالكافرينَ أشدَّ العقابِ.

وفي المؤتمرِ الأخيرِ الذي عُقِدَ بفرنسا سنةَ (٤٨٨هـ-١٠٩٥م)، دعا (أوربانوس) بابا روما أوروبَّةَ لإقامةِ الحربِ المقدَّسة، وتبِعَهُ النَّاسُ أفواجاً أفواجاً، ورسَموا جميعاً على صدُورِهم صورةَ الصَّليبِ باللَّون الأحمَر، وجعَلوا هذِه العلامةَ على الأسلحةِ والألويةِ والرَّاياتِ والبُنودِ، ومن ذلكَ الوقتِ سُمُّوا بـ**(الصَّليبيِّين)**.

وفي أَواخرِ سنةِ (٤٩٠هـ-١٠٩٧م)، اجتمعَ في (القُسطنطينيَّةِ) أربعةُ جيوشٍ متحالفةٍ:

---

(١) - (بيير) بالفرنسيَّة، و(بيتَر) بالإنكليزيَّة.

- من (اللُّورين)[1] و(الألمان) بقيادةِ (بودوين دي هينو) و(جودفري).

- وفرنسيُّون من الشَّمال بقيادةِ (القومس فرماندوا ودوق نورمنديا).

- وبروفَنسيُّون[2] بقيادةِ (القومس طولوز).

- ونورمانديُّون[3] من إيطاليا بزعامة (بوهيموندالنّورمانديِّ) و(ريموند).

ولَم يكن معَ هذِه الأُممِ ملكٌ من ملُوكِهم، ولَم يتَّفق رأيُ الغُزاةِ على ملكٍ يرتَضونه ويَرجعونَ إلَيه.

وبعدَ (سنتَين ونصفٍ) مضَت في المصائبِ الهائلةِ والجدالِ العنيفِ استولَى الصَّليبيُّون على (الرُّها)، وعلى (أنطاكية)، وبلَغوا (القُدسَ) واستولَوا علَيها، وربَّما هلكَ في هذِه الحملةِ نحوُ (نصفُ مليونٍ) من الرِّجال حتَّى تهيَّأ للصَّليبيِّين أن يُنشِئوا أربعَ إماراتٍ: إمارةِ القُدس، وإمارةِ أنطاكية، وإمارةِ الرَّها، وإمارةِ طرابُلس، قُسِّمَت أَقطاعاً على الفُرسانِ الغربيِّين، أمَّا المُدنُ الكُبرى في السَّاحلِ الشَّامي فقُسِّمَت مُستَعمراتٍ أوروبِّية.

ولَمَّا توغَّل الصَّليبيُّون في البلادِ، وكانُوا في كلِّ بلدٍ يدخلُونَه يُقاتلونَ أهلَه ويُخربونَ عُمرانَه ويُحرِقونَ كُتبَه ومتاعَه وآثارَه، هامَ النَّاسُ على وجُوهِهم في البَراري، ومنهُم مَن قصدَ إلى داخليَّةِ الشَّام، ومنهُم مَن فرَّ إلى مصرَ على حالٍ رثَّة.

قالَ المؤرِّخُ الفرنسيُّ (جوزيف ميشو)[4] في كتابِه (تاريخ الحروبِ الصَّليبيَّة): (وقد ارتكبَ الصَّليبيُّون في فتحِ القُدسِ أنواعَ التَّعصُّبِ الأَعمى الذي لَم يَسبقْ لهُ نظيرٌ، حتَّى شكَا من ذلكَ المُنصِفونَ من مؤرِّخيهم، فكانُوا يُكرِهون العربَ على إلقاءِ أنفُسِهم من أَعالي البُروجِ والبُيوتِ،

---

(١) – اللُّورين: (Lorraine)، إقليمٌ تاريخيٌّ في الشَّمالِ الشَّرقيِّ من فرنسا.

(٢) – البروفَنسيُّون: نسبةٌ إلى منطقة (بروفَنسيا) في (مَرسيليا Marseille) الفرنسيَّة، جنوبَ فرنسا على ساحل المتوسِّط.

(٣) – النُّورمانديُّون: نسبةٌ إلى منطقةِ (نورمَندي Normandy)، شمالَ فرنسا.

(٤) – Joseph Mesho : الرَّحَّالةُ الفرَنسيُّ ومؤرِّخُ الحربِ الصَّليبيَّةِ الشَّهير، وصلَ مصرَ فى عام (١٨٣٠م)، وأقامَ بها، وفيها نشرَ كتابَه عن الحروبِ الصَّليبيَّة في (سبعةِ أجزاء)، ووضعَ كتاباً آخرَ عن (رحلتِه إلى الشَّرق).

ويَجعلُونَهم طَعاماً للنَّار، ويُخرِجونَهم من الأَقبيةِ وأعماقِ الأرضِ ويَجرُّونَهم في السَّاحات، ويَقتلُونَهم فوقَ جُثَثِ الآدميِّين)[1].

وأعظمُ العواملِ التي ساعدَت الصَّليبيِّين على هذا التَّمكُّنِ تفرُّقُ كلمةِ القابِضين من آل أيُّوبَ وغيرِهم إذْ ذاكَ على زِمامِ الأمرِ في (آسيا الصُّغرى)، ولَو كانَت كلمةُ هؤلاءِ القائمينَ متَّحدةً وحكوماتُهم قويَّةً منظَّمةً لتعذَّر كلُّ التعذُّرِ على الصَّليبيِّين أن يَزحفُوا على (أنطاكية)، ليسيرَ جيشُهم بعدَها حتَّى يأخذَ السَّاحلَ ويبلغَ البيتَ المقدَّسَ، على كثرةِ عددِه.

وطمعَ الفِرنجُ بعدَ قتلِ والدِ نورِ الدِّين (عمادِ الدِّين زَنكي)، وظنُّوا أنَّهم يستردُّون ما أخذَه، فلمَّا رأَوا من نورِ الدِّين جِدَّهُ وإقدامَه عَلِموا أنَّ ما أمَّلُوه بعيدٌ وخابَ ظنُّهم، واستنجَدوا بحملةٍ ثانيةٍ من بلادِ الإفرنجِ، لأنَّ الصَّليبيِّين في الشَّام قد ساءَت حالهُم بعدَ سقوطِ (الرُّها) وقلَّ فارسُهم وراجلُهم، لأنَّ سيوفَ التُّركمانِ والأكرادِ والعربِ قد حصدَتهُم، وعلى كثرةِ تناسُلِهم مدَّةَ (نصفِ قرنٍ) أصبَحوا في قلَّةٍ، وأصبحَ أعداؤُهم في كثرَة.

ويَرى مُؤرِّخو الحروبِ الصَّليبيَّةِ من الفِرَنجِ أنَّ جيشَ **الحملةِ الصَّليبيَّةِ الثَّانيةِ (٥٤٤هـ-١١٤٧م)** كانَ أكثرَ نظاماً وقيادةً من جيشِ **الحملةِ الصَّليبيَّةِ الأُولى (٤٩١هـ-١٠٩٧م)**، وليسَ فيه المتشرِّدونَ والأشقياءُ، بلْ كان مؤلَّفاً من فُرسانٍ وباروناتٍ[2] وغيرِهم، أُخِذوا بالحماسةِ الدِّينيَّة، وساروا في قيادةِ ملكَين عظيمَين[3].

ونشبَت الحربُ سنةَ (٥٤٤هـ-١١٤٨م) في ناحيةِ (المزَّة) قربَ دمَشقَ بينَ جيشِ الصَّليبيِّين بقيادةِ (كونراد الثَّالث) إمبراطور ألمانيا و(لويس السَّابع) ملكِ فرنسا و(بودوين)

---

(١) - انظُر: خُطط الشَّام: لمحمَّد كُرد عليّ (ت:١٣٧٢هـ): الجزء الأوَّل، بيروت، دار العلمِ للملايين، ط٢، ١٩٦٩م.

(٢) - البارون: لقبُ نبيلٍ أرستقراطيٍّ في الأنظمةِ الملكيَّة الإقطاعيَّة. تأتي هذه الرُّتبةُ في النِّظام الإقطاعيِّ التَّسلسليِّ تحت (الكونت). أصل الكلمة من الفرنسيَّة القديمة (Baron) أي (المُحارب) أو (الحرّ). اندمجت وتشابهَت فيما بعدُ بالكلمة الإنكليزيَّة القديمة (بيرون Beron) والتي تعني النَّبيل.

(٣) - انظُر: خُطط الشَّام: لمحمَّد كُرد عليّ (ت:١٣٧٢هـ): الجزء الأوَّل، بيروت، دار العلمِ للملايين، ط٢، ١٩٦٩م.

اللُّوريني ملكِ الصَّليبيِّينَ في القُدس، وبينَ جيشِ المسلِمين الذي كان يَضمُّ من الأتراكِ والتُّركمانِ وأحداثِ البلدِ والمتطوِّعةِ والغُزاةِ الجمَّ الغفيرَ، وبعدَ وقعاتٍ حصلَت بينَ الطَّرفَين انكسرَ جيشُ الصَّليبيِّين في بساتينِ (المزَّة)، ولحقَ فَلُّهُم بالسَّاحل .

ثمَّ حصرَ السُّلطانُ صلاحُ الدِّين (عَسقلان) وتسلَّمَها، ثمَّ فتحَ (الرَّملةَ) و(الدَّاروم)[1] و(غزَّة) و(بيتَ لحم) و(يَبنَى) و(بيتَ جبريل) و(تبنين) و(النَّطروان) و(مشهدَ الخليل) و(لُدَّ)[2] وغيرَها، ثمَّ نازلَ (القُدسَ) وبه منَ الفِرَنجِ عددٌ لا يُحصى، فطارَ الخبرُ إلى القُدسِ فطارَت قلوبُ الفرنجةِ رُعباً وضَعُفت أفئدتُهم خوفاً من جهةِ صلاحِ الدِّين، وطلَبوا منهُ الأمانَ فأجابَهم صلاحُ الدِّين إلى ذلكَ ودخلَ البلدَ، وبعدَ أن قرَّرَ أمورَ القُدس أخذَ يفتحُ المُدنَ والحصونَ التي بيدِ الإفرنجِ حتَّى استولَى على جميعِ البلادِ التي كانَت بيدِهم[3]،ولَم يُبقِ لهم إلَّا (يافا وصُور وطرابلُس).

وبَينا صلاحُ الدِّين على (عكَّا) يُغادي الفرنجَ القتالَ ويُراوِحُهم، جاءَت **الحملةُ الصَّليبيَّةُ الثَّالثةُ** (٥٨٥هـ-١١٨٩م)، وكانَت هذِه الحملةُ مؤلَّفةً من ثلاثةِ ملوكٍ: (فريدريك باربروس) ملكِ ألمانيا، و(فيليب أُوغَست -أغسطُس-) ملكِ فرنسَا، و(ريتشارد قلبِ الأسد) ملكِ إنكلترا.

وكانَ في كلِّ يومٍ تقعُ بينَ صلاحِ الدِّين والفِرَنجِ مناوشاتٌ لقيَت من بأسِ صلاحِ الدِّين وشدَّته، وكتبَ ملكُ الإنكليزِ إلى (الملكِ العادِل) في دمشقَ يسألُه الدُّخولَ على السُّلطانِ صلاح الدِّين بالصُّلحِ، فلَم يُجِبِ السُّلطانُ إلى ذلكَ أوَّلاً، ثمَّ اتَّفق رأيُ الأمراءِ على الصُّلحِ لِضجَرِ العسكرِ وكثرةِ نفقاتِهم فأجابَ السُّلطانُ إلى ذلكَ، واستقرَّ (أمرُ الهدنةِ) في البحرِ والبرِّ، وجُعِلَت مدَّتُها (ثلاثَ سنين وثلاثةَ أشهُر)، على أن يَستقرَّ بيدِ الإفرنج (يافا) وعملَها و(قيسارية)[4]

---

(١) - الدَّاروم: هو اسمُ مدينة (دير البلَح) الفلسطينيَّة.

(٢) - عَسقلَان والرَّملة ويَبنَى (أو يَبنا) وغزَّة وبيت لَحم والدَّاروم وبيت جبريل والخليل (أو مَشهد الخليل) ولُدّ مُدنٌ في فلسطين، وتبنين بلدةٌ في محافظةِ النَّبطيَّة في لبنان، والنَّطروان اليومَ في وادٍ مدينةِ البحيرَة من مصرَ.

(٣) - وفي هذِه الأيَّام وقعَت (معركةُ حطِّين) الشَّهيرَة في (٢٥ربيع الآخر٥٨٣هـ- ٢٤تمُّوز١١٨٧م)، وفيها أَسِرَ ملكُ القُدس وأميرُ حصنِ الكرَك، وتمَّ تحريرُ بيتِ المقدِس في (٢٧رجَب-١٢تشرين الأوَّل) من العامِ نفسِه.

(٤) - قيساريَة: مدينةٌ فلسطينيَّة تاريخيَّة على شاطئ البحرِ المتوسِّط، جنوبَ حيفا.

وعملَها و(أرسوف)[1] وعملَها و(حيفا) وعملَها و(عكَّا) وعملَها، وأن تكونَ (عسقلان) خَراباً، واشترطَ السُّلطانُ دخولَ بلادِ الإسماعيليَّة[2] في بلادِ الهُدنة، واشترطَ الإفرنجُ دخولَ صاحبِ أنطاكيةَ وطرابلُس في عقدِ هُدنتِهم، وأن تكونَ (لُدّ) و(الرَّملةُ) مناصفةً بينهُم وبينَ المسلمينَ، فاستقرَّت القاعدةُ على ذلكَ، واتَّفقت وفاةُ السُّلطانِ صلاحِ الدِّين بعدَ الصُّلحِ بيَسيرٍ سنةَ (٥٨٩هـ-١١٩٣م)[3].

وفي سنةِ (**٥٩٧هـ-١٢٠٢م**) جاءت **الحملةُ الصَّليبيَّةُ الرَّابعة**، وكانَت بقيادةِ الباروناتِ الفرنسيِّين وغيرِهم، وفي مقدِّمتِهم (بلدوين التَّاسع) أميرِ فلاندرز[4]، وأخوهُ (هنري)، وغيرُهما. وهدَفَت إلى السَّيطرةِ على مصرٍ واستعادةِ بيتِ المقدِس، إلا أنَّها انحرَفَت عن مسارِها واتَّجهَت نحوَ القُسطنطينيَّة واحتلَّتها، وكانَت يومَها مركزَ الإمبراطوريَّةِ البيزنطيَّة الشَّرقيَّة.

وبَينا كانت داخليَّةُ البلادِ مشتغلةً بالنَّصْبِ والعَزلِ وتقاتلِ أبناءِ البيتِ الواحدِ على المُلكِ والسُّلطانِ اجتمَعت الفرنجُ من داخلِ البحرِ، ووصَلوا إلى (عكَّا) في جمعٍ عظيمٍ، وهذِه هيَ **الحملةُ الصَّليبيَّةُ الخامِسة** (٦١٦-٦١٨هـ-١٢١٩-١٢٢١م)، وكانت مؤلَّفةً من ألمانٍ ومَجر.

وأمَّا الحملةُ الرَّابعةُ فكانَت توقَّفت في طريقِها إلى الشَّامِ واستولَت على الآستانة، فانفسخَت بذلكَ الهدنةُ بينَ المُسلمينَ والفِرَنج، فخرجَ (العادلُ) بعساكرِ مصرَ، ونزلَ على (نابلُس)[5]، فسارَت الفرنجُ إلَيه، ولَم يكُن معَهُ من العساكرِ ما يَقدِرُ بهِ على مُقاتلتِهم، فاندفعَ

---

(١) - أرسوف: مدينةٌ ساحليَّةٌ فلسطينيَّة، وكان الفرنجةُ يُسمونَها (أرسور).

(٢) - ونعني الباطنيَّة، وأصلُ بلادِهُم بخُراسان، واستَولَوا على مدينةِ (بانياس) في السَّاحل السُّوريِّ، تتبعُ محافظة طرطوس اليوم.

(٣) - انظُر: النَّوادر السُّلطانيَّة والمحاسن اليوسفيَّة (سيرة صلاح الدِّين يوسُف بن أيُّوب بن شَاذي): لبهاء الدِّين أبي المحاسن يوسُف ابن رافع، المعروفِ بابنِ شدَّاد: ١/ ١٣٦.

(٤) - فلاندرز: (فلاندر) أو (الإقليم الفلامندي) إقليمٌ تاريخيٌّ يُشكِّلُ اليومَ الجزءَ الشَّماليَّ لبلجيكا، وامتدَ في الماضِي إلى بعضِ فرنسا.

(٥) - نابلُس: مدينةٌ فلسطينيَّةٌ شَهيرَةٌ شَمال الضفَّةِ الغربيَّةِ اليَوم.

قُدَّامَهُم إلى (عقَبةِ فيق)[1]، فأغارُوا على بلادِ المُسلمينَ، ووصلَت غاراتُهم إلى (نوى) من بلدِ السَّواد[2]، ونهَبوا ما بينَ (بِيسانَ)[3] و(نابلُس)، وبثُّوا سراياهُم فقتَلوا وغَنِموا من المُسلمينَ ما يفوتُ الحصرَ، وبلَغُوا (خربةَ اللُّصوص) و(الجولان)[4]، ثمَّ صعَدوا إلى (الطُّور)[5] وقُتِل منهُم، ثمَّ رجَعوا إلى (عكَّا)، ووصلَت حملةٌ منهُم قدرُها (خمسمائة) من (صَيدا)[6] إلى (جزين) قربَ (مَشْغَرا)[7]، فانهارَ عليهمُ (الميادنةُ) الشَّاميِّونَ منَ الجبالِ فلَم يُفلِتْ منهُم سوى ثلاثةِ أشخاصٍ.

وفي سنةِ (٦١٨هـ-١٢٢١م)، قويَ طمعُ الفِرَنجِ المُتملِّكينَ (دمياط) في مدينةِ (المَنصورةِ)[8] التي بناها (الكامِلُ) في مصرَ، واشتدَّ القتالُ بينَ الفريقَين برّاً وبَحراً.

وبَينا الأمرُ متردِّدٌ في الصُّلحِ عبَرَ جماعةٌ من عسكرِ المُسلمِينَ في بحرِ (المَحَلَّةِ)[9] إلى الأَرض التي علَيها الفرنجُ من برِّ (دمياط)، فشَقُّوا فُرجَةً عظيمةً من بحرِ النِّيل، وكان ذلكَ في زمنِ قوَّتِه وزيادتِه، فركبَ الماءُ تلكَ الأرضَ وصارَ حائِلاً بينَ الإفرنجِ وبينَ (دمياط)، وانقطَعتْ عنهُم المِيرةُ

---

(١) - عقَبةُ فيق: أو (أَفيق) تقعُ في بلدةِ حُوران السُّوريَّة.

(٢) - نَوى: اليومَ بلدةٌ شمالَ غربِ سهل حُوران، وتتبعُ لـ(دَرعا) السُّوريَّة. وأمَّا بلدُ السَّوادِ: فالسَّوادُ موضعانِ: أحدُهما: نَواحٍ قربَ البلقاءِ (في الأردُن) وهيَ المُرادَةُ هنا، سمِّيت بذلكَ لسوادِ حجارَتِها. والثَّاني: يُراد بِهِ أراضٍ وضَياعٌ في العراقِ، وهي التي افتتَحها المسلمونَ على عهدِ عمرَ بنِ الخطَّاب، سمِّيت بذلكَ لسوادها بالزُّروع والنَّخيل والأشجار، لأنه حيثُ تاخمَت جزيرةَ العربِ التي لا زرعَ فيها ولا شجرَ، كانوا إذا خرَجوا من أرضِهم ظهرَت لهُم خضرةُ الزُّروع والأشجارِ فيُسمُّونهُ سواداً.

(٣) - بِيسان: مدينةٌ معروفةٌ شمالَ شرقِ فلسطين.

(٤) - خربة اللُّصوص: فيهِ قصرٌ يُعرَف بقصرِ (الخربة) بناهُ الملكُ العادلُ شَقيقُ صلاحِ الدِّين في دمَشق، في بلدةِ (فيق) جنوبَ الجولانِ السُّوريِّ المُحتلِّ اليَوم.

(٥) - الطُّور: هُنا قريةٌ فلسطينيَّةٌ تتبعُ لمُحافظةِ القُدس. وهيَ غير الطُّورِ عاصمةُ مُحافظةِ جنوبِ سَيناء شَرقَ مصر.

(٦) - صَيدا: اليومَ مدينةٌ لبنانيَّةٌ من مُحافظاتِ الجنوبِ على ساحلِ البحرِ المتوسِّط.

(٧) - جزين: قريةٌ لبنانيَّةٌ من أقضيةِ مُحافظةِ الجنوب. وقريبٌ منها قريةُ (مَشغَرا).

(٨) - (دُمياط): مُحافظةٌ مصريَّة شمالَ الدَّلتا، شرقَ فرع (دمياط) من النِّيل. والمنصورَة: عاصمةُ محافظةِ الدَّقهليَّة شَمالَ شرقِ القاهرَة.

(٩) - المَحَلَّة: اليومَ هي المَحلَّةُ الكبرى، كُبرى مدنِ محافظةِ الغربيَّة (طنطا) شمالَ القاهرَة.

والمَدَدُ، فبَعثوا يَطلبونَ الأمانَ علَى أَن ينزِلوا عن جميعِ ما بذلَهُ المسلمونَ لهُم ويُسلِّموا (دمياطَ) ويَعقِدوا الصُّلحَ، فنَجَت بلادُ الشَّام، بلْ بلادُ مصرَ منَ الفِرَنجِ في هذِه المرَّة بفَضلِ فُرجةٍ من النِّيلِ دهَمتْهم، فخابَت آمالُهم وخذَلَتهُم قوَّتُهم، وتحكَّم فيهِم مَن كانوا يَستطيلونَ علَيهم ويَشتطُّون معهُم في المطالِب، وكانَت مدَّةُ إقامتِهم في بلادِ الإسلامِ ما بينَ الشَّامِ والدِّيار المِصريَّةِ **(ثلاثَ سنين وثمانيةَ أشهُرٍ وأربعةَ عشرَ يوماً)**.

وجاءَت الحملةُ **الصَّليبيَّةُ السَّادسةُ سنةَ (٦٢٥-٦٢٦هـ، ١٢٢٨-١٢٢٩م)**، وكانَت بزَعامةِ (الإمبراطور الرُّوماني فردريك الثَّاني)، وكانَ سياسيَّاً داهيةً فلَم يَدخُل في حربٍ مع المسلمينَ، بلْ فاوضَ (الكاملَ) ملكَ مصرَ، وتسلَّم (القدسَ) و(بيتَ لحم) و(النَّاصرةَ) لمدَّةِ عشرِ سنينَ.

ولمَّا انتهَت مدَّةُ المعاهدَة التي عُقِدَت بين (فردريك الثَّاني) و(الملكِ الكامِل) عادَت القدسُ إلى المُسلمينَ، وعندَها عمَدَ (سان لويس التَّاسع) ملكُ فرنسا أن يَسترجعَها منهُم، وكان هو السَّببَ في تأليفِ **الحملةِ الصَّليبيَّةِ السَّابعةِ (١٢٤٩م)، وكذا الثَّامنَةُ بعدَها**[1]؛ جاءَ في الأُولى إلى (دمياط) في مصرَ يدفعُ فديةً عظيمةً عن نفسِه وعن جماعتِه، ثمَّ عادَ إلى بلادِه، فزيَّن لهُ أخوهُ أن يذهبَ إلى (تونُس) ومنها يذهبُ ليَفتحَ مصرَ والشَّام، فهلكَ في تونُس بالطَّاعون سنةَ (٦٨٨هـ-١٢٧٠م)، وبذلكَ انتهَت الحروبُ الصَّليبيَّة.

انتهَت الحروبُ الصَّليبيَّةُ بعدَ أن انقطَع المددُ عنهُم منَ البحرِ، وولَّوا وجهتَهُم إلى قتالِ العربِ في (الأندلُس)، انتهَت هذِه الحروبُ بعدَ أن فقدَت أوروبَّا كثيراً من الأنفُسِ والأموالِ،

(١) - في هذِه الحقبة من التَّاريخ جرَت معركةُ (عين جالوت) الشَّهيرَة بينَ المماليكِ بقيادَة السُّلطان قطُز والظَّاهر بيبَرس وبينَ المَغول بقيادة (كتبغانوين) أحدِ قوَّادِ (هولاكُو)، في منطقةِ عين جالوت بفلسطين بينَ بيسانَ والنَّاصرَة في (٢٥رمضان٦٥٨هـ-٣أيلول١٢٦٠م)، وفيها انتصرَ المماليكُ ونجحوا في إيقافِ الزَّحفِ المغوليِّ على بلادِ العرَب، ولولا انشغالُ المُسلِمينَ بهذِه الحربِ لاستطاعوا القضاءَ على الصَّليبيِّين نهائيَّاً، على أنَّ الظَّاهر بيبَرس التفَتَ بعدَ انتهاءِ (عين جالوت) إلى تصفيةِ فلولِ الصَّليبيِّين، ومن بعدِه ابنُه (قلاوون)، ثمَّ ابنُه (الأشرفُ خليل).

وإنْ عادَت علَيها بالنَّفع العَميمِ بما اكتسبَتْهُ منَ الشَّرقِ من صناعاتٍ وغيرِها.

ساعدَ الصَّليبيِّينَ على الإقامةِ طولَ هذهِ المدَّةِ الخلافُ الذي شجَرَ بينَ (آل أيُّوب)، ولولا هذا الخلافُ لَضُربَ الصَّليبيُّون الضَّربةَ القاضيةَ الأخيرةَ بعد وفاةِ صلاحِ الدِّين بسنينَ قلائلَ.

وممَّا أخَّر القضاءَ على بقايا الصَّليبيِّين في السَّاحل ظهورُ (التَّتار) في البلادِ بعدَ قضائِهم في منتَصفِ القرنِ السَّابعِ الهجريِّ على الخلافةِ العبَّاسيَّة، فأصبحَت الشَّامُ بين **عَدُوَّين**؛ أتى الأوَّلُ من الغَربِ فأقامَ وطالَ مقامُه، وجاءَ الثَّاني من المشرقِ (التَّتار)، فكانَ يُخرِبُ بلادَها ويَغنَمُ ويَقتُل، ثمَّ يذهبُ، ثمَّ يعاوِدُها.

*- **أخيراً**، لعلَّنا إذا نظَرنا إلى **نتائجِ** الحروبِ الصَّليبيَّةِ التي ندَب الصَّليبيُّونَ أنفُسَهُم إليها، ومنها الاستيلاءُ علَى فلسطينَ، نجدُ النَّتيجةَ التي قامَت لأجلِها تلكَ الحروبُ نتيجةً خاسرةً بالرُّغمِ ممَّا بذلَت أوروبَّا من الرِّجالِ والأموالِ خلالَ القرنَين، وظلَّ المُسلمونَ القابضينَ على تلكَ المقاطعاتِ التي رَغِبَ النَّصارى سلبَها من أَيديهِم[1].

وقد خلَّفت هذِه الحروبُ آثاراً عميقةً في بلادِ الأوروبِّيين والمُسلمين على السَّواء، غيرَ أنَّها كانَت إحدى البوَّاباتِ التي انتقلَت عبرَها الحضارةُ الإسلاميَّةُ إلى أوروبَّا، فأسهمَت في تثويرِ رجالِ النَّهضَة والمُصلِحينَ الدِّينيِّن.

هذا، ويُضيفُ المغارِبَةُ عند دراسةِ الحروبِ الصَّليبيَّة - زيادةً على المَشارِقَة- الحروبَ الصَّليبيَّةَ بفرعِها الآخرِ في الغَربِ بزَعامةِ الإسبان.

*****

(١) - انظُر: حضارة العرب: غوستاف لوبون: ص٣٢٦ فما بعدَها، ترجمة: عادل زعيتر، مصر، ١٩٦٩م. والعالَم الإسلاميّ: عمر رضَا كحَّالة: ٢/ ١٣٦ فما بعدَها، وتاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة: كارل بروكلمان: ص٣٤٥فما بعدَها، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٦، ٢٠٠٥م.

*- ثالثاً: نظراتٌ في آثار الحروبِ الصَّليبيَّة:

على امتدادِ سنواتِ الحروبِ الصَّليبيَّة التي ذرَّفت على المائتَين، عاشَ الشَّرقُ والغربُ حالةً حرِجةً من التَّصادُم والتَّنازُع، غيرَ أنَّ هذه الحالةَ الظَّاهرةَ كانت قد استبطَنت في أيَّامها حالةً من المثاقفةِ والمتاجرةِ كانت لها انعكاساتُها الثَّقافيَّةُ والاقتصاديَّةُ على كلا الطَّرفَين، وعلى المسيرةِ العامَّةِ للتَّاريخ كذلك، وليسَ يُنكَرُ في هذا السِّياقِ ما قد أفادَه الغربُ من حضارةِ الإسلامِ العامرةِ آنذاك، وما يأتي مجرَّدُ شذراتٍ وإضاءاتٍ دالَّةٍ رامزةٍ لا أكثرَ، أمَّا الإحاطةُ فلا مُتَّسَعَ لها الآن:

١- أثرُ الشَّرق في الغَرب:

كانت بلادُ الشَّام طِيلةَ هذه الحروبِ الصَّليبية ميداناً لالتقاءِ الشَّرق بالغرب، وقد أفاد الغربُ في النَّاحية العلميَّة من تقدُّمِ بلادِ المُسلِمينَ آنذاك في مجالاتِ العلومِ المختلفَة، ففي مجالِ الطبِّ والصِّحَّةِ العامَّة شرعَ الغربُ - بعد اطِّلاعِه على حالِ الطبِّ في المشرِق - بإنشاءِ المشافي والمصحَّات والحمَّامات في أوروبَّة.

وفي مجالِ العلومِ الكونيَّة أفادَ الغربُ من نظريَّاتِ المسلِمينَ في الرِّياضيَّات والفلَك، وفي مجالِ الاقتصادِ شاعَت عن طريقِ التِّجارة الأرقامُ العربيَّة في أوروبَّة وما تزالُ إلى اليوم، وقد نُقِلَت في كلِّ تلكَ الميادينِ وسِواها إلى اللُّغات الأوروبيَّة كلماتٌ تحكي تبادلَ التأثيرِ الثَّقافيِّ بينَ العربِ والغرب، ولا ريبَ أنَّ التَّشاركَ اللُّغويَّ مجلًى قويٌّ لعُمقِ التَّأثير، ففي المؤسَّسات الإداريَّة استعملَ الغربُ (الدِّيوان Divan– Duane بالإنكليزيَّة-)، وفي الشُّؤون البحريَّة استعمَلوا كلماتٍ كثيرَةً مثلَ (فلوكه أي المركب Felucca)، و(أمير البحر Admiral)، و(دار صناعة السُّفن والأسلحة Arsenal)، وفي الشُّؤون المنزليَّة نجِدُ مثلاً (صوفا من الصُّوفِ Sofa أي الأريكة)، و(كرافه Carafe أي إبريق زجاجي، وهو في العربيَّة من الكِرْف وهو دَلْوٌ من جِلد)، وفي الشُّؤون التِّجاريَّة هناكَ مثلاً (دينار Dinar)، و(بازار أي سوق شَرقي Bazaar).

وتأثَّر الغربُ كذلك بفنونِ العمارةِ الإسلاميَّة وأشكالِ الزَّخارف والنُّقوش والرُّسوم،

ووسائلِ الحربِ والحِصار، والحَمامِ الزَّاجل، والاحتفالِ بالنَّصر بإضاءة الأنوار، ولعب الجريد، وسباق الخيل .

ونمَت التِّجارةُ بين الشَّرق والغرب إبَّان الحروبِ الصَّليبيَّة ونشأَت الأوراقُ الماليَّة والشِّيكات وانتقلت إلى الغرب نباتاتٌ وحاصلاتٌ (كالسِّمسم، والخروب، والذُّرة، واللَّيمون، والمشمش، والثوم)، وانتشرت صناعاتٌ متنوِّعةٌ وبخاصة صناعةُ النَّسيج .

أمَّا الآداب العربيَّة فقد أثَّرت في خلق موضوعاتٍ جديدةٍ، فتأثر الغربُ بالقصَّة العربيَّة، وحمل الأوروبِّيون معهم مجموعاتٍ كبيرةً من المخطوطاتِ والتُّحف النَّادرة التي ما تزالُ إلى اليوم تزيِّن مكتباتِ كبريات مدن أوروبَّة ومتاحفَها .

٢- أثرُ الغَربِ في الشَّرق:

أَنهكَت هذه الحملاتُ الصَّليبية الأوروبِّية قُوى الوطَن العربيِّ إلى حدٍّ قارَبَ الإفناءَ، وتضاعفَ البلاءُ على دولِ الإسلامِ بمجيءِ حملاتِ التَّتار والمَغول، إذْ أنهَت الحكمَ العربيَّ وأدخلت بلادَ العرَب في مرحلةٍ متطاولةٍ من الجمود والضَّعف، وخلَّفَ الغربُ من وراءِ ذلك كلِّه آثاراً ظاهرةً في ميادين الثَّقافةِ والحروبِ والعمرانِ، من ذلك: ما تركهُ الغربُ في لهجاتِ العربِ من كلماتٍ تدلُّ على التأثير الأوروبِّي كـ(البوسطه، والبنك، واللوكنده، والبالة)، وامتزج فنُّ العمارةِ العسكريَّة الإسلاميَّة بأسلوبِ العمارةِ الإفرنجيّة (كما في قلعة الحصن قرب تل كلَخ)، فضلاً عمَّا تركهُ الإفرنج في البلادِ العربيَّة من قلاعٍ كثيرةٍ (كقلعة المرقب قرب بانياس، وقلعة صهيون قرب الحفَّة في محافظة اللَّاذقية، وقلعة بانياس وهي المسماة بالنَّمرود، وقلعتَي الشُّوبك والكرَك في شرق الأردنِّ).

وعل العمومِ يمكنُ القولُ بأنَّ أثر الغربِ في الشَّرقِ أيَّامَ تلكَ الحروبِ كانَ أثراً سلبيَّاً في جُملتِه، أضعفَ أمَّةَ الإسلامِ وبدَّد شملَها، وأشاعَ فيها الإنهاكَ الحضاريَّ، وأضاعَ كثيراً من كنوزِها الفكريَّةِ بما أحرقَ من مكتباتٍ وما هدَّم من مَبانٍ.

قالَ المؤرِّخُ الفرنسيُّ (جوزيف ميشو)[1] في كتابِه (تاريخ الحروبِ الصَّليبيَّة): (وقد ارتكبَ الصَّليبيُّون في فتحِ القُدسِ أنواعَ التَّعصُّبِ الأَعمى الذي لَم يَسبقْ لهُ نظيرٌ، حتَّى شكَا من ذلكَ المُنصِفونَ من مؤرِّخيهم)[2].

٣- أثرُ الحروبِ الصَّليبيَّة في أوروبَّة:

لا ريبَ في أنَّ البابويَّة الغربيَّة لَم تُحقِّق أهدافَها المأمولةَ من شنِّ تلكَ الحملاتِ الصَّليبيَّة، بلْ كان فشلُ الحملاتِ الأخيرةِ سبباً في ضعفِ نفوذ البابويَّة على الملوك، وتقلُّص قيمةِ المنظَّمات الرُّهبانيَّة التي تأسَّست في تلكَ الحقبَة، وتثويرِ رجالِ النَّهضةِ والمُصلِحين الدِّينيِّين في الغَرب.

وكانَ مِن جَرَّى تلكَ الحروبِ أن خفَّت سَورةُ التعصُّبِ الدِّيني الغربيِّ حيالَ الشَّرقِ المُسلِم، إذ التقى الجمعانِ عن كثَب، ووَجدَ الغربُ في المجتمع العربيِّ الإسلاميِّ خلافَ ما كان يتوهَّمه، فرأوا فيهِ التَّسامح ورقيَّ الأخلاقِ وكرامةَ الإنسان، فتأثَّروا لهذا كلِّه، وأدركَ كلُّ طرفٍ ما كانَ يجهلُه عن الآخَر.

ومِن جهةٍ أخرَى، فإنَّ هذه الحروبَ قَد أضعفَت إمبراطوريَّةَ (بيزنطة) في الشَّرق بدلَ أن تُقوِّيَها، ومهَّدَت لِسُقوطِها بعدئذٍ أمام التوسُّع العثمانيِّ، أمَّا في جهةِ الغربِ فإنَّ الحملاتِ الصَّليبيَّةَ ساعَدَت في تحرير طبقةٍ كبيرةٍ مِن المجتمع الأوروبِّي، وأدَّت إلى نموِّ الطَّبقة الوسطَى باتِّساعِ نشاطِها التِّجاريِّ والثَّقافيِّ، فاتَّسعت مدنٌ عربيَّةٌ كثيرةٌ وازدادَت نسبةُ التَّحضُّرِ فيها، ومهَّد انتقالُ علومِ العربِ إلى الغربِ السَّبيلَ لعصرِ النَّهضة الأوروبِّية منذُ القرن الميلاديِّ الخامسَ عشر .

*- وهكَذا ارتدَّت حملاتُ الصَّليبيِّين بالخيبةِ والخُسرانِ عَن بلادِ العرَب، غيرَ أنَّ الخطر الأوروبِّيَّ عادَ مِن بعدُ في ثوبِ استعمارٍ ليتهدَّدُ كيانَ الوطنِ العربيِّ كرّ ةً أُخرَى في أَعصُرِه الحديثة.

---

(١) – Joseph Mesho : الرَّحَّالةُ الفرَنسيُّ ومؤرِّخُ الحربِ الصَّليبيَّةِ الشَّهير، وصلَ مصرَ فى عام (١٨٣٠م)، وأقامَ بها، وفيها نشرَ كتابَه عن الحروبِ الصَّليبيَّة في (سبعةِ أجزاء)، ووضعَ كتاباً آخرَ عن (رحلتِه إلى الشِّرق).

(٢) – انظُر: خُطط الشَّام: لمحمَّد كُرد عليّ (ت:١٣٧٢هـ): الجزء الأوَّل، بيروت، دار العلمِ للملايين، ط٢، ١٩٦٩م.



الحمدانيُّون

*****

* قوائمُ أسماء الحكَّامِ في الشَّام *

بقيَّةُ المرداسيِّين	* الحمدانيُّونَ في حلَب
معزُّ الدَّولةِ أبو عُلوان بن صالِح بنِ مِرداس(٤٣٤هـ-١٠٤٣م)	سيفُ الدَّولةِ أبو الحسَنِ عليُّ بنُ حَمدان التَّغلبيُّ (٣٣٣هـ-٩٤٤م)
رشيدُ الدَّولةِ محمودُ بنُ شبلِ الدَّولة (٤٥٣هـ-١٠٦١م)	سعدُ الدَّولةِ بنُ حَمدان (٣٥٦هـ-٩٦٧م)
مُعزُّ الدَّولةِ "مرَّةً ثانية" (٤٥٣هـ-١٠٦١م)	أَبو الفَضائل بنُ سعدِ الدَّولة (٣٨١هـ-٩٩١م)
أبو ذُؤابَة عطيَّةُ بنُ صالِح بن مِرداس (٤٥٤هـ-١٠٦٢م)	أبو الحسنِ عليُّ الثَّاني (٣٩٢-٣٩٤هـ-١٠٠١-١٠٠٣م)
رشيدُ الدَّولةِ "مرَّةً ثانية" (٥٤هـ-١٠٦٢م)	* المِرْداسيُّون في حلَب
جلالُ الدَّولةِ نصرُ بنُ رشيدِ الدَّولة (٤٦٨هـ-١٠٧٥م)	صَالحُ بنُ مِرْداس (٤١٤هـ-١٠٢٣م)
أبو الفَضلِ سابقُ بنُ رشيدِ الدَّولة (٤٦٨-٤٨٢هـ-١٠٧٥-١٠٨٩م)	شبلُ الدَّولة أبو كامل نصرُ بنُ صالح (٤٢٠هـ-١٠٢٩م)
	الفاطميُّون (٤٢٩هـ-١٠٣٨م)

* السَّلاجقةُ في الشَّام	* الأيُّوبيُّون في حلَب
تاجُ الدَّولَة تُتُش بن ألْب أرسلان بن داودَ بنِ سَلجوق (٤٧٨هـ-١٠٨٥م)	الملكُ العادلُ الأوَّلُ سيفُ الدِّين أبوبكرٍ أحمَد (٥٧٩هـ-١١٨٣م)
رُضوانُ بنُ تُتُش في حلَب (٤٨٨هـ-١٠٩٥م)	الملكُ الظَّاهرُ غياثُ الدِّين غازي (٥٨٢هـ-١١٨٦م)
دُقاق بن تُتُش في دمَشق (٥٠٧هـ-١١١٣م)	الملكُ العزيزُ غياثُ الدِّين محمَّد (٦١٣هـ-١٢١٦م)
ألْب أرسلان أخرَسُ بنُ رُضوان (٥٠٧هـ-١١١٣م)	ضَيفَة خاتون (٦٣٤هـ-١٢٣٦م)
سُلطانْشاه بنُ رُضوان (٥٠٨-٥١١هـ-١١١٤-١١١٧م)	الملكُ (النَّاصرُ الثَّاني) صلاحُ الدِّين يوسُف (٦٣٤-٦٥٨هـ-١٢٣٦-١٢٦٠م)
* الأتابكةُ في دمَشق	* الأيُّوبيُّون في دمَشق
سيفُ الإسلامِ ظهيرُ الدِّين طُغْتكِين بنُ أيُّوب (٤٩٧هـ-١١٠٤م)	الملكُ الأفضلُ نورُ الدِّين أبو الحسَن عليّ بنُ صَلاحِ الدِّين الأيُّوبيِّ (٥٨٢هـ-١١٨٦م)
تاجُ الملوكِ بُورِي بنُ طُغْتكِين بن أيُّوب (٥٢٢هـ-١١٢٨م)	الملكُ العادلُ الأوَّلُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ أيُّوب سيفُ الدِّين (٥٩٢هـ-١١٩٦م)
شَمسُ الملوكِ إسماعيلُ بنُ بُورِي (٥٢٦هـ-١١٣٢م)	الملكُ المعظَّم (حاكِم) (٥٩٧هـ- ١٢٠١م)
شهابُ الدِّين محمودُ بنُ بُورِي (٥٢٩هـ-١١٣٥م)	الملكُ المعظَّم عيسَى شرفُ الدِّين (٦١٥هـ-١٢١٨م)
جمالُ الدِّين محمَّدُ بنُ بُورِي (٥٣٣هـ-١١٣٩م)	الملكُ النَّاصرُ داودُ صلاحُ الدِّين (٦٢٤هـ-١٢٢٧م)
مجيرُ الدِّين أبَق بن محمَّد بن بُورِي (٥٣٤-٥٤٩هـ-١١٤٠-١١٥٤م)	الملكُ الأشرفُ الأوَّلُ أبو الفَتحِ موسَى مظفَّرُ الدِّين (٦٢٦هـ-١١٢٨م)
* الأتابكةُ في الشَّامِ أو الدَّولةُ النُّوريَّة	الملكُ الصَّالحُ إسماعيلُ عمادُ الدِّين (٦٣٤هـ-١١٣٦م)
محمُود نورُ الدِّين بن زَنكي بن آق سنقَر (٥٤١هـ-١١٤٦م)	الملكُ الكاملُ الأوَّل محمَّد (ملكُ مصر) (٦٣٥هـ-١٢٣٧م)
الصَّالحُ إسماعيلُ بنُ محمود بن زَنكي (٥٦٩هـ-١١٧٤م) إلى (٥٧٧هـ-١١٨١م)	الملكُ العادلُ الثَّاني سيفُ الدِّين (ملكُ مصر) (٦٣٥هـ-١٢٣٧م)
* الأيُّوبيُّون في حِمص	الملكُ الصَّالحُ نجمُ الدِّين أيُّوب (ملكُ مصرَ) (٦٣٦هـ- ١٢٣٨م)
الملكُ محمَّدُ بنُ شِيركُوه ناصرُ الدِّين (ابنُ عمِّ صلاحِ الدِّين) (٥٧٤هـ-١١٧٨م)	الملكُ الصَّالحُ إسماعيلُ عمادُ الدِّين "مرَّةً ثانيةً" (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)
الملكُ المجاهدُ أسدُ الدِّين شِيركوه بن محمَّد ناصِرِ الدِّين (٥٨١هـ-١١٨٥م)	الملكُ الصَّالحُ نجمُ الدِّين أيُّوب بنُ الكاملِ بنِ العادلِ أبي بكر (ملكُ مصرَ) "مرَّةً ثانيةً" (٦٤٣هـ-١٢٤٥م)
الملكُ المنصورُ إبراهيمُ بن شيركوه (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)	الملكُ المعظَّم تُوران شَاه الرَّابعُ بنُ الصَّالحِ أيُّوب (ملكُ مصرَ) (٦٤٧هـ- ١٢٤٩م)
الملكُ الأشرفُ موسَى بن إبراهيم مظفَّرُ الدِّين (٦٠١-٦٤٤هـ-١٢٤٥-١٢٦٢م)	الملكُ النَّاصرُ الثَّاني صلاحُ الدِّين يوسُفُ (ملكُ حلَب) (٦٤٨-٦٥٨هـ-١٢٥٠-١٢٦٠م)
* الأيُّوبيُّون في حَماه	
الملكُ المظفَّر الأوَّلُ عمرُ بنُ شاهِنشَاه بنُ أيُّوبَ تقيُّ الدِّين (ابنُ أخي صلاحِ الدِّين) (٥٧٤هـ-١١٧٨م)	الملكُ المنصورُ محمُود الثَّاني (٦٤٢هـ-١٢٤٤م)
الملكُ المنصورُ محمَّد الأوَّل بنُ عُمر ناصرُ الدِّين (٥٨٧هـ-١١٩١م)	الملكُ المظفَّرُ الثَّالث محمَّد (٦٨٣-٦٩٨هـ-١٢٨٤-١٢٩٨م)
الملكُ النَّاصرُ أَرسلان (٦١٧هـ-١٢٢٠م)	الملكُ المؤيَّدُ إسماعيلُ أبو الفداءِ الحمَويُّ (٧١٠هـ-١٣١٠م)
الملكُ المظفَّر الثَّاني محمُود (٦٢٦هـ-١٢٢٩م)	الملكُ الأفضلُ محمَّدُ (٧٣٣-٧٤٢هـ-١٣٣٢-١٣٤١م)

*****

المبحثُ الرَّابعُ:
التَّاريخُ المَشارِقيُّ في شبهِ جَزيرةِ العرَب

*- مدخلٌ إلى تأريخ شبهِ جَزيرةِ العَرب:

انقسمَت شبهُ الجزيرة بطبيعتِها جُغرافياً إلى أقسامٍ كبرى تواضعَ عليها جُلُّ الجغرافيِّين العرَب، وهي أقسامٌ ستَّة: (الحجاز، ونجدٌ، والعَروض[1]، والبحرَين[2]، واليمن، وعُمان).

وقد أقامَ الإسلامُ مركزَهُ في (المدينة) قاعدةِ الحجاز، وتمكَّنت أمَّةُ المدينة تحت لواء الرَّسول محمَّد ﷺ من توحيدِ شبه الجزيرة كلِّه، ولكنَّ محمَّداً ﷺ لم يقسم الجزيرةَ إلى أقسامٍ إداريَّة لأنه لم ينظُر إليها نظرةً إداريَّةً محضة، بل كان يريدُ أوَّلاً - وقبل كلِّ شيء - أن يعمِّق شعور العربِ بالإسلام، فيُنشئَهم نشأةً أخرى، تنهضُ على الإسلامِ بما هو دينٌ إنسانيٌّ يوحِّدُ المسلمينَ ويسوسُهم بروح الأمَّة الواحدة، ولهذا فقد اتَّجه من أوَّل الأمرِ إلى إقرار كلِّ جماعةٍ من العرب أسلَمت في موطنِها الذي استقرَّت وعاشَت فيه منذُ الزَّمن البعيد، وغايةُ قصدِه أن يعلِّمهم كيفَ يتعايشون جنباً إلى جنبٍ في ظلِّ أمَّة مؤمنةٍ مسلمة، وعلى هذه الحال من الوحدةِ والأمنِ والسَّلامِ تركهم ولحقَ بالرَّفيق الأعلى، لولا نزعاتُ المتنبِّئين والمرتدِّينَ التي شابت هذه الوحدةَ في بعض بلاد تميمٍ وجبلَي طيِّئ واليمَن.

وعندما تولَّى أبو بكرٍ الصدِّيقُ تجرَّد للقضاء على حركاتِ أولئك المتنبِّئين وما أعقبها من ارتدادِ العرب عن الوحدة الإسلاميَّة، إذْ كانَ بعضُهم يحسَبُ رابطةَ الإسلامِ موقوفةً على وجودِ محمَّد ﷺ، فإذا ماتَ فلا وحدة، وذلكَ أنَّهم كانوا في هذا الوقت المبكِّر من تاريخهم بعيدينَ عن

---

(١) - العَروض: قيلَ: مكَّة والمدينة واليمَن، وقيل: مكَّة واليمَن، وقيل: مكَّة والطَّائف ولعلَّه الرَّاجح.

(٢) - البَحرَين: قديماً اسمٌ جامعٌ للبلادِ الممتدَّة على السَّاحلِ في المُحيطِ الهنديِّ بينَ البصرةِ شَمالاً وعُمانَ شَرقاً، ومن ثمَّ يدخُلُ فيها هجَر والأحسَاء والقَطيف. أمَّا اليومَ فالبَحرَين دولةٌ عربيَّةٌ (مملكَة) قائمةٌ على جزيرةٍ مُستقلَّةٍ في الخليجِ العربيِّ، عاصمتُها المَنامَة.

فهم معنى الوحدةِ السِّياسيَّة إلى جانب الوحدة الدِّينية، وتمكَّن أبو بكرٍ وجماعةُ المسلمينَ – على ما نعرفُ– من التصدِّي للردَّة وإعادة العرب إلى الوحدة، ثمَّ آنسَ من بعض قبائلهم رغبةً في الجهاد، واجتمع رأيُه مع رجالٍ من الصَّحابة على توجيه العربِ نحو الجهاد بعد عودة حملةِ أسامةَ بن زيد، وبالفعل، وجَّه الجيوش لفتح الشَّام والعراق .

وفيما كانت الجيوشُ تتجمَّع ارتأى أبو بكرٍ ومن معه من الصَّحابة ضرورةَ تقسيم الجزيرة العربيَّة إلى أقسامٍ إداريَّة يمثِّل الدَّولةَ في كلٍّ منها عمَّالٌ أو ولاةٌ سياسيُّون يستطيعونَ ضبطَ الأمور، وإشعارَ العرب بالدَّولة وسلُطاتِها بدلاً من عمَّال الصَّدقات الذين كانوا يُرسَلون في العصر النبويِّ لتعليمِ النَّاس قواعد الدِّين وتفقيههم فيه وإشعارِهم بواجبِهم حيالَ أمَّتهم الإسلاميَّة والإشرافِ على إخراج الزَّكاة، وأخذ نصيبِ الله و الرَّسول (الخُمس) وإرسالِه إلى المدينة، ولهذا قسَّم أبو بكرٍ شبهَ الجزيرة العربيَّة إلى أقسامٍ سياسيَّةٍ إداريَّة على أساسِ الأقسام الجغرافيَّة المعهودة، وجعل لكلِّ قسمٍ إداريٍّ قاعدةً سياسيَّة يُقيم فيها العاملُ، وفي الوقتِ نفسِه عدَّ منازلَ القبائل الكُبرى وكأنَّها أقسامٌ إداريَّةٌ يُرسِلُ إليها العمَّالَ والقُضاة .

وفيما يأتي بيانُ الأقسامِ الإداريَّة التي انقسَمَت إليها شبهُ الجزيرة:

١ – الحجازُ: وقاعدتُه المدينة، ويشمل شمالَ الحجازِ إلى تبوك وأيلَه ومشارفِ الشَّام .

٢– تِهامة: وهي سهولٌ ممتدَّةٌ على طولِ ساحلِ البحر الأحمر، وقاعدتها مكَّة، وتشملُ تهامةَ الحجاز، وتهامةَ عسير حتَّى مخلاف صَعْدة في اليَمن اليوم، أمَّا بلادُ مخلافِ نَجران في اليَمن أيضاً فثمَّةَ خِلافٌ بين الجغرافيِّين فيما إذا كانت داخلةً في اليمَن أو في الحجاز.

٣– ويَلِي الحجازَ وتهامةَ شرقاً بلادُ نجد، ثمَّ بلادُ العروض، ثمَّ البحرَين.

٤ – اليمن: مِن صَعْدة إلى البحر (المحيط)، وقاعدتُه صنعاء (نجد اليمَن)، ويدخلُ فيه حضرمَوت في الجنوب.

٥– عُمان: وقاعدتُه نَزوى، ويدخلُ فيه إقليم ظِفار وما يُعرف اليومَ بدولة الإمارات العربيَّة.

٦– البحرين: ويشملُ الأحساءَ وساحلَ البحر إلى العراق، وهجَر، وقاعدتُه القَطيف.

ونلاحظُ أنَّ سلطانَ عامل الحجاز كان يمتدُّ إلى منطقة عوالي نجدٍ شرقيِّ جبال السَّراة[1]، وكان عامِلا مكَّة والمدينةِ مسؤولَين عن أعراب العوالي وجزءٍ كبيرٍ من شرقيِّ نجد. وكذلك والي البحرَين يمتدُّ سلطانُه داخلَ نجد، ويحرصُ على مراقبة حركاتِ الأعراب، ولم تكن تلك المهمَّةُ الرَّادعةُ التي مارسَها جيشُ المسلمين في أعصُرِه الأُولى ووَجَّهَها إلى قبائل طيِّئ وعبسٍ وذُبيان وهوزان وتميمٍ قد قضَت على كثيرٍ من نزَعاتِ التمرُّد لدى تلك القبائل، ثمَّ إن الجانبَ الأكبرَ من شبابِ القبائل ورجالِها تركوا مواطنَهم ودخَلوا في جيوشِ الفتح واستقرُّوا في المَهاجر، ولحقت بهم الألوفُ من أهل قبائلهم، فخلَت نواحي العوالي ونجدٍ ومنازلِ تميمٍ والأزد من معظم سكَّانها، ولم تعد قادرةً على القيام بحركات تمرُّدٍ جادَّة يُحسَب لها حسابٌ.

أمَّا حراسةُ طرق الحجَّاج فكان ولاةُ مكَّة والمدينةِ يحرسُونها حراسةً شديدة، وإنَّما بدأَ أهلُ هذه الصَّحارى يتحرَّكون مِن جديدٍ في القرن (الثَّالث الهجريِّ/ التَّاسع الميلاديِّ)، بسَببٍ مِن تكاثرِ السكَّانُ مرَّةً أخرى، وقلَّةِ الهجرةِ إلى الخارج مع قلَّة الخيراتِ في تلكَ الصَّحارى، وإلى هذه الظُّروف ترجعُ قوَّةُ وشِدَّةُ حركاتِ القرامطةِ ومَن إليهم مِن سائرِ الحركاتِ الانفصاليَّة التي طَمَحَت إلى إنشاءِ دُولِها الخاصَّة، على ما سنَرى في العرضِ الآتي.

---

(١) – التي توازي سهولَ تهامَةَ وتُحايِثُها على ساحلِ البحرِ الأحمر.

١- دُوَلُ اليمَن الأُولى:

بسَببِ اضطِّرابِ الأَحوالِ في البلادِ اليمنيَّة، وبسَبَبِ رسُوخِ التشيُّعِ فيها، أراد المأمونُ أن يختارَ لولايةِ (تهامة)[١] مَن يأخذُ على أيدي دُعاتِه، فأشارَ عليه (الحسنُ بن سهلٍ)[٢] برجلٍ من وُلدِ (أبي المُغيرَة زيادِ بن أبي سفيان ت:٥٣هـ) وهو (محمَّد بنُ إبراهيمَ الزِّيادي)، فولَّاهُ إيَّاها سنةَ (٢٠٣هـ-٨١٨م)، فتوجَّه فحجَّ ثمَّ ذهبَ إلى اليمنِ، ففتحَ (تهامةَ) واختطَّ مدينةَ (زَبيد)[٣] سنةَ (٢٠٤هـ-٨١٩م)، وهي التي صارَت حاضرةَ (تهامة)، وقد عظُمَ أمرُ (الزِّيادي) بعد ذلكَ باليمنِ، وصارَ كملكٍ مُستقلٍّ إلَّا أنَّه كانَ يخطبُ لبني العبَّاس ويحملُ إليهمُ الخراجَ والهدايا، وطالَ ملكُه إلى سنةِ (٢٤٥هـ-٨٥٩م)، ثمَّ صارَ الملكُ في أبنائِه، ثمَّ في مَواليهم وموالي مَواليهم إلى سنةِ (٥٥٣هـ-١١٥٨م)، وعُرفَت هذه الدَّولةُ بـ(**الدَّولةِ الزِّياديَّة**)، وهيَ أوَّلُ الدُّولِ استقلالاً باليمَن.

وتُنسَبُ (**الدَّولةُ اليعفُريَّة**) إلى جدِّهم (عبد الرَّحيم بنِ إبراهيمَ الحَوالي)، وكان نائباً عن (جعفرِ بنِ سُليمانَ بنِ عليٍّ الهاشميِّ) الذي كان والياً للمُعتصِم العبَّاسيِّ على نجد اليمنِ (صنعاءَ)[٤] وما إلَيها، ولَّما توفِّي عبدُ الرَّحيم قامَ في الولاية مقامَه ابنُه (يعفُرُ بنُ عبد الرَّحيم) وهو رأسُ الدَّولةِ ومبدأُ استقلالها، إلَّا أنَّه كان يهابُ (آل زيادٍ) ويدفعُ لهم خَراجاً يُحمَلُ إلى (زبيد) كأنَّه عاملٌ لهم

---

(١) – تِهامَة: والنِّسبةُ إليها تِهاميْ وتَهامٍ على غيرِ قياس، وهي سهلٌ ساحليٌّ ضيِّقٌ يحاذي ساحلَ البحرِ الأحمرِ في الجزيرة العربيَّة. يفصلُ بينَ البحرِ الأحمرِ في الغربِ و جبالِ السَّراة أو السَّروات في الشَّرق، و يمتدُّ من خليجِ العقبةِ شَمالاً حتَّى بحرِ العرب جنوباً، و يقعُ ضمنَ حدودِ السُّعوديَّة و اليمَن. وقد أصبحَ في العصرِ الحديثِ مَقسوماً إلى ثلاثِ مناطقَ رئيسةٍ هي: تهامةُ الحجاز في الشَّمال بمحاذاةِ جبالِ الحجاز، وتهامةُ جازان في الوسَطِ بمُحاذاةِ جبالِ السَّروات، وتهامَة اليمن ضمنَ حدودِ الجمهوريَّةِ اليمنيَّة. وانظُر: العالَمَ الإسلاميّ: عمر رضا كحَّالة: ٢/ ١٤٢ فما بعدها.

(٢) – الحسنُ بنُ سَهلٍ بنِ عبدِ الله السَّرَخسيّ، تولَّى وزارةَ المأمون بعد أخيهِ ذي الرِّياسَتَين الفضلِ بنِ سَهل، توفِّي (٢٣٦هـ).

(٣) – زَبيد: مدينةٌ يمنيَّةٌ عريقةٌ جنوبَ غربِ اليَمَن، أي جنوبَ غربِ صنعاء، وشمالَ غربِ عدَن.

(٤) – صَنعاء: هي اليومَ عاصمةُ الجمهوريَّة اليمنيَّة وأكبرُ مدنِها، تقعُ في وسطِ البلادِ على جبال السَّراة وليسَ لها منفذٌ على البحرِ، وكانَت تُسمَى أيضاً (نجد اليمن)، لارتفاعِها عن تهامة اليمَن، وهي السَّهلُ السَّاحليُّ المحاذي للبحرِ الأحمر.

ونائبٌ عنهُم، وكان ابتداءُ استقلالِ (يعفُر بنِ عبد الرَّحيم) سنةَ (٢٤٧هـ-٨٥٧م)، واستمرَّ مُلكُ صنعاءَ في أعقابِه إلى سنةِ (٣٨٧هـ-٩٩٧م).

وقامَ أمرُ الأئمَّة (**الرَّسِّية**) في (صَعدة)[1] سنةَ (٢٨٠هـ-٨٩٣م)، وامتدَّت أيَّامُهم إلى سنةِ (٧٠٠هـ- ١٣٠١م)، تعاقَب على كرسيِّ الحكمِ خلالَ هذه المدَّة (١٧ ملكاً).

وابتدأَت (**الدَّولةُ النَّجاحيَّة**) في (زَبيد) على أطلالِ الدَّولةِ الزِّياديَّة، وكان ابتداؤها على يدِ (المؤيَّد نجاح) سنةَ (٤١٢هـ-١٠١٣م)، وهو مولًى من مَوالي آل زيادٍ، وأصلُه عبدٌ حبَشيٌّ سمَت به همَّتهُ إلى أن تولَّى مُلكَ تهامةِ اليمَن وما إلَيها، وقد استمرَّ ملكُها فيه وفي أعقابهِ إلى سنةِ (٥٥٤هـ-١١٥٩م).

وقامَت (**الدَّولةُ الصَّليحية**) بصَنعاءَ سنةَ (٤٢٩هـ-١٠٣٨م)، وعددُ ملُوكها ثلاثةٌ، وانقضَت أيَّامُها سنةَ (٤٩٥هـ-١١٠٢م).

وحكمَت في اليمنِ أيضاً (**الدَّولةُ الزّريعيَّة**) سنةَ (٤٧٦هـ-١٠٨٣م)، وكرسيُّ مُلكِها (عدَن)[2]، وتعاقَب على كرسيِّ الحكمِ فيها ثمانيةُ ملوكٍ، وانقضَت أيَّامُها سنةَ (٥٦٩هـ-١١٧٤م).

وظهرَ بـ(صَنعاءَ) و(المَهْرَة)[3] الأميرُ (حاتمُ بن غاشمٍ الهمدانيُّ) سنةَ (٤٩٢هـ-١٠٩٩م)، وأسَّس دولةً دُعيَت بـ (**الدَّولةِ الهمدَانيَّة**) وتعاقَب عليها ثمانيةُ ملوكٍ، وانتهى أمرُها سنةَ (٥٦٩هـ-١١٧٤م). وظهرَت (**الدَّولةُ المَهديَّة**) في (زبيد) سنةَ (٥٥٤هـ-١١٥٩م)، وعددُ ملُوكِها ثلاثةٌ، وانتهى أمرُها سنةَ (٥٦٩هـ-١١٧٤م).

وملكَت في اليمَن كذلكَ (**الدَّولةُ الرَّسوليَّة**) سنةَ (٦٢٦هـ-١٢٢٩م)، واستولَى على عرشِ مُلكِها (١٧ ملكاً) وانقضَت أيَّامُها سنةَ (٨٥٨هـ-١٤٥٤م).

---

(١) - صَعدة: محافظةٌ يمنيَّةٌ في شمالِ الجمهوريَّة، شمالَ العاصمةِ صَنعاء.

(٢) - عدَن: مدينةٌ في الجمهوريَّة اليمنيَّة شرقَ بابِ المندِب، كانت عاصمةَ جمهوريَّة اليمَن الدِّيمقراطيَّة الشَّعبيَّة منذُ ١٩٦٧م، حتَّى الوحدةِ اليمنيَّة سنةَ ١٩٩٠م، وتعدُّ عدَن اليومَ العاصمةَ الاقتصاديَّة والتِّجاريَّة لليمَن.

(٣) - المَهْرَة: محافظةٌ يمنيَّةٌ في أقصى شرقِ اليمَنِ، على حدودِها معَ سلطنةِ (عُمان).

ومن الدُّولِ التي قامَ أمرُها في اليمَن أيضاً (**الدَّولةُ الطَّاهريَّة**)، قامَت هذِه الدَّولةُ سنةَ (٨٥٠هـ-١٤٤٦م)، وحكمَها أربعةُ ملوكٍ، وانقضَت أيَّامُ حكمِها سنةَ (٩٢٣هـ-١٥١٧م).

٢- الدَّولةُ الكثيريَّة (حضرمَوت):

وكانَ أوَّلُ مَن حوَّلَ القبيلةَ الكثيريَّة إلى دولةٍ منظَّمة، ونُصِّبَ سُلطاناً على (حضرَمَوت)[1] هو (عليُّ بنُ عمرَ بنِ جعفرٍ بنِ بدرِ بنِ محمَّد بنِ عليِّ بنِ عمرَ بنِ كثير) حوالي (٨١٦هـ-١٤١٣م)، ومن سلاطينِ هذِه الدَّولةِ الذين اتَّسعَ سلطانُهم وعظُمَ أمرُهم (عمرُ بن طويرق) المتوفَّى سنةَ (٩٧٧هـ-١٥٦٩م)، فقد امتدَّ سلطانُه إلى (العوالق)[2] غَرباً و(سيحوت)[3] شرقاً، والسَّواحلِ الجنوبيَّة جنوباً، والرِّمال شَمالاً. وبـ(جعفرِ بنِ عمرَ بنِ جعفرِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ أبي طويرق)، انتهَت الدَّولةُ الكثيريَّة الأُولى.

وفي أوائلِ القرنِ الثاني عشرَ الهجريِّ، نجمَت بأعلى حضرمَوت محاولةٌ عنيفةٌ لإحياءِ دولةِ آل كثيرٍ من سلالةِ عمرَ بنِ جَعفر، وهُرِعَ إلى نُصرتها جماعةٌ من (آلِ العطَّاس) و(آلِ البار) و(آل الحبشيِّ) العلويِّين، فتمَّ لهم ما أرادُوا، وجاءَ (جعفرُ بنُ عليِّ بنِ عمرَ بنِ جعفرَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ بن بدرِ بوطويرق) إلى حضرمَوت من هجرتِه الطَّويلةِ في (جاوَة)[4] و(الهند) سنةَ (١٢١٨هـ-١٨٠٣م)، وأقامَ أوَّلاً بـ(هينن)[5]، وشرعَ يكاتبُ (الشَّنافر) و(نهد)[6] وأعيانَ السَّادةِ العلَويَّة، ويبثُّ الدُّعاةَ لإحياءِ دولةِ آلِ كثير، وزحزحةِ (يافع) عن البلادِ، وأشارَ عليهِ بعضُهم

---

(١) - حضرمَوت: موقعُها في الزَّاويةِ الجنوبيَّة لشبهِ الجزيرةِ العربيَّة، وهي اليومَ محافظةٌ يمنيَّةٌ تُطِلُّ على خليجِ عدَن وبحرِ العرَب، وتُعدُّ أكبرَ المحافظاتِ اليمنيَّة.

(٢) - العوالق: اسمٌ لقبائلَ عربيَّةٍ يمنيَّةٌ موطنُها في غربِ مُحافظةِ حضرَموت.

(٣) - سيحوت: مدينةٌ في مُحافظةِ المَهْرَة أقصى شرقِ اليَمَن على حدودِ عُمان، وكانَت تُسمَى قديماً بمنطقةِ (حيرَج).

(٤) - جاوَة: جزيرةٌ معروفةٌ في إندونيسيا، وفيها العاصمةُ الإندونيسيَّة (جاكَرتا).

(٥) - هنين: ولايةٌ كانَت تابعةً لقبيلةِ المشقاصِ من آلِ كثيرٍ في حضرَمَوت.

(٦) - الشَّنافر: قبيلةٌ همدانيَّةٌ يمنيَّةٌ عربيَّةٌ من آلِ كثيرٍ موطنُها حضرمَوت. ونَهد: قبيلةٌ عربيَّةٌ يمنيَّةٌ من قُضاعَة، أقامَت في حضرَمَوت.

بشراءِ عبيدٍ يُجنِّدهُم للقتالِ، فاقتنَى منهُم عدداً غيرَ قليل، ثمَّ هجمَ على (شِبام)[1] وبها (يافعٌ) وأنصارُه، فاستولَى علَيها بعدَ دحرِهم عنها، ثمَّ أرسلَ جعفرٌ جيوشَهُ غرباً وشَرقاً، فاستولَى في الغربِ على (وادي عمد)[2] بأسرِه وبعضِ (دوعن) و(حورة) و(الكسر)[3]، وأمَّا في الشَّرقِ فاستولَى على المواضعِ الشَّرقيَّة من (سيون)[4]، وعلى بعضِ نقطٍ من (تريم)[5].

ثمَّ وليَ (عمرُ بنُ جعفرِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ بنِ جعفرِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله) آخرُ سلاطينِ آلِ عمرَ بنِ جعفرٍ الكثيريِّ، وقد امتدَّت دولتُه إلى سنةِ (١٢٤٠هـ-١٨٢٥م).

ثمَّ جاءَت دويلةُ (**آل عمرَ بنِ بدر**)، وذلكَ أنَّ (عمرَ بنَ جعفرِ بنَ عيسى بنِ عمرَ بنِ بدرٍ بوطويرق) قدمَ من جاوَة (١٢٣٠هـ-١٨١٥م)، وأقبلَ عليه الشَّنافرُ، وأجمَعوا على توليتِه سُلطاناً، فأظهرَ الارتياحَ لذلكَ، غيرَ أنَّه صارحَهُم بطلبِ العهدِ والميثاقِ على بذلِ مجهودِهم في سبيلِ تعزيزِ هذِه الدَّولة، فلَم يكُن منهُم إلَّا الإجابةُ لما طلَب.

٣- المَملكةُ المتوكِّلية (اليَمن):

وأخيراً قامَت باليمنِ (المملكةُ المُتوكِّلية)، التي أسَّسها (المتوكِّلُ على الله يحيى بنُ محمَّد حميدُ الدِّين)، فقد بايعَه العلماءُ في ربيعِ الأوَّل سنةَ (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م)، واجتمعَت إليهِ الوفودُ من بلادِ (حاشِدٍ) و(حَجور) و(الأُهنوم) و(شُهارَة) و(سفيان)[6] وغيرِها، وقد صاولَ حميدُ الدِّين الأتراكَ، وحاصرَ صنعاءَ وغيرَها من المراكزِ التي كانوا يحتلُّونها، واستعرَت نيرانُ الحربِ بينَ حميدِ الدِّين والأتراكِ، وحاصرَ صنعاءَ وفتحَها، ثمَّ خرجَ منها ودخلَها الأتراكُ، ثمَّ زحفَ الأتراكُ على

---

(١) - شِبَام: اليومَ مدينةٌ أثريَّةٌ يمنيَّةٌ في حضرمَوت.

(٢) - وادي عَمد: نسبةٌ لمنطقةِ (عمد) اليمنيَّة في حضرمَوت،وكانَ يُسمَى قديماً (وادي قُضاعَة).

(٣) - دوعن: وادٍ من أوديةِ حضرمَوت. وحورة: وادٍ كذلكَ في حضرمَوت. والكسر: منطقةٌ في وادي حضرمَوت.

(٤) - سيون: أو سِيئون، منطقةٌ يمنيَّةٌ في وسَطِ وادي حضرمَوت، وهيَ عاصمةُ الوادي.

(٥) - تريم: مدينةٌ يمنيَّةٌ وإحدى أهمِّ محُافظةِ حضرَمَوت.

(٦) - حاشِد وحَجور والأُهنوم قبائلُ عربيَّةٌ يمنيَّةٌ معروفةٌ باليَمَن، وشُهارَة حصنٌ عظيمٌ باليَمَن كانَ للأهنوم وهي اليومَ مدينةٌ شمالَ محافظةِ عمران اليمنيَّة، وسُفيان: منطقةٌ يمنيَّةٌ تُعرَفُ اليومَ بـ(حرف سُفيان).

(شُهارة)، ووقعَت بينهُم وبينَ أصحابِ حميدِ الدِّين معاركُ حاميةُ الوطيس، انهزمَ الأتراكُ واشتدَّ ساعدُ القبائلِ اليمنيَّة وخرَجوا من الكهُوف، وأخذُوا في مطاردةِ الأتراكِ الذين فرُّوا إلى الأوديةِ، تاركين كثيراً من الأسلحةِ التي غنِمَها العربُ، وقد امتلأت البقاعُ حولَ (شُهارة) بجُثثِ الأتراك، وحاصرَ العربُ قوَّاتِ (رضا باشا) في (غربان)[1]، وحالُوا بينَه وبينَ الاتِّصال بـ(أحمد فيضي باشا) بعد هزيمتِه في (شُهارَة)، وقضَوا على تلكَ القوَّةِ التي كان (فيضي باشا) قد تركَها لحمايةِ ظهرِه.

وفي سنةِ (١٣٢٨هـ-١٩١٠م)، عُيِّن والياً على اليمَن (**محمَّد علي باشا**)، وأرادَ معاملةَ النَّاسِ بالقَسوة، فشمَّرَ حميدُ الدِّين واستعدَّ لحربِه، وحاصرَ صنعاءَ، واحتلَّ بعضَ مراكزِ الأتراكِ عَنوةً.

وفي سنةِ (١٣٢٩هـ-١٩١١م) وصلَ إلى اليمنِ الوالي (أحمد عزَّت باشا) على رأسِ قوَّة كبيرة، ففكَّ الحصارَ عن صنعاءَ، وسعى في عقدِ الصُّلح بينَ الإمامِ حميدِ الدِّين والدَّولةِ العثمانيَّة، فتمَّ ذلكَ وصلَحَت الأمورُ.

وبعدَ أن هُزِمَت الدَّولةُ العثمانيَّةُ سنةَ (١٩١٨م)، استصوَب الوالي (محمود نديم) والقائدُ (أحمد توفيق) دخولَ حميدِ الدِّين إلى صنعاءَ عاصمةِ اليمَن واستلامَ (قصرِ غُمْدان)[2] وما فيه من المعدَّات، فدخلَ الإمامُ حميدُ الدِّين في صفر سنةَ (١٣٣٧هـ-١٩١٨م) صنعاءَ، فاستقبلَه العلماءُ والأعيانُ ورجالُ الدَّولة، ولمَّا استقرَّت الأمورُ مدَّ يدَه إلى أطرافِ اليمنِ وتهامةَ وغيرِها، وولَّى العمَّالَ والقُضاةَ في البلاد، وأمَّن السُّبلَ وأخمدَ الثَّوراتِ التي قامَ بها رجالُ القبائلِ، وقبضَ على البلادِ بيدٍ من حديد.

ولمَّا تأسَّست الجامعةُ العربيَّةُ انضمَّت المملكةُ المُتوكِّليةُ إليها، ثمَّ قُبِلَت اليمنُ في (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م) عضواً في هيئةِ الأُممِ المتَّحدة.

وفي ربيع الثَّاني (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م) قُتلَ (المتوكِّلُ على الله الإمامُ يحيى بنُ محمَّد حميدُ

---

(١) – غربان: منطقةٌ في اليمَن فيها جبل غربان.

(٢) – قصر غُمْدان: قصرٌ شهيرٌ كان في مدينةِ صنعاء باليمن، بناهُ الملكُ الحميريُّ الشَّرحُ يحضُب في القرنِ الميلاديِّ الأول.

الدِّين) في (سوادِ حزيز) جنوبَ مدينةِ صنعاءَ، وعلى بُعد ستَّةِ أميالٍ منها، ودعا (عبدُ الله الوزيرُ) لنفسِه، وتلقَّب بالإمامِ النَّاصر للدِّين، وكان (أحمدُ) وليَّ عهدِ المملكةِ وأكبرَ أنجالِ حميدِ الدِّين في مدينةِ (تَعْز)[1]، فخرجَ ومعهُ عددٌ من رجالِ الجيشِ وكثيرٌ من المال، فسارَ إلى (الحُدَيِّدَة)[2]، ثمَّ واصلَ سيرَهُ حتَّى بلغَ (جبل حجَّة)[3]، ومن هناكَ بعثَ رسلَهُ ورسائلَهُ إلى القبائلِ اليمنيَّة ورؤساءِ العشائرِ وأمراءِ الجيشِ النِّظامي، وطلبَ منهُم الزَّحفَ على صنعاءَ وأخذَ الثأرِ للإمامِ والدِه (يحيى)، وإعادةَ العرشِ إلى أهلِه. ثمَّ فَتَحَ صنعاءَ وقبضَ على عبدِ الله الوزيرِ، ونفَّذ حكمَ الإعدامِ به وبرفاقِه بالمؤامرة، واعترفَت دولُ الجامعةِ العربيَّةِ بـ(أحمدَ) ملِكاً على اليمَن، ثمَّ أُبرم اتحادٌ بين الجمهوريَّةِ العربيَّةِ المتَّحدة والمملكةِ المتوكِّليَّة في (٢١شعبان١٣٧٧هـ-١٣آذار١٩٥٨م).

٤- الدَّولةُ اليافعيَّة (عدَن):

تَنْتسِبُ هذه الدَّولةُ لِـ(يافع)[4]، وهيَ من أعظمِ قبائلِ (حِمْيَر)[5]، وقد استولَت دولةُ يافعٍ على (عدَن) و(لَحج)[6] و(أبين)[7]، وحَكَمُوها من سنةِ (١٠٤٢هـ-١٦٣٢م) إلى (١٠٥٤هـ-١٦٤٤م)، وحارَبوا أئمَّة صنعاءَ الذين كانوا يُرسِلونَ جيوشَهم للاستيلاءِ على البلادِ اليافعيَّة، واستمرَّت الحروبُ بينَهم وبينَ ولاةِ اليمنِ عشراتِ السِّنين، من عهدِ (صالحِ بن أحمدَ) من (آلِ هرهرةَ اليافعيِّين) إلى عهدِ (قحطانَ بنِ عمرَ هرهرةَ)، كانَ النَّصرُ في النِّهايةِ حليفَ يافعٍ، حيثُ

---

(١) - تَعْز: مدينةٌ يمنيَّةٌ جنوبَ العاصمةِ صَنعاء، وتُعدُّ اليومَ العاصمةَ الثَّقافيَّةَ لليمَن.

(٢) - الحُدَيِّدة: مدينةٌ يمنيَّةٌ، غربَ اليَمَن على ساحِلِ البحرِ الأحمَر، شَمالَ محافظةِ (تَعْز).

(٣) - جبل حجَّة: هو اليومَ في مُحافظةِ حجَّة باليَمَن، شمالَ غربِ صَنعاء العاصِمَة، وشمالَ محافظةِ الحُدَيِّدَة.

(٤) - ويافعُ اليومَ أيضاً منطقةٌ في اليَمَن، بينَ مُحافظَتَي لَحج وأبين.

(٥) حميَر: شعبٌ قديمٌ في بلادِ اليَمَن، في القرن الثَّاني قبلَ الميلاد، نسبةً إلى حميَر بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان، ورثَ الحضارةَ السَّبئيَّةَ المعينيَّة، وكانَ لهُ دولةٌ قويَّةٌ تُدعى (ريدان)، عاصمتُها (ظَفار)، وكانوا يتكلَّمون العربيَّة، وأشهرُ ملوكِهم (يُوسُف ذو نُواس).

(٦) - لحج: محافظةٌ يمنيَّةٌ في الجنوبِ الغربيِّ.

(٧) - أبين: محافظةٌ يمنيَّةٌ جنوبَ لَحج، وجنوب شرق العاصمَة صَنعاء.

طرَدوا الجنودَ اليمنيَّة من حدودِ بلادِهم العُليا والسُّفلى وملحقاتِها، كـ(أَبين) و(الشَّعيب) و(جبن) و(نعرة) و(الرَّبيعتَين) و(الظَّاهر) و(جبل حرير) و(حالمين)[1]، حينها تدخَّلَ الإنكليزُ بينَهم، وعُقِدَ بين المتخاصِمينَ صلحٌ. وآخرُ سلاطينِ الدَّولةِ اليافعيَّة السُّلطان (عمرُ بنُ عوَض القَعيطي اليافعيُّ)[2].

٥- أئمَّةُ عُمان[3]:

غيرَّت الحوادثُ التي جرَت في منتصفِ القرنِ الهجريِّ الثَّاني/ الثَّامن الميلاديِّ شكلَ الإمبراطوريَّة الإسلاميَّة ايَّامَ العبَّاسيِّين، واضطرَّت أن تُهمِلَ أملاكَها البعيدَة، ممَّا جعلَ العُمانيِّين ينتهزونَ الفُرصةَ وينتخبونَ عليهِم سُلطاناً اسمهُ (جولندي بنُ مسعودٍ الأزدي)، ولقِّبَ بـ(إمام عُمان)، وذلكَ سنةَ (١٣٥هـ-٧٥١م) .

---

(١) - أبين والشَّعيب وجبن ونعرة والرَّبيعتَين والظَّاهر وجبل حرير وحالمين: مناطقُ وقُرًى في اليمَن.

(٢) - توفِّي سنةَ (١٣٥٤هـ-١٩٣٥م) .وتولَّى بعدهُ السُّلطانُ صالح بن غالب القعيطي حتَّى قيامِ الثورة في جنوبِ اليمَن (١٩٦٧م).

(٣) - وكان رسولُ الله ﷺ قد أقرَّ (جيفر وعبدَ) ابنَي الجُلَندي أو (الجولندي) مِن الأَزْدِ على عُمان بعدَ أن دَخلا الإسلام، فظلَّ آلُ الجولندي في ناحيتِهم على الطَّاعة والسُّكون والولاءِ طوالَ العصرَين الرَّاشديِّ والأمويِّ، حتى إذا كانت سنةُ (١٣٥هـ/ ٧٥١م) خرجَ (جولندي بنُ مسعودٍ الأزديُّ) على طاعة أبي العباس السَّفاح، فأرسلَ إليه جيشاً يقودُه (خازمُ بن خزيمة)، فدخلَ (نَزوى) عاصمةَ آل الجولندي، وقَتلَ الجولنديَّ بنَ مسعودٍ، ولكنَّ الجيشَ العبَّاسيَّ لم يكد ينصرف حتَّى أَعاد خوارجُ عُمان إمامتَهم لزعامةِ (محمَّد بن عبد الله بن أبي عفَّان الأزدي) حوالي سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، وفي هذه النَّاحية (عُمان) استمرَّت الإمامةُ الإباضيَّة أربعةَ قرون.

ولم يَصرف بَنو العبَّاس جُهداً كبيراً للقضاءِ على هذهِ الإمامة، وقد انقسَمت تلكَ الإمامةُ إلى (نزوانيَّة) و(رُستاقيَّة)، ثم اختلف العُمانيون وانقسموا إلى نزوانيَّة ويمانيَّة، وقد أيَّد العبَّاسيُّون بني سامةَ بنَ لؤي، وظلَّ الأمرُ على ذلك حتَّى أرسل القرامطةُ جيشاً اقتحمَ عُمان في (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، ولكنَّ الإمامةَ الخارجيةَ الإباضيَّةَ عادَت إلى القيامِ في عُمان كَرَّةً أُخرى حوالي (٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، واستمرَّت بعد ذلكَ رُغم تدخُّل البويهيِّين بقيادة الحسن بنِ بُوَيه حوالي سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، لأنَّ القرامطةَ عَجزوا عن السَّيطرة على أهل عُمان، فاستمرُّوا ملتفِّين حولَ أئمَّتهم، وأوَّلُ مَن قامَ منهُم بعد الغزوة البُوَيهيَّة (أبو محمَّد رضوان بنُ جعفر)، من سنةِ (٣٤٠هـ) إلى (٣٦٢هـ)، واستمرَّ يَحكمُ حتَّى جاء بعدَه الخليلُ بنُ شاذانَ بنِ الصَّلت بنِ مالكٍ الخروسيِّ، وتعاقَب بعدَ ذلك الأئمةُ.

ثمَّ كان لعُمانَ أسطولٌ عربيٌّ بحريٌّ كبيرٌ يجولُ كثيراً من أقطارِ المعمُورة، وتسيرُ تحتَ ظلِّه معظمُ القوافلِ التِّجاريَّة التي تصلُ إلى البصرةِ من الهندِ والصِّين، وتؤمِّنُ تجارتَها وملاحَتَها بإرشادِ هذا الأُسطولِ.

ثمَّ هجمَ البُرتغاليُّون على عُمانَ في القرنِ التَّاسعِ الهجريِّ/ القرنِ الخامسَ عشَر الميلاديِّ، وصارَ لهم بعضُ النُّفوذِ على (مَسقَط) و(مطرَح) و(صَحار) و(القريات)[1]، ولكنَّ الأميرَ (ناصر بن مُرشِد) في سنةِ (٩٢١هـ-١٥١٥م) طردَ بقايا الجنودِ البرتغاليِّين من (رأس الخيمة)[2]، وأقصاهم عن بلاده ثم فرض عليهم الجزية .

وبعدَ وفاةِ ناصر، خلفَهُ (سلطانُ بن سيف) فنسَج على منوالِ سلفِه في مطاردةِ البرتغاليِّين، ولاحقَهم إلى الهندِ بعد أن اندَحروا من الخليجِ العربيِّ، ثمَّ وجَّه أسطولَه الحربيَّ العربيَّ لغزوِهم في ساحلِ (كوجرات)[3] واستولَى على بعضِ المُدن، وعادَ منتصِراً مُثقَلاً بالذَّخائرِ والغنائمِ الحربيَّة.

ولَمَّا تولَّى ابنُه (بُلْعرَب بن سُلطان) (١٠٧٩هـ-١٦٦٨م)، أخذَ الشِّقاقُ يدبُّ بينه وبين أخيهِ (سيف)، وكثُرَ التَّشاحنُ بينَهما، وانتهَى الأمرُ بأن أصبحَت دولةُ عُمانَ الواسعةُ الأطرافِ إماراتٍ مجزَّأةً صغيرةً، وتضاءلَ أسطولُها شيئاً فشيئاً.

ثمَّ قامَ البريطانيُّون بإقصاءِ البقيَّة الباقيةِ من فُلولِ البرتغاليِّين في الخليجِ العربيِّ وبعضِ سواحلِ الهند، وبذلكَ بسَطوا نفوذَهم على عُمان.

ولَمَّا كانَ أسطولُ عُمانَ من القوَّةِ بمكانٍ فإنَّ الدَّولةَ العثمانيَّة سنةَ (١١٦٩هـ-١٧٥٦م) استعانَت به على استردادِ البصرةِ من الإيرانيِّين، فنقَلت قِطَعُه نحوَ (عشرين ألفِ مقاتلٍ) من عُمان

---

(١) - مَسقَط: عاصمةُ عُمان، لها ستُّ ولايات. ومطرَح: إحدَى ولاياتِها على البَحر(خليجِ عُمان)، وكذا ولايةُ القَريات. وصَحار: منطقةٌ على خليج عُمان شمالَ غربِ مَسقَط.

(٢) - رأس الخيمة: هيَ اليومَ إمارةٌ في أقصى شَمالِ الإماراتِ العربيَّة المتَّحدة، يحدُّها من الجنوبِ والشَّمالِ الشَّرقيِّ سلطنةُ عُمان.

(٣) - كوجرات: ولايةٌ هنديَّة.

إلى شطِّ العربِ[1] في رحلةٍ واحدة.

وحكمَ ساحلَ عُمان بعدَ ذلك ستَّةٌ من المشايخِ المستقلِّين كأميرِ قطَر الشَّيخ (عليِّ بن عبد الله آل ثاني) والشَّيخ (شخبوط) حاكمِ أبي ظبي، تربطهُم معاهداتٌ مع بريطانيا حتمَت عليهِم بأن لا يكونَ لهم اتِّصالٌ أو معاملاتٌ دبلوماسيَّةٌ مع أيَّة دولةٍ أجنبيَّةٍ غيرِها، وقد نالَت بريطانيا سنةَ (١٢١٥هـ-١٨٠٠م) حقَّاً بأن تُعيِّن مُقيماً سياسيَّاً في مَسقَط.

وفي عهدِ السُّلطانِ (فيصل بن تُركي) سنةَ (١٣٠٥هـ-١٨٨٨م) في عُمان، عُقِدَت معاهدةٌ مع بريطانيا، ولَم تكُن داخليَّةُ البلادِ العُمانيَّة خاضعةً لغيرِ أمرائها، وتمادَى فيصلُ في التدخُّل في بعضِ شؤونِ عُمانَ الدَّاخليَّة، بتأييدِ حلفائِه الإنكليزِ وبدافعٍ منهُم، فإزاءَ ذلكَ سخِطَ العُمانيُّون على تصرُّفاتِ فَيصل، فأعلَنوا الثَّورةَ في جميعِ الأرجاءِ، وبايَعوا الإمامَ (سالمَ بنَ راشد الخروصي) سنةَ (١٣٣١هـ-١٩١٣م)، ودانَت لهُ البلادُ، وأخذَ يهدِّدُ عاصمةَ السَّلطنةِ مسقَط، واقترَبَت قوَّاتُه منها، وأوشكَت أن تحتلَّها لولا تدخُّلُ البريطانيِّين، ولَم يُحسَمِ الخلافُ ولا وضعَت الحربُ أوزارَها.

وما استقرَّ الأمرُ بينَ الإمامةِ (أئمَّةِ عُمان) والسَّلطنة (أَسيادُ أو سلاطينُ مَسقَط)، إلَّا بـ(**معاهدةِ السِّيب**)[2] سنةَ (١٣٣٩هـ-١٩٢٠م)، وقَّعها من قِبَلِ الإمامِ (محمَّد بنِ عبدِ الله الخليليِّ) عيسى بنُ صالحِ الحارثيُّ أميرُ الشَّرقيَّة[3]، ووقَّعها من قبلِ السيِّد السُّلطان (تيمورِ بن فَيصل) قنصلُ الدَّولةِ الإنكليزيَّةِ بمَسقَط (وينكيت باليوز)، وتضمَّنت هذه المعاهدةُ الموادَّ التي تتعلَّق **بإمامةِ عُمان**، وهيَ:

---

(١) - شطُّ العرَب: نهرٌ ناتجٌ من التقاءِ نهرَي دجلةَ والفُرات، حيثُ يلتقي النَّهران في منطقةِ (كرمه) على المدخلِ الشَّمالي لمدينةِ البصرة، وكانا يلتقيان من قبلُ في مدينة (القرنة) على بعد (٣٧٥كم) جنوبَ بغداد. ويبلُغ طولُه حوالي (١٩٠كم)، و يصبُّ في الخليج العربيِّ عند طرفِ مدينةِ (الفاو) التي تُعدُّ أقصى نقطةٍ في جنوبِ العراق.

(٢) - السِّيب: إحدى ولاياتِ العاصِمَةِ مَسقَط، تقعُ في نهايتِها الشَّماليَّة، وتُطلُّ على خليجِ عُمان.

(٣) - الشَّرقيَّة: أي المنطقة الشَّرقيَّة التي تُشكِّلُ اليومَ الواجهةَ الشَّماليَّة الشَّرقيةَ لسلطنةِ عُمان، والمطلَّة على بحرِ العرَب من ناحيةِ الشَّرق. تتكوَّن من (١١) ولايَة أهمُّها ولايةُ (صُور).

١ - مهما يكُنْ واردٌ من عُمانَ من جميعِ الأجناسِ إلى مَسقَط ومطرَح وحورَ وسائرِ بلدانِ السَّاحل، لا يُؤخذ منهُ زيادةٌ عن المئة خمسة.

٢- أن يكونَ لجميعِ العُمانيِّين الأمنُ والحرِّيةُ في جميعِ بلدانِ السَّاحل.

٣- جميعُ التَّحجيراتِ على الدَّاخلينَ والخارجينَ من مسقَط ومطرَح وجميعِ بلدانِ السَّاحلِ تُرفَع.

٤- أن لا تُؤوِيَ حكومةُ السُّلطانِ مُذنِباً يهربُ من إنصافِ العُمانيِّين، وأن تُرجِعَه إذ طلَبوه منها، وأن لا تتداخلَ في داخليَّته.

وأمَّا الموادُّ التي تتعلَّق **بسُلطانِ مَسقَط** فهيَ:

١- كلُّ المشايخِ والقبائلِ يكونونَ بالأمنِ والصُّلحِ مع حكومةِ السُّلطان، وأن لا يُهاجموا بلادَ السَّاحل، وأن لا يتداخَلوا في حكومتِه.

٢- كلُّ المسافرينَ إلى عُمانَ لمشاغلِهم الجائزةِ والأمورِ التِّجاريَّة يكونونَ أحراراً، ولا تكونُ تحجيراتٌ على التِّجارة، ولهمُ الأمنُ.

٣- كلُّ مُحدِثٍ ومذنبٍ يهرُبُ إليهم يَطرُدونَه ولا يُؤوونَه.

٤- أن تكونَ دَعاوى التِّجارة وغيرِها على العُمانيِّين تُسمَعُ وتُفصَّلُ على موجبِ ما هو الإنصافُ بالحكمِ الشَّرعيِّ.

ومع ذلك، استمرَّ الصِّراعُ قائماً بين المجاهدينَ العُمانيِّين أصحابِ الإمامِ (عليِّ بنِ عبد الله)، وبينَ السُّلطانِ (سعيدِ بن تيمور) والبريطانيِّين، وقد استعملَ البريطانيُّون في هذهِ المعاركِ الطَّاحنةِ أنواعَ الأسلحةِ الفتَّاكة، والمجاهدونَ العمانيُّون يتلقَّون ذلكَ بالصَّبر والثَّبات والشَّجاعةِ النَّادرة.

٦- دَولةُ زنجبار العُمانيَّة (شرقَ إفريقيَة):

في (١٠٦٠هـ-١٦٥٠م) هبَّ العُمانيُّون بزعامةِ (سُلطان بن سيف) يَطردون الأجنبيَّ من حِماهم، فأخرَجوا البُرتغالَ من مسقَط، وتابَعوهم إلى سواحلِ الهندِ، حتَّى لحقوا بهِم في إفريقيةَ الشَّرقيَّة بمراكِبهم وجيشِهم، فاشتبَكوا معهُم في معاركَ أدَّت إلى إجلاءِ البُرتغال نهائياً سنةَ

(١١١٠هـ-١٦٩٨م)، ثمَّ توغَّلوا في إفريقية، وأصبحَت (**زنجبار**)[1] مركزَ تجمُّعهم.

وبعدَ أن تولَّى الحكمَ (سعيدُ بنُ سُلطان) في مسقَط، نالَت زنجبارُ جانباً عظيماً من عنايتِهِ ومجهودِه، فذهَب بنفسِه إلى إفريقية (١٢٤٨هـ-١٨٣٢م)، واتَّخذ زنجبارَ مركزاً لنفوذِه في إفريقية، وأخذَ منذُ ذلك اليومِ يتردَّد بين عاصمتِه هذِه وعاصمتِه الأُولى مسقَط، ثمَّ عقدَ مع حكومةِ الهندِ الإنكليزيَّةِ معاهدةً تنصُّ على عدمِ التَّعرضِ للسُّفن التي تحملُ علمَ السُّلطانِ سَعيد، كما أنَّه عقدَ معاهداتٍ تجاريَّةً مع أميريكا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وروسيا، تَضمَنُ لرعايا هذِه الدُّول الحقوقَ التِّجاريةَ والأمانَ بزنجبار، ثمَّ حصلَ تنافسٌ بين الإنكليزِ والأمريكيِّين والفرنسيِّين، غيرَ أنَّ (سعيدَ بن سُلطان) فضَّلَ صداقةَ الإنكليز، وبذلكَ تمكَّنت بريطانيا من تعيينِ وكيلٍ سياسيٍّ لها.

وبينما كان سعيدُ ابنُ سلطانٍ عائداً من مسقَط إلى زنجبار، أدركتْهُ المنيَّةُ، وخلَّف ولدَين: (ماجدَ بنَ سعيد) واليَ زنجبار، و(ثويني بنَ سعيد) وليَّ عهد السُّلطان في مسقَط، فادَّعى الأوَّلُ أنَّ أباه قد قسَّم الملكَ بينَه وبين أخيه، فأعطاهُ إفريقيةَ وأعطى أخاهُ عُمانَ وما إلَيها، وعلى أثرِ هذا الاختلافِ هيَّأ (ثويني) أسطولاً لمهاجمةِ أخيه، فعرَضَت عليهِ بريطانيا التوسُّطَ بينَه وبين أخيهِ من جهةٍ، وهدَّدته بإغراقِ سفنِه إذا تحرَّكَ لمحاربةِ أخيهِ من جهةٍ ثانية، فاضطرَّ إلى قبولِ التوسُّطِ، وعيَّنت بريطانيا (كاننج) حاكمَ الهندِ، فحكمَ بتقسيمِ مملكةِ أبيهما بين (ماجدٍ) و(ثويني)، وبذلكَ تمَّ القضاءُ على وحدةِ هذهِ المملكةِ، وتولَّى (ماجدٌ) الحكمَ سنةَ (١٢٧٢هـ-١٨٥٦م)، ولَم يَحدُث في عهدِه إلَّا ثورةُ أخيهِ (برغش)، فانتصرَ عليهِ ونفاهُ إلى الهندِ، ويُعدُّ ماجدٌ أوَّلَ من أدخلَ سفينةَ البُخارِ إلى أُسطولِه.

وتولَّى بعدَه أخوهُ (برغش) سنةَ (١٢٨٧هـ-١٨٧٠م)، وقد اشتدَّ نفوذُ ألمانيا في زمنِه، وأحدثَت طرُقاً داخليَّة، وعقدَت معاهداتٍ مع الأهالي الذين هُم في منطقةِ نفوذِ السُّلطان،

---

(١) - زنجبار: كانَت يومَها تابعةً للدَّولةِ العُمانيَّة، أمّا اليومَ فهيَ مكوَّنةٌ من مجموعةِ جزُرٍ واقعةٍ بالمحيطِ الهنديِّ تابعةٍ لتنزانيا في شرقِ إفريقية. وزنجبار كلمةٌ عربيَّة محرَّفة أصلُها (برُّ الزِّنج). أمَّا تنزانيا فهيَ جمهوريَّة تنزانيا الاتِّحاديَّة المؤلَّفةُ من توحُّدِ (تنجانيقا) وجزيرةِ زنجبار.

وأسَّست شركةً عُرفت بـ(شركةِ إفريقية الشَّرقيَّة)، وضمَّت إليها (ستين ألف كيلو متر مربَّع) من أملاكِ العربِ سنةَ (١٣٠٢هـ-١٨٨٥م)، فجهَّز (برغش) حملةً لمحاربةِ ألمانيا في داخلِ إفريقية، غيرَ أنَّ السُّفنَ الألمانيَّة هدَّدت بقصفِ ميناءِ زنجبار، ثمَّ عُقِدَ مؤتمرٌ ثلاثيٌّ من فرنسا وبريطانيا وألمانيا، عُيِّنَتْ فيه المناطقُ التي تُديرُها حكومةُ زنجبار، واقتسَمت دولُ أوروبَّا إدارةَ شؤونِ الباقي.

وتوفِّي (برغش) سنةَ (١٣٠٥هـ-١٨٨٨م)، وخلَفه أخوهُ (خليفة)، وتوفِّي هذا بعد سنتَين، فتولَّى الحكمَ أخوهُ (عليُّ بنُ سعيد)، وفي عهدِه أُعلِنت الحمايةُ البريطانيَّةُ على زنجبار.

وفي سنةِ (١٣١١هـ-١٨٩٣م) تولَّى الحكمَ (حمدُ بن ثويني)، وبعد وفاتِه سنةَ (١٣١٤هـ-١٨٩٦م) هجمَ (خالدُ بن برغش) على قصرِ السُّلطانِ وأعلنَ نفسَه سُلطاناً، فقصفَ الأسطولُ البريطانيُّ القصرَ، ووليَ (حمُّود بنُ محمَّد بنِ سعيد)، وهربَ (خالدٌ)، ثمَّ قُبِضَ علَيه ونُفي إلى (جزيرة سانت هيلانة)[1]، ثم إلى (سيشل)[2]، ثمَّ سُمح لهُ بالإقامةِ في (مُمباسة)[3] وتوفِّي (حمودُ) سنةَ (١٣٢٠هـ-١٩٠٢م)، فخلَفهُ ابنُه (عليُّ بنُ حمُّود) الذي تلقَّى دراستَهُ في (كلِّية هارو)[4]، وفي عهدِه تمَّ عَتقُ العبيدِ نهائياً، وبينما كان (عليٌّ) متوجِّهاً إلى لُندن ليَحضُرَ حفلةَ تتويجِ الملكِ (جورج الخامس) أعلنَ وهُو في باريس تنازُلَهُ عن العرشِ، فتولَّى الحكمَ بعدَه (خليفةُ بنُ حارب) سنةَ (١٣٢٩هـ-١٩١١م)، وفي سنةِ (١٣١٣هـ-أوَّل تمُّوز١٩١٣م) وُضِعَت (محميَّةُ زنجبار) تحتَ

(١) – جزيرة سانت هيلانَة: (Saint Helena) جزيرةٌ بركانيَّةٌ في المحيطِ الأطلسيِّ الجنوبيِّ، احتلَّها البريطانيُّون عام ١٦٥٩م، وما تزالُ إلى اليومِ خاضعةً لاستعمارِهم. نُفيَ إليها (نابوليون بونابرت) سنةَ (١٨١٥ – ١٨٢١م)، عاصمتُها (جيمس تاون).

(٢) – سِيشِل: (Sesel) اليومَ دولةٌ في إفريقيا، تقعُ في المحيط الهنديِّ، مكوَّنةٌ من عدَّة جزُر نحو (١١٥) جزيرة.، عاصمتُها مدينة فكتوريا هي العاصمة.

(٣) – مُمباسَة: أو مُومْباسا (Mombasa)، كانَت مقرّاً من مَقارِّ وُلاةِ عُمان، أمَّا اليومَ فهيَ ثاني أكبرِ مدُنِ دولةِ كينيا شرقَ إفريقيا بعدَ نيروبي العاصمَة، وميناؤُها الرئيسُ، تقعُ على خطِّ الاستواءِ تقريباً، أسَّسها العربُ في القرنِ الميلاديِّ الثَّاني عشرَ.

(٤) – كلِّية هارو: في مدينةِ (هارو Harrow)، شمالَ العاصمةِ البريطانيَّة (لندن).

إشرافِ وزارةِ المُستعمَراتِ البريطانيَّة، وتأسَّس مجلسُ استشارةٍ برئاسةِ السُّلطانِ ونيابةِ المُقيمِ.

وفي عامِ (١٣٤٥هـ-١٩٢٦م) شُكِّلَ مجلسان:

- المجلسُ التَّقليديُّ: يرأسُه السُّلطانُ وأعضاؤُه من رؤساءِ الدَّوائرِ الحكوميَّة، ويُضَمُّ إليهم وليُّ العهدِ عبدُالله.

- ومجلسٌ تشريعيٌّ: برئاسةِ المُقيمِ البريطاني، وأعضاؤُه من أعيانِ القُطر.

٧- أُمراءُ البَحرَين[١]:

كان رئيسُ القرامطَةِ[٢] بالبحرَين (أبو سعيدٍ الحسنُ بنُ بَهرام الجَنَّابيُّ)[٣]، قُتِلَ ابنُ بهرامٍ هذا سنةَ (٣٠١هـ-٩١٤م) بعد أن استولَى على (هجر) و(الإحساء) و(القطيف) وسائرِ (بلادِ البحرَين)، فوليَ بعدَه ابنُه (أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ الحسنِ الجنابيُّ)، وكانت لهُ غزَواتٌ متتابعةٌ إلى جهةِ البصرةِ يُريدُ الاستيلاءَ علَيها.

وسارَ أبو طاهرٍ سنةَ (٣١٧هـ-٩٢٩م) بجُندِه إلى مكَّةَ، فوافَاها ولَم يَرْعَ حرمةَ البيتِ الحرامِ، بلْ نهبَ هو وأصحابُه أموالَ الحجَّاج وقتلُوهُم حتَّى في المسجدِ الحرامِ وفي البيتِ نفسِه، وقلعَ أبو طاهرٍ (الحجرَ الأسودَ) وأنفذَهُ إلى بلدِه (هجَر)[٤] وبقيَ بها نيِّفاً وعشرينَ سنةً، وقلعَ بابَ البيتِ، وطرحَ القَتلى في بئرِ زمزمٍ، ودفنَ الباقينَ من القَتلى في المسجدِ الحرامِ، وأخذَ كِسوةَ البيتِ

---

(١) -البَحرَين: قديماً اسمٌ جامعٌ للبلادِ الممتدَّة على السَّاحلِ في المُحيطِ الهنديِّ بينَ البصرةِ شَمالاً وعُمانَ شَرقاً، ومن ثمَّ يدخُلُ فيها هجَر والأحسَاء والقَطيف. أمَّا اليومَ فالبَحرَين دولةٌ عربيَّةٌ (مملكَة) قائمةٌ على جزيرةٍ مُستقلَّةٍ في الخليجِ العربيِّ، عاصمتُها المَنامَة.

(٢) - القرامطَةُ: في الأصلِ منشعبةٌ عن الإسماعيليَّة، واسمُها هذا مشتقٌّ عن كلمةِ (باطنيَّة) بالآراميَّةِ؛ لغةِ أنباطِ العراق، قام القرامطةُ بنَشاطٍ تخريبيٍّ في العراق والشَّامِ واليمَن والإحساءِ والبحرَين، وتوالى على إمرتِهم عددٌ من القادَة منهُم -أيَّامَ المُكتفي- (أحمدُ بنُ زكرويه؛ صاحبُ الخال) صاحبُ مذبحةِ المعرَّة.

(٣) - نسبةً إلى جَنَّابَة: بلدةٌ صَغيرةٌ على سواحلِ فارِس.

(٤) - هجَر: كانَت قصبةَ (قاعدةَ أو عاصمةَ) بلادِ (البحرين) قديماً، وهيَ اليومَ مدينةٌ سُعوديَّةٌ ساحليَّة بينَ مُحافظةِ القَطيفِ وبينَ العَقيرِ ميناءِ مُحافظةِ الأحساء.

فقسَّمها بينَ أصحابِهِ ونهبَ دورَ أهلِ مكَّة[1] .

ومضَت الدُّهورُ على بلادِ البحرَين إلى أن جاءَتْ سنةُ (١١٩٧هـ-١٧٨٣م) وفيها استولَى (أحمدُ بنُ محمَّد آل خليفَة) على البحرَين (الجزيرَة)، ورتَّب أمورَها، وعادَ إلى (الزَّبارة)[2] بعدَ أن جعلَ على البحرَين أميراً مِن قِبَلِه، وتوفِّي (أحمدُ بنُ محمَّد آل خليفَة) سنةَ (١٢٠٩هـ-١٧٩٤م)، وتولَّى مكانَه ابنُه (سَلمان)، وكان حازِماً عادِلاً، أحبَّتْهُ الرَّعيةُ، ودانَت لهُ القبائلُ، وفي سنةِ (١٢١٢هـ-١٧٩٧م) نَقلَ جميعَ عائلتِه وحواشيَهُم من (الزَّبارة) إلى (البحرَين)، خشيةً عليهِم من غاراتِ (سُعودِ بنِ عبدِ العَزيزِ) الذي استفحلَ أمرُهُ، ثمَّ تغلَّبَ حاكمُ مسقَط على البحرَين، كما استولَى عليها أميرُ نجدٍ.

ووَلِيَ الإمارةَ (عبدُ الله بنُ أحمَدَ بن محمَّد آل خليفَة) بعدَ وفاةِ أخيهِ (سلمانَ) سنةَ (١٢٣٦هـ-١٨٢١م)، ولكنْ لَمْ يَصْفُ لهُ الحكمُ لكثرةِ ما حصلَ في زمانهِ من الفتَنِ والثَّوراتِ وخُروجِ بعضِ الرَّعايا علَيه.

ثمَّ استتبَّ لـ(محمَّد بنِ خليفة آل خليفَة) الأمرُ بالبحرَين، بعد أن هزمَ عمَّ أبيهِ في (وقعةِ المحرَق) أو (وقعةِ السَّايَة) سنةَ (١٢٥٨هـ-١٨٤٢م)، وحصلَت في عهدِه عدَّةُ وقائعَ حربيَّة.

ثمَّ قبضَ (محمَّدُ بنُ عبدِ الله آل خليفة) على زمامِ الحكمِ سنةَ (١٢٨٦هـ-١٨٦٩م)، وأرسلَ إلى قبائلِ قَطَر يحثُّها على مُناوأةِ (عيسى بنِ عليٍّ آل سَلمان) من آلِ خليفَة ومَن اجتمعَ معهُ وإخوانَه وبَني عمِّه، فبقيَ (آلُ سَلمان) أي عيسى ورَبعُه في حالةٍ سيِّئة، تارةً يهدِّدُهم (قاسمُ بنُ ثاني)، وطَوراً يتوعَّدُهم (جبرُ بن مهنَّا المسلَّمي)، يفعلانِ ذلكَ تقرُّباً إلى حاكمِ البحرَين (محمَّد بنِ عبد الله آل خليفَة).

ثمَّ قَدِمَ المعتمدُ الإنكليزيُّ (الكولونيل بيلي) المقيمُ في (بوشهر)[3] على بارجةٍ إلى البحرَين،

---

(١) – انظُر: البدايَة والنِّهايَة: لابنِ كثير: ١١/ ١٥٧، وشذَرات الذَّهب: ٢/ ٢٧٤، والوافي بالوفيَّات: ١٥/ ٢٢٥.

(٢) – الزَّبارة: مدينةٌ قطَريَّة تاريخيَّةٌ، تقعُ في الشَّمال الغربيِّ من شبهِ الجزيرةِ القطريَّة (دولةِ قطَر).

(٣) – أبو شَهر: أو (بوشَهر) مُحافظةٌ من مُحافظاتِ إيرانَ الثَّلاثين.

وسألَ (محمَّدَ بنَ عبدِ الله) عن الحاكمِ السَّابقِ (محمَّدِ بنِ خليفة)، فأجابَهُ بأنَّه قُتِلَ في المعركةِ، فاستخبرَ المعتمدُ ذلكَ فأُخْبِرَ بأنَّه مسجونٌ في (قلعةِ أبي ماهر)[1]، فذهبَ إليها بالبارجةِ وأحاطَها بالجُند، وأخرجَ (محمَّدَ بنَ خليفة) منَ السِّجن، وأركبَه معَه في البارِجة، ثمَّ أمرَ بإخراجِ جيشِ (آل عبدِ الله) من البحرَين، ثمَّ استشاروا رؤساءَ قبائلِ البحرَين وأعيانَ أهلِها فيمَن يختارونَه حاكماً علَيهم، فأجمَعوا على طلبِ (عيسى بن عليٍّ)، فكتبَ المعتمدُ البريطانيُّ إلَيه يَستقدِمُه، فأقبلَ مِن (قَطَر) بموكبٍ علَى البحرَين، ثمَّ أركبَ (محمَّدَ بنَ عبدِ الله) البارجةَ مع حاشيتِه، وأنزَلهُم في مُعتقَل (فلفلان)[2]، وتولَّى عيسى الإمارةَ في شعبان (١٢٨٦هـ-١٨٦٩م)، وعقَدت الحكومةُ البريطانيَّة مع عيسى المذكورِ معاهدةَ حمايةٍ تنصُّ على أن لا يَقبلَ أيَّ وكيلٍ سياسيٍّ غيرِ إنكليزيٍّ، وأن لا يَتعاقدَ أو يتنازلَ عن قطعةٍ من أراضيهِ لحكومةٍ أجنبيَّة، ثمَّ توسَّعَ هذا الحقُّ حتَّى شملَ القضايا التي فيها صالحُ الأجانِب.

وكان للبحرَين أسطولٌ شراعيٌّ كبيرٌ مسلَّحٌ استخدَمهُ أهلُ البحرَين لغَزوِ (قطر) و(القَطيف) و(دُبي) و(أبو ظبي)، واشتبكَ معها في وقائعَ، فخشيَ البريطانيُّون أن تسودَ الاضطِّراباتُ من جرَّاءِ ذلكَ في البرِّ، وتُشِلَّ حركةَ مِلاحَتِهم، وصادفَ أثناءَها أن كاتبَ (مدحت باشا) والِي بغدادَ والبصرةِ أحدَ أمراءِ البحرَين، يدعوهُ إلى الاتِّفاقِ مع الدَّولةِ العثمانيَّة وحليفتِها ألمانيا ضدَّ البريطانيِّين في سنةِ (١٣٢٢هـ-١٩٠٣م)، ووقعَ هذا الكتابُ بيدِ البريطانيِّين، فأدَّت هذِه البادرةُ إلى القضاءِ على الأُسطولِ الحربيِّ العربيِّ للبحرَين، وأُبعِدَ بعضُ الأمراءِ الذين كانت لهُم يدٌ في هذا، وأقنَعَت بريطانيا حاكمَ البحرَين بأن تتولَّى هي الدِّفاعَ الخارجيَّ عن البحرَين لقاءَ الحدِّ من قوَّةِ الأُسطولِ المُسلَّح.

وقد طالَ حكمُ (عيسى بنِ عليٍّ) حتَّى تجاوزَ الخمسينَ، وفي عهدِه تقدَّمت البحرَين في التِّجارةِ والثَّروةِ، واستتبَّ فيها السِّلمُ، وأخيراً، اتَّفقَت الحكومةُ البريطانيَّةُ مع أبنائِه على أن يَختِمَ

---

(١) - قلعةُ أبي ماهر: قلعةٌ في حالَة (أبو ماهر) جنوبَ مدينةِ المَحرَق في البَحرَين، والحالَة بمَعنى القريَةِ التي يُحيطُ بها البحرُ.

(٢) - معتقَل فِلْفِلان: في منطقةِ فِلْفِلان من قُرى أصبَهان في إيران.

والدُهم حياتَه السِّياسيَّة، وينوبَ عنهُ ابنهُ الأكبرُ (حَمد بنُ عيسَى آل خليفَة) سنةَ (١٣٤١هـ-١٩٢٣م)، فاحتجَّ الوالدُ على هذا العملِ الذي لا يتَّفقُ مع روحِ الصَّداقة، وقد تركَ عزلُه من إمارةِ البحرَين أسوأَ الأثرِ.

وقد أعقبَ هذا الانقلابُ تَغييراً في الإدارةِ، فوضعَ بجانبِ الشَّيخِ الحاكمِ مُستشاراً انكليزيّاً لمساعدتِه في الأمورِ الهامَّة، وأُقيمَ على الجمارِكِ مديرٌ بريطانيٌّ، واكتشَفتْ شركةُ نفطِ البحرَين الزَّيتَ بالبحرَين سنةَ (١٣٤٤هـ-١٩٢٥م)، وارتفعَ إنتاجُ الزَّيت فيها إلى ٣٠ألف برميل يوميَّاً.

ثمَّ وليَ الإمارةَ (سليمانُ بنُ حمَد آل خليفة) سنةَ (١٣٦١هـ-١٩٤٢م)، وفي عهدِه أُنشِئَت مدارسُ ابتدائيَّةٌ وثانويَّةٌ وصناعيَّةٌ.

٨- إمارةُ الكُوَيت :

ليسَ للكويتِ تاريخٌ قديمٌ، وأمَّا حكامُها الحاليُّون فهُم من (**آل صُباح**)، وأوَّلُ حاكمٍ منهُم (صُباح الأوَّل)، ويُقالُ: إنَّه توفِّي حوالي (١١٩٠هـ-١٧٧٦م)، ثمَّ وليَ الحكمَ (عبدُ الله بنُ صُباح)، وطمَحَت (بنو كعبٌ)[١] إلى الكويتِ، وجرَت بينَ آل صُباح وكعبٍ معركةٌ[٢]، كان النَّصرُ فيها حليفَ الكويتيِّين، ثمَّ غزا (إبراهيمُ بن عفيصان) أميرُ الإحساءِ بأهل (الخرج) و(العارض) وأهلِ (سدير)[٣] الكويتَ، فلَم يُفلِحوا، ثمَّ غزاها بعدهُ أميرُ الإحساءِ أيضاً (منَّاعُ أبو رجلين الزُّعبي)، ولَم ينجَح.

ثمَّ بُويعَ لـ(جابرِ بنِ عبدِ الله الصُّباح) بالإمارةِ سنةَ (١٢٢٩هـ-١٨١٤م)، وغزا ميناءَ

---

(١) - قبيلةُ بني كعبٍ بنِ ربيعةَ بنِ عامِر: من شيعةِ العرَب، وكانوا حكَّامَ عربستان (مُحافظة خوزستان بعد١٩٢٥م) في إيران.

(٢) - عُرِفَت بمعركةِ الرقَّة البحريَّة، بين آل الصُّباحِ في الكويت وبني كعبٍ في (١٢آب ١٧٨٣م)، وكانَت في منطقةِ الرقَّة جانبَ جزيرة (فيلكة) الكويتيَّة، شَمالَ غربِ الخليجِ العربيِّ.

(٣) - الخرجُ: اليومَ محافظةٌ تابعةٌ لإمارةِ منطقةِ الرِّياض السُّعوديَّة، في جنوبها الشَّرقيِّ. والعارضُ: أو (عارضُ اليَمامَة) إقليمٌ تاريخيٌّ من أقاليمِ منطقةِ نَجدٍ السُّعوديَّة. وسدير: إقليمٌ تاريخيٌّ كذلك شمالَ مدينةِ الرِّياض السُّعوديَّة.

الكُويت، ثمَّ إنَّ ثلَّةً من الإنكليزِ هبطُوا الكويت، وحاوَلوا إقناعَ (جابر) بحملِ الرَّايةِ الإنكليزيَّةِ، فلَم يقنَع، وقالَ: إنَّ الحكومةَ العُثمانيَّةَ جارتُنا، وجلُّ ما نحتاجُه يأتينا من بلدِها البصرةِ التي لها فيها الأمرُ والنَّهي.

وتولَّى الحكمَ (صُباح بنُ جابرٍ) بعدَ وفاةِ أبيه سنةَ (١٢٧٦هـ-١٨٥٩م)، ولَم يحدُث في أيَّامه حوادثُ تُذكَر.

ثمَّ وليَ الحكمَ (عبدُ الله بنُ صُباح) عقبَ وفاةِ أبيهِ في رجَب (١٢٨٣هـ-١٨٦٦م)، وحاولَ (سعودُ آل سعود) غزوَ الكُويت، ولمَّا علمَ باستعدادِ الكويتيِّين لقتالِه رجعَ من حيثُ أتَى، وفي سنةِ (١٢٩٥هـ-١٨٧٨م) غزَا (محمَّد آل الرَّشيد) الكُويتَ، وهجَمَ على عُربانِها المُقيمينَ في أطرافِها.

وتولَّى الإمارةَ (محمَّد بنُ صُباح) بعد وفاةِ أخيهِ في ذي القعدة (١٣٠٩هـ-١٨٩٢م)، ثمَّ قبضَ زمامَ الحكمِ (مباركُ بنُ صُباح) بعدَ أن قتلَ أخوَيه محمَّداً وجَراحاً سنةَ (١٣١٣هـ-١٨٩٥م) وامتازَ عهدُه بحوادثَ عظيمةٍ منها: أنَّه في مطلعِ سنةِ (١٩٠٠م-١٣١٧هـ) جاءَ القنصلُ الألمانيُّ (ستمريخ) من القُسطنطينيَّةِ على رأسِ بعثةِ مساحةٍ لخطِّ (برلين- بغداد)، وأرادَ مفاوضةَ (مبارك بن الصُّباح) من أجلِ تحديدِ موقعِ نهايةِ الخطِّ عندَ (رأس كاظِمة)[1]، ولكنَّ أميرَ الكويتِ ردَّهُ بحسَب شروطِ المعاهدَة. وفي سنةِ (١٣١٧هـ-١٩٠٠م) اشتعلَت نيرانُ الحربِ بينَ (مُبارك) و(آل رشيد)، وأخذَ (مباركُ) يهاجمُ قوافلَهم التي كانت تتوجَّهُ إلى (السَّماوة)[2] في العراق، لنقلِ الطَّعامِ والثِّيابِ والسِّلاح منها إلى (حائل)[3]، غيرَ أنَّ قوَّةً كان يقودُها (عبدُ العزيز

(١) - رأس كاظمَة: كاظمةُ اليومَ أحدُ مناطق الكويت، تقع في الشَّمالِ الغربيِّ من (جون- أي خليج- الكويت)، يُطلقُ على السَّاحلِ الشَّرقيِّ منها (دوحةُ كاظمة)، وتمتدُّ على شكل لسانٍ داخلَ البحرِ (الخليج العربيِّ) غرباً، ويطلقُ على نهايتهِ (رأسُ كاظمة).

(٢) - السَّماوَة: مدينةٌ عراقيَّة تقعُ جنوبَ العراقِ على ضفافِ نهرِ الفراتِ، وهي مركزُ محافظةِ المُثنَّى جنوبَ غربِ بغداد.

(٣) - حائل: منطقةٌ سعوديَّةٌ في شَمالِ غربِ المملكَة.

ابنُ رشيدٍ)[1] بنفسِه، قضَت على جيشٍ كان يقودُه (مبارك الصُّباح) في معركةِ (الصَّريف) بنَجدٍ في سنةِ (٢٥ذي القعدة١٣١٨هـ-١٧آذار١٩٠١م).

وعلى إثْرِ هذه الهزيمةِ أرادَ (ابنُ رشيدٍ) مهاجمةَ الكُويت، ولكنَّه اضطرَّ إلى العودةِ لقيامِ بعضِ القبائلِ عليهِ ي الجنوبِ، كما أنَّ قوَّةً تركيَّةً أرادَت مساعدتَه في مهاجمةِ الكُويتِ ولكنَّها اضطرَّت أيضاً إلى الانسحابِ بعدَ أن بعثَ الإنكليزُ بارجةً لحمايةِ (مبارك الصُّباح)، وأنذَروا الأتراكَ بوجُوبِ سحبِ جنُودِهم.

وفي سنةِ (١٣٣١هـ-١٩١٣م) اعترفَت تركيًّا بالمعاهداتِ والاتِّفاقيَّات التي عُقِدَت بين إنكلترا وأميرِ الكُويت، وبأنَّ الكويتَ قضاءٌ مستقلٌّ في أمورِه الدَّاخليَّة وتابعٌ للدَّولةِ العُثمانيَّةِ وتحتَ حمايةِ إنكلترا.

وفي عهدِ (مباركٍ) مَنَحَ الأتراكُ الألمانَ امتيازَ خطِّ (برلين- بغداد)، وبدأَ هؤلاء يعملونَ بمدِّ هذا الخطِّ حتَّى ينتهيَ عندَ الكويتِ على الخليجِ العربيِّ، ممَّا أقلقَ الإنكليزَ وجعلَهم يتدخَّلونَ في الأمرِ ويضَعون العراقيلَ في طريقِ هذا المَشروع، وذلكَ بمحاولةِ السَّيطرةِ على الكويتِ التي أرادَ الألمانُ أن ينتهيَ خطُّهم الحديديُّ عندَها أو بقُربِها، فأوعزَ نائبُ الملكِ في الهندِ إلى (ميد) المقيمِ الإيطاليِّ في (بوشهر) ليُسارعَ بعقدِ معاهدةٍ مع (مُبارك بن صُباح)، وقد وقَّعَ مباركٌ هذه **المعاهدةَ** في (١٠رمضان١٣١٦هـ-٢٣كانون الثَّاني١٨٩٩م) لأسبابٍ أهمُّها موقفُ الأتراكِ منهُ، وخوفُه من دسائسِ خَصمِه (يوسفَ بنِ عبد الله آل إبراهيم)، وخشيتُه من مهاجمةِ (ابنِ رشيد) لبلادِه.

وكانَ من أهمِّ موادِّ المعاهدةِ أنَّ أميرَ الكويتِ يتعهَّدُ بأن لا يُؤجِّرَ ولا يمنحَ أيَّ جزءٍ من منطقتهِ أو إمارتهِ لأيَّةِ دولةٍ إلَّا لإنكلترا أو رعاياها، وأنَّه لا يَقبلُ ممثِّلينَ للدُّولِ الأجنبيَّةِ إلَّا بعدَ موافقتِها، ومقابلَ ذلكَ تُقدِّمُ له إنكلترا معونةً ماليَّة، وتحميهِ من هجَماتِ أعدائِه، وتَعتبرُ الكويتَ إمارةً مستقلَّةً في شؤونِها الدَّاخليَّة، ثمَّ أن يكونَ لإنكلترا ممثِّلٌ لدى أميرِ الكُويت، وكذلكَ قبِلَت

---

(١) – عبد العزيز المتعب بن الرَّشيد الشُّمَّري: سادسُ حكَّامِ آلِ الرَّشيدِ في حائل، قُتلَ سنةَ (١٩٠٦م) في معركةِ (روضةِ مهنَّا) التي دارَت بين آل سُعودٍ وآلِ الرَّشيد.

إنكلترا بأن يقومَ الألمانُ بمدِّ (خطِّ برلين- بغداد) إلى البصرةِ على أن تتولَّى شركةٌ انكليزيَّةٌ مدَّ فرعٍ للخطِّ من البصرةِ إلى الكُويت.

وفي سنةِ (١٣٣٣هـ-١٩١٥م) عُقدَت معاهدةٌ بين (مبارك بن صُباح) و(عبدِ العزيزِ بنِ سُعود) نصَّت على اعترافِ آل سُعودٍ بوَضعِ الكويتِ الجديدِ وبحُدودِها.

ثمَّ تولَّى الإمارةَ (جابرُ بنُ مبارك) بعد وفاةِ والدِه في سنةِ (١٢المحرم١٣٣٤هـ-١٩١٥م)، فكانَت باكورةُ أعمالِه إعفاءَه الكويتيِّين من ضريبةِ الثُّلُثِ على العَقاراتِ التي أَثقَلَ بها أبوه مباركٌ كواهلَهم، وإرجاعَ بعضِ البيوتِ المغصوبةِ إلى أربابِها، وكان حكمُه على الكويتيِّين سعيداً، وانهالَت الأرباحُ الطَّائلةُ علَيهم، وسيَّروا تجارتَهم إلى نَجدٍ والحجازِ والشَّامِ والعراقِ والقُسطنطينيَّةِ وغيرِها.

ثمَّ تولَّى الإمارةَ (سالمُ بنُ مباركٍ) بعدَ وفاةِ أخيهِ في (ربيع الأوَّل١٣٣٥هـ-١٩١٦م)، وكان عفيفاً، عدوَّاً لَدوداً للفِسق والفُجور، فعملَ على تطهيرِ بلدِه منهُما، ووقعَت معاركُ بينَ (سالمٍ) و(ابنِ سُعود) ذهبَت فيها أرواحٌ عديدةٌ.

وفي رجَب (١٣٣٩هـ-١٩٢١م) بعدَ قضاءِ (أحمدِ بن جابرٍ) مهمَّةَ الصُّلح بين عمِّهِ سالمٍ وابن سُعود، وبعدَ رجوعِه إلى الكويت، تقدَّم إليهِ الكويتيُّون فبايَعوه بالإمارةِ، وبقي في الحكمِ (ثلاثين عاماً)، نظَّمَ فيها كثيراً من مرافِق البلادِ، وفي عهدِه ظهرَ النِّفطُ، وأَعطى امتيازاً لشركةٍ انكليزيَّة.

ثمَّ تولَّى الإمارةَ بعد وفاةِ أحمدَ بنِ جابرٍ (عبدُ الله السَّالم الصُّباح) سنةَ (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)، وبعدَ نهايةِ الحربِ العالميَّة الثانية أخذَت هذه الشَّركةُ الإنكليزيَّةُ تحفرُ الآبارَ، حتَّى بلغَ عددُها (١٨٥بئراً) في سنةِ (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م)، يتدفَّقُ النِّفطُ من بعضِها في أنابيبَ ضخمةٍ إلى حاملاتِ النِّفط الراسيةِ في ميناءِ (الأحمدي) على بُعدِ بضعِ كيلومتراتٍ، وقد بلغَت كمِّيةُ ما صُدِّرَ من النِّفط في سنةِ (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م) (٥٥مليون طنّ)، ويعادلُ الاحتياطيُّ الثابتُ من النِّفط في أرضِ الكويت نصفَ احتياطيِّ الولاياتِ المتَّحدةِ الأمريكيَّة أيَّامئذٍ، وبحسَب الاتِّفاقيَّة الجديدةِ

بين شركةِ الزَّيتِ الكويتيَّةِ وبينَ حكومةِ الكويتِ قدِّرت حصَّةُ الكويتِ من أرباحِ النِّفط بنحوِ (مئة مليون جنيه إسترليني)، وهي نصفُ أرباحِ الشَّركةِ في ذلكَ الوقت.

وفي عهدِ (عبدِ الله السَّالمِ الصُّباحِ) أميرِ الكويت تقدَّمت إمارةُ الكويت تقدُّماً مَلحوظاً في العُمرانِ والتَّعليمِ والاقتصادِ، فبدأَ يُهاجرُ إلَيها كثيرٌ من أبناءِ الدُّولِ العربيَّةِ والأجنبيَّةِ للرِّزقِ والعمَل.

٩- السُّعوديُّون (نَجد):

أسَّس (محمَّدُ بنُ سُعود) في (١١٥٠هـ-١٧٣٧م) حكومةً في (نجد)[١]، بعدَ أن تأثَّر بتعاليمِ (ابنِ عبدالوهاب) الدِّينيَّة، فكانَ المُحاميَ الحربيَّ لعقائدِ ابنِ عبدِ الوهَّابِ الجديدةِ، وكانت قوَّةُ محمَّد بنِ سُعُود في الابتداءِ صغيرةً ثمَّ قوِيَ وتغلَّبَ على (نجدٍ) وأغلبِ العشائرِ الكبيرةِ من العربِ الذين يأتونَ كلَّ سنةٍ إلى تلكَ الأرَضين في طلبِ المَرعى، وكان أقدمُ أعدائهِ وأشدهُم كراهةً لهُ (عرار) شيخَ (الحسا)[٢]، فأرسلَ عليهِ أوَّلَ جيشٍ سنةَ (١١٧٠هـ-١٧٥٧م) فهزمَ محمَّدُ بنُ سعودٍ هذا الجيشَ وبدَّدَ شملَهُ.

وبعدَ وفاةِ محمَّدِ بنِ سُعود سنةَ (١١٧٩هـ-١٧٦٥م) قامَ ابنُه (عبدُ العزيزِ) بالأمرِ، وقادَ الجيشَ الوهَّابيَّ إلى أقصى أقاليمِ بلادِ العربِ، فانتصرَ فيها نصراً ظاهراً، وتغلَّب الوهَّابيُّون على (أرضِ الحجازِ).

وبعدَ وفاةِ عبدِ العزيزِ سنةَ (١٢١٨هـ-١٨٣٠م) انتخبَ الوهَّابيُّون ابنَه (سُعودَ بنَ عبدِ العزيزِ) خليفةً من بعدِه باتِّفاقِ الآراء، فأغارَ سعودٌ على جهاتِ (حضرمَوت) و(عُمان) حتَّى طاعَتْهُ ملُوكُها وانقادَت لسُلطتِه، واتَّفقوا مع سُعودٍ على أن يدفَعوا لهُ خَراجاً سنويَّاً، غيرَ أنَّهم بعدَ

---

(١) - نجد: هضبةٌ في وسطِ شبهِ الجزيرةِ العربيَّة، وهي أكبرُ إقليمٍ جغرافيٍّ في جزيرةِ العربِ وفي المملكةِ العربيَّة السُّعوديَّة اليومَ، ترتفعُ ما بينَ (٧٠٠ إلى ١٥٠٠م) فوقَ سطحِ البحر، وتشملُ المناطقَ الواقعةَ ما بين جبالِ السَّروات في الحجازِ غرباً، إلى صحراءِ الدَّهناءِ شرقاً، و نجدٌ في اللُّغة: الأرضُ المرتفعَة.

(٢) - الحسَا: أو الأَحساء، مُحافظةٌ سُعوديَّةٌ في المنطقةِ الشَّرقيَّةِ للمَملكة.

مرورِ سنةٍ نكثُوا طاعتَهم لهُ، فسَاقَ سُعودٌ إلى تلكَ الجهاتِ جيوشَهُ فاحتلَّتها وأخضعَتْها، وقويَت شوكةُ الوهَّابيِّين في بلادِ العربِ، فأوعزَت الحكومةُ العثمانيَّةُ إلى (محمَّد علي باشا الكبير) بالتَّجهُّزِ لحربِ الوهابيِّين، فصدعَ (محمَّد عليّ) بالأمرِ، وبدأَت الحملاتُ العسكريَّةُ من مصرَ سنةَ (١٢٢٦هـ-١٨١١م)، فاحتلَّت (ينبُع)[١] في السَّنةِ نفسِها، وبالرُّغمِ من انكسارِ (طوسُون بنِ محمَّد عليّ) في (وادي الصَّفراء)[٢] فإنَّ (محمَّد عليّ) أعادَ الكرَّةَ مرَّةً أُخرى، وأخذَ يَستميلُ بالمالِ رؤساءَ الأعرابِ، والشَّريفُ (غالبُ بنُ مُساعدٍ) أميرُ مكَّة يُمهِّدُ لهُ السَّبيلَ حتَّى تمكَّن من استردادِ مكَّةَ والمدينةِ والطَّائفِ[٣] سنةَ (١٢٢٨هـ-١٨١٣م) .

وتوفِّي سُعودُ بنُ عبدِ العزيزِ في ربيعِ الثَّاني (١٢٢٩هـ-١٨١٤م) بـ(الدَّرعيَّة)[٤]، فخلَفه ولدُه (عبدُ الله بنُ سُعود)، وكانت الحربُ مستمرَّةً بينَ نجدٍ ومحمَّد عليّ باشا، فلَم يَستطع أن يُمسِكَ زمامَ الإمارةِ بيدٍ من حديدٍ، كما لَم يستطعْ أن يُديرَ الحربَ بمهارةٍ كما كانَ يُديرُها أبوهُ، وافتتحَ عهدَ إمارتِهِ بخلافاتٍ عائليَّةٍ بينَه وبينَ عمِّه (عبدِ الله)، وتغلَّب عبدُ الله بنُ سُعودٍ على عمِّه، غيرَ أنَّ التَّصدُّع قَد بدأَ، وانحلالَ الإمارةِ قد ظهرَ، وأخذَ أعداءُ الإمارةِ السُّعوديَّةِ من النَّجديِّين يستفيدونَ من الفرصةِ، فكاتَبوا (محمَّد عليّ) سرَّاً، وأرسلَ (محمَّد عليّ) جيشاً بقيادةِ ابنِه (إبراهيم)، فانهزمَ جيشُ عبدِ الله بنِ سُعودٍ، وسقطَت إمارةُ آلِ سُعودٍ على عهدِه، ودخلَ (إبراهيم باشا) الدَّرعيَّةَ، وقبضَ على عبدِ الله بنِ سُعود، وأرسلَهُ إلى القُسطنطينيَّة، وتَبعَ هذِه الهزيمةَ استيلاءُ المصريِّينَ على القسمِ الجنوبيِّ من الحجازِ .

وحانَت الفرصةُ لآلِ سُعودٍ مرَّةً ثانيةً، واختلفَ آلُ سُعودٍ فيما بينَهم على الإمارةِ، كما طمعَ

---

(١) – يَنبُع: مدينةٌ سعوديَّةٌ على ساحل البحرِ الأحمرِ في منطقةِ المدينةِ المنوَّرة.

(٢) – معركةُ وادي الصَّفراء: وقعَت عامَ (١٨١٢م) بين قوَّاتِ ولايةِ مصرَ العثمانيَّة بقيادة طوسُون باشا، وقوَّاتِ الدَّولةِ السُّعوديةِ الأولى قربَ وادي الصَّفراء، بينَ المدينةِ ويَنبُع، وانتهَت بانتصارِ السُّعوديِّين، وانسحابِ طوسون بقوَّاته إلى يَنبُع.

(٣) – الطَّائف: مُحافظةٌ سعوديَّةٌ في منطقةِ مكَّة المكرَّمة، على قمَّة (جبلِ غزوان).

(٤) – الدَّرعيَّة: مدينةٌ سعوديَّة شمالَ غربِ مدينةِ الرِّياض.

غيرُهم بِها، فطمعَ (محمَّد بنُ مشاري بنِ مَعمر) في الإمارةِ، فانتقلَ منَ (العينيَّة)[1] إلى (الدَّرعيَّة)، وأخذَ يستميلُ النَّاسَ إليهِ، فدانَت لهُ (العارضُ) و(الوشمُ) و(سدير)[2]، غيرَ أنَّ أمرَ (ابنِ مَعمر) لَم يَطُل، فإنَّ (مشاري بنَ سُعودٍ) وصلَ إلى (الدَّرعيَّة) في جُمادى الأولى (١٢٣٥هـ-١٨٢٠م)، وانتزعَ الأمرَ من (ابنِ مَعمر) بلا مُقاومةٍ تُذكر، وبايعَ ابنُ مَعمر (مشاري بنَ سُعودٍ) غيرَ أنَّ ابنَ مَعمر قامَ ثانيةً فاستردَّ الإمارةَ، وألقى القبضَ على (مشاري)، ثمَّ قامَ (تُركي بنُ عبدِ الله بنِ سُعودٍ) فثأرَ لمشاري، وقبضَ على (ابنِ مَعمر) وولدِه وقتلَهما، ويُعدُّ **(تركي)** المُنشئَ للإمارةِ الثَّانية لآلِ سُعودٍ.

وقد تمكَّن (تركي) بعدَ محاولاتٍ من استردادِ (الرِّياضِ)[3] التي جعلَها مقرَّاً لهُ، ومن إخضاعِ (نجدٍ) كلِّها، وفي آخرِ سنةِ (١٢٤٩هـ-١٨٣٣م) دبَّر (مشاري بن عبدِ الرَّحمن) لتُركي مؤامرةً اغتِيلَ بها، وأعلنَ نفسَهُ أميراً علَى نجدٍ، وكان فيصلُ بنُ تركي في (القَطيف)[4] فلمَّا سمعَ بخبرِ أبيهِ رجعَ إلى الرِّياضِ وثأر لأبيهِ، فحاصرَ (مشاري بنَ عبدِ الرَّحمن) في قصرِه وقتلَه ومَن ساعدَه في المؤامرةِ، وأعلن نفسَه إماماً وحاكماً على (نجد).

ولقَد هالَ الأتراكَ ومحمَّد عليّ أمرُ نجدٍ مرَّة أُخرى، فأرسَلوا حملةً عسكريَّةً ومعَها (خالدُ بنُ سُعود)، فأصبحَت الحربُ أهليَّةً بينَ آلِ سُعود، وقد استمرَّت هذِه الحربُ بين (خالد بنِ سُعود) ومعهُ جنودُ محمَّد عليّ ومَن تبعَهُم من النَّجديِّين، وبينَ (فيصل بن تركي) والنَّجديِّين المُوالينَ لهُ. وكانت الحربُ سِجالاً بينَ الفريقَين، ثمَّ أوفدَ (خورشيد باشا) إلى (نجدٍ) سنةَ (١٢٥٤هـ-١٨٣٨م) حملةً عسكريَّةً للقضاءِ على (فيصل بن تركي)، وانضمَّ إليهِ خالدُ بنُ سُعود،

---

(١) - العينيَّة: منطقةٌ سُعوديَّةٌ شَمالَ غربِ الرِّياض.

(٢) - العارضُ: أو (عارضُ اليَمامَة) إقليمٌ تاريخيٌّ من أقاليمِ منطقةِ نَجدٍ السُّعوديَّة. والوَشم: كذلكَ، ويتبعُ لإقليمِ اليمامَةِ جنوبَ شرقِ المملكة، وهو في مُحافظةِ الخَرج. وسدير: إقليمٌ تاريخيٌّ كذلك شمالَ مدينةِ الرِّياض السُّعوديَّة.

(٣) - الرِّياض: عاصمةُ المملكةِ السُّعوديَّةِ اليومَ، وتقعُ في منطقةِ نجدٍ، وفي قلبِ شبهِ جزيرةِ العرَب، ويسكُنها نحوُ ربعِ سكَّانِ المملكة.

(٤) - القَطيف: مدينةٌ سُعوديَّةٌ، فيها واحةُ القَطيفِ السَّاحليَّة، على الضفَّةِ الغربيَّة للخليجِ العربيِّ.

وساروا إلى فَيصل في (الدَّلَم) من إقليمِ (الخرج)[1]، وبعدَ معاركَ داميةٍ استسلمَ فَيصلٌ لخورشيد، وأُرسِلَ مع أخيهِ (جلوى) وولدَيه (عبدِ الله) و(محمَّد) إلى مصرَ.

ثمَّ تمكَّن (فيصلُ بنُ تركي) من الفِرارِ من مصرَ، وبعد مدَّةٍ قصيرةٍ تمكَّن من استعادةِ إمارتهِ القديمةِ ما عدَا الحجاز، وقَد ساعدَهُ على ذلكَ انسحابُ الجيوشِ المصريَّةِ من شبهِ جزيرةِ العرَبِ، بمُوجبِ (معاهدةِ لُندن) سنةَ (١٢٥٦هـ-١٨٤٠م)[2].

وبوفاةِ فَيصل بنِ تُركي سنةَ (١٢٨١هـ-١٨٦٦م) أوجدَ التَّنافسُ بينَ ولدَيه (عبدِ الله) و(سُعود) سبيلاً لأعدائِهم، فاستَفادوا من مُقاتلةِ الأخَوَين، حتَّى انتهَى الأمرُ أخيراً بالقضاءِ على إمارةِ آلِ سُعودٍ مرَّةً أُخرى.

١٠- المَملكةُ العربيَّةُ السُّعوديَّة :

خرجَ (عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ آل سُعود) منَ الكُويت سنةَ (١٣١٩هـ-١٩٠١م)، ومعَه (أربعونَ رجلاً) كلُّهم من آلِ سُعودٍ والمُوالينَ لهُم، وسارَ بجماعتهِ وقَد التفَّ حولَهُم (عشرونَ رجلاً)، فوصلَ إلى حدودِ (الرِّياض) أوَّلَ اللَّيل، فتركَ من قومهِ هنالكَ (عشرينَ رجلاً) على مسافةِ ساعتَين من الرِّياض، وتقدَّم بالأربعينَ الآخَرين، ولمَّا وصلَ (الشَّمسيَّة)[3] خارجَ الرِّياضِ تركَ من جماعتِه ثلاثينَ على رأسِهم أخوهُ (محمَّد بنُ عبد الرَّحمن)، ثمَّ تسلَّق سورَ البلدِ، ودخلَ عبدُ العزيزِ القصرَ بأُعجوبةٍ، وتبعَهُ من رجالهِ خمسةَ عشرَ فقط، وكمَنوا في داخلِه، وبعد دقائقَ خرجَ (عجلانُ) أميرُ الرِّياضِ من قِبَلِ (ابنِ الرَّشيد)، فصادَفوه في الطَّريق، فأدركَهُ

---

(١) - الدَّلَم: مدينةٌ في وسَطِ المملكةِ السُّعوديَّة. والخَرجُ: اليومَ محافظةٌ تابعةٌ لإمارةِ منطقةِ الرِّياض السُّعوديَّة، في جنوبها الشَّرقيِّ.

(٢) - معاهدة لندن (١٥يوليو١٨٤٠م) أو (معاهدةِ لوندرَة) في بريطانيَا: بين إنكلترا وروسيا والنِّمسا وألمانيا وتركيَّا، لتنظيمِ العلاقاتِ بينَ محمَّد علي باشا والسُّلطان العثماني محمود الثَّاني، ولتسويةِ المسألةِ المصريَّة. نصَّت المعاهدةُ على مَنح محمَّد علي وأسرتهِ الحكمَ الوراثيَّ في مصرَ، بشرطِ أن تبقَى مصرُ ولايةً عثمانيَّة، أي أن تسريَ فيها المعاهداتُ والقوانينُ المعمولُ بها في الدَّولةِ العثمانيَّة. هذِه المعاهدةُ وضعَت مصرَ تحتَ الوصايةِ الأوروبِّية، وفتحَت بابَ التدخُّلِ الأجنبيِّ في شؤونها.انظُر:ص٢١٧ من هذا الكتاب.

(٣) - الشَّمسيَّة: منطقةٌ في البَطحاءِ في مدينةِ الرِّياضِ السُّعوديَّة.

عبدُالعزيزِ بطَلْقةٍ لَم تُدرِكْ منهُ مَقْتلاً، فتبعَهُ عبدُ العزيزِ، وتصارعَ ابنُ سُعودٍ وعجلانُ، وأخذَ رجالُ عَجلانَ يُطلقونَ النَّارَ من نوافذِ الحصنِ المُشرفةِ على السُّوقِ، فقتَلوا اثنَين من رجالِ عبدالعزيزِ آل سُعود، وجرَحوا أربعةً، وتراجعَ المُهاجِمونَ، وهُنا دخلَ (عبدُ الله بنُ جلوى) ابنُ عمِّ عبدِ العزيز، وعدَا وراءَ عجلانَ الذي أفلَتَ من عبدِ العزيزِ فرماهُ بطَلقةٍ أودَت بحياتِه، وبعدَ ساعةٍ من تبادُلِ النِّيرانِ بينَ رجالِ عبدِ العزيزِ وحرَسِ القَصر، سلَّم حرسُ القصرِ على أن يُترَكُوا أحياءً ظنّاً منهُم أنَّ عبدَ العزيزِ معَهُ من الجُندِ ما يكفي للقضاءِ علَيهم، وما كادَ النَّهارُ لِينتصفَ حتَّى أذَّن المُؤذِّنُ أنَّ الحكمَ لله ثمَّ لعبدِ العزيزِ بنِ عبدِ الرَّحمن، وأنَّ عجلانَ عاملَ ابنِ الرَّشيدِ قد قُتِلَ، فسَمِعَ النَّاسُ وأطاعُوا.

وأخذَ (عبدُ العزيزِ) بعدَ فتحِ الرِّياضِ يعملُ لنقضِ إمارةِ (ابنِ الرَّشيدِ) واستردادِ مُلكِ آبائِه، وقد تمَّ لهُ ما أرادَ، ومكثَ أكثرَ من (عشرينَ سنة) يُجالدُ ويُغالبُ الخصومَ من النَّجديِّينَ والأشرافِ والأتراكِ، يَضربُهم حيناً، ويَلينُ حيناً يَرى السِّياسةَ واللِّينَ أنجحَ من الخِصامِ والقتال.

ثمَّ ولَّى (عبدُ العزيزِ) وجهَهُ شطْرَ (الحجاز)، حيثُ أخذَت من سنةِ (١٣٤٠هـ-١٩٢٢م) علاقاتُ (**الشَّريف حُسين الأوَّل الهاشميُّ**)[1] تَسوءُ مع المِصريِّين، كما ساءَت بينَه وبينَ الإنكليز، ولَم ينتصِفْ شهرُ المُحرَّم من سنةِ (١٣٤٣هـ-١٩٢٤م)، حتَّى بدأ الإخوانُ[2] بمُناوشتِهم معَ باديةِ الحجازِ، ثمَّ أخذوا يتقدَّمونَ فاستولَوا على (الطَّائف) في (٥صفر) من العامِ نفسِه، وجمعَ (حُسين

(١) - الشَّريفُ حسينُ بنُ عليٍّ: شَريفُ مكَّة، آخرُ مَن حكمَ مكَّةَ من الأشرافِ الهاشميِّين. وهو جدُّ الملك (حُسين بن طلالِ بنِ عبدِ الله بنِ الحُسَين) ملكِ المملكةِ الأردنيَّة الهاشميَّة السَّابق، ووالدُ الملكِ فيصلِ الأوَّل ملكِ العراقِ بعد نهايةِ الحربِ العالميَّةِ الأولى. اشتُهر بقيادتهِ للثَّورةِ العربيَّة الكُبرَى ضدَّ الأتراكِ في الحربِ العالميَّةِ الأولى في (١٩١٦م)، ماتَ في عمَّان، ودفِنَ في المَسجدِ الأقصَى سنةَ (١٣٥٠هـ-١٩٣١م).

(٢) - الإخوانُ: أو (إخوانُ مَن أطاعَ الله)، اسمٌ يُطلَقُ على البدوِ الذين هَجروا حياةَ الباديةِ والغَزوِ والتَّرحالِ إلى حياةِ الاستقرارِ في (الهُجَر)، وكانَت أوَّلُ هِجرةٍ لَهُم سنةَ (١٩١١م) إلى هَجرةِ (الأرطاويَّة) شمالَ الرِّياض، وتوزَّعت بعدَها إلى أنحاءِ المملكةِ السُّعوديَّة، وبَلغَت نحوَ (٢٠٠) هَجرةٍ. وهَجرة في المصطلحِ الحديثِ للمجتمعِ السُّعوديِّ تعني قريةً أو مكاناً استُحدِثَ لتوطينِ باديةِ الصَّحراءِ فيه، وهي سياسةٌ اعتمدَها مؤسِّسُ المملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّة الملكُ عبدُالعزيزِ آل سُعود بدءاً من عامِ ١٩١٢م.

الأوَّلُ) ما لدَيهِ من جنودٍ، وسيَّرهُم إلى الطَّائفِ لضربِ الإخوانِ وطَردِهم منها، وهُنا كانت **(معركةُ الهُدى)** التي هُزِمَت فيها جنودُ (حسين الأوَّل)، وتنازلَ حُسينٌ عن المُلكِ لولدِه (عليِّ بنِ الحُسَين)، ثمَّ دخلَ الإخوانُ مكَّةَ صُلحاً، وتولَّى الشَّريفُ (خالدُ بنُ منصورٍ بنُ لؤيّ) إمارةَ مكَّة على إثرِ تَعاونِه مع آلِ سُعودٍ ضدَّ قريبِه الشَّريفِ حُسين.

وقد مضَت مدَّةُ الحربِ دائرةً بينَ الطَّرفَين، وكثيرٌ من الحكوماتِ الإسلاميَّةِ وغيرِ الإسلاميَّة قد توسَّطَت فما نفَعت الوَساطَةُ، وظلَّت الحربُ قائمةً حتَّى استسلَمت (جُدَّة)[1] آخرُ المُدنِ الحجازيَّة.

وبايعَ أهلُ الحجازِ في (٢٢جُمادى الآخرة١٣٤٤هـ-كانون الثّاني١٩٢٦م) (عبدَ العزيزِ بنَ عبدِ الرَّحمن آل سُعود) مَلِكاً على الحجازِ وغيرِها من البُلدانِ التي يحكمُها عبدُ العزيز، ثمَّ أُعلِنَ سنةَ (١٣٥١هـ-١٩٣٢م) توحيدُ (نجدٍ والحجازِ والأقطارِ الخاضعةِ لهُ)، وسمِّيت **المملكةُ العربيَّةُ السُّعوديَّة**، واشترَكَت في تأسيسِ الجامعةِ العربيَّةِ، كما انتُخِبَت عُضواً في هيئةِ الأُممِ المتَّحدة في (٥ربيع الأوَّل١٣٧٣هـ-١٩٥٣م). وبعد وفاةِ عبدِ العزيزِ آل سُعودٍ خلَفَهُ على عَرشِ المملكةِ أكبرُ أنجالِه وليُّ العهدِ (سُعودُ بنُ عبدِ العزيز).

١١- المَملكةُ الهاشِميَّةُ (الحجاز والشَّام):

أعلنَ الشَّريفُ (حُسين الأوَّل الهاشميُّ) **الثَّورةَ العربيَّةَ الكُبرَى** بالحجازِ في (شعبان١٣٣٤هـ-حُزيران ١٩١٦م)، قبلَ أن يستعدَّ العربُ لها ويدَّخروا من السِّلاحِ والمعدَّاتِ ما يَضمنُ لهمُ الوقوفَ في وجهِ قوَّاتِ التُّرك.

ومن حُسنِ الحظِّ أنَّ حاميةَ (جُدَّة) كانت أوَّل حاميةٍ تركيَّة استسلَمت للعرَبِ في الحجازِ، فقَد رفعَت رايةَ التَّسليمِ في (١٦حُزيران) من العامِ نفسِه، وكانَ يبلُغ عددُ رجالها (١٣٤٦جنديًّا)،

---

(١) - جُدَّة: مدينةٌ سعوديَّةٌ، في منتصفِ ساحلِ البحرِ الأحمرِ الشَّرقيِّ، تلقَّبُ اليومَ بعروسِ البحرِ الأحمرِ، وتعدُّ العاصمةَ الاقتصاديَّةَ والسِّياحيَّةَ للمملكةِ.

بينهم (٢٠ضابطاً)، وغنِمَ العربُ من جدَّة (١٠مدافع ميدان)، و(٤مدافع جبليَّة)، و(٤رشَّاشات)، ومُستودَعاً كبيراً للأسلحةِ والذَّخائر.

واستعانَ العربُ بالمدافعِ التي غَنِمُوها في جُدَّة على ضربِ الحاميةِ التركيَّة، وكانَت متحصِّنة بـ(قلعةِ جيادٍ)[1] في مكَّة، فاقتحَموها في (رمضان١٣٣٤هـ-تمُّوز١٩١٦م)، وأسَروا حاميتَها، وغنِموا فيها (٣مدافع جبليَّة)، ومدفعَين من العيارِ الكبير، وكمِّيةً كبيرةً من الذَّخائر والعَتاد، ثمَّ اقتَحموا ثُكنةَ (جَرول)[2] في (٩تمُّوز)، وبذلكَ تمَّ للعربِ التَّغلُّبُ على قوَّاتِ التُّركِ في مكَّة.

وفي (شوَّال١٣٣٤هـ-١٥آب١٩١٦م)، استولَى العربُ على (ثغر اللَّيث) على شاطئِ البحرِ الأحمر، وعلى (ثغرِ أملج)[3] ثمَّ استسلَمت الطَّائفُ على يدِ(عبدِ الله بنِ الحُسين) في (٢٤ذي القعدة١٣٣٤هـ-٢٢أيلول١٩١٦م).

وهاجَمت العربُ بقيادةِ (عليِّ بنِ الحُسَين) و(فَيصلِ بن الحُسَين) قوَّاتِ (فخري باشا) قائدِ قوَّاتِ (المدينة)، فلَم تُفلِح العربُ، وشجَّع فخري باشا ما لَقيَهُ من فوزٍ في المعركةِ الأُولى، فحمَلَ بقوَّةٍ كبيرةٍ على جيشِ فَيصل، فاحتلَّ (العلاوة)، وبلغَ (بير الماشي)[4]، وهي على بُعد (٣٠كم) من المدينةِ، ولقيَ (عليُّ بنُ الحُسين) عناءً في أوائلِ الثَّورةِ من (حُسينِ بنِ مبيرك) شيخِ (رابغ)[5]، فقد كان ميَّالاً مع التُّرك، ثمَّ حمَلَ (فخري باشا) على جيشِ (فيصلِ بنِ الحُسَين) فدارَت معركةٌ داميةٌ بينَ الفريقَين، انتهَت بارتدادِ التُّرك، ثمَّ عادَ فخري باشا إلى الهجُوم، فحملَ على جيشِ فَيصل، فارتدَّ أمامَه حتَّى (ينبُع) البحر، ثمَّ ارتدَّ (فخري باشا) إلى المدينةِ فجأةً في الغدَاة، فلَحِقَ به

(١) - قلعةُ جياد: بناها أميرُ مكَّة الشَّريفُ سُرورُ بنُ مُساعِد بن أبي مَني الثَّاني سنةَ (١٢٠٢هـ)، الذي وليَ إمارةَ مكَّة بعد أخيهِ (غالب)، لتكونَ أمناً لأهلِ مكَّة أمامَ هجماتِ المصريِّين والعثمانيِّين والإنكليز، وهيَ الآن من أوقافِ الحرَم الشَّريف.

(٢) - جروَل: حيٌّ من أقدمِ أحياءِ مكَّةِ المكرَّمة، قريبةٌ من منطقةِ الحرَم المكِّي.

(٣) - أملج: مُحافظةٌ من مُحافظاتِ منطقةِ تَبوك السُّعوديَّة، شَمالَ مدينةِ (يَنبُع).

(٤) - العلاوة: حيٌّ في مُحافظةِ تُربَة في إمارة مكَّة المكرَّمة. وبير الماشي: قريةٌ تبعدُ عن المدينةِ المنوَّرة مسافةَ (٣٨كم) جنوبًا.

(٥) - رابغ: مدينةٌ سعوديَّةٌ تاريخيَّةٌ على ساحل البحرِ الأحمَر، شَمالَ جُدَّة.

(فيصل)، ثمَّ استأنفَ فخري باشا الخروجَ، فهاجمَ (بير عبَّاس)[1] بقوَّاتٍ كبيرةٍ واحتلَّها، ولكنَّ (فيصلَ بنَ الحُسَين) اضطرَّهُ إلى إخلائِها، فارتدَّ إلى (بير الرَّايق)[2].

وخافَ (الشَّريفُ حُسين) من تكرارِ هذِه المعاركِ، وقد شاعَت أخبارٌ بأنَّ فخري باشا يَنوي الزَّحفَ على مكَّة بطريقِ (رابغ)، وأدركَ أنَّ التُّركَ عازمونَ على ضربِ الثَّورة العربيَّة ضربةً قاضيةً، فأرسلَ الحسينُ يطلبُ من حُلفائهِ الإنكليزِ المددَ والنَّجداتِ بواسطةِ مندوبهِ في مِصرَ.

وحصلَ أخذٌ وردٌّ بينَه وبينَ الحلفاءِ بشأنِ إرسالِ القُوى والمعدَّات إلى (رابغ)، وقد استمرَّت نحوَ أربعةِ أشهُر، قاسى الحُسينُ في خلالِها مِن مُطْلِ الإنكليزِ وتَسويفِهم واختلافِ قادتِهم وذَوي الشَّأنِ منهُم الأمرَّين، ممَّا جعلَ الحُسينَ يَعدِلُ عن الاعتمادِ على الحلفاءِ عسكريًّاً، وينظرُ في إنشاءِ جيشٍ نظاميٍّ يُعوِّلُ علَيه في المهمَّات وفي مواجهةِ الخطُوب، ودارَت مفاوضاتٌ بينَ الحُسينِ ووُلاةِ الأمورِ من الإنكليزِ بمِصرَ، وتقرَّر أن يُستعانَ على تحقيقِ هذِه الأمنيةِ بالجنودِ والضبَّاطِ العربِ الذينَ أسرَهُم الإنكليزُ في ميدانِ فلسطينَ وفي العراق، على أن تُقدِّمَ السُّلطةُ إليه ما يحتاجُه من سلاحٍ وعَتادٍ، ثمَّ نظَّمَ **ثلاثةَ جيوشٍ**:

١ - الجيشُ الشَّماليُّ: بقيادةِ (فَيصلِ بنِ الحُسَين)، ومقرُّه حوالي (بير درويش)غربي المدينة، ومهمَّتهُ الرَّئيسةُ إشغالُ جيشِ فخري باشا ومنعُهُ من بلوغِ (يَنبُع).

٢- الجيشُ الجنوبيُّ: بقيادةِ (عليِّ بنِ الحُسَين)، ومقرُّه (رابغ)، ومهمَّتهُ منازلةُ التُّرك ومنعُهم من الزَّحفِ إلى مكَّة.

٣- الجيشُ الشَّرقيُّ: بقيادةِ (عبدِ الله بنِ الحُسَين)، ومقرُّه في (العيص)[3]، ومهمَّتهُ منازلةُ العدوِّ وتخريبُ سكَّةِ الخطِّ الحديديِّ بين الشَّامِ والمدينة.

وبعدَما استقرَّت الحالةُ في الحجازِ، وزالَ الخطرُ عن الثَّورةِ العربيَّة، رأى رجالُ مكَّة أنَّه لا

---

(١) - بير عبَّاس: منطقةٌ سعوديَّةٌ تقع جنوبَ المدينةِ المنوَّرة.

(٢) - بير الرَّايق: منطقةٌ سعوديَّةٌ قربَ رابغ.

(٣) - العيص: وادي العِيص، شمالَ غربِ المدينة.

بدَّ من إنشاءِ حكومةٍ تَسوسُ البلادَ وتُدبِّرُ أمورَها، فاجتمعَ أهلُ الحلِّ والعقدِ في مكَّة المكرَّمة (٦المحرَّم١٣٣٥هـ- ٣كانون الأوَّل١٩١٦م)، وبايَعوا الشَّريفَ (الحُسين) ملِكاً على العرَب، وأُنشِئَت حكومةٌ، وأُذيعَ بلاغٌ بهذا الشَّأن على وزاراتِ خارجيَّةِ الحُلفاءِ والمُحايدينَ.

وفي (ربيع الأوَّل١٣٣٥هـ- ٢٤كانون الثَّاني١٩١٧م)، أطلَقَت البوارجُ البريطانيَّةُ قنابلَها على مدينةِ (الوجهِ)[1] التي كانَت بيدِ التُّرك، وأنزلَت على مسافةِ (٣ أميالٍ) منها (٢٥٠بَحريَّاً انكليزيَّاً)، و(٥٠٠جنديٍّ عربيٍّ) حمَلَتهُم مِن (يَنبُع)، فدارَت بينَهُم وبينَ التُّرك معاركُ انتهَت بانسحابِ التُّركِ، وسقطَت مدينةُ (الوجه)، ثمَّ استولَى العربُ على (المويلح)[2]، واضطرَّ التُّركُ على أثرِ اتِّساعِ ميدانِ القتالِ، وانتقالِه من الحجازِ إلى (باديةِ الشَّام)، وظُهورِ العربِ حولَ محطَّاتِ سكَّةِ الحديدِ الممتدَّةِ في باديةِ الشَّام، إلى اتِّخاذ تدابيرَ جديدةٍ على طولِ هذا الخطِّ.

ثمَّ احتلَّ الجيشُ العربيُّ (العقبةَ والكويرة)[3]، وأُعيدَ تنظيمُ القُوى النِّظاميَّةِ في العقَبةِ على منوالٍ جديدٍ، فصارَت تتألَّفُ من **أربعةِ أَلْويةٍ**: لواءِ العقَبة ومقرُّه العقبةُ، ولواءِ الكويرة، واللِّواءِ الهاشميِّ، ولواءِ المدفعيَّة.

وبعدَما استقرَّت أقدامُ الجيشِ الشَّماليِّ في (العقَبةِ) والمناطقِ المُجاورةِ لها، وحازَ ما حازَهُ من نصرٍ وتوفيقٍ، رأى أن يُوسِّعَ نطاقَ أعمالِه، وينقلَ الميدانَ إلى (حوران) و(جبل الدُّروز) و(الغوطة)[4]، فكاتبَ قائدُ الجيشِ الشَّماليِّ (فَيصلُ بنُ الحُسَين) الإنكليزَ، فتمَّ الاتِّفاقُ على إعدادِ

---

(١) - الوَجه: مدينةٌ ساحليَّةٌ، في السَّاحل الشَّماليِّ الغربيِّ للمملكةِ السُّعوديَّة على البحرِ الأحمر، تتبعُ منطقةَ تبوك.

(٢) - المويلح: ميناءٌ سعوديٌّ في شَمالِ البحرِ الأحمَر، تابعٌ لتبوك، فيه قلعةُ المويلح الشَّهيرَة، أكبرُ قلاعِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ بالحجاز.

(٣) – العقَبة: ميناءٌ ومدينةٌ أردنيَّةٌ جنوبَ الأردُنِّ على البحرِ الأحمَر، وهيَ المنفذُ البحريُّ الوحيدُ للأردنِّ، وتقعُ على رأسِ خليج العقبةِ المتفرِّع منَ البحرِ الأحمر. والكويرَة: منطقةٌ سُعوديَّةٌ على الطَّريقِ بينَ مدينةِ (العُلا) ومدينةِ (الوجه).

(٤) - حوران: منطقةٌ في جَنوبِ سوريَّة، وهيَ سهلٌ يمتدُّ إلى شَمالِ الأردنّ. وجبل الدُّروز: يقعُ في جنوبِ سوريَّة، ويسمَّى جبلَ حوران أو جبلَ الدُّروز أو جبلَ العرَب. والغوطَة: غوطَةُ دمَشق الشَّهيرَة، تُحيطُ بدمَشقَ منَ الشَّرقِ والغَربِ والجَنوبِ.

حملةٍ كبيرةٍ يقودها (فيصل)، ويكونُ مقرُّها (الأزرق)[1].

وبدأَت الحملةُ الكُبرى عملَها في (ذي الحجَّة١٣٣٦هـ-٢١أيلول١٩١٨م) بمُهاجمةِ محطَّة (خربة الغزالة)[2] فدمَّرَتها، ونسفَت قُضبانَ الخطِّ الحديديِّ الواقعِ بينَها وبينَ (دَرعا)، وعَطَّلت الخطوطَ الحديديَّةَ بينَ (درعا) و(حيفا)، وفي (٢٨أيلول) احتلَّتْ محطَّةَ (درعا)، وفي (٢٩منهُ) زحفَت إلى (دمشقَ) على الخطِّ الحديديِّ، فوصلَتْها في (٣٠منهُ)، ودخلَتها بينَ هُتافِ الأَهالي وترحيبِهم، ورفعَت العلَمَ العربيَّ على أبراجِها، وبُدِئَ بإنشاءِ الحكومةِ العربيَّة.

هذا بعضُ ما جرَى في الشَّمالِ حتَّى دخولِ (**دمشقَ الشَّام**)، أمَّا ما جرَى في (**الحجازِ**) بعد سفرِ الجيشِ الشَّمالي، فخلاصَتُه أنَّ جيشَ (الجنوبِ) بقيادةِ (عليِّ بنِ الحُسين)، وجيشَ (الشَّرقِ) بقيادةِ (عبدِ الله)، أقاما على حصارِ (المدينةِ)، وكان الأمرُ لا يخلو من مُناوشاتٍ عسكريَّةٍ تدورُ بينَ الفريقَين، ودامَ الحالُ على هذا المِنوالِ حتَّى عُقدَت الهدنةُ بينَ الحُلفاءِ والتُّرك سنةَ (١٣٣٧هـ-٣٠تشرين الأول١٩١٨م)، وبها تقرَّر وجوبُ سَحبِ جميعِ قُوى التُّركِ من البلادِ العربيَّة، وأُبلِغَ في أوائل تشرين الثَّاني القائدُ التركيُّ (فخري باشا) نصَّ معاهدةِ الهدنة، ودُعي إلى التَّسليمِ، فأبى وأصرَّ بالرُّغم من جميعِ المُحاولاتِ حتَّى (ربيع الثَّاني١٣٣٧هـ-كانون الثَّاني١٩١٩م)، حينَ شُدِّدَ عليه الحصارُ، وسرَت روحُ التَّمرُّدِ بينَ صُفوفِ جيشِه، فأَذعنَ للأمرِ الواقعِ، وسلَّم نفسَه لعليِّ بنِ الحُسين في (١٦كانون الثَّاني١٩١٩م).

وما كادَ العربُ ينتهونَ من نضالِهم مع التُّرك حتَّى رأَوا أنفسَهم على أبوابِ نضالٍ جديدٍ مع حُلفائِهم الإنكليز، بسببِ نُكولهم عن الوعدِ الذي قطَعوه للحُسينِ بإنشاءِ دولةٍ عربيَّةٍ مستقلَّةٍ في داخليَّتها وخارجيَّتها، تكونُ حدودُها شرقاً بحرُ فارس[3]، وغرباً بحرُ القُلْزُم[1] والحدودُ

---

(١) - الأزرَق: منطقةٌ أردنيَّةٌ شرقَ المملكةِ الأردنيَّةِ الهاشميَّة.

(٢) - خربة الغزالة: ناحيةٌ تقعُ في الجهةِ الشَّماليَّة الشَّرقيَّة من محافظةِ (دَرعا) السُّوريَّة.

(٣) - بحر فارس: أو الخليج الفارسيّ (في الاستعمالِ الإيرانيِّ)، والخليجِ العربيِّ في استعمالِ الدُّولِ الغربيَّة، يمتدُّ من شرقِ السُّعوديَّة إلى غربِ إيران.

المصريَّةُ والبحرُ الأبيضُ، وشمالاً ولايةُ حلبَ والموصِلُ ونهرُ الفراتِ مُجتَمِعاً مع دجلةَ إلى مصبِّها في بحرِ فارِس، ما عدا مُستعمرةَ (عدَن).

وقد قَبِلَ (**هنري مكماهون**) ممثِّلُ بريطانيا في مصرَ هذِه الحدودَ وأبدى تحفُّظاً علَيها في كتابهِ المؤرَّخِ في (ذي الحجَّة١٣٣٣هـ-٢٤تشرين الأوَّل١٩١٥م)، هذا نصُّه:

(لَمَّا كانَت مقاطعاتُ مرسين والإسكندرونة وبعضُ أجزاءِ سوريَّة الواقعةُ إلى الغربِ من مقاطعاتِ دمشقَ وحِمصَ وحماة وحلَب، لا يُمكن تسميتُها عربيَّةً محضةً، فإنَّه يَقتضي إخراجُها من الحدودِ المبيَّنة).

وكان الحسينُ يَطمحُ -بعدَما عاهدَ الإنكليزَ واتَّفق معهُم وأعلنَ الثَّورةَ العربيَّةَ ضدَّ الأتراكِ في الحجازِ- أن يحلَّ محلَّ الدَّولةِ العُثمانيَّة في الجزيرةِ ويخلُفَها، فتنتقلَ إليهِ السِّيادةُ على هذِه الإماراتِ.

على أنَّ الظَّرفَ قد تحوَّلَ في خلالِ السَّنةِ الأُولى للحربِ العالميَّةِ الأولى، فانضمَّ (محمَّد الإدريسيُّ) أميرُ (عسيرٍ)[2] إلى الإنكليزِ وعاقدَهم، واعترَفوا بإمارتهِ وسُلطانه، وأمدُّوه بالأموالِ والسِّلاح، وفعلَ (ابنُ سعودٍ) فعلَه أيضاً، فعقدَ معَ الإنكليزِ في (٢٦صفر١٣٣٤هـ-٢٦كانون الأوَّل١٩١٥م) (معاهدةَ العقير)، فاعترَفوا فيها بأنَّ (نجداً) و(الحسَا) و(القَطيف) و(جُبيل)[3] وتوابعَها هي بلادُ ابنِ سُعودٍ وآبائِه مِن قَبلُ، كما اعترَفوا بابنِ سُعودٍ حاكماً عليها[4]، ورفضَ

---

(١) - بحر القُلْزُم: وهو اليومَ البحرُ الأحمَر. نسبةُ إلى مدينةِ القُلزُم السُّعوديَّة على السَّاحل، قربَ (مديَن) المُسمَّاةِ اليومَ بمنطقةِ (البدع) التَّابعَة لمُحافظةِ تبوك شمالَ فربِ المملكَة.

(٢) - عَسير: اليومَ إحدى المناطقِ الإداريَّة بالمملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّة، تقعُ في الجزءِ الجنوبيِّ الغربيِّ من البلادِ، ومقرُّ الإمارةِ فيها مدينةُ (أَبها).

(٣) - جُبَيل: منطقةٌ سُعوديَّة، تقعُ على زاويةٍ ساحليَّةٍ في الشَّمالِ الشَّرقيِّ من شاطئِ الخليج العربيِّ.

(٤) - وثمَّة معاهداتٌ أخرى بين الإنكليز وآل سعودٍ كان من أغراضِها تكريسُ مضمون معاهدة (العقير) وضربُ المخالفين لآل سعودٍ من أمثال (آل الرَّشيد) حكَّامِ حائل، منها: (معاهدة دارين أو معاهدة القَطيف) في سنة (١٩١٥م) بين عبدالعزيز بن عبد الرَّحمن آل سعود وبين (بيرسي كوكس) المعتمدِ السِّياسيِّ البريطانيِّ ممثِّلاً للحكومة البريطانيَّة.

الإمامُ حميدُ الدِّين (يحيى المتوكِّلُ على الله) إمامُ المتوكِّليَّةِ في اليمَن الدُّخولَ في مفاوضاتٍ مع الإنكليزِ، وردَّ رسُلَهم قانِعاً بما نالَهُ من التُّرك بـ(معاهدِة دعان)[1].

وانضمَّ (آلُ الرَّشيد) حكَّامُ (حائِل) إلى التُّرك، وأقاموا على الولاءِ لهُم في داخلِ الجزيرةِ، يُمدُّونَهم بالإبلِ، ويأخذونَ منهُم الأموالَ والسِّلاح، وارتبطَ مصيرُهم بمصيرِ التُّرك.

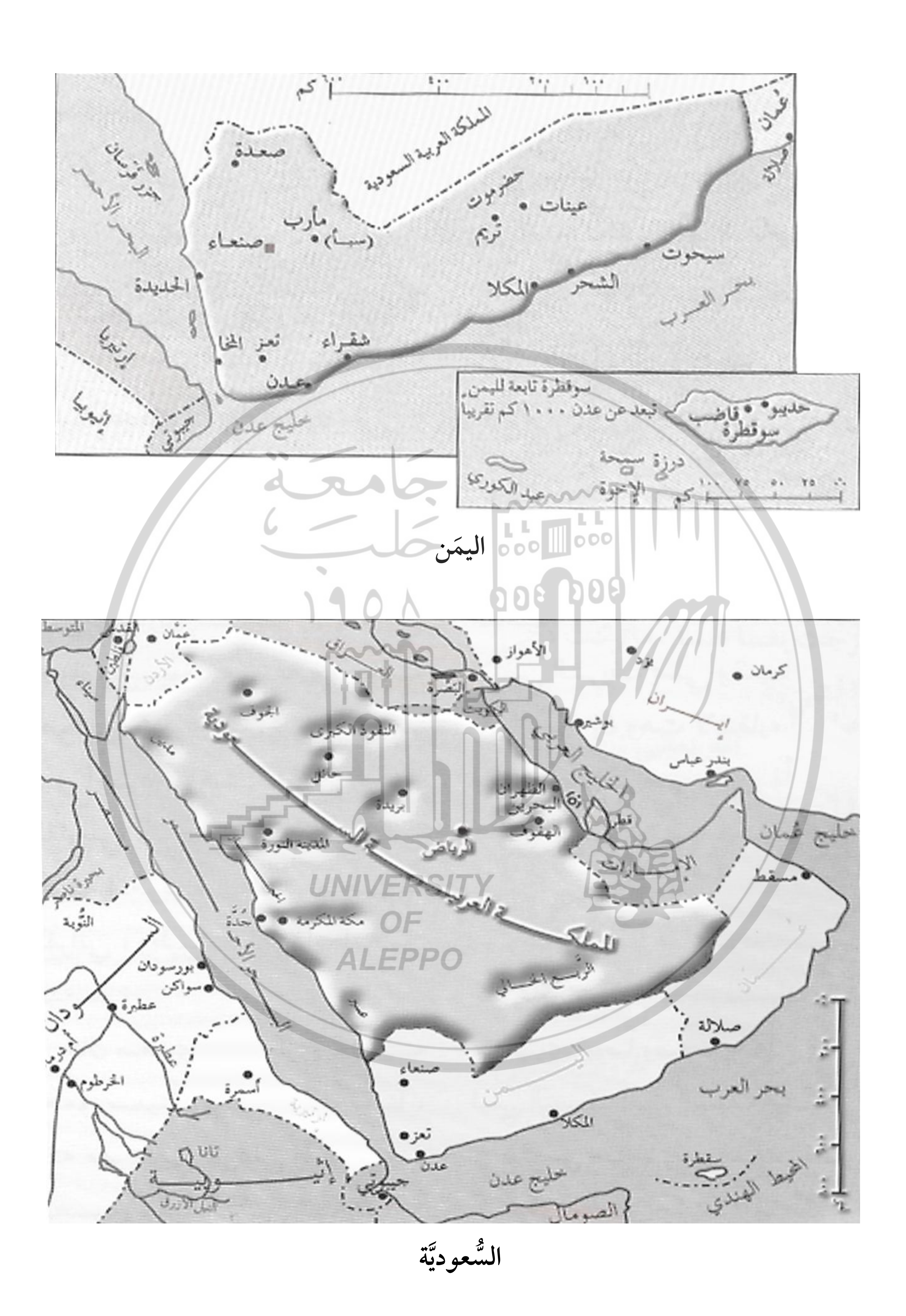
وأمَّا العلاقاتُ بين (الحُسين) و(ابنِ سُعود) فكانَت غيرَ وُدِّية قبلَ إعلانِ الحربِ العالميَّةِ الأُولى، وزادَت سُوءاً بعد الحربِ العالميَّةِ الثَّانية، فانتهَت إلى معاركَ داميةٍ أدَّت بفَوزِ الجيشِ السُّعوديِّ واحتلالِهِ الحجازَ بكاملِه وضمِّه إلى المملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّة، بنحوِ ما بيَّناهُ في تاريخِ السُّعوديِّين.

*****



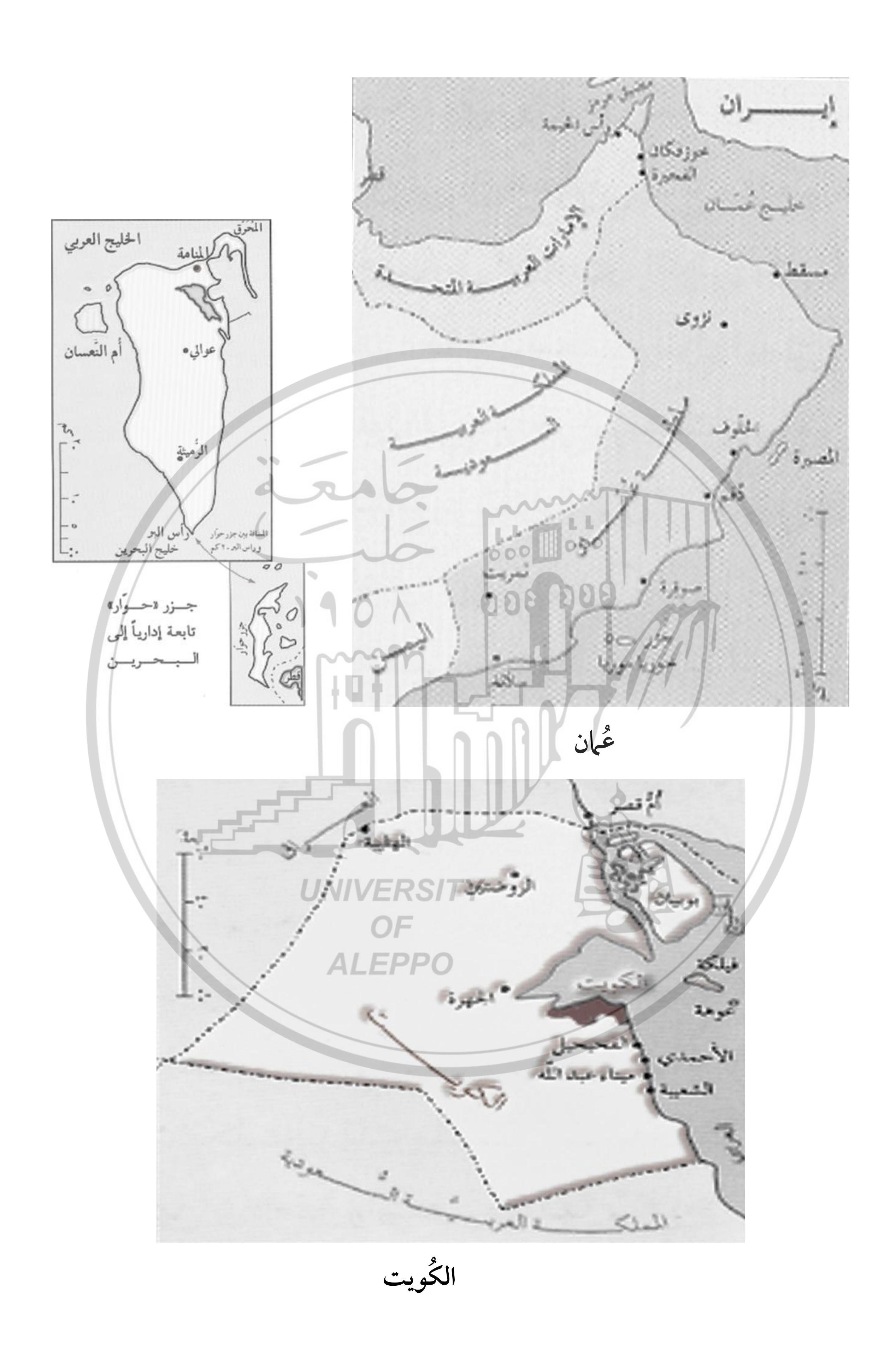
وتطوَّرت معاهدةُ دارين هذِه في سنة (١٩٢٧م) إلى (معاهدة جدَّة) اعترفَت بموجبِها بريطانيا باستقلال مملكةِ الحجاز ونجدٍ وملحقاتِها كاملةً لآلِ سعود، وتغيَّر اسمُ المملكة هذِه لاحقاً في سنة (١٩٣٢م) إلى اسم (المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) على ما ذكرناهُ في (ص٢٨٣) من هذا الكتاب.

(١) – معاهدةُ دَعان: انظُر: ص٢٦٣.



اليمَن

السُّعوديَّة


الخليج العربي
المحرق
المنامة
أم النعسان
عوالي
الرميثة
رأس البر
خليج البحرين
جزر «حوار»
تابعة إدارياً إلى
البحرين
إيران
خليج عُمان
مسقط
نزوى
الإمارات العربية المتحدة
المصيرة
أم قصر
بوبيان
الكويت
الجهراء
فيلكا
الأحمدي
الشعيبة

عُمان

الكُويت

* قوائمُ أسماءِ الحكَّامِ في جزيرةِ العرَب *

* الدَّولةُ اليَعفريَّةُ في صَنعاءَ اليَمن	* الدَّولةُ النَّجاحيَّة في زبيد اليَمن
يَعفُر بن عبد الرَّحيم بنِ إبراهيمَ الحَوالي (٢٤٧هـ-٨٦١م)	المؤيَّد نَجاح (٤١٢هـ-١٠٢١م)
محمَّد بن يَعفُر (٢٥٩هـ-٨٧٣م)	مدَّةُ (علي الدَّاعي الصّليحي) (٤٥٢هـ-١٠٦٠م)
عبدُ القادر بن أحمد بن يَعفر (٢٧٩هـ-٨٩٢م)	سعيدُ الأحوَل بنُ نجاح (٤٧٣هـ-١٠٨٠م)
إبراهيمُ بن محمَّد (٢٧٩هـ-٨٩٢م)	جيَّاشُ بن نجاح (٤٨٢هـ-١٠٨٩م)
أسعدُ بن إبراهيم (٢٨٥هـ-٨٩٨م)	فاتكُ بن جيَّاش (٤٩٨هـ-١١٠٥م)
مدَّةٌ لأئمَّةِ صنعاءَ والقرامِطة (٢٨٨-٣٠٣هـ-٩٠٠-٩١٥م)	منصورُ بن فاتِك (٥٠٣هـ-١١٠٩م)
أسعدُ بن إبراهيم "مرَّةً ثانية" (٣٠٣هـ-٩١٥م)	فاتكُ بن منصور (٥١٧هـ-١١٢٣م)
عبدُ الله بن قحطان (٣٥٢-٣٨٧هـ-٩٦٣-٩٩٧م)	فاتكُ بن محمَّد بن فاتِك (٥٣١-٥٥٤هـ-١١٣٧-١١٥٩م)
* الأيُّوبيُّون في جزيرةِ العرَب	
الملك تُوران شاه بن الملكِ الصَّالح نجمِ الدِّين أيُّوب (٥٦٩هـ-١١٧٣م)	الملك النَّاصر الأيُّوبي (٥٩٨هـ-١٢٠١م)
الملك سيفُ الإسلام بن أيُّوب (٥٧٧هـ-١١٨١م)	الملك سليمانُ المظفَّر (٦١١هـ-١٢١٤م)
الملك إسماعيل معزُّ الدين (٥٩٣هـ-١٢٩٦م)	الملك يوسفُ المَسعودُ (٦١٢-٦٢٥هـ-١٢١٥-١٢٢٨م)
* أُمراءُ آل خليفَة في البحرَين[1]	
أحمدُ بن محمَّد آل خَليفَة (١١٩٧هـ-١٧٨٣م)	عيسى بن عليٍّ (١٢٨٦هـ-١٨٧٠م)
سَلمانُ بن أحمد (١٢٠٩هـ-١٧٩٤م)	حمدُ بن عيسى (١٣٤١هـ-١٩٣٣م)
عبدُ الله بن أحمد (١٢٣٦هـ-١٨٢١م)	سَلمانُ بن حمدٍ (١٣٦١هـ-١٩٤٢م)
محمَّدُ بن خليفَة (١٢٥٨هـ-١٨٤٢م)	عيسى بن سَلمان (١٣٨١هـ- ١٩٦١م)
محمَّدُ بن عبدِ الله (١٢٨٦هـ-١٨٦٩م)	حمدُ بن عيسى بن سَلمانَ آل خليفَة (من ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)[2]

(١) - البَحرَين: قديماً اسمٌ جامعٌ للبلادِ الممتدَّة على السَّاحلِ في المُحيطِ الهنديِّ بينَ البصرةِ شَمالاً وعُمانَ شَرقاً، ومن ثمَّ يدخُلُ فيها هجَر والأحسَاء والقَطيف. أمَّا اليومَ فالبَحرَين دولةٌ عربيَّةٌ (مملكَة) قائمةٌ على جزيرةٍ مُستقلَّةٍ في الخليجِ العربيِّ، عاصمتُها المَنامَة.

(٢) - واستحالَت البحرينُ من دولةٍ إلى مملكةٍ في (فبراير ٢٠٠٢م)، بعد التَّصويتِ على ميثاقِ العملِ الوطنيِّ.

* سَلاطِينُ الدَّولةِ الكثيريَّة بحَضْرَمَوْت	
عليُّ بنُ عمرَ بنِ جعفرٍ بنِ بدرِ بنِ محمَّد بنِ عليٍّ بنِ عمرَ بنِ كثير (نحو ٨١٦هـ-١٤١٣م)	عليُّ بن عبدالله، محمَّد المَردوف (١٠٧٣هـ-١٦٦٣م)
عبدُ الله بن عليٍّ بنِ عُمر (٨٢٥هـ-١٤٢١م)	عيسى بنُ بدرٍ (١٠٨٠هـ-١٦٦٩م)
بدر بن علي (حوالي ٨٣٣هـ-١٤٣٠م)	عليُّ بن بدر (ت:١١٠٧هـ-١٦٩٦م)
محمَّد بن عليّ (حوالي ٨٣٥هـ-١٤٣٢م)	حسنُ بن عبدِالله (حوالي١٠٩٣هـ-١٦٨٢م)
محمَّد بن عبدِ الله (حوالي ٨٤٥هـ-١٤٤١م)	بدرُ الدِّين محمَّد المَردوف (١١١٧هـ-١٧٠٥م)
بدرُ بن عبدِ الله (٨٥٥هـ-١٤٥١م)	بدرُ بن عليٍّ، عيسى بنُ بدر
جعفرُ بن عبدِ الله (قبلَ٨٩٤هـ-١٤٨٩م)	عُمرُ بن جَعفر، جَعفرُ بن عيسى
عبدُ الله بن جَعفر (٨٩٤هـ-١٤٩٨م)	محسنُ بن عُمر (حوالي١١٤٤هـ-١٧٣١م)
بدرُ الدِّين بن محمَّد (٨٩٥هـ-١٤٩٠م)	عليُّ بن جَعفر،
محمَّد بن عبدِالله (٩١٠هـ-١٥٠٤م)	جعفرُ بن عُمر (حوالي١١٤٤هـ-١٧٣١م)
بدرُ بوطويرق (٩٤٧هـ-١٥٤٠م)	جعفرُ بن عليٍّ (١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)
عمرُ بن طويرق، عليُّ بن عُمر (٩٧٧هـ-١٥٦٩م)	عُمرُ بن عليٍّ (١٢٢٣هـ-١٨٠٨م)
عبدُ بن جَعفر، محمَّد بن عليٍّ (ت:٩٥٥هـ-١٥٤٨م)	بدرُ بن عليٍّ (١٢٢٣هـ-١٨٠٨م)
محمَّد بن بَدر، محمَّد بن عبدِالله	عليُّ بن بدرٍ (١٢٢٤هـ-١٨٠٩م)
عبدُالله بن بدرٍ (ت:٩٩٠هـ-١٥٨٢م)	عمرُ بن جَعفر (قبلَ١٢٣٩هـ-١٨٢٤م)
عمرُ بن بَدر	عمرُ بن جَعفر (١٢٣٩هـ-١٨٢٤م)
عبدُالله بن عُمر (١٠١٢هـ-١٦٠٣م)	منصورُ بن عُمر (١٢٤٣هـ-١٨٢٧م)
بدرُ بن عُمر (١٠٢٤هـ-١٦١٥م)	غالبُ بن محسنٍ (ت:١٢٨٧هـ-١٨٧٠م)
بدرُ بن عبدِالله (١٠٥٨هـ-١٦٤٨م)	عليُّ بن مَنصور
طالبُ بن عبدِالله، جعفرُ بن عبدِالله	جَعفرُ بن مَنصور بن غالِب (١٣٦٨هـ-١٩٤٩م)
حُسين بن عليٍّ بنِ مَنصور (١٣٦٨هـ-١٩٤٩م) إلى (١٣٨٦هـ-١٩٦٧م)، وهو آخرُ سلاطين الكَثيريَّة.	

* الأئمَّةُ في عُمان	
جُولندي (جُلندي) بن مسعودٍ الأَزْدي (١٣٥هـ-٧٥٢م)	عَرارُ بن الفلاح
محمَّد بن أبي عفَّان الأَزدي (١٤٥هـ-٧٦٢م)	مخزومُ بن الفلاح حتَّى (٨٠٩هـ-١٤٠٦م)
الوارثُ بن كعبٍ اليَحمَدي (١٨٥هـ-٨٠١م)	مالكُ بن عليٍّ الحواريِّ (٨٠٩هـ-١٤٠٦م)
غسانُ بن عبدِالله (١٩٢هـ-٨٠٨م)،	عبدُالله بن خميسٍ الأَزدي (٨٣٩هـ-١٤٣٥م)
عبدُ الملك بن حميدٍ الأَزدي (٢٠٨هـ-٨٢٣م)	عمرُ بن خطَّابٍ اليَحمَدي (٨٥٥هـ-١٤٥١م)
مهنَّا بن جعفر اليَحمدي (٢٢٦هـ-٨٤١م)	عمرُ الشَّريف (٨٩٦هـ-١٤٩١م)
الصَّلتُ بن مالك (٢٣٧هـ-٨٥١م)	أحمدُ بن محمَّد (٨٩٧هـ-١٤٩٧م)
راشدُ بن النَّضر (٢٧٣هـ-٨٨٦م)	أبو الحسنِ بن عبد السَّلام (٩٠٥هـ-١٤٩٩م)
عزَّان بن تميم (٢٧٧هـ-٨٩٠م)	محمَّد بن إسماعيل (٩٠٦هـ-١٥٠٠م)
محمَّد بن الحسن (٢٨٤هـ-٨٩٧م)	بركاتُ بن محمَّد بن إسماعيل (٩٣٦هـ-١٥٣٠م)
عزَّان بن الخضر (٢٨٥هـ-٨٩٨م)	عبدُالله بن محمَّد (٩٦٧هـ-١٥٦-م)
عبدُ بن محمَّد (٢٨٦هـ-٨٩٩م)	بركاتُ للمرَّة الثَّانية (٩٦٨هـ-١٥٦١م)
الصَّلت بن القاسِم (٢٨٧هـ-٩٠٠م)	ناصرُ بن مرشدٍ بن سلطانٍ بن مالكٍ بن أبي عرَب (١٠٣٤هـ-١٦٢٥م)
حسنُ بن محمَّد (٢٨٧هـ-٩٠٠م)	سلطانُ بن سَيف بن مالكٍ (١٠٥٩هـ-١٦٤٩م)
الحواريُّ بن مُطرف (٢٩٢هـ-٩٠٥م)	بُلْعرب بن سلطانٍ بن سَيف (١٠٧٩هـ-١٦٦٨م)
عمرُ بن محمَّد بن مُطرف (٣٠٠هـ-٩١٣م)	سيفُ بن سلطانٍ بن سيفٍ (١١٢٣هـ-١٧١١م)
محمَّد بن يزيد الكندي، الملَّا البحري	مهنَّا بن سلطانٍ بن سيفٍ (١١٣١هـ-١٧١٩م)
سعيدُ بن عبدِالله (ت:٣٢٨هـ-٩٤٠م)	يَعرُب بن بُلْعرب بن سلطان (١١٣٤هـ-١٧٢١م)
راشدُ بن الوليد (٣٢٨هـ-٩٤٠م)	سيفُ بن سلطانٍ للمرَّة الثَّانية (١١٣٥هـ-١٧٢٣م)
يوسفُ بن وَجيه (٣٣٤هـ-٩٤٣م)	محمَّد بن ناصر بن غامِر (١١٣٧هـ-١٧٢٤م)
محمَّد بن يوسُف بن وجيه (٣٣٥هـ-٩٤٤م)	سيفُ بن سلطانٍ للمرَّةِ الثَّالثة (١١٤٠هـ-١٧٢٧م)
رضوانُ بن جعفرٍ (حوالي٣٤٠هـ-٩٥١م)	سلطانُ بن مرشدٍ (١١٥١هـ-١٧٣٨م)
الخليلُ بن شاذان الخَروصي (٤٠٠هـ-١٠٠٩م)	أحمدُ بن سَعيد بن أحمد البوسَعيدي (١١٥٤هـ-١٧٤١م)
راشدُ بن سعيد (ت:٤٤٥هـ-١٠٥٣م)	سعيدُ بن أحمد (١١٨٨هـ-١٧٧٤م)
حَفصُ بن راشدٍ (٤٤٥هـ-١٠٥٣م)	عزَّان بن قَيسٍ بن عزَّان (١٢٨٥هـ-١٨٦٨م)
راشدُ بن عليٍّ (ت:٤٤٦هـ-١٠٥٤م)	سالمُ بن راشدٍ الخَروصي (١٣٣١هـ-١٩١٣م)
مُوسى بن مُوسى (ت:٥٧٩هـ-١١٨٣م)	محمَّد بن عبدالله بن سعيدٍ الخَليليِّ (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م)
الفلاحُ بن المحسنِ النَّبهاني (٥٤٩هـ-١١٥٤م)	غالبُ بن عليٍّ الهنائي (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م)

* الأَسيادُ (السَّلاطينُ) في مَسقَط	
حميدُ بن سَعيد (١١٩٣هـ-١٧٧٩م)	عزَّام بن قَيس (١٢٨٥هـ-١٨٦٩م)
سلطانُ بن أحمد (١٢٠٦هـ-١٧٩٢م)	تُركيُّ بن سَعيد (١٢٩١هـ-١٨٧٤م)
سليمُ بن سُلطان (١٢١٩هـ-١٨٠٤م)	فيصلُ بن تُركيٍّ (١٣٠٥هـ-١٨٨٨م)
طويني (تُويني) بن سعيد (١٢٨٣هـ-١٨٦٧م)	تَيمورُ بن فيصلٍ (قبلَ ١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)
سليمُ بن طويني (١٢٨٣هـ-١٨٦٧م)	سعيدُ بن تَيمور (١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)
* أمراءُ آل صُباح في الكُوَيت	
صُباح بن جابرٍ (صُباح الأوَّل) (١١٩٠هـ-١٧٧٦م)	جابرُ بن مُبارك (١٣٣٤هـ-١٩١٥م)
عبد الله بن صُباح	سالمُ بن مُبارك (١٣٣٥هـ-١٩١٦م)
جابرُ بن عبدِ الله (جابر الأوَّل) (١٢٢٩هـ-١٨١٤م)	أحمدُ بن جابرٍ (١٣٣٩هـ-١٩٢١م)
صُباح بن جابرٍ (صُباح الثَّاني) (١٢٧٦هـ-١٨٥٩م)	عبدُ الله (الثَّالث) السَّالم الصُّباح (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)
عبدُ الله بن صُباح (١٢٨٣هـ-١٨٦٦م)	صُباح الثَّالث السَّالم الصُّباح (١٣٨٤هـ-١٩٦٥م)
محمَّد بن صُباح (١٣٠٩هـ-١٨٩٢م)	جابر الثَّالث الأحمد الصُّباح (١٣٩٦هـ-١٩٧٧م)
مباركُ بن صُباح (١٣١٣هـ-١٨٩٥م)	سعد العبد الله السَّالم الصُّباح (١٤١٥هـ-٢٠٠٦م)(١)
صُباح الرَّابع الأحمد الصُّباح (٢٠٠٦م)	
* السُّعوديُّون	
محمَّد بن سُعود (١١٥٠هـ-١٧٣٧م)	فيصلُ بن تركيّ (١٢٥٩هـ-١٨٤٣م)
عبدُ العزيز بن محمَّد (١١٧٩هـ-١٧٦٥م)	عبدُ العزيز بن عبد الرَّحمن (١٣١٩هـ-١٩٠١م)
سُعود بن عبدِ العزيز (١٢١٨هـ-١٨٠٣م)	سُعودُ بن عبدِ العزيز (١٣٧٣هـ-١٩٥٣م)
عبدُ الله بن سُعود (١٢٢٩هـ-١٨١٤م)	فيصلُ بن عبدِ العزيزِ (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)
مشاري بن سُعود (١٢٣٥هـ-١٨٢٠م)	خالدُ بن عبدِ العزيز (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)
تُركيُّ بن عبد الله بن سُعود (١٢٣٥هـ-١٨٢٠م)	فهدُ بن عبدِ العزيز (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)(٢)
عبدُ الله بن عبدِ العزيز آل سُعود (١٤٢٤هـ-٢٠٠٥م)	

*****

(١) - عزلهُ البَرلمانُ الكويتيُّ عن الإمارةِ بسَببِ ظُروفهِ الصحِّيَّة، بعد تسعةِ أيَّامٍ من توليته، وتُوفِّي في (١٣مايو٢٠٠٨م).

(٢) - وهو أوَّل من تلقَّب بـ(خادم الحرمَين الشَّريفَين) رسميّاً، وأعلنَ ذلك في المدينةِ المنوَّرة.


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

الفَصلُ السَّادسُ:

التَّاريخُ المَشارِقيُّ

فِي العِرَاقِ وتُركيَّا وإِيرَان

وَجَنُوبِ آسيَا ووسَطِها وشَرقِهَا

والدَّولة العثمانيَّة


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

تمهيدٌ:

مدخلٌ إلى التَّأريخ المَشارِقِيّ في آسيَا عامَّةً

عَقِبَ فُتوحِ (قتيبةَ بنِ مُسلمٍ الباهليِّ) أَيَّامَ عبدِ الملك بنِ مروانَ أواخرَ القرنِ الهجريِّ الأوَّل، استقرَّ سلطانُ العربِ في بلادِ المشرقِ عامَّةً، بَدءاً من حدودِ العراقِ الشرقيَّة إلى إيران، إلى حوضِ السِّند (جنوب شرق باكستان) وفَرغانة (في أوزبكستان) شرقاً، وامتدَّ إلى بلادِ ما وراء النَّهر وما يَليه شمالاً إلى بلاد **الأتراك**، ومنهم:

(التُّرك القرخانية (في تركستان الصِّينيَّة)، والتُّرك القفجاق، والتُّرك الخَزَر –حول بحر قزوين–، والتُّرك الغَزّ أو الأوغوز، والتُّرك الويغور –الأويراتية–، والبُشناق).

وكان الغزُّ والويغور يتَوالَون على نسَقٍ حتَّى يتَّصلوا **بالمغول** الذين كانت منازلُهم تبدأُ في حوضِ نهرِ التَّاريم (غربَ الصِّين) وبحيرةِ (بلكاش)، وتمتدُّ بلادُ المغولِ إلى صحراء مَنغُوليا (شرقَ آسيا جنوبَ روسيَة)، وتَنتهي شَرقاً عند سورِ الصِّين، إلى أَن تمكَّن جينكيزخان من تخطِّي سور الصِّين وغزوِها، ويَلي ذلك شَرقاً شعوبُ الصِّين وهي تنتمي إلى جنسٍ آخرَ يمتدُّ إلى المحيطِ الهادي.

وكانت **الشُّعوب الإيرانيَّة** –التي عُرِفَت بِاسمِ **الفُرس**– ذاتُ التَّاريخِ المَديدِ منذُ العصورِ القديمةِ تنتهي على وجهِ التَّقريب عند (نهر المرغاب في أفغانستان) الذي يجري مُنحنِياً من الشَّمال إلى الشَّرق جنوبَ نهرِ جيحون (جنوبَ غربِ تركستان)، وهو (نَهر مَرْو).

وبعدَ ذلك شَرقاً تبدأ **شعوبُ التُّرك**، وأوَّلهم **التُّرك الغَزُّ أو الغزِّية**، وهم أكثرُ الأتراكِ أثراً وأكبرُهم دَوراً في تاريخِ الإسلام، ومنهُم السَّلاجقةُ، والعثمانيُّون، والأُوزبَك، وجُلُّ المماليك، ومنهُم أيضاً (الهُون أو الهياطلة Hephtalites) أهلُ طخارستان، الذين حاربَهم وهزمَهم قتيبةُ بنُ مسلمٍ ثمَّ أَدخلَهم الإسلامَ.

ولَمَّا كانت هضبةُ إيران قبلَ الإسلامِ قِسمةً بين هؤلاء الأتراكِ والإيرانيِّين فقد سُمِّيت هضبةُ إيران كلُّها باسمِ (بلادِ التُّرك) أو (**بلادِ طُوران وإيران**)، وكان الجنسانِ مُتحاجزَين حتَّى أيام السَّاسانيين.

وإلى **العربِ المُسلمين** يَرجع الفضلُ في إزالةِ الحواجز العنصريَّة والحضاريَّة بين الطُّورانيِّين الأتراك والإيرانيِّين، فقد ذابَ الجانبُ الأكبرُ من تلكَ الفوارق في بوتقةِ الإسلام وحضَارتِه، وإلى الإسلامِ يرجعُ الفضلُ كذلكَ في إدخالِهم ودَمْجِهم في حضَارة الإسلامِ وتاريخِه. ولعلَّ أكبرَ دولِها هي: - **(دولة الغزنويِّين)** صاحبةُ الدَّور الأكبرِ في تاريخِ الإسلام.

- يَليها في الأهمية **(الأُوزبك)** الذين دَخلوا بلادَ ما وراء النَّهر واستقرُّوا فيها.
- ثمَّ **(الغُوريُّون)** في جنوبِ شرقِ الهضبة الإيرانيَّة وفي أفغانستان الحالية.

هذه الشُّعوب التركيَّة كانت تَزحفُ شيئاً فشيئاً وتدخلُ بلادَ العَربِ والإسلام وتتحضَّر بحضَارتِه، تدفعُها إلى الشَّرق جماعاتُ **المغول**، وكان الجنسانِ المغولُ -التُّرك- والعربُ يَعيشان في سَلامٍ نسبيٍّ إلى أَنْ قامَت في أفغانستان منتصفَ القرنِ السَّادس الهجريِّ دولةُ (الخُوارزمشاهيَّة) التي نَعرضَ لها لاحقاً، وتحرَّشت بالمغول، فاستثارَت جَنكيزخان المَغوليَّ الكبير، ودفعَته إلى السَّير بقوَّاته غرباً وغَزوِ بلاد الأتراك والإيرانيِّين والعرب معاً، والقضاءِ على الخُوارزميِّين أنفسِهم وعلى الخلافةِ العبَّاسيَّة ببَغداد على يدِ هولاكو حَفيدِ جَنكيز خان. وقد أَسلمَ من المغولِ جمعٌ كبيرٌ بعدَ أن خرَّبوا بلادَ الإسلامِ في هضبةِ إيران وبلادِ ما وراء النَّهر، وجاءَت دولةُ (تيمورلنك) أو (تيمور الأعرَج ت:١٤٠٥م) الذي يُقال: إنَّه حفيد جينكيزخان، وهو سُلطانٌ مسلمٌ بَيْدَ أنَّه قامَ بدورٍ رَهيبٍ في تخريبِ بلاد الإسلام، ولم يَهدأ أمرُ المغول إلَّا في عهدِ سُلطانِهم (أولوج بك)، وكانت قاعدتُه (سمَرقَند) في (أوزبكستان)، وكانت قبلُ أيضاً عاصمةَ تيمورلنك (وفيها قبرُه).

وكان **التُّرك الطُّورانيُّون** يعيشونَ قبائلَ كبيرةً أو صغيرةً، أمَّا **المغولُ** فكانوا يَعيشون قطعاناً ضخمةً تسكنُ بيوتاً من شعرِ الماعز، وأهمُّ أقسامِهم مغولُ القطيعِ الذَّهبي، يَليهم شرقاً مغولُ القطيعِ الأسودِ.

أمَّا **التَّتار** فقَبِيلٌ قائمٌ بذاته، كان يَسكن شرقيَّ بلادِ المغول، وكانوا بَدواً، واستمرُّوا بَدواً، في حين أنَّ الأتراكَ والمغولَ تحضَّروا واستقرُّوا بفضلِ الإسلام، ولم يتحضَّر من التَّتار إلَّا الذين هاجَروا إلى الغَربِ ودَخلوا الإسلامَ، أمَّا بقيَّتهم التي ظلَّت في مساكنِها في بلادِ (الإستب) شمالَ شرقِ بلاد المغول فقد ظلُّوا بَدواً، وديانتُهم الشَّامانية[1]، وكانوا ينتسبون إلى التَّتار البيض، وإلى جنوبهم التَّتارُ السُّود، وإلى التَّتار جميعاً تمتدُّ بلاد (سيبيريا)، وفيها عاش التَّتارُ المُوغِلُون في البَداوة، وكان المغولُ يسمُّونهم (تتارَ الغابة)، وكان توحُّش التَّتار السَّببَ في تجمُّع المَغولِ -وكانوا يَسكنونَ غربَ سُورِ الصِّين- وإنشائِهم دولةً واحدةً، هي تلكَ التي بلَغَت ذروةَ قوَّتها ونَشاطِها أيَّامَ جينكيزخان.

تلكَ هي الصُّورة البَشريَّة أو السُّكَّانيَّة للبلادِ المشرقيَّة التي كانت تَلِي العراق، وهذه الشُّعوب - بمَن فيهم الإيرانيُّون- هي التي **ستدخلُ الإسلامَ** وتتولَّى مدَّ سلطانِه في شرق الصِّين وبلادِ الهند، وقد كان **انتشارُ الإسلام** شَرقاً عمليَّةً متتابعةً، بدأها العربُ بإدخالِ الإيرانيِّين وبعدَهم جانبٌ كبيرٌ من الطُّورانيِّين في الإسلام، وهؤلاء أخذوا الرَّايةَ من الإيرانيِّين، ووصلوا بالإسلامِ إلى غرب الصِّين وشبهِ القارَّة الهنديَّة، وفي الشَّمال بلغوا بهِ بلادَ ما وراء النَّهر، وآسيا الوسطى إلى روسية وسيبيرية.

وبعدُ، فهذا مدخلٌ وجيزٌ لا بدَّ منهُ لفهمِ اتِّساع الإسلامِ شرقاً، ولفهمِ الرِّسالة الحضاريَّة الكُبرى التي أدَّاها لأجناسٍ عظيمةٍ من البشَر. وفيما يأتي عرضٌ للتَّاريخ المَشارقيِّ في تلك الأرجاءِ الآسيويَّة. وقد عَلِمتَ في الفصولِ السَّالفة أنَّ الدَّولةَ العبَّاسيَّةَ في بغدادَ لَمَّا اضطَّرَبَت أخذَ حُكَّامُ الأقاليمِ يُقِلُّونَ احترامَها، ويَأسَفونَ على ما يُؤدُّونهُ لها منَ الخَراج، ويَطمَعون عندَ عزلِ الخليفةِ بالاستقلالِ، فلا يَدخلونَ تحتَ طاعةِ المتولِّي العبَّاسيِّ إلَّا بشروطٍ يأخذونَها عليه، ولَم يزالُوا كذلكَ حتَّى قويَت شوكتُهم، وأسَّسوا ممالكَ أو دُولاً في الأقاليمِ المَشرِقيَّة الآسيويَّة، عرَضنا لأشهرِها في مصرَ والشَّامِ وجزيرةِ العرَب، وها نحنُ أولاءِ نَعرضِ لأشهرِها في سائِر بلادِ المَشرقِ الإسلاميِّ:

---

(١) - الشَّامانيَّة (Chamanisme): مذهبٌ دينيٌّ بدائيٌّ ينتشر في شمالي آسية وأميريكا الشَّماليَّة، يعتمد على سلطة (شامان) أي الكهنة السَّحَرَة المتَّصلين بأرواحِ الطَّبيعة.

المبحثُ الأوَّل:
التَّاريخُ المَشارقيُّ في العراقِ وتُركيَّا

١- عائلةُ عمرانَ بنِ شَاهين (البطَائحُ/العِراق) :

اضطُّرَّ مُعزُّ الدَّولةِ أحمدُ بنُ بُوَيهٍ[1] أن يُقلِّدَ (عمرانَ بن شاهينَ) (البطائحَ)[2]، فقويَ عمرانُ واستفحلَ أمرُه، واستمرَّ ملكُه بـ(البَطيحةِ) أو (البطائِح) من سنةِ (٣٢٩هـ-٩٤١م) إلى (٣٦٩هـ-٩٧٩م)، أي أربعينَ سنةً، كان فيها شَجَاً في حَلْقِ (بني بُوَيهٍ) لا يَقدِرونَ منهُ على شَيء، وانتقلَ الملكُ منهُ إلى أعقابهِ ومَواليهِم إلى سنةِ (٤٠٨هـ-١٠١٧م).

٢- البُويهِيُّون[3] (إيرانُ وبغدادُ) :

وبعدَ أن عظُمَ ملكُ (عمادِ الدَّولةِ أبي الحسنِ عليِّ بن بُوَيه) في فارسٍ، خطرَ ببالِه أن يَمدَّ سُلطانَه إلى (الأَهوازِ) و(العِراق) لِما علِمَه من ضعفِ قوَّةِ الخليفةِ العبَّاسيِّ ببغدادَ، كانَ من أهمِّ مقاصدِ ابنِ بُويه المسيرُ إلى العراقِ بعد الاستيلاءِ على (واسِط)[4]، فصارَ أخوهُ (**معزُّ الدَّولةِ أحمدُ بنُ بوَيه**) يَسيرُ إلى واسِطٍ ثمَّ يعودُ عَنها، حتَّى كاتبَه قوَّادُ بغدادَ يطلُبونَ إليهِ المسيرَ نحوَهم للاستيلاءِ على بغدادَ، فوصلَها في (١١جُمادى الأُولى٣٣٤هـ-٩٤٥م)، والخليفةُ العبَّاسيُّ بها هو (المُستكفي بالله)، فقابلَهُ واحتفَى بهِ، وبايَعه أحمدُ، وحلفَ كلٌّ منهُما لصاحبِه؛ هذا بالخلافةِ وذاكَ بالسَّلطَنة، وفي هذا اليومِ شرَّفَ الخليفةُ العبَّاسيُّ بَني بُوَيه بالألقابِ، فلقَّب عليَّاً صاحبَ بلادِ فارسٍ (عمادَ

---

(١) - مُعزُّ الدَّولةِ أحمدُ بنُ بُوَيهٍ: أخو عمادِ الدَّولةِ عليِّ بنِ بُوَيه ملكِ فارِس، وأوَّلُ من دخلَ بغدادَ من بني بُوَيه.

(٢) - البَطائح: مُفردُها (بَطيحَة)، وهيَ أراضٍ ممتدَّةٌ بينَ واسطٍ والبَصرةِ من أرضِ العِراق.

(٣) - البُويهيُّون: في الأصلِ أسرةٌ ديلميَّةٌ، تُنسَبُ إلى أبي شُجاع بوَيه بن فناخسرو الدَّيلميِّ، وقد أنجب أولاداً حكموا الدَّولةَ البويهيَّة، وفرضوا سُلطانَهُم على خلفاءِ الدَّولةِ العبَّاسيَّة ما بينَ (٣٣٤-٤٤٧هـ)، وشمل حكمُهُم خمسة عبَّاسيِّينَ هم: المُستكفي، والمطيع، والطَّائِع، والقادِر، والقائِم. وانتهى حكمهُم بقَضاءِ السَّلاجقةِ عليهِم.

(٤) - واسِط: مُحافظةٌ في وسطِ العراق، مركزُها مدينةُ (الكوت).

الدَّولة) وهو أكبرُهم، ولقَّب أخاهُ أبا عليٍّ الحسنَ صاحبَ الرَّيِّ والجبلِ (ركنَ الدَّولة)، ولقَّب أحمدَ صاحبَ العراقِ (مُعزَّ الدَّولة)، وأمرَ أن تُضربَ ألقابُهم وكُناهُم على النُّقود.

٣- آلُ مَروان في ديار بكر/آمِد (تُركيَّا) :

قامَت دولةُ الأكرادِ من آلِ مَروان في (ديار بكر)[1]، على يدِ مؤسِّسها (أبي عليٍّ الحسنُ بنُ مروان)، قامَ بالأمرِ سنةَ (٣٨٠هـ-٩٩٠م)، وضبطَ (ديار بكر) أحسنَ ضَبْطٍ، وأحسنَ إلى أهلِها، وألانَ جانبَه لهُم، ثمَّ تزوَّج (ستَّ النَّاس بنتَ سيفِ الدَّولة)، ولَم يَزَلْ ملِكاً إلى أن قُتِلَ سنةَ (٣٨٧هـ-٩٩٧)، وخلفه أنجالُه من بعده، إلى أن زالَ ملكُهم على يدِ السَّلاجقةِ سنةَ (٤٨٩هـ-١٠٩٦م).

٤- العَقيليَّة (العراق/الموصِل) :

سلالةٌ عربيَّةٌ من قَبيلةِ (عقيلِ بنِ كعب بنِ عامرِ بن صَعصَعةَ) العدنانيَّة، أُسِّسَت الدَّولةُ العقيليَّةُ بالموصلِ بعد الحمدانيِّين سنةَ (٣٨٦هـ-٩٩٦م)، أي في عهدِ (القادرِ) العبَّاسيِّ، واستمرَّت فيها هذِه الدَّولةُ العربيَّةُ إلى سنةِ (٤٨٩هـ-١٠٩٦م)، وفي عهدِ أميرِهم (مسلمِ بنِ قُرواش) وصلَ نفوذهُم إلى (حلَب) أيضاً، وانتهَت سَلطنتُهُم على يدِ السَّلاجِقَة.

٥- السَّلاجقةُ (خُراسانُ والعِراقُ) :

إن عشيرةَ السَّلاجقةِ من عَشائرِ (الغزِّ)[2] الكُبرى، وتُنسَبُ إلى مقدَّمها (سَلجوقُ بن تُقَاق)، وكانَت هذِه العشيرةُ تقيمُ في بلادِ (تركستان)[3] تحتَ ملكِ التُّرك المسمَّى (بيغو)، وكان

---

(١) - آمِد: جنوبَ شرقِ تركيَّا، على شاطئِ دِجلةَ الأيسَر، وهيَ مدينةُ (ديار بكر)، على تسميةِ المُسلمين الفاتحينَ أيَّام الأمويِّين.

(٢) - الغزُّ: تعبيرٌ مرادفٌ للتُّركمان، وهم أفرادُ العرقِ التُّركيِّ القائمِ في وسطِ آسيا أو ما يسمَّى اليومَ (تركمانستان) و آسيا الصُّغرى، ويتحدَّثون مجموعةً من اللُّغاتِ التُّركيَّة المنبثقةِ من اللُّغاتِ الألطيَّة (Altaic Languages)، و يبلُغ تعدادُهم اليومَ حولَ العالَم حواليَ (١٦.٦مليون) نسَمة، وقد هاجرَت أعدادٌ كبيرةٌ من قبائلِهم في فتراتٍ مُتباعدةٍ إلى إيرانَ و تركيَّا، و إلى الشَّرق العربيِّ في مثلِ العراقِ وسوريَّة وفلسطينَ ولبنان.

(٣) - تُركستان: تقعُ وسطَ آسيا، شمالَ باكستان وأفغانستان، تُقسمُ اليومَ إلى قسمَين: تُركستان الشَّرقيَّة الواقعةِ في الصِّين والمعروفةِ باسمِ (سنكيانغ)، ودولةِ تُركستان المُستقلَّةِ عن الاتِّحادِ السُّوفييتي.

(تُقاقُ) مقدَّم العشيرةِ، إلى قولِه يَرجِعونَ وعن أَمرِه يَصدُرُون، ووُلِدَ لهُ ابنُه (سَلجوق)، فلمَّا كبُر ظهرَت عليهِ أماراتُ النَّجابةِ ومخايلُ التَّقدُّم، فقرَّبهُ ملكُ التُّرك، وجعلَه (سوباشي) أيْ قائدَ الجندِ، وكانَت امرأةُ الملكِ تخوِّفهُ من (سَلجوق) لِما ترَى من طاعةِ النَّاسِ لهُ فأغرَتْهُ بقتلِه، وبلغَ سلجوقَ ذلكَ الخبرُ، فجمعَ عشيرتَه وهاجرَ إلى ديارِ الإسلامِ ودانَ بالإسلامِ[١]، وأقامَ بنَواحي (جُندٍ)[٢]، وصارَ يَشُنُّ الغارةَ على بلادِ التُّرك.

وفي تلكَ الأوقاتِ قامَ النِّزاعُ بينَ أحدِ ملوكِ السَّامانيَّةِ و(هارون بن إيلك خان)، وقد استولَى هارونُ على بعضِ بلادِه فرأَى أن يضربَ الحديدَ بالحديدِ، فاستنجدَ بسَلجوق فأنجدَه بابنِه (أرسلان) في جمعٍ مِن أصحابِه، فقَوِيَ بهِمُ السَّامانيُّ، واستردَّ من خصمِه ما أخذَ، وكانَت هذِه أوَّلَ صِلةٍ بينَ عشيرةِ السَّلاجقةِ والسَّامانيَّة.

ولَم يزَلْ سلجوقُ في (جُند) حتَّى توفِّي، وكان لهُ من الأولادِ أربعةٌ هُم: (موسَى أرسلان) و(ميكائيل) و(يُونُس) و(إسرائيل)، فأمَّا ميكائيلُ فغزا غزوةً في بلادِ التُّرك فاستُشهِدَ وبقيَت أولادُه الثَّلاثَةُ وهُم: بيغو، وأبو طالبٍ طغرُلبك محمَّد، وأبو سُلَيمان جغري بك دواودُ، فأطاعَتْهُم عشيرتُهم، فلمَّا أقامُوا بخُراسانَ تقرَّبوا إلى عميدِها (أبي سهلٍ أحمدَ بنِ الحسنِ الحَمْدوني)، فعيَّنَ لهم (مروجَ دَندَانِقان)[٣] فقَرُّوا بِها وبِما قاربَها. وتواصلَتْ حروبُهُم معَ (مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتُكين الغَزنَوي)، وهزَموهُ في سنةِ (٤٣٠هـ-١٠٣٩م)، واشتدَّت منَعَتُهم، وقوِيَت شوكتُهم، واستولَوا على (خُراسانَ) وتجاوَزوها إلى (العراق)[٤].

---

(١) - ويُذكَرُ أنَّهُم أُخرِجوا من ديارِهِم لجرائمَ ارتَكبوها، ويُذكَرُ عن تاريخِهِم أنَّهُ تُلفِّعُه هالاتٌ من الغُموضِ والأساطير. وانظُر: أخبار الدَّولة السَّلجوقيَّة: ناصر بن عليٍّ الحُسينيّ: ص١، طبعةُ لاهور، ١٩٣٢م، وتاريخ السَّلاجقة في بلادِ الشَّام: أحمد علي إسماعيل: ص١٥-١٦، الشَّركة المتَّحدة للنَّشر، ط١، ١٩٨٣م.

(٢) - جُند: أو (خوجَند) أو (مدينةُ خُجَندة) على الضِّفَّةِ اليُسرى لنهرِ (سيحون Syr darya)، في أقصَى غربِ إقليمِ (فَرغانَة) الممتدِّ على أراضٍ من (أوزبكستان) و(طاجِيكستان).

(٣) - دَندَانِقان: مُروجٌ أو صَحراءٌ بينَ (سرخَس) و(مَرْو) في جُمهوريَّة (تُركمانستان) الواقعةِ شَمالَ أفغانستانَ وإيران.

(٤) - انظُر: تاريخ دولةِ آلِ سَلجوق: عماد الدِّين الأصفهانيّ: ص١٠، بَيروت، ١٩٧٨م.

وامتدَّ (طغرُلبك) إلى (الرَّيِّ)[1] فملَكَها، ثمَّ سارَ إلى (قِزوين)[2] فملَكها صُلحاً، وملكَ أيضاً (همذان)، ووصلَت طلائعُ جنودِه إلى البلادِ العراقيَّة.

كانَت أحوالُ بغدادَ في ذلكَ الوقتِ سيِّئةً، فإنَّ (آلَ بُوَيه) قد تفرَّقَت كلمتُهم، وزالَت من القلوبِ هيبتُهم، فلَم يُمكِنْهم أن يحفَظوا بغدادَ؛ لا مِن عدوٍّ طارئٍ ولا مِن لصُوصِها.

وصلَ (طغرُلبك) إلى بغدادَ، ونزلَ على (دِجلَة) وقد ضاقَت الأرضُ بجنودِه، واتَّفق مَن في بغدادَ مِن الرُّؤساءِ والأمراءِ على مُكاتبةِ (طغرلبك)، يَبذُلونَ لهُ الطَّاعةَ والخُطبةَ، وفِعلاً، تقدَّمَ الخليفةُ العبَّاسيُّ القائمُ بأمرِ الله إلى الخطباءِ بالخُطبةِ لـ(طُغرُلبك) بجوامعِ بغدادَ، فخُطِبَ لهُ، وقَبَضَ على آخرِ سلاطينِ بني بُوَيه (الملكِ الرَّحيمِ أبي النَّصر الدَّيلميِّ) وسيَّره إلى الرَّيّ، ونُقِشَ اسمُ (طُغرلبك) على السِّكَّة، ومن حينها لُقِّبَ (ركن الدَّولة أبو طالبٍ طُغرُلبك محمَّد بنُ ميكائيلَ، يمينُ أميرِ المؤمنين)[3].

وانقسَمَت **العشيرةُ السَّلجوقيَّةُ** إلى خمسةِ بُيوتٍ:

١- دولةُ السَّلاجقَةِ الكُبرى: وهي التي كانت تملكُ خُراسانَ والرَّيَّ والجبالَ -جبالَ الدَّيلم- والعراقَ والجزيرةَ وفارسَ والأهوازَ، وانقضَت دولتُهم على أيدي شاهاتِ خوارِزم، ومدَّتها (٩٣سنة)، من ٤٢٩هـ-١٠٣٩م) إلى (٥٢٢هـ-١١٥٧م).

٢- دولةُ سلاجقَةِ كَرمان[4]: وانقرضَت دولتُهم على أَيدي (الغزِّ) التُّركمان، ومدَّتُها (١٥٠سنة)، من (٤٣٣هـ-١٠٤١م) إلى (٥٨٣هـ-١١٨٨م).

٣- دولةُ سلاجقَةِ العِراق: وانقرضَت على أيدي شاهاتِ خوارِزم، ومدَّتُها (٧٩سنة)، من (٥١١هـ-١١١٧م) إلى (٥٩٠هـ-١١٩٤م).

---

(١) - الرَّيّ: مدينةٌ تاريخيَّةٌ قُربَ العاصمةِ الإيرانيَّةِ طَهران.

(٢) - قِزوين: اليومَ مُحافظةٌ في إيران، غربَ العاصِمةِ طَهران.

(٣) - انظُر: راحةُ الصُّدور وآيةُ السُّرور: محمَّد بن علي سُليمان الرَّاوندي: ص١٦٩، القاهرَة، ١٩٢١م.

(٤) - كَرمان: إحدى مُحافظاتِ إيران الثَّلاثين، جنوبَ شرقِ البلاد. وانظُر: ص١٨٥.

٤- دولةُ سلاجقَةِ الشَّام: وانتهَت على أيدي الدَّولتَين؛ النُّوريَّةِ(الزَّنكيَّة) والأُرْتُقيَّة، ومدَّتُها (٢٤سنة)، من (٤٧٧هـ-١٠٩٤م) إلى (٥٠١هـ -١١١٧م) وقد سبق ذكرُها[١].

٥- دولةُ سلاجقَةِ الرُّوم: وانتهَت على أيدي الأتراكِ العُثمانيِّينَ والمَغول، ومدَّتُها (٢٣٠سنة)، من (٤٧٠هـ-١٠٧٧م) إلى (٧٠٠هـ-١٣٠٠م) .

٦- الأُرْتُقيُّون في حِصنِ كيفا وماردين (تُركيًّا):

تُنسَبُ هذِه الدَّولةُ الأُرْتُقيَّةُ إلى (أُرتُق بن أكسُك التُّركماني)، وهو مملوكٌ من مماليكِ السُّلطانِ (ألْب أرسلان السَّلجوقيِّ) وابنِه (مَلِكْشاه السَّلجوقيِّ) وقائدٌ من قوَّادِهما. وأوَّلُ من أسَّس هذا البيتَ (معينُ الدَّولة سُقمانُ بنُ أُرْتُق)، استولَى على (الرُّها)[٢]، واستولَى على (حِصن كيفا)[٣] سنةَ (٤٩٥هـ-١١٠٢م) من يدِ الأمير مُوسى التُّركماني في عهدِ السُّلطان بركياروق بن مَلِكشاه السَّلجوقي، وتوفِّيَ سنةَ (٤٩٨هـ)، فجاءَ أخوهُ (إيلغازي الأوَّل) فاستولَى على (ماردين)[٤]. وفي سنةِ (٥٠٢هـ-١١٠٩م)، انقسَمت هذِه المملكةُ الأُرتُقيَّةُ الصَّغيرةُ إلى مملكتَين؛ إحداهُما بالحصنِ، والثَّانيةُ بماردين:

- فأمَّا **مملكةُ الحِصن**: (حصنِ كَيفا) فاستمرَّت إلى سنةِ (٦٢٠هـ-١٢٢٣م)، وانتهَت على أيدي الأيُّوبيِّين.

-وأمَّا **مملكةُ ماردين**: فاستمرَّت إلى سنةِ (٨١١هـ-١٤٠٨م)، أي بعدَ ظهورِ آل عثمانَ بمائةٍ وإحدى عشرةَ سنة، وانتهَت على يدِ أمير دولةِ (قرَه قيونلي) في (أَذربيجان) بتَوجيهٍ من السُّلطانِ العُثمانيِّ.

---

(١) - انظُر: ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) الرُّها: جنوبَ تُركيَّة، وتُعرَفُ اليومَ باسمِ (أورفَة).

(٣) - حِصنُ كَيفا: النِّسبةُ إليه (حَصْكَفي)، مدينةٌ تركيَّةٌ على نهرِ دجلة، تقعُ في محافظةِ (باتمان) جنوبَ شرقِ تركيًّا.

(٤) - ماردين: مُحافظةٌ تركيَّةٌ في الجنوبِ، على الحدودِ مع سُوريَّة.

٧- الأتابكةُ (العِراقُ وإيرانُ):

الأتابكةُ أو الأتابكيَّةُ من الدُّولِ التُّركيَّةِ التي زاحَمتْ دولةَ آلِ سَلجوق ، وتختلفُ بيوتُ الأتابكةِ ولا تنتهي إلى نسبٍ واحدٍ، إلا أنَّها يجمَعُها الاتِّصالُ بالبيتِ السَّلجوقيِّ، و(أتابكُ) كلمةٌ مركَّبةٌ من لفظَين تُركيَّين: (أتا) أي الأب أو المربِّي، و(بِك) أي الأمير، فيكون معنى الكلمةِ (مربِّي الأميرِ أو الملك)، ثمَّ صارَت معَ الأيَّام تُستَعملُ لدلالاتٍ أُخرى بينَها الملكُ والوزيرُ الكبيرُ والأمراءُ البارزونَ الذين يَمُتُّون بصلةِ القرابةِ إلى السَّلاجقةِ والأمراءِ الأقوياء، فكان آلُ سَلجوقٍ إذا امتازَ أحدُ قوَّادِهم بهذا الامتيازِ أطلَقوا عليهِ هذا اللَّقبَ، واستحقَّ بهِ أعلى درجاتِ التَّكريمِ والاحترام. وقد وصلَ بعضُ هؤلاءِ الأتابكةِ إلى درجةِ المَلِكِ في بعضِ الأقاليمِ الإسلاميَّة، وأَورَثوا أبناءَهُم مُلكَهم، ويُطلَقُ على هؤلاءِ الأُسرِ الأتابكَّية:

١-أتابكةُ حلَب، وقد مرَّ ذكرُهم. ٢- أتابكةُ الشَّام، وقد مرَّ ذكرُهم[١]. ٣- أتابكةُ الموصل. ٤-أتابكةُ سِنجار في شمالِ العراق. ٥- أتابكةُ الجزيرة في العراق. ٦- أتابكةُ إِرْبِل[٢]. ٧-أتابكة أذَربيجان. ٨- أتابكةُ فارِس (الدَّولةُ السَّلغرية)[٣]. ٩- أتابكةُ لورستان[٤] (الدَّولةُ الهزَارَسْبيَّة)[٥].

*****

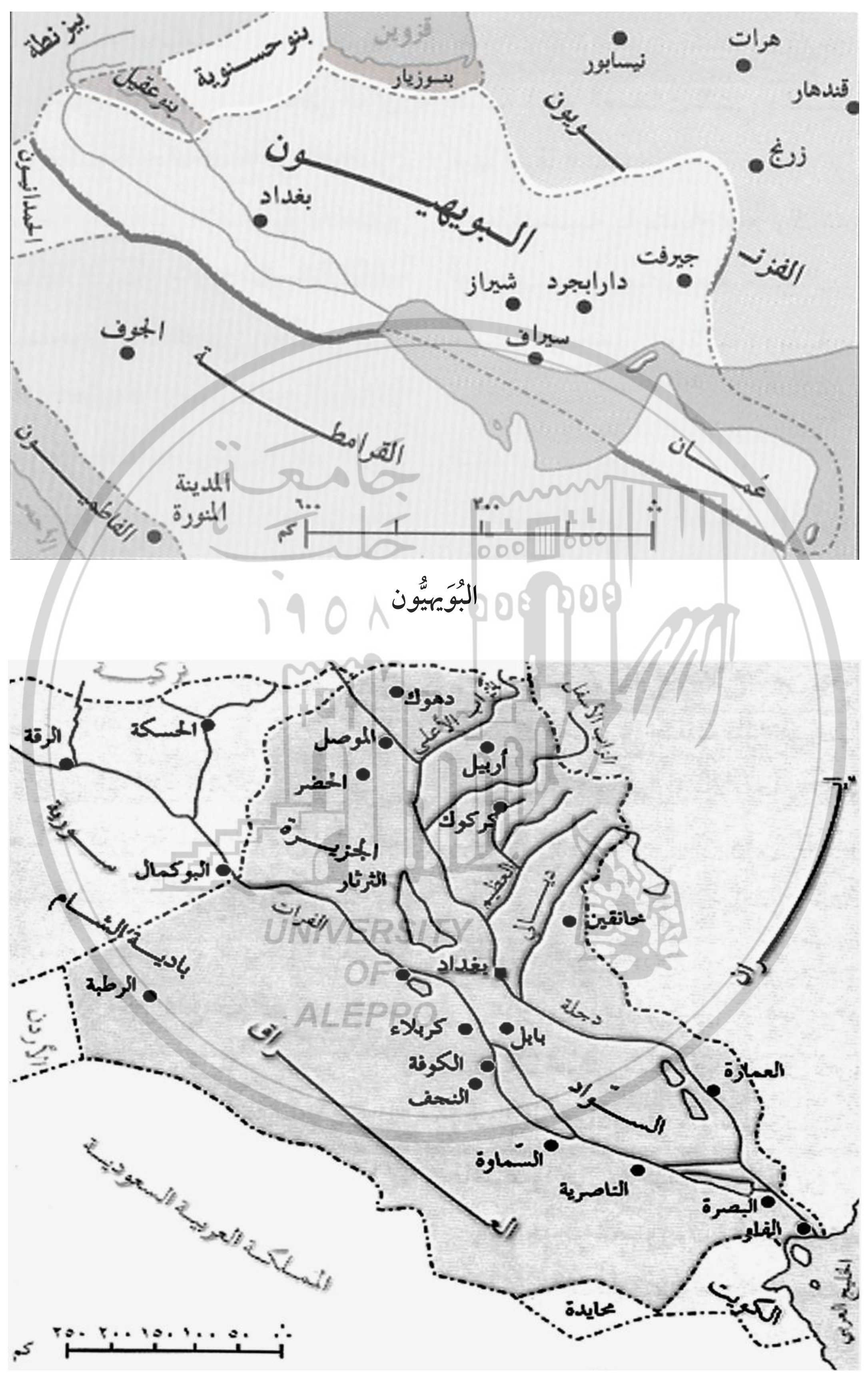
(١) - انظُر: ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) - إِرْبِل: أو (إربيل)، هيَ اليومَ مدينةُ (إربيل) عاصمةُ إقليم (كردستان) شمالَ العراق.

(٣) - السَّلغريَّة: أو (دولةُ بَني سَلغَر)، دولةٌ قامَت فارس أيَّام العبَّاسيِّين من (٥٤٣هـ-١١٤٨م) إلى (٦٨٨هـ-١٢٧٠م)، أسَّسها مظفَّرُ الدِّين سُنقُر بن مودود، حفيدِ (سَلغَر) حاجبِ طُغرُل بك السَّلجوقيِّ، وجعلَ عاصمتَها (شيراز) مركزَ مُحافظةِ (فارسٍ) جنوبَ غربِ إيران. وللوقوفِ على أسماءِ الحكَّامِ السَّلغريَّة انظُر: ص١٨٥.

(٤) - لُورستان: منطقةٌ يعيشُ فيها اليومَ قبائلُ (اللُّور)، فى إيران، و يُعرَفون فى (العراقِ) عادةً باسمِ (أكرادِ فيلية) تَشملُ لورستان فى ايرانَ محافظاتِ: (لُرستان، ايلام، كرمانشاه، خوزستان، چهارمحال، بختياري، كهگيلويه، بوير أحمد، وبعضَ مدُنٍ أُخرى). و فى العراقِ يَشمل اللُّورُ مناطقَ (خانقين، مندلي، بدرة، وبعضَ مناطقَ أُخرى.

(٥) - الهزارَسْبيَّة: نسبةً إلى قلعةِ (هَزارَسْب)، في (خُوارِزْم)، الواقعةِ اليومَ (غربَ أفغانستان).



البُوَيهيُّون

العِراق

* قوائمُ أسماءِ الحكَّامِ في العراقِ وتُركيًّا *

* عائلةُ عِمرانَ بنِ شاهين في العِراق (البطائح)	* البُوَيهيُّونَ في العِراق (بغداد)
عِمرانُ بنُ شاهين (٣٢٩هـ-٩٤١م)	معزُّ الدَّولةِ أحمدُ بنُ بوَيه (٣٢٠هـ-٩٣٢م)
الحسنُ بنُ عِمران (٣٦٩هـ-٩٧٩م)	عزُّ الدَّولة بُختيار بن أحمد (٣٥٦هـ-٩٦٧م)
أبو الفرَجِ بنُ عِمران (٣٧٢هـ-٩٨٢م)	عضدُ الدَّولةِ فناخسرو بن أحمد (٣٦٧هـ-٩٧٧م)
المظفَّرُ بنُ عليٍّ وزيرُ عمرانَ، وابنُه الحسنُ بالتغلُّب (٣٧٣هـ-٩٨٣م)	شرفُ الدَّولةِ شيرَويه بنُ فناخسرو (٣٧٢هـ-٩٨٢م)
مهذَّبُ الدَّولة أبو الحسنِ عليُّ بنُ نصرٍ، ابنُ أختِ المظفَّر (٣٧٦هـ-٩٨٦م)	بَهاءُ الدَّولةِ أبو نَصرٍ أحمد بنُ شرفِ الدَّولة (٣٧٩هـ-٩٨٩م)
أبو الحسَن أحمَدُ بنُ مهذَّبِ الدَّولة (٤٠٨هـ-١٠١٧م)	سُلطانُ الدَّولةِ بنُ بَهاءِ الدَّولَة (٤٠٣هـ-١٠١٢م)
أبو عبدِ الله محمَّدُ بن نَسى، ابنُ أختِ مهذَّبِ الدَّولَة بالتغلُّب (٤٠٨هـ-١٠١٧م)	مشرِّفُ الدَّولة أبو عليِّ بن بُوَيه (٤١٥هـ-١٠٢٤م)
*** الحَمدانيُّون في العِراق (الموصل)**	الملكُ أبو كاليجار المرزبانُ بنُ سُلطانِ الدَّولة بن بَهاءِ الدَّولة (٤٣٥هـ-١٠٤٣م)
ناصرُ الدَّولةِ أبو محمَّد الحسنُ بنُ عبدِ الله بنِ حَمدانَ (أخو سيفِ الدَّولةِ في حلَب) (٣١٧هـ-٩٢٩-٩٦٨م)	المَلِكُ الرَّحيمُ أبو نصرٍ بن أبي كاليجار (٤٤٠هـ-١٠٤٨م) إلى(٤٤٧هـ-١٠٥٥م)
عدَّة الدَّولة أبو تغلب الغضنفَرُ بنُ ناصر الدَّولَة (٣٥٨هـ- ٩٦٨م) إلى(٣٦٩هـ-٩٧٩م)	*** سلاجقَةُ الرُّوم**
أبو طاهرٍ إبراهيمُ بنُ ناصرِ الدَّولَة (٣٧١هـ-٩٨١م) إلى (٣٨٠هـ-٩٩١م)	سليمانُ بنُ قَطلِمش (٤٧٠هـ-١٠٧٧م)
*** العَقيليَّة في العِراق (الموصِل)**	قَليج أرسلان داود بن سليمان (٤٨٥هـ-١٠٩٢م)
حسامُ الدَّولةِ المقلَّدُ بنُ المسيِّب (٣٨٦هـ-٩٩٦م)	مِلِكْشاه بن قَليج أرسَلان (٥٠٠هـ-١١٠٦م)
مُعتمَدُ الدَّولة قرواشُ بنُ المقلَّد (٣٩١هـ-١٠٠١م)	مسعودُ بنُ قَليج أرسَلان (٥١٠هـ-١١١٦م)
زعيمُ الدَّولة أبو كاملٍ بركةُ بنُ المقلَّد (٤٤٢هـ-١٠٥٠م)	عزُّ الدِّين قَليج أرسلان مِلِكشاه (٥٥١هـ-١١٥٦م)
علَمُ الدَّولةِ أبو المعالي قرواشُ بنُ بدرانَ بنِ المقلَّد (٤٤٣هـ-١٠٥١م)	قطبُ الدِّين مِلِكشاه بن قَليج أرسَلان (٥٨٤هـ-١١٨٨م)
شَرفُ الدَّولة أبو المكارمِ مسلمُ بنُ قرواش (٤٥٣هـ-١٠٦١م)	غياثُ الدِّين كيخسرو بن قَليج أرسَلان (٥٨٨هـ-١١٩٢م)
إبراهيمُ بنُ قرواش (٤٧٨هـ-١٠٨٥م)	ركنُ الدِّين سليمانُ بنُ قَليج أرسَلان (٥٩٨هـ-١٢٠٢م)
عليُّ بنُ مسلمِ بنِ قرواش (٤٨٦هـ-١٠٩٣م) إلى (٤٨٩هـ-١٠٩٦م)	قَليج أرسَلان بن سُليمان (٦٠٠هـ-١٢٠٤م)
*** دولةُ السَّلاجقَةِ الكُبرى (خُراسان)**	غياثُ الدِّين كيخسرو "مرَّةً ثانية" (٦٠١هـ-١٢٠٥م)
ركنُ الدِّين أبو طالب طُغْرُلْبك (٤٢٩هـ-١٠٣٨م)	عزُّ الدِّين كيقاوس بنُ مِلِكشاه (٦٠٧هـ-١٢١٠م)
عضدُ الدَّولةِ أبو شُجاعٍ ألْب أرسلان (٤٥٥هـ-١٠٦٣م)	علاءُ الدِّين كَيقباذ بنُ مِلِكشاه (٦١٦هـ-١٢١٩م)
جلالُ الدِّين أبو الفَتح مَلِكْشاه (٤٦٥هـ-١٠٧٣م)	غياثُ الدِّين كيخسرو بنُ كَيقباذ (٦٣٤هـ-١٢٣٧م)
ناصرُ الدِّين محمود (٤٨٥هـ-١٠٩٢م)	عزُّ الدِّين كيقاوس بنُ كيخسرو (٦٤٣هـ-١٢٤٥م)
ركنُ الدِّين أبو المظفَّر بركياروق (٤٨٧هـ-١٠٩٤م)	ركنُ الدِّين قَليج أرسَلان بن كيخسرو (٦٥٥هـ-١٢٥٧م)
ركنُ الدِّين مَلِكْشاه الثَّاني (٤٩٨هـ-١١٠٥م)..	غياثُ الدِّين كيخسرو بنُ قَليج أرسَلان (٦٦٦هـ-١٢٦٨م)..

... تابع (سلاجقة خراسان)	... تابع (سلاجقة الرُّوم)
غياثُ الدِّين أبو شُجاعٍ محمَّد (٤٩٨هـ-١١٠٥م)	غياثُ الدِّين مسعودُ بنُ كيقاوس (٦٨٢هـ-١٢٨٣م) .
معزُّ الدِّين أبو الحارث سَنجرُ (٥١١-٥٥٢هـ-١١١٧-١١٥٧م)	علاءُ الدِّين كَيقباذ (٦٩١هـ-١٢٩٢م) إلى (٧٠٠هـ-١٣٠١م)
	طغرُلبك الثَّاني (٥٧٣-١١٧٧م) إلى (٥٩٠هـ-١١٩٤م)

* سلاجقَةُ العِراق	* الأتابكةُ في العراقِ (الموصِل)
مغيثُ الدِّين محمودُ (٥١١هـ-١١١٧م) .	الأتابكُ عمادُ الدِّين زَنكي (٥٢١هـ-١١٢٧م)
غياثُ الدِّين داودُ (٥٢٥هـ-١١٣١م)	سيفُ الدِّين غازي بنُ زَنكي (٥٤١هـ-١١٤٦م)
طغرُلبك الأوَّل (٥٢٦هـ-١١٣٢م)	قطب الدِّين مودودُ بنُ زَنكي (٥٤٤هـ-١١٤٩م)
غياثُ الدِّين مسعودُ (٥٢٧هـ-١١٣٣م)	سيفُ الدِّين غازي بنُ مودود (٥٦٥هـ-١١٧٠م)
معينُ الدِّين مَلِكْشاه (٥٤٧هـ-١١٥٢م)	عزُّ الدِّين مسعودُ بنُ مودود (٥٧٦هـ-١١٨٠م)
محمَّد (٥٤٨هـ-١١٥٣م)	نورُ الدِّين أرسلانْشاه بنُ مَسعود (٥٨٩هـ-١١٩٣م)
سُليمانشاه (٥٥٤هـ-١١٥٩م)	عزُّ الدِّين مسعودُ بنُ أرسلانْشاه (٦٠٧هـ-١٢١٠م)
أرسَلانْشاه (٥٥٦هـ-١١٦١م)	نصيرُ الدِّين محمودُ بنُ مسعودٍ (٦١٦هـ-١٢١٩م)
* الأتابكةُ في سِنجار[1]	بدرُ الدِّين لُؤلُؤ[2] (٦٣١هـ-١٢٣٤م)
عمادُ الدِّين زَنكي بن مَودود (٥٦٦هـ-١١٧١م)	إسماعيلُ بنُ لُؤلُؤ (٦٥٧هـ-١٢٥٩م)
قطبُ الدِّين محمَّدُ بنُ زَنكي (٥٩٤هـ-١١٩٨م)	* المَروانيَّة في ديارِ بَكر (تُركيًّا)
عمادُ الدِّين شاهنْشاه (٦١٦هـ-١٢١٩م)	أبو عليٍّ الحسنُ بنُ مروان (٣٨٠هـ-٩٩٠م)
عُمَرُ (٦١٦-٦١٧هـ-١٢١٩-١٢٢٠م)	ممهِّدُ الدَّولةِ أبو منصور بنُ مروان (٣٨٧هـ-٩٩٧م)
* الأيُّوبيُّونَ بالعِراق	نصرُ الدَّولة أبو النَّصر أحمدُ بنُ مروان (٤٠٢هـ-١٠١١م)
الملكُ نجمُ الدِّين الأيُّوبيُّ (٥٩٧هـ-١٢٠٠م)	نظامُ الدَّولة نَصرُ بنُ أحمد (٤٥٣هـ-١٠٦١م)
الملكُ الأشرفُ مظفَّرُ الدِّين (٦٠٧هـ-١٢١٠م)	منصورُ بنُ نَصر (٤٧٢هـ-١٠٧٩م) إلى (٤٨٩هـ-١٠٩٦م)
الملكُ المظفَّرُ الغازي (٦٢٨-٦٤٣هـ/ ١٢٣٠-١٢٤٤م)	

(١) - سِنجار: مدينةٌ عراقيَّةٌ غربَ مُحافظةِ (نينَوى) شمالَ العراقِ، على الحدودِ السُّوريَّة، قربَ مُحافظةِ (الحسكةِ السُّوريَّة).

(٢) - وبدرُ الدِّين لؤلؤُ ليسَ من هذا البيتِ، بلْ هو مولاهُم، استقلَّ بأمرِ المُلكِ بعدَ سيِّدِهِ (نصيرُ الدِّين محمود) .

* الأُرْتُقيُّون (ملوكُ الحِصن) (تُركيًّا)	
معين الدين سُقمانُ بن أُرْتُق (٤٩٥-٤٩٨هـ-١١٠٢-١١٠٥م)	نورُ الدِّين محمَّدُ بنُ قرَه أرسَلان (٥٨١هـ-١١٨٥م)
إبراهيمُ بنُ سُقمان (٥٠٢هـ-١١٠٩م)	قطبُ الدِّين سقمانُ بنُ محمَّد (٥٩٧هـ-١٢٠١م)
ركنُ الدِّين داودُ بنُ سُقمان (٥٤٣هـ-١١٤٨م)	ناصرُ الدِّين محمودُ بنُ محمَّد (٦١٩هـ-١٢٢٢م)
قمرُ الدِّين قرَه أرسَلان بنُ داود (٥٧٠هـ-١١٧٤م)	ركنُ الدِّين مودودُ بنُ محمود (٦٢٠هـ-١٢٢٣م)

* الأُرْتُقيُّون (ملوكُ ماردين) (تُركيًّا)	
نجمُ الدِّين إيلغازي الأوَّلُ بن أُرْتُق (٥٠٢-٥١٦هـ-١١٠٩-١١٢٢م)	شمسُ الدِّين داودُ بنُ قرَه أرسَلان (٦٩٣هـ-١٢٩٤م)
حسامُ الدِّين تَيمور تاش بنُ إيلغازي (٥٤٧هـ-١١٥٢م)	نجمُ الدِّين غازي الثَّاني بنُ قرَه أرسَلان (٧١٢هـ-١٣١٢م)
نجمُ الدِّين أَلبي بنُ تَيمور تاش (٥٧٢هـ-١١٧٦م)	شمسُ الدِّين صالحُ بنُ غازي الثَّاني (٧٦٥هـ-١٣٦٤م)
قطبُ الدِّين إيلغازي الثَّاني بنُ أَلبي (٥٨٠هـ-١١٨٤م)	المنصورُ أحمدُ بنُ صالحٍ (٧٦٩هـ-١٣٦٨م)
حسامُ الدِّين يولُق أرسَلان بن إيلغازي الثَّاني (٥٩٧هـ-١٢٠١م)	محمودُ بنُ أحمدَ بنِ صالحٍ (٧٦٩هـ-١٣٦٨م)
ناصرُ الدِّين أُرْتُق أرسَلان بنُ إيلغازي الثَّاني (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)	المظفَّرُ داودُ بنُ صالحٍ بنُ غازي الثَّاني (٧٧٨هـ-١٣٧٦م)
نجمُ الدِّين غازي الأوَّلُ بن أُرْتُق أرسَلان (٦٥٨هـ-١٢٦٠م)	الظَّاهرُ مجدُ الدِّين عيسى بنُ داودَ بنِ صالحٍ (٨٠٩هـ-١٤٠٨م)
قرَه أرسَلان بنُ غازي الأوَّل (٦٦١هـ-١٢٦٣م)	الصَّالحُ أحمدُ بن داودَ بنِ صالحٍ (٨١١هـ-١٤٠٨م)

*****



المبحثُ الثَّاني:
التَّاريخُ المَشارِقيُّ في إِيرَان

١- الزَّيديُّون في طَبَرَسْتان (إيران) :

خرجَ (الحسنُ بنُ زيدٍ بنِ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ بنِ الحسنِ بنِ زيدٍ بنِ الحسنِ بن عليٍّ) بنَواحي (طبَرَسْتان)[١]، ونجَح (الحسنُ بنٌ زيدِ العلويُّ) في تكوينِ دولةٍ تُعرَفُ بـ(الدَّولةِ الزَّيديَّة) بطبَرَسْتان، واقتطعَ من ملكِ بني العبَّاس أو آلِ طاهر طرَفاً عظيماً تحميهِ جبالُ طبَرَسْتان والدَّيلم[٢]، واستمرَّت هذِه الدَّولةُ نحوَ قرنٍ كاملٍ، من (٢٥٠هـ-٨٦٤م) إلى (٣٥٥هـ-٩٦٦م).

٢- الصفَّارِيُّون في سِجِسْتَان (إيران):

أوجدَ هذِه الدَّولةَ بـ(سِجِسْتانَ)[٣] يعقوبُ بنُ اللَّيثِ الصفَّارُ وأخوهُ عَمرُو سنةَ (٢٥٤هـ٨٦٨م)، فقادَ يعقوبُ الجنودَ لفتح البلادِ، وساسَ مَن تغلَّبَ عليهِم سياسةً سُلطانيَّةً عاليةً. وبعدَ موتِ يعقوبَ بايعَ الجندُ أخاهُ (عمرَو بنَ اللَّيث) فكانَ خيراً من أخيهِ في التَّدبيرِ وأحكامِ السِّياسة، واستولَت الدَّولةُ الصفَّاريَّة على (فارِس) و(كَرمان)[٤] و(سِجِسْتان) و(خُراسان)، ولَم يزَلْ عمرُو في حروبٍ ووقائعَ لا قيمةَ لها حتَّى تعرَّض أخيراً لِما كانَ بيدِ السَّامانيِّين من بلادِ ما وراءَ النَّهر، فولَّاه الخليفةُ إيَّاها، فكانَت هذِه الولايةُ خاتمةَ عزِّه، وانقضَت هذِه الدَّولةُ سنةَ (٢٩٠هـ٩٠٣م).

---

(١) – طَبرستان: بلدٌ ساحليٌّ شمالَ إيران على بَحر قِزوين، وهو اليومَ ولايةُ (مازندران)، وبحرُ قِزوين أو بحرُ الخزَر: بحرٌ مُغلقٌ بين آسيا و أوروبَّا (روسيا الأوروبِّية)، ويعدُّ أكبرَ سطحٍ مائيٍّ مُغلقٍ على سَطح الأرض، والبحرُ مَحُوطٌ بدولِ رُوسيا من الشَّمالِ والشَّمالِ الغربيِّ،وأذربيجان من الغَرب، وإيران من الجنوب، وتركمانستان وكازاخستان من الشَّرق

(٢) – الدَّيلَم: من قُرى أَصبَهان في إيران، ويقال لها أيضاً: الدَّيلمانُ وهي سَهلٌ وجبالٌ.

(٣) – سِجِسْتان: أَو سيستان أَو سيجِزتان، وهيَ اليومَ مُقاطَعَةٌ كبيرةٌ من مقاطَعاتِ (إيران) الثلاثين. تقعُ جنوبَ شرقِ إيرانَ على الحدودِ مع باكستان وأفغانستان.

(٤) – كرمان: اليومَ إحدى مُحافَظاتِ إيرانَ الثَّلاثين، تقعُ جنوبَ شرقيِّ البلادِ.

٣- الزِّيارِيُّون في بلادِ جبلِ الدَّيلَمِ (إيران) :

أنشأَ (مرداويج بن زِيَارٍ الدَّيلَمي) سنةَ (٣١٦هـ-٩٢٨م) دولةً دُعيَت بـ(الزِّيَاريَّة)، ودخلَت في حَوزتِهِ (طَبَرسْتان) و(جُرجان)[١]، وذهبَ إلى (همذَان)[٢] واستولَى علَيها من يدِ جنودِ الخليفةِ العبَّاسيِّ، وبذلكَ تمَّ لهُ الاستيلاءُ على (بلادِ الجبلِ؛ جبلِ الدَّيلَمِ) كلِّها، وبلغَت عساكرُه إلى نَواحي (حُلوان)[٣] وهي أوَّلُ حدودِ العِراق، ثمَّ ملكَ بعدَ ذلكَ (أصبهان)[٤] و(الأَهواز)[٥]، وتعاقَب على هذِه الدَّولة (ستَّةُ) ملوكٍ، وانتهَى أمرُها سنةَ (٤٣٤هـ-١٠٤٣م) .

٤- الصَّفَويُّون (إيران) :

يُنسَبُ الصَّفويُّونَ في الأصلِ إلى (صفيِّ الدِّين الأردَبيليِّ)، وهو **صوفيٌّ سُنيٌّ حنفيٌّ** عاشَ بينَ عامَي (٦٥٠-٧٣٥هـ). أمَّا مؤسِّس هذِه الدَّولةِ فهوَ من أسرةِ الشَّيخ صفيِّ الدِّين، وهو الشَّاه إسماعيلُ الأوَّلُ بنُ حيدَرٍ، الذي يرجعُ نسبُه إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ، أقامَ دولتهُ في إيران، واتَّخذَ (تَبريزَ)[٦] عاصمةً لهُ سنةَ (٩٠٧هـ-١٥٠٨م)، وقد فتحَ الشَّاهُ إسماعيلُ بلادَ خُراسان، وطاردَ الأُوزبكيِّين[٧]، وسارَ إليه السُّلطانُ سليمُ الأوَّلُ العُثمانيُّ، فلَم يقوَ على مُقاوَمتِه، فانهزمَ

---

(١) - طَبرستان: بلدٌ ساحليٌّ شمالَ إيران على بَحر قِزوين، وبجانِبها (جُرجان) مدينةٌ إيرانيَّةٌ شَهيرَة.

(٢) - همَذان: اليومَ إحدى مُحافظاتِ إيرانَ، في وسطِها الغربيِّ، جنوبَ غربِ العاصِمَة طَهران.

(٣) - حُلوان: المَقصودةُ هاهُنا ولايةٌ كانَت آخرَ حدودِ العراقِ، ممَّا يَلي شَرقَ بغداد، وهيَ غيرُ (حُلوانَ) المصريَّة جنوبَ القاهِرَة، وكذا غيرُ منطقةِ (حُلوانَ) في مدينةِ نيسابور، في مُحافظةِ خُراسانَ، شَمالَ شرقِ إيران.

(٤) - أصبَهان: أو (أصفَهان) مدينةٌ إيرانيَّةٌ، في وسطِ البلادِ، جنوبَ شرقِ طَهران.

(٥) - الأهواز: اليومَ مركزُ مُحافظةِ (خُوزستان) الإيرانيَّة، في شَمالِ غربِ إيرانَ، على نهرِ (قارون) أو (المَسرقان).

(٦) - تَبريز: مدينةٌ شمالَ غربِ إيران، وهيَ مركزُ مُحافظةِ (أَذَربيجان الشَّرقيَّة).

(٧) - الأُوزبك أو الأوزبكيِّين: ظهرَ هذا الاسمُ في القرنِ الخامسَ عشرَ الميلاديِّ في بلادِ ما وراءَ النَّهر، وكان يُطلقُ في البدءِ على الجماعاتِ التُّركيَّةِ التي هاجرَت من بلادِ القِبجاق (جنوبَ شرقِ روسيا الحاليَّة) ومناطقِ إستراخان (المدينة الرُّوسيَّة المطلَّة على نهر الفولغا)، واستوطَنت بلادَ ما وراءَ النَّهر وتُركستان، ويُعدُّ (محمَّد شيباني خان وهو من سُلالةِ جنكيز خان) زعيمَ الأُوزبك ومنشئَ الدَّولةِ الشَّيبانيَّة التي أنهَت حكمَ التَّيموريِّين. يَستوطِنُ الأُوزبك اليومَ الدَّولةَ الواقعةَ في وسطِ آسيا، المعروفةِ باسمِهم (أوزبكستان).

الجيشُ الصَّفويُّ عندَ (جالديران)[1] واحتلَّت الجنودُ العُثمانيَّةُ جميعَ ولاياتِ إيرانَ الغربيَّة، ولبثَت تحتَ الحكمِ العُثمانيِّ أمداً طَويلاً.

كانَت الدَّولةُ العُثمانيَّةُ في الواقِعِ خَصماً قويَّاً يَحُدُّ من آمالِ الشَّاه إسماعيلَ التَّوسُّعيَّة، وكانَت دولتُهُ سُنِّيَّةً تتبنَّى المذهَبَ الحنفيَّ، ولَمَّا دخلَ الشَّاه إسماعيلُ في صراعٍ مع الدَّولةِ العُثمانيَّة بتحريضٍ من دولٍ أوروبِّية، أرادَ أن يَستغِلَّ المُسلمينَ الشِّيعةَ في إيرانَ والعِراقِ ضدَّ العُثمانيِّين، فأعلَنَ المذهبَ الشِّيعيَّ مذهباً رسميَّاً لدولتِه، وقامَ بجُهدٍ واسعٍ لتحويلِ النَّاسِ إلَيه، أي أنَّ هذا التَّحوُّلَ كانَ سياسيَّاً في المقامِ الأوَّل.

وظلَّت الملوكُ الصَّفويُّون في عراكٍ مع العُثمانيِّين والأُوزبكِ والأفغانِ حتَّى جاءَ الشَّاه عبَّاسُ الكبيرُ أو الأوَّلُ، فكسرَ الأزبكَ وطردَ العُثمانيِّينَ من بلادِه، ونقلَ عاصمةَ الصَّفويِّين إلى (أصبَهان)، وأعادَ تنظيمَ سيرِ القوافلِ، وكفلَ سلامةَ الطَّريقِ والمحافظةَ عليهَا، وأقامَ الجسورَ، وأعادَ للتِّجارةِ ازدهارَها ونشاطَها، وتوفِّي الشَّاه عبَّاسُ الأوَّلُ سنةَ (١٠٣٨هـ-١٦٢٩م)، وبوفاتِه أخذَ نجمُ الدَّولةِ الصَّفويَّةِ في الأُفول، إذ تعاقبَ على عرشِ إيرانَ ملوكٌ ضعافٌ، فعادَت القبائلُ الرُّحَّلُ تُعلِنُ العِصيانَ من جديدٍ وانتشرَت الفتنُ والثَّوراتُ في داخليَّةِ البلادِ حتَّى لَم يَعدْ للشَّاه من السُّلطةِ إلَّا اسمُها، وغزا الأفغانُ بلادَ إيرانَ في أوائلِ القرنِ الثامنَ عشرَ الميلاديِّ، واستولَت قبيلةُ (غيلزاي)[2] بزعامةِ أميرِهم (محمودُ شاه) على مقاليدِ السُّلطةِ في البلادِ.

ثمَّ تقدَّم (نادر شاه) (١١٤٣هـ-١٧٣٠م) إلى (الشَّاه طهماسب) والدِ (الشَّاه عبَّاس الأكبر)، وعرضَ خِدمتَه علَيه، فقادَ الجيوشَ الإيرانيَّة في مطاردتِها للأفغانِ، واستردَّ منهم (خُراسانَ ومشهدَ وحِيرات)[3]، واستغلَّ نادر شَاه هذا الظَّرفَ لإكراهِ الشَّاه طهماسِب على التَّنازل

---

(١) - جالديران: إحدى مناطقِ تُركيَّا، على حدودِها مع إيران، قربَ منطقةِ تَبريزَ الإيرانيَّة.

(٢) - قبيلةُ غيلزاي: أو سُلالةُ (هوتاكي غيلزاي)، من أكبَر قبائِل (البَشتون) في جنوبِ شَرقِ أفغانستان.

(٣) - خُراسان: اليومَ مُحافظةٌ شَمالَ شرقِ إيران. ومشهَد: أو مَشهد الإمام الرِّضا، وكانَت تُسمَى (طُوس)، شمالَ إيران. وحِيرات: أو هِيرات أو هِراة، إقليمٌ غربَ أفغانستان.

عن الملكِ إلى ابنِه (عبَّاس الثَّالث)، وأقامَ نادر شاه نفسَهُ وصيّاً على الشَّاه الطِّفل، وماتَ عبَّاسُ الثَّالث بن طهماسب، فنصَّبَ نادر شاه نفسَه شَاهاً على إيران سنةَ (١١٤٩هـ-١٧٣٦م)، فقَضى على جميعِ ثوراتِ إيرانَ الدَّاخليَّة، وأخضعَ جميعَ قبائلِها، ثمَّ سارَ بعد ذلكَ إلى ملاقاةِ العُثمانيِّين، فاستولَى على (بغداد) و(تفليس)[1]، وأجلاهُم عن أراضي الجزيرةِ بالعراقِ، واستعادَ (كردستان) و(جورجيا)[2]، وضمَّهُما إلى بلادِ إيرانَ، ثمَّ اغتالَه أحدُ رجالِ حرَسِه سنةَ (١١٦٠هـ-١٧٤٧م) .

٥- القاجَاريُّون (إيران) :

بعدَ الدَّولةِ الصَّفويَّةِ جاءَت الدَّولةُ القاجاريَّة، وتُنسَب هذِه الدَّولةُ إلى قبيلةِ (قاجار) التي سكنَت بلادَ (أَسْتراباذ)[3] شمالَ شرقِ طهرانَ في إيرانَ، ومؤسِّسُها (آقا محمَّد خان بن أَمير) مِن وُجوهِ القاجاريَّة، وكانَ (محمَّد خان) في أوَّلِ الأمرِ صاحبَ الأمرِ والنَّهي في شَمالي إيرانَ وقاعدتُه (طَهران)، وكانَ (لُطف الله عليّ خان) صاحبَ إيرانَ الجنوبيَّة وقاعدتُه (شيراز)[4]، ثمَّ غلبَ (محمَّدُ خان) (لطفَ الله) على بلادِه، ولَمَّا تمَّ لمحمَّدٍ الأمرُ شرَع في تنظيمِ بلادِ إيرانَ، وقرَّبَ الأذكياءَ وأربابَ المعرِفَة، وشدَّد الوطأةَ على الأعداءِ والأشقياءِ، ثمَّ حاربَ قبائلَ التُّركمان المجاورةَ لإستراباذ، ثمَّ أخضعَ (بلادَ الكرج)[5]، ثمَّ تُوِّجَ رسميَّاً سُلطاناً على إيران، وتوفِّي سنةَ (١٢١٢هـ-١٧٩٧م) .

وتولَّى الملكَ بعدَه ابنُ أخيهِ (فتح عليّ شاه)، وفي عهدِه دارَت معاركُ بينَه وبينَ الرُّوس،

---

(١) - تَفليس: أو تبليسي، وهيَ اليومَ عاصمةُ جمهوريَّة (جورجيا) الواقعةِ على السُّفوحِ الجنوبيَّة لجبالِ القوقاز.

(٢) - كردستان: لَم تُشكِّل كُردستان في يومٍ ما دولةً مُستقلَّةً ذاتَ حدودٍ سياسيَّة، وظلَّت مُصطلحاً جُغرافيَّاً لأراضٍ تشملُ العِرقَ الكرديَّ، وتمتدُّ على مساحاتٍ من تُركيَّا وإيران والعراق وسوريَّة. أمَّا جورجيا: فهيَ اليومَ دولةٌ مُستقلَّةٌ جنوبَ حبالِ القوقاز، شَمالَ غربِ جمهوريَّةِ أذَربيجان.

(٣) - أَسْتراباذ: بلدةٌ في طَبرستان (مازندران) شمالَ إيرانَ على بَحر قِزوين.

(٤) - طَهران: اتَّخذَها محمَّد خان القاجاريُّ عاصمةً لإيران سنةَ (١٧٧٨م)، ولا زالَت كذلكَ إلى اليوم. أمَّا شِيراز: فهيَ اليومَ مركزُ مُحافظةِ (فارس) الواقعةِ جنوبَ غربِ إيران.

(٥) - بلادُ الكُرج: اسمُ (جورجيا) قديماً، والكُرج اليومَ مدينةٌ إيرانيَّةٌ في مُحافظةِ طَهرانَ، في جُزئِها الغربيِّ.

وكانَت الغلبةُ للرُّوس، فعُقِد صلحٌ بينَهما في (١٢٤٣هـ-٢٣شباط١٨٢٨م)، وكان من جملةِ الشُّروط: تخلِّي إيرانَ عن خانيتَي أو وِلايَتي (أَرَّانَ ونَقْجَوان)(١)، ودفعُ ثمانيةِ ملايينَ رُوبل غرامةً لرُوسيا،وتخويلُها إدخالَ سفنِها الحربيَّة في بحرِ الخزَر.

ومن أعمالِ (فتح عليّ شاه) أيضاً انتصارُه على العُثمانيِّين في وقائعَ عديدةٍ، وتوفِّي فتح عليّ شاه سنةَ (١٢٥٠هـ-١٨٣٤م)، وخلفَهُ (محمَّد مِيرزا بن عبَّاس مِيرزا)، وفي عهدِه أُنشِئ معملٌ لصبِّ المدافعِ، وسائرِ الأدواتِ الحربيَّة، وتوفِّي سنةَ (١٢٦٤هـ-١٨٤٨م).

وتولَّى الملكَ بعدهُ ابنُهُ (ناصرُ الدِّين بنُ محمَّد شاه)، وحاربَ (حسَن خان سالار) وأنقذَ بلادَ خُراسان، وشهرَ الحربَ على أميرِ خيون (خيوَة)، وإمامِ مَسقَط، واشتركَ في الثَّورة الهنديَّة، ودخلَت الجنودُ الإيرانيَّةُ إلى (هَراة) فأسرعَت بريطانيا بإرسالِ المدرَّعاتِ الحربيَّة إلى الخليجِ الفارسيِّ، واستولَت على ميناء (أبي شهر)(٢)، ومن مآثرِه: إرسالُه أربعينَ شابَّاً من أولادِ الأعيانِ والأُمراءِ إلى باريسَ للتَّخصُّص، ومنها أيضاً إصلاحُ الطُّرق والسُّبل العامَّة وتنظيمُ البريد، وغيرُها من المآثِر، وتوفِّي في سنةِ (١٣١٣هـ-١٨٩٦م) .

ووليَ مكانَه (مظفَّرُ الدِّين شاه)، واضطرَّهُ سوءُ الحالةِ الاقتصاديَّة إلى إبرامِ قرضٍ من إنكلترا سنةَ (١٣١٦هـ-١٨٩٨م)، وقرضٍ من رُوسيا، وفي عهدِه عملَ الرُّوسُ والإنكليزُ على تثبيتِ نفوذِهما بإرغامِ الحكومةِ الإيرانيَّةِ على منحِها امتيازاتٍ اقتصاديَّةً جديدةً، واضطُّر الشَّاهُ المذكورُ إلى منحِ البلادِ الدُّستورَ في (١٣٢٤هـ-١٩٠٦م).

وخلفَه على عرشِ البلادِ (محمَّد عليّ شاه)، وعظُمَ النفوذُ الرُّوسيُّ في عهدِه، حتَّى كان للرُّوسِ في طهرانَ فرقةٌ من الجنودِ (القوزاق)(٣)، ثمَّ اتَّفقَ الإنكليزُ والرُّوسُ بشأنِ المسألةِ الإيرانيَّة،

---

(١) - أَرَّان: ولايةٌ واسعةٌ كانَت تمتدُّ على أراضٍ في جُمهوريَّتَي أَذَربيجان وجُورجيا. ونَقْجَوان: أو (نَشوَى)، بلدٌ من نَواحي (أَرَّان).

(٢) - أبو شَهر: أو بوشَهر، إحدى مُحافظات إيرانَ الثَّلاثين، على الخليج العربيِّ (أو الخليجِ الفارسيِّ بحسَبِ تَسميةِ إيران).

(٣) - القَوزاق: في الأصل لواءٌ أو وحدةٌ عسكريَّةٌ في الجيشِ الإمبراطوريِّ الرُّوسيِّ، ولمَّا قامَ الشَّاهُ القاجاريُّ (ناصرُ الدِّين بن

وكان هذا الاتِّفاقُ يَرمي إلى تقسيمِ بلادِ إيرانَ إلى منطقتَي نفوذٍ تجاريٍّ:

- المنطقةِ الشَّماليَّة وكانت من نصيبِ روسيا.

- والمنطقة الجنوبيَّة: وكانت من نصيبِ إنكلترا.

واتَّفق الطَّرفانِ على جعلِ المنطقةِ الغربيَّة منطقةَ حيادٍ.

وخلَفَ (محمَّد عليّ شاه) سنةَ (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م) (سُلطان محمَّد شاه)، وفي عهدِه استبدَّ الرُّوسُ بولاياتِ إيرانَ الشَّمالية، والإنكليزُ بولاياتِها الجنوبيَّة، ثمَّ الأتراكُ بولاياتِها الغربيَّة، ولَم يبقَ للعاهلِ القاجاريِّ في طهرانَ من السُّلطةِ إلَّا اسمُها فقَط.

٦- البَهْلَوِيَّة (إيرانُ):

وجرَت بعدَ ذلكَ أحداثٌ يطولُ شرحُها كانت سَبباً لأن يسيرَ **(رضا خان بَهلَوي)** على رأسِ فرقتِه، وكان قوامُها (ألفَين وخمسمائة) رجلٍ، تعاهَدوا على النَّصرِ أو الموتِ في سبيلِ إنقاذِ طَهران، وتمَّ لرضا خان ما أرادَ، وأصبحَ حاكمَ المدينةِ المُطلَق، وألَّف (سيد ضياءُ الدِّين) الوزارةَ الجديدةَ، وتقلَّد (رضا خان) منصبَ رئيسِ أركانِ حربِ الجيش وسرَدارِه، ووَضعت الحكومةُ الجديدةُ برنامجَها الذي يتلخَّصُ في ناحيةِ السِّياسةِ الخارجيَّة في رفضِ الاتِّفاقِ السريِّ الإنكليزيِّ الذي جرَى سنةَ (١٣٣٧هـ-١٩١٩م)، وفي ناحية السِّياسةِ الدَّاخليَّة في إصلاحِ الإدارةِ والعدالةِ والقضاءِ.

ثمَّ اكتشف (رضا خان) اتِّصالَ (سيِّد ضياء الدِّين) بالإنكليز، فعملَ على إسقاطِ وزارتهِ بعد ثلاثةِ أشهُر، واستَدعى الشَّاهَ (أحمد قوامَ السَّلطنة)، وعهدَ إليه بتأليفِ الوزارةِ الجديدةِ، وحدثَت بعدَ ذلك (ثورةُ جيلان)، وأخرى في (أذربيجان)[1]، غير أنَّ رضا خان تمكَّن من القضاءِ

محمَّد) بالسَّفرِ إلى جنوبِ روسيا سنةَ (١٨٧٨م)، أعجِبَ بهِ، فأنشأَ في السَّنةِ التَّاليةِ قوزاقاً فارسيَّاً على غرارِه. وبمرورِ السَّنواتِ ازدادَت أعدادُ اللواءِ (القوزاق) حتى وصلَت إلى فرقةٍ تضمُّ نحوَ (١٠آلاف) فردٍ ، كان أخرُ قادةِ الفرقةِ القوزاقيَّة (رضا بهلَوي) الذي دمَجها فيما بعدُ مع الجيشِ الوطنيِّ الإيرانيِّ.

(١) - جيلان: أو (كَيلان) إحدى مُحافظاتِ إيران الثَّلاثينَ، في شَمالِ إيران. وأذربيجان: هي اليومَ جمهوريةٌ جنوبَ غربِ قارَّة

على الفتَن التي استعرَت نيرانُها في أنحاءِ البلاد.

وفي (١٣٤١هـ-تشرين الأوَّل١٩٢٤م) اكتشفَت الشَّرطَةُ مؤامرةً لاغتيالِ رضا خان، وكان الرَّأسُ المدبِّرُ لذلك الاغتيالِ (قوامُ السَّلطنة)، فقُبِضَ عليه، وأَرغَمَ رضا خان (الشَّاهَ قوامَ السُّلطَنة) في (٢٨تشرين الأوَّل) على أن يَعهدَ إليهِ بتأليفِ الوزارة، مُحتفِظاً فيها لنفسِه بمنصبَي وزيرِ الحربيَّةِ وسرَدارِ الجيش، وطلَب من (قوامِ السَّلطنة) مغادرةَ البلادِ، وأجرى (رضا خان) الانتخاباتِ النِّيابية، وسلَّم الشَّعبُ مقاليدَه إليه، وغادرَ الشَّاه قوامُ السَّلطنةِ البلادَ، وأَعلنَ (رضا خان بهلَوي) برنامجَه على الأُسسِ الآتية:

١- إقرارُ الأمنِ والنِّظام واستتبابُها في أنحاءِ البلاد .

٢- العملُ على نشرِ التَّعليمِ والثَّقافةِ والتَّوسُّعُ السَّريعُ في ذلك حتَّى تستغنيَ البلادُ عن الأساتذةِ الأجانِب .

٣- تنميةُ مواردِ البلادِ الاقتصاديَّة وترقيةُ استثمارِ المناجمِ والأراضي للقضاءِ بذلكَ على المصاعبِ الاقتصاديَّة ولتثبيتِ مركزِ البلادِ الاقتصاديِّ .

وحصلَت عدَّةُ ثوراتٍ وفِتنٍ في أنحاءٍ مختلفةٍ من إيرانَ، انتهَت في (١٣٤٤هـ-١٥كانون الأوَّل١٩٢٥م) إلى خلع (الشَّاه أحمد)، وتنصيبِ (رضا بهلَوي) شاهاً على إيران، وأُعلِنت ولايةُ العهدِ لابنهِ الأكبر (شاهبور محمَّد رضا)، وتمَّ تتويجُه في (١٣٤٤هـ-٢٥نيسان١٩٢٦م) .

وقام (رضا شاه بهلَوي) أثناءَ حُكمِه بأعمالٍ جليلةٍ منها: إلغاءُ الامتيازاتِ الأجنبيَّة في (١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)، وانضمامُ إيرانَ إلى عصبةِ الأمم في (١٣٤٩هـ-١٩٣٠م)، وجاءَت المعاهداتُ العديدةُ التي عقدَتها إيرانُ منذُ اعتلاءِ رضا شاه العرشَ مع جيرانها كرُوسيا وتركيَّا

آسيا، على بَحر قَزوين، بين جمهوريَّة إيران ورُوسيا الاتِّحاديَّة. أمَّا ثورةُ جيلان فقامَ بها (ميرزا كوجك خان) سنةَ (١٨٨٠-١٩٢١)، وهو ثائرٌ إيرانيٌّ قام ضدَّ الحكومةِ القاجاريَّة وملكِها (أحمد ميرزا شاه قاجار) آخرِ ملوكِ القاجاريِّين، وقد ثارَ ضدَّ الحكومةِ بسَببِ وجودِ القوى الأجنبيَّة؛ روسيا (شمالاً) وإنكلترا (جنوباً)، وقيامُه هذا يُعدُّ أوَّلَ قيامٍ مسلَّحٍ في إيران. وانظُر: العالَمَ الإسلاميّ: عمر رضا كحَّالة: ٢/ ١٨٦.

وأفغانستان والعراقِ معزِّزةً لمركزَيْها السِّياسيِّ والاقتصاديِّ .

وأُعلِنت الحربُ العالميَّةُ الثَّانية، فأُكرِهَ رضا شاه بَهلَوي على مغادرةِ البلادِ، وخلفَه على العرشِ ابنُه (شاهبور محمَّد رضا)، وبعدَ الحربِ العالميَّةِ الثَّانية انبعثَت حركةٌ وطنيَّة بزعامةِ (مصدّق)، أخذَت على عاتقِها تأميمَ النِّفطِ بإيرانَ، وقد نجَحت في مَسعاها، ثمَّ قُضِيَ علَيها، واعتُقل بعضُ أفرادِها، وأُعدِمَ آخرون.

*****



إيران

* قوائمُ أسماءِ الحكّامِ في إيران *

*** الزَّيديُّون في طبَرِسْتان (إيران)**	
الحسنُ بن زيدٍ الدَّاعي (العلَويُّ) (٢٥٠هـ-٨٦٤م)	السَّامانيُّون (٢٧٩هـ-٨٩٢م)
محمَّدُ بنُ زيدٍ القائمُ بالحقِّ (٢٧٠هـ-٨٨٣م)	الحسنُ بنُ عليٍّ الأَطروش (٣٠١هـ-٩١٤م)
الحسنُ بنُ القاسِم الدَّاعي العلَويُّ (خَتْنُ الأَطروش) (٣٠٤-٣٥٥هـ-٩١٦-٩٦٦م)	
*** سلاجقَةُ كَرمان(١) (إيران)**	
عمادُ الدِّين قرا أرسلان قاورت بك (٤٣٣هـ-١٠٤١م)	أرسَلانشاه الأَوَّل (٤٩٤هـ-١١٠١م)
كَرمانشاه (٤٥٦هـ-١٠٦٤م)	مُغيثُ الدِّين محمَّد الأوَّل (٥٣٦هـ-١١٤٢م)
حُسين شاه (٤٦٧هـ-١٠٧٥م)	محيي الدِّين طربل شاه بهرامشاه (٥٥١هـ-١١٥٦م)
رُكن الدِّين سُلطانشاه (٤٦٧هـ-١٠٧٥م)	أَرسَلانشاه الثَّاني
تُورانْشاه (٤٧٧هـ-١٠٨٧م)	طَرخانْشاه
أرانْشاه (٤٩٠هـ-١٠٩٧م)	محمَّد الثَّاني (٥٦٣هـ-١١٦٨م)
*** الأَتابكةُ في فارِس (الدَّولةُ السَّلغريَّة)(٢)**	
سُنقُر بنُ مودود بن سلغَر (٥٤٣هـ-١١٤٨م)	أبو بكرِ بنُ سَعد (٦٢٣هـ-١٢٢٦م)
زَنكيُّ بنُ سنقُر (٥٥٧هـ-١١٦٢م)	محمَّدُ بنُ سَعد (٦٦٠هـ-١٢٦٢م)
دَكلا بنُ زَنكي (٥٨١هـ-١١٨٥م)	محمَّد شاه بنُ محمَّد (٦٦٠هـ-١٢٦٢م)
سعدُ بنُ زَنكي (٥٩١هـ-١١٩٥م)	سلجوقْشاه بنُ سلغر بنِ سَعد (٦٦٠هـ-١٢٦٢م)
ابيشُ بنُ سعدِ بنِ أبي بكر (٦٨٦هـ-١٢٨٧م)	
*** الصَّفويُّون (شاهاتُ إيران)**	
إسماعيلُ الأوَّلُ بنُ حيدَر (٩٠٧هـ-١٥٠٢م)	عبَّاسُ الثَّاني (١٠٥٢هـ-١٦٤٢م)
طَهماسب الأوَّل (٩٣٠هـ-١٥٢٤م)	سُليمان الأوَّلُ أو (صفيُّ الثَّاني) (١٠٧٧هـ-١٦٦٦م)
إسماعيلُ الثَّاني (٩٨٤هـ-١٥٧٦م)	حَسَين الأوَّل (١١٠٥هـ-١٦٩٤م)

---

(١) - كرمان: اليومَ إحدى مُحافَظاتِ إيرانَ الثَّلاثين، تقعُ جنوبَ شرقيِّ البلادِ. وانظُر: ص٣٠٥.

(٢) - السَّلغريَّة: أو (دولةُ بَني سَلغَر)، دولةٌ قامَت في فارس أيَّام العبَّاسيِّين من (٥٤٣هـ-١١٤٨م) إلى (٦٨٨هـ-١٢٧٠م)، أسَّسها مظفَّرُ الدِّين سُنقُر بن مودود، حفيدِ (سَلغَر) حاجبِ طُغرُل بك السَّلجوقيِّ، وجعلَ عاصمتَها (شيراز) مركزَ مُحافظةِ (فارسِ) جنوبَ غربِ إيران. وانظُر : ص٣٠٧.

محمَّد خدابندَه (٩٨٥هـ- ١٥٧٨م)	طهماسِب الثَّاني (١١٣٥هـ-١٧٢٢م)
عبَّاسُ الأوَّل (٩٨٩هـ- ١٥٨١م)	عبَّاس الثَّالث (١١٤٤هـ- ١٧٣١م)
صفيُّ الأوَّل (١٠٣٨هـ- ١٦٢٩م)	نادر شَاه (١١٤٨هـ-١٧٣٥م) إلى (١١٥٠هـ-١٧٣٧م)

* القاجاريُّون في إيرانَ	
آقا محمَّد خان بنُ أمير مؤسِّس الدَّولة (توفِّي١٢١٢هـ١٧٩٧م)	مظفَّرُ الدِّين شاه (١٣١٣هـ-١٨٩٦م)
فَتْح عليّ شاه (١٢١٢هـ-١٧٩٧م)	محمَّد عليّ شاه (١٣٢٤هـ-١٩٠٦م)
محمَّد مِيرزا بن عبَّاس مِيرزا (١٢٥٠هـ-١٨٣٤م)	سُلطان محمَّد شاه (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م)
محمَّد ناصرُ الدِّين بن محمَّد مِيرزا (شَاه) (١٢٦٤هـ-١٨٤٨م)	أحمد ميرزا القاجَاري (١٣٢٧هـ١٩٠٩م)إلى(١٣٤٤هـ١٩٢٦م) آخرُ حكَّامِ القاجاريِّين
* الدَّولةِ البهلَويَّة	
رضا شاه بَهلَوي (١٣٤٤هـ-١٩٢٦م) مؤسِّسُ الدَّولةِ	شاهبور محمَّد رِضا بَهلَوي من (١٣٥٩هـ-١٩٤١م) إلى (١٣٩٧هـ-١٩٧٩م) زمنِ الثَّورةِ الإسلاميَّة



المبحثُ الثَّالث:
التَّاريخُ المَشارقيُّ في وسَطِ آسيَا وجَنوبِها وشَرقِها

١- الطَّاهرِيُّون (خُراسانُ) :

تُنسَبُ الدَّولةُ الطَّاهريَّةُ إلى (طاهرِ بنِ الحُسين) الذي كانَ لهُ استقلالٌ بحُكمِ (خُراسان)[١]، يؤدِّي الخراجَ عَن عملِه، وكانَ علَيه والي بريدٍ يكتبُ إلى المأمونِ بأخبارِه، وقد استمرَّ ملكُ البيتِ الطَّاهريِّ بخُراسانَ من سنةِ (٢٠٥هـ-٨٢٠م) إلى سنةِ (٢٥٩هـ-٨٧٣م)، حينَ سقطَت خُراسانُ على يدِ (يعقوبَ بن اللَّيثِ الصفَّار)[٢]، وهي أوَّلُ الدُّولِ الإسلاميَّةِ استِقلالاً بالمشرقِ وأحسَنُها علاقةً بدولةِ الخلافةِ العبَّاسيَّةِ ببغدادَ، والسَّببُ في هذا التَّحسُّنِ أنَّ (آلَ طاهرٍ) كانَ لهم معَ خُراسانَ ولايةُ الشُّرطَةِ ببغدادَ،ومن أجلِ ذلكَ كانَ الاتِّصالُ دائماً بينَ (مَرْو)[٣] و(بغداد).

ولَم تكُن هذِه الدَّولةُ ذاتَ نظامٍ ملَكيٍّ، ولا مُرتاحةً من الأَعداءِ، فإنَّ (السَّامانيِّين) قتَلوا أميرَهُم (محمَّدَ بنَ زيدٍ القائمَ بالحقِّ) واستولَوا على طَبَرستان إلى سنةِ (٣٠١هـ-٩١٤م)، حينَ ظهرَ الأميرُ الزَّيديُّ (الحسنُ بنُ عليٍّ الأَطروشُ) فاستردَّ طبَرستانَ من آلِ سامانَ، ولكنَّه قُتِلَ في بعضِ حُروبِه مع السَّامانيَّة، فقامَ بعدَه (الحسنُ بنُ القاسمِ) ونازَعهُ أولادُ الأَطروش، ولَم يزَل النِّزاعُ والخلافُ بينَهم حتَّى انتَهى أمرُهم سنةَ (٣٥٥هـ-٩٦٦م)، وانقضَى الملكُ الزَّيديُّ من تلكَ الجبالِ.

---

(١) - خُراسان: خراسان الكُبرى، إقليمٌ قديمٌ يشملُ إيرانَ وأفغانستانَ وبعضَ آسيا الوسطى. وفي شرقِ إيران (إقليمُ خراسان)، وهو يختلفُ عن إقليمِ خراسانَ القديمِ الذي كان يَشملُ مناطقَ أوسعَ. وخُراسانُ اليومَ مُحافظةٌ في شمالِ شرقِ إيران. وانظُر: العالَمُ الإسلاميّ: عمر رضا كحَّالة: ٢/ ١٧٩.

(٢) - وإليه تُنسَبُ (الدَّولةُ الصَّفَّاريَّةُ) التي ظهرَت إثرَ قضاء يعقوبَ على (الدَّولة الطَّاهريَّة) وأميرِها محمَّد بن طاهِر.

(٣) - مَروُ: هيَ اليومَ عاصمةُ منطقةِ ماري في تركمانستان، وكانَت من قبلُ عاصمةَ إقليم خُراسان.

٢- السَّامانيُّون في بُخارَى (أُوزبكستان) :

تُنسَبُ الأسرةُ السَّامانيَّةُ في الأصلِ إلى (بَهرام جور) صاحبِ (كسرى هرمز)، فهي أسرةٌ عريقةُ المجدِ في الأمَّةِ الفارسيَّة، كان في عهدِ المأمونِ من تلكَ الأسرةِ أولادُ (أسدِ بنِ سامانَ)، وكان المأمونُ يَرعى حقوقَ الحرمةِ لذَوي البُيوتاتِ، فقرَّبَهم ورفعَ من أقدارِهم، وكانَت (بلادُ ما وراءَ النَّهر)[١] مقسَّمةً بينَهم يَلُونَها من جهةِ أميرِ خُراسان، فكان (نوحُ بنُ أسدٍ) في (سمَرقَند)، و(أحمدُ بنُ أسدٍ) في (فَرغانة)، و(يحيى بنُ أسدٍ) في (الشَّاشِ وأَشروسنَة)، و(إلياسُ بنُ أسدٍ) في (هَراة)[٢]، وكانَ (أحمدُ بنُ أسدٍ) عفيفَ الطُّعمَةِ مَرضيَّ السِّيرةِ، لا يأخذُ رِشوةً ولا أحدٌ من أصحابِه، ولمَّا تُوفِّي استخلَف ابنَه (نصراً)[٣] علَى أعمالِه بـ(سمَرقَند) وما وراءَها، فبقيَ عامِلاً بها إلى آخر أيَّامِ الطَّاهريَّة سنةَ (٢٥٩هـ-٨٧٣م)، وكانَ (إسماعيلُ بنُ أحمد) يخدِمُ أخاهُ نَصراً فولَّاهُ (بُخارَى)، وكانَ بين هذَين الأخوَين خطوبٌ طويلةٌ بسَببِ سُعاةِ السُّوءِ، حتَّى إنَّه في سنةِ (٢٧٥هـ-٨٨٨م) تَحارَبَ نصرٌ وإسماعيلُ، فقُهِرَ نصرٌ وحُمِلَ إلى أخيهِ إسماعيلَ، فلمَّا رآهُ ترجَّلَ لهُ وقبَّلَ يدَيه وردَّه من موضعِه إلى سمَرقَند وتصرَّفَ هو على النِّيابةِ بـ(بُخارَى)[٤].

---

(١) - يُطلقُ اسمُ (بلاد ماوراء النَّهر) على الدُّول الواقعةِ وسطَ آسيا، التي عُرِفَت فيها بعدُ باسم (آسيا الوُسطى) و(بلادِ القُوقاز)، حيثُ يوجد في آسيا الوسطى دولٌ هيَ: (كازاخستان، وأوزبكستان، وتُركمانستان، وقيرغستان، وطاجِكستان، إضافةً إلى بعض الولاياتِ الرُّوسيَّة الأخرى التي تتمتَّع بالحكم الذَّاتي داخلَ اتِّحاد الرُّوسيِّ وهي: (الشِّيشان، أنجوشيا، داغستان، بلغاريا، أوستيا الشَّمالية، وأديجيا). وتُعدُّ كذلك جمهوريَّة أبخازيا الواقعةُ تحت الحكم الجورجيِّ جُزءاً من بلاد القُوقاز. والنَّهرُ المقصودُ في بلاد ما وراءَ النَّهر هُما نهرا (جيحون Amu darya) و(سيحون Syr darya).

(٢) - سمَرقند وفَرغانَة والشَّاش وأَشروسنة وهَراة مدنٌ لا زالَت قائمةً في بلادِ ما وراءَ النَّهر (آسيا الوُسطَى). وانظُر: ص٤٨و٨٢.

(٣) - يَعدُّ المؤرِّخونَ نصرَ بنَ أحمدَ بنِ أسدٍ السَّامانيُّ، المؤسِّسَ الحقيقيَّ للدَّولةِ السَّامانيَّة، أو أبرزَ أمرائِها.

(٤) - بُخارَى: كانَت في ذلكَ الزَّمانِ دولةً مسوَّرةً قائمةً بذاتِها، في شَمالِ أفغانستانَ الحاليَّة، أمَّا اليومَ فبُخارَى القديمَة ممتدَّةٌ في جُمهوريَّتَي أوزبكستان وتُركمانستان المُستقلَّتَين عن الاتِّحادِ السُّوفييتيِّ، وبُخارَى اليومَ مدينةٌ في أوزبكستان على نهر زِرافاشان.

وإسماعيلُ هذا هوَ الذي انتهَى على يدِه عزُّ (عمرِو بنِ اللَّيثِ الصَّفَّار)، ووَرِثَ ما كانَ بيدِه من ملكِ خُراسانَ، وصارَت لهُ دولةٌ عظيمةٌ أورَثَها أهلَ بيتِه، واستمرَّت دولتُهم (١٧٠سنةً وستَّة أشهُر)، ثم انتهَت على يدِ (سبُكتكين) في خُراسانَ من جهةٍ، و(التُّركِ الخاقانيَّةِ) في تُركستانَ من جهةٍ أُخرى.

٣- السُّبُكْتُكِينيَّة أو الغَزْنَويَّة (خُراسانُ والهندُ)[١] :

ظهرَت الدَّولةُ السُّبُكْتُكِينيَّة حوالَي (٣٦٦هـ-٩٧٧م)، كانَ مؤسِّسُ هذِه الدَّولةِ غُلاماً من غِلمانِ (أبي إسحاقَ بنِ ألْب تكين) صاحبِ جيش (غزنة)[٢]، وكانَت يومَها ولايةً واسعةً من أعمالِ الدَّولةِ السَّامانيَّة في طرفِ خُراسانَ، ولمَّا ثارَت الفتنُ والقلاقلُ بالبلادِ الخُراسانيَّة أوكلَ أهلُها الأمرَ إلى (سُبُكتكين الغَزْنَوي) ليكسرَ الذين جاهَروا بالعِصيان، فكانَ الظَّفرُ لسُبُكتكين، واستقلَّ بالأمرِ. ثمَّ قاتلَ ابنُهُ (محمودُ بن سُبُكتكين الغزنَوي) ثالثُ ملوكِهم آلَ سامانَ وغلبَهُم، وأخذَ إقليمَ خُراسانَ واستقلَّ بمملكتهِ مُستغنِياً بما حازَ من الغنائِم، فبعثَ إليهِ الخليفةُ العبَّاسيُّ تقليداً بحكومةِ خراسانَ، وأمرَهُ أن لا يتوجَّه إلى بلادِ بَني بُوَيه، فلَم يُصْغِ لقَولِه، ودَهمَ بَني بُوَيه فأخذَ منهُم بلادَ (جُرجان) و(العراقَ الفارسيَّ)[٣]، وأَدخلَ مملكةَ (هَراة) و(بلوجستان)[٤] تحتَ حُكمِه

---

(١) - يبتدأ تاريخُ المسلمينَ في الهندِ من أيَّام الغَزنويِّين، ثمَّ الغُوريِّين من بعدِهم، فهم طلائعُ الدُّول التي استقرَّت واستقلَّت في الهند وأقامَت دولاً إسلاميَّةً هنديَّة. وللتوسُّع في استجلاء معالم الحضارة الهنديَّة في تاريخها القديم انظُر الكتابَ الرَّائد في هذا الباب: تحقيقُ ما لِلهندِ مِن مَقولةٍ؛ مَقبولةٍ في العقلِ أو مَرذولةٍ: لأبي الرَّيحان البِيروني (٩٧٣هـ)، الهند، حيدر آباد الدّكن، دائرة المعارف العثمانيَّة، ١٩٥٨م.

(٢) - غَزنَة: أو غَزنين، اليومَ مدينةٌ أفغانيَّةٌ جنوبَ غربِ العاصِمَةِ (كابُل).

(٣) - جُرجان: بلدةٌ إيرانيَّةٌ في شَمالِ البلادِ، على بحرِ قزوين، على جنوبِه الشَّرقيِّ. والعراقُ الفارسيِّ: كانَ اسماً من أسماءِ إقليمِ (الأهوازِ) شمالَ غربِ إيران.

(٤) - هَراة: اليومَ مدينةٌ في شَمالِ غربِ أفغانستان. وبلوجستان: أو بلوشِستان، إقليمٌ في جنوبِ آسيا، كانَ يضمُّ أراضٍ من جَنوبِ غَربِ أفغانستان، وجنوبِ غربِ باكستان، وشَرقِ إيران، واسمُ (بلوشِستان) اليومَ اسمٌ لثلاثِ مُحافظاتٍ في كلٍّ من أفغانستان وباكستان وإيران.

السَّاري من منابعِ نهرَي (السِّند والكنج)[1] إلى (بحرِ الخزَر)[2]، وهو أوَّلُ مَن تلقَّبَ من أصحابِ الدُّولِ المَشرقيَّة بـ(**السُّلطان**)، اتَّخذَ (غَزنةَ) كُرسيَّ مملكتِه، وأذاعَ في سائرِ الجهاتِ الدِّينَ الإسلاميَّ، وأخذَ الجزيةَ ممَّا فتحَه في (الهند).

نشرَ السُّلطانُ محمودُ عساكرَه في الهندِ، وتركَ إقليمَ ما وراءَ النَّهر في قبضةِ قبائلِ تُركستان المعروفةِ بمَملكةِ التَّتار، وأدخلَ الأتراكَ السلاجقةَ في خُراسانَ، وذاكَ حين أَسلَموا وسأَلوه أَرضاً يَسكنونَها ويَنتفعونَ بِها.

وقُصارَى القَول أنَّ عهدَ السُّلطانِ (محمودِ بنِ سُبُكْتُكين الغَزنويَّ) كانَ عهدَ ارتفاعٍ وقوَّة، إذ وسَّعَ أملاكَ الدَّولةِ السُّبُكْتُكينيَّة وبلغَت في عهدِه أوجَ عزِّها، وما زالَت في الحكمِ حتى انقضَت أيَّامُها سنةَ (٥٨٢هـ-١١٨٦م).

٤- الغُوريَّة (خُراسانُ والهندُ) :

قامَت الدَّولةُ الغوريَّةُ على أطلالِ الدَّولةِ السُّبُكْتُكينيَّة سنةَ (٥٤٣هـ-١١٤٨م)، وتُنسَبُ إلى مكانِ نشأتِها (الغُور)[3]، وهو جبالٌ وولايةٌ بينَ (هراةَ) و(غَزنة)،.

امتدَّ ملكُ الدَّولةِ الغوريَّةِ على مُعظمِ بلادِ خُراسانَ ومُعظمِ بلادِ الهندِ والأَفغان، وتيسَّر لها فتحُ الكثيرِ منها وتدويخُ ملوكِها، والدَّولةُ الغوريَّةُ تُعدُّ ثانيَ مملكةٍ هنديَّةٍ بعدَ الدَّولةِ السُّبُكْتُكينيَّة، وانقضَت أيَّامُها سنةَ (٦١٢هـ-١٢١٥م) على أيدي الخوارزميِّين.

---

(١) - نَهر السِّند: في شبهِ القارَّةِ الهنديَّة، وهو أطولُ أنهارِ باكستان. أمَّا نهرُ الكَنج أو (الغَانج): أشهرُ أنهارِ الهند. والنَّهرانِ ينبُعانِ من جبالِ الهَملايا الفاصلَة بينَ شبهِ القارَّةِ الهنديَّة وبينَ هضبةِ (التِّبت/ تشينغهاي) المعروفةِ بـ(سَقفِ العالَم) جنوبَ الصِّين الغربيِّ.

(٢) - بحرُ الخزَر: وهو بَحرُ قِزوين، بُحيرةٌ كبيرةٌ بين آسيا وأوروبَّا (روسيا الأوروبِّيَّة)، نسبةً إلى مملكةِ الخزَر اليهوديَّةِ في شَمالِه.

(٣) - الغُور: ولايةٌ بين هراةَ وغَزنةَ، غربَ أفغانستان.

٥- الدُّورانيَّة (أفغانستان) :

أوَّلُ من قامَ بأمرِ هذهِ الدَّولة (أحمد شاه الدُّوراني)[١]، وقد كانَ أُسِرَ لَمَّا كان حيَّاً مِن قِبَلِ قبيلةِ (الغيلزاي)[٢]، وأُرسِلَ إلى (قندَهار)[٣] فأنقذَه (نادر شاه الصَّفَويُّ) من الأَسْر في (١١٥٠هـ-١٧٣٨م)، ثمَّ عيَّنهُ مُقدَّمَ جماعةٍ من الفُرسانِ، أكثرُهم من قبيلةِ (الدُّورانيَّة العبدليَّة)، ولَمَّا ماتَ نادر شاه سنةَ (١١٦٠هـ-١٧٤٧م)، رجعَ إلى أفغانِستان، وأخذَ يُحرِّضُ القبائلَ على طلبِ الاستقلالِ، وتمَّ لهُ ما أرادَ، ونُصِّبَ ملِكاً وأميراً على أفغانستان[٤] في (١١٦٠هـ- تشرين الأوَّل ١٧٤٧م)، وقد رأى أن لا يتداخلَ كثيراً في الأمورِ الدَّاخليَّةِ الخاصَّةِ بالقبائلِ العديدَة، على أن يدفَعوا لهُ الخراجَ، ويُمدُّونهُ بالرِّجالِ للخدمةِ العسكريَّة.

ثمَّ عبرَ نهرَ السِّند سنةَ (١٧٤٨م) واحتلَّ (لاهور)[٥]، ثمَّ امتدَّ نفوذُه على جميعِ جهاتِ (البنجاب)[٦]، وتمَّ لهُ ذلك سنةَ (١١٦٤هـ-١٧٥١م)، وقد افتتحَ (نيسابور)[٧] سنةَ (١١٦٣هـ-١٧٥٠م)، وأخضعَ في السَّنةِ التي تليها جهاتِ (كشمير)[٨]، ودخلَ بجيشِه مدينةَ (دلهي)[٩] ظافراً، وتوفِّي أحمد شاه سنةَ (١١٨٥هـ-١٧٧١م)، وقيلَ سنةَ (١١٨٧هـ-١٧٧٣م) بـ(مرغاب) في التُّلولِ القريبةِ من (قندَهار)، وقد تمكَّن ولدُه (تيمور شاه) من اعتلاءِ العرشِ، بعد أن تغلَّب على

---

(١) – وكانَ يُدعَى (دي دورانيَّة)، أي درَّة العَصر بلُغَتِهم.

(٢) – قبيلةُ غيلزاي: أو سُلالةُ (هوتاكي غيلزاي)، من أكبَر قبائِل (البَشتون) في جنوبِ شَرقِ أفغانستان.

(٣) – قندَهار: إحدى مُحافَظاتِ أفغانستان الخمسِ والثَّلاثين، تقعُ جنوبَ البلاد.

(٤) – أفغانستان: اليومَ جُمهوريَّةٌ آسيويَّةٌ في وسطِ آسيا، شَرقَ إيران.

(٥) – لاهور: العاصمةُ الثَّقافيَّة لباكستان، وأكبرُ مدُنِها بعد (كراتشي) العاصِمةِ الاقتصاديَّة للبلاد.

(٦) – البُنجاب: إقليمٌ بين الهندِ وباكستان، (٦٥٪) منهُ في أراضي باكستان، و(٣٥٪) منهُ في الهند.

(٧) – نيسابور: عاصِمةُ خُراسان قديماً، وهي اليومَ مدينةٌ في مُقاطعةِ (خُراسان) شَمالَ شَرقِ إيران، قُربَ (مَشهَد).

(٨) – كشمير: إقليمٌ في شبهِ القارَّة الهنديَّة، يمتدُّ على ثلاثِ دولٍ هي (الهندُ وباكستانُ والصِّينُ)، ولا زالَ إقيمُ كشمير محلَّ نزاعٍ بينَ الهندِ وباكستان، إذ تدَّعي كلٌّ منهُما أَحقِّيَّتَها بالإقليمِ كامِلاً، ومن أهلِ كَشمير مَن يُطالبُ بالاستقلالِ عن كلا الدَّولَتين.

(٩) – دلهي: مدينةٌ في شَمالِ الهِند، وهي ثاني أكبرِ مدينةٍ فيها بعَد (مُومباي).

أخيهِ (سُليمان)، ثمَّ ساق تيمور شاه الجيشَ إلى (هندستان)[1] و(كشمير) و(لاهور)، وأخضعَ من نبذَ الطَّاعةَ من الأفغانِ، ثمَّ نقلَ العاصمةَ من (قندهار) إلى (كابُل)[2].

وعقبَ وفاةِ تيمور شاه سنةَ (١٢٠٧هـ-١٧٩٢م)، تمكَّن ولدُه (زمان شاه) من اعتلاءِ العرشِ، بعد أن تغلَّب على أخيهِ (هَمايون)، ثمَّ قامَ في وجهِهِ أخوهُ الآخرُ (محمود) في (هَراة)، ووقعَت بينَهما الحربُ، وانهزمَ محمودُ، وعادا فاصطلَحا، وما زالَت الفتنُ قائمةً بينَهما، وأُرِيقَت بذلكَ دماءٌ غزيرةٌ، حتَّى هزَمَ محمودُ أخاهُ زمان شاه، وتولَّى المُلكَ سنةَ (١٢١٥هـ-١٨٠٠م)، ثمَّ أُلقِيَ القبضُ على محمود، وتولَّى زمان شاه العرشَ ثانيةً، ثمَّ استولَى محمودُ ثانيةً، ثمَّ ناصرَت إنكلترا أخاهُما (شاه شُجاع)، وحصلَت معاركُ طاحنةٌ، ثمَّ عمدَ الإنكليزُ إلى مصالحةِ (دوست محمَّد خان)، على أن يحترمَ الإنكليزُ حدودَ الأفغانِ.

ولَمَّا ماتَ (دوست محمَّد خان) اختلفَ أولادُه فيما بينَهم، وتقاتَلوا زمَناً، حتَّى تمَّ الأمرُ أخيراً لـ(شير علي خان) أحدِ أولادِ الأميرِ السَّابق (منصور علي خان)، فاتَّفق الإنكليزُ معهُ على الشُّروطِ الآتية:

١- لا يدخلُ عسكريٌّ إنكليزيٌّ واحدٌ بلادَ الأفغانِ لأجلِ إطفاءِ ثورةٍ أو تدويخِ قبيلةٍ عاصِية.

٢- لا يُرسِلُ ضابطٌ إنكليزيٌّ معتمَداً إلى مدينةٍ من مُدنِ الأفغان.

٣- لا يكونُ للأميرِ راتبٌ معيَّنٌ من إنكلترا مشاهرةً ولا مُسانَهةً[3].

ثمَّ دخلَ الرُّوسُ (خيوَة)[4] سنةَ (١٢٨٩هـ-١٨٧٢م)، فراعَ ذلكَ أميرَ الأَفغان، وأرسلَ مِن قِبَلِه مَن يَسبِرُ غَوْرَ حكومةِ الهندِ، فيما لَو وصلَ الرُّوسُ واعتدَوا على بلادِه، فأُجيبَ بأنَّ الإنكليزَ يُنجِدُونَهُ إذا اعتدَوا علَيه، واشترَطوا علَيه إقامةَ مُسَيطِرينَ من الإنكليزِ في أفغانِستان،

---

(١) - هندستان: اسمٌ يُطلَقُ -تاريخيّاً- على الجزءِ الشَّماليِّ من الهندِ، تمييزاً لهُ عن (هضبةِ الدّكَن) الجزءِ الجنوبيِّ منها.

(٢) - كابُل: أو (كابول)، عاصمةُ أفغانستان، على ضِفافِ نهرِ (كابُل).

(٣) - لا مُشاهرةً: أي لا بالشَّهرِ (شهريَّاً)، ولا مُسانهَةً: أو (ولا مُساناةً)، أي ولا بالسَّنة (سنويَّاً).

(٤) - خيوة: كان اسمَ دولةٍ في آسيا الوُسطى، واقعةٍ في منطقةِ خوارزم التَّاريخيَّة، وهي اليومَ جُزءٌ من محافظتَي (قرة قول) و(خوارزْم) في غربِ أوزبكستان.

ووَضْعَ حامياتٍ إنكليزيَّةٍ في بعضِ المواقعِ الأفغانيَّة، وربَّما كانَ من ضمنِ هذِه الشُّروطِ قَبولُ الحمايةِ البريطانيَّة. ولَمَّا بلَغت هذِه الشُّروطُ إلى (شير علي خان) ساءَت العلاقاتُ بينه وبينَ الإنكليز، ثمَّ بدأَت الحربُ بينَهما، فأَرسلَت إنكلترا حملةً قويَّةً مؤلَّفةً من الجنودِ المرتزقةِ وغيرِهم من الهندِ، ولَمَّا دخلَت تلكَ الجيوشُ الأراضيَ الأفغانيَّةَ وتوغَّلت في بعضِ أرجائِها لجأَ (شير علي) إلى الجهاتِ الشَّماليَّةِ من بلادِه، وتوفِّي بـ(مزار الشَّريف)[1] في سنةِ (١٢٩٦هـ-شباط١٨٧٩م).

ثمَّ بدأَت المفاوضاتُ بينَ الإنكليزِ و(يعقوب خان) أحدِ أبناءِ شير عليّ، وعُقِدَت بينَهما معاهدةٌ عُرِفَت بـ(معاهدة غَانْدماك)[2] في (١٢٩٦هـ-٢٦ أيَّار ١٨٧٩م)، وفيها تنازلَ (يعقوب خان) عن بعضِ الجهاتِ الأفغانيَّةِ الواقعةِ قربَ الحدودِ الإنكليزيَّة، كما أنَّه جعلَ كلَّ مخابراتِهِ الخارجيَّةِ بيدِ إنكلترا، وقَبِلَ إقامةَ معتمَدٍ بريطانيٍّ في بلادِه، ومُقابلَ ذلكَ ضَمنتْ لهُ بريطانيا ردَّ كلِّ اعتداءٍ خارجيٍّ على بلادِه.

وعلى أثرِ قتْلِ المعتمَدِ البريطانيِّ ومَن معهُ من أركانِ حربِه ومُساعِديه في (كابُل)، أرسلَت بريطانيا جيوشاً جديدةً فدخلَت (كابُل)، وأُرسِلَ يعقوب خان إلى الهندِ، وبقيَت تلك الجيوشُ حتَّى (١٢٩٧هـ-كانون الأوَّل ١٨٧٩م)، حينها عادَ (عبدُ الرَّحمن بنُ أفضَل خان بنِ دوست محمَّد خان) من المنفَى إلى الجزءِ الشَّماليِّ من بلادِ الأفغان، فرأى حاكمُ الهندِ البريطانيُّ (اللُّورد ليتون) أن يتَّصلَ بهِ لعقدِ صُلح، واعترَفَت به إنكلترا أميراً على أفغانستان، على أَن يتخلَّى لها عن (بلاد الأفريدي)[3]، وأن تكونَ علاقاتُه الخارجيَّةُ بواسطةِ الحكومةِ البريطانيَّة.

وقد أحسنَ (عبدُ الرَّحمن) المذكورُ الإدارةَ، وأقامَ العدلَ، وجَدَّ في عقابِ المُفسِدينَ، ووطَّدَ

---

(١) - مزار الشَّريف: أو (مزار شَريف)، نسبةً إلى المزارِ الواقِعِ في (المَسجدِ الأزرَق) ويُظَنُّ أنَّ بهِ مرقدَ الإمامِ عليٍّ بن أبي طالبٍ أو أَحدِ أنسالِه، ومزار شَريف اليومَ رابعُ أكبرِ مدُنِ أفغانستان، في شَمالِ البلاد، وهيَ مركزُ ولايةِ (بَلخ).

(٢) - غاندماك: قريةٌ في أفغانستان.

(٣) - الأفريدي: قبيلةٌ من قبائِل (البَشتون)، يقطنونَ (إقليمَ خيبَر) الواقعَ شمالَ غربِ باكستان، على حدودِها مع أفغانستان، وهو قريبٌ من (بيشاور) الإقليمِ الباكستانيِّ على حدودِ أفغانستان، في الشَّمالِ الغربيِّ.

نفوذَ الحكومةِ، وأسَّس مَعملاً للسِّلاح، وأمرَ بتدريبِ الجيوشِ، وأخذَ في توسيعِ إمارتهِ من جهةِ الشَّرق، واستولَى على ولايةِ (كافرستان) سنةَ (١٨٩٥م)، فأسلمَ أهلُها على يدِه، وأسماها (نورستان)(١).

ثمَّ خلَفَ على عرشِ الإمارةِ (حبيبُ الله) بعدَ وفاةِ والدِه عبدِ الرَّحمن سنةَ (١٣١٩هـ-١٩٠١م)، وظلَّت علاقاتُه الخارجيَّةُ كما كانت من قبلُ، وظلَّ على الحيادِ خلالَ الحربِ العالميَّةِ الأُولى، بالرَّغمِ من المساعي التي بذلَهَا الألمانُ والتُّرك.

ولمَّا قُتِلَ حبيبُ الله سنةَ (١٣٣٧هـ-١٩١٩م)، عَهِدَ بالإمارةِ لأحدِ أبنائِه (أمانِ الله)، بعدَ أن تنازلَ وليُّ العهدِ وإخوتُه عن المُلكِ. وقد استطاعَ (أمانُ الله خان) أن يُحقِّقَ استقلالَ أفغانستان سنةَ (١٣٤٠هـ-١٩٢١م)، وأعلنَ المَلَكيَّةَ، ونصَّبَ نفسَهُ ملِكاً، واستطاعَ بعد ذلكَ أن يقضيَ على ثورتَي قبيلتَي (الألزاي) في سنةِ (١٣٤١هـ-١٩٢٣م)، و(المنكل) في سنةِ (١٣٤٢هـ-١٩٢٤م)، كما قضَى على ثورةِ قبيلةِ (الباتان)(٢) الذين عاشَت كثرتُهم في الهندِ تحتَ الحكمِ البريطانيِّ.

ثمَّ بدأ (أمانُ الله) يُحرِّرُ بلادَه من قيودٍ كثيرةٍ كانَت تُقيِّدُها، فأنشأَ علاقاتٍ سياسيَّةً مع عددٍ من البلادِ، واعتمدَ لهُ فيها سفراءَ ووُزراءَ مُفوَّضين، ثمَّ زارَ كثيراً من البلادِ؛ كالهندِ ومصرَ وإيطاليا وفرنسا وإنكلترا وألمانيا ورُوسيا وتركيَّا وإيران.

وأرادَ أن يسيرَ في سبيلِ إصلاحِ بلادِه أسوةً بـ(أتاتورك) و(رضا بهلَوي)، فقامَت ثورةٌ بزعامةِ (بتشَه سقاو)، الذي استخلصَ البيعةَ لنفسِه، وتلقَّب بـ(حبيب الله خان كلكاني)، فلَم يستطعْ (أمانُ الله) إخمادَ هذه الثَّورة، بل اضطُرَّ إلى التخلِّي عن العرشِ ومغادرةِ البلادِ.

ثمَّ خلفَ أمانَ الله ابنُ عمِّه (محمَّد نادر خان)، فقَبَضَ على زعيمِ الثُّوَّارِ الذي تمركزَ في (كابُل) وأعدمَه، وعلى الرَّغمِ من أنَّه وضعَ حدَّاً لجميعِ التَّدابيرِ التي اتَّخذَها أمانُ الله، تلكَ التي

---

(١) - كافرستان: أي موطنُ الكفَّار، مدينةٌ في في شرقِ أفغانستان على حدودِ باكستان. عُرِفَت بهذا الاسمِ حتَّى أواخرِ التِّسعينيَّاتِ من القرنِ التَّاسع عشر الميلاديِّ، سُمِّيَت بعدَها بولايةِ (نورستان).

(٢) - الألزاي والباتان: أعراقٌ وقبائلُ من شَعبِ (البَشتون)، الممتدِّ على أراضٍ من أفغانستان وباكستان.

أدَّت إلى الثَّورة، فقَد صُرِعَ (محمَّد نادر خان) في قصرِه في (١٣٥٢هـ-٨تشرين الثَّاني١٩٣٣م)، ونُودي بابنهِ (محمَّد ظاهر خان) ملِكاً على البلادِ.

ثمَّ عُقِدَت معاهدةٌ بينَ (إيران) و(أفغانستان)، أُتبِعَت هذِه المعاهدةُ بـ(**ميثاق سَعد آباد**)[1] في (٨حزيران ١٩٣٧م)، النَّاصِّ على عدمِ الاعتداء وعدمِ التَّدخُّل في الشُّؤونِ الدَّاخليَّةِ بينَ البلَدَين، ومنذُ ذلك الحينِ بدأَت أفغانستانُ تَسلكُ سُبلَ الإصلاحِ في حذرٍ واحتياطٍ.

٦- الخوارِزميُّون (أفغانستان) :

الخوارزميُّون سُلالةٌ تُركيَّةٌ سنِّيَّةٌ، يُنسَبُ (**شاهاتُ خوارِزْم**) إلى (محمَّد بنِ أنوشتُكين) أو (أنوشطُغين)، وكان أبوه (أنوشتُكين) مملوكاً لأميرٍ من أمراءِ السَّلاجقةِ اسمُه (بَلْكبالِك)، اشتراهُ من رجلٍ من (غرشستان)[2]، فقيلَ لهُ: (أنوشتُكين غرشَمه)، فكبُرَ وعلا أمرُه، وكانَ حسنَ الطَّريقةِ كاملَ الأوصافِ، وكانَ مُقدَّماً مَرجُوعاً إليه، ولهُ ولدٌ سمَّاه (محمَّداً)، وهو باني هذا البَيت، علَّمَهُ أبوهُ وخرَّجَهُ وأحسنَ تأديبَهُ وتقدَّم بنفسِه، فولَّاهُ الأميرُ (حبشيٌّ) قائدُ (بركياروق السَّلجوقيِّ) بلدةَ (خوارزم)[3]، ولقَّبه (**خوارزمْشاه**)، فقصرَ أوقاتَه على مَعدِلةٍ ينشرُها ومكرُمةٍ يفعلُها، وقرَّبَ أهلَ العلمِ والدِّين، فازدادَ ذكرُه حُسناً ومحلُّه علُوَّاً.

ولمَّا ملكَ السُّلطانُ السَّلجوقيُّ (سَنجرُ) خُراسانَ، أقرَّ (محمَّد خوارزمْشاه) على (خوارِزْم) وأعمالِها، فظهرَت كفاءَتُه وشَهامتُه، فعظَّمَ (سَنجرُ) مكانتَه وقدرَه، ولَم يزَلْ على جلالةِ القدرِ والكفايةِ إلى أن تُوفِّي سنةَ (٥٢١هـ-١١٢٧م)، فوَلِيَ بعدَه ابنُه علاءُ الدِّين (أُتسُز)، فقرَّبهُ السُّلطانُ (سَنجرُ) وعظَّمَهُ واعتضدَ بهِ واستصحَبهُ في أسفارِه وحُروبِه، فظهرَت منهُ الكفايةُ والشَّهامةُ، فزادَه تقدُّماً وعلوَّاً، ورسخَت أقدامُ هذا البيتِ في الملكِ، وقد استمرَّ إلى سنةِ (٦٢٨هـ-١٢٣١م)، حيثُ زالَ على أيدي التَّتار الذين هاجَموا البلادَ الإسلاميَّةَ بزعامةِ (جنكيز خان).

---

(١) - سَعد آباد: قصرٌ كانَ لرضا شاه بَهلَويٍّ في شَمالِ طَهران.

(٢) - غُرشستان: أو غُرجستان أو غُرستان أو غُورجستان، غربَ جبالِ الغور في غربِ أفغانستان، و(غُر) بلغتِهم: الجبل.

(٣) - خوارِزْم: الاسمُ القديمُ لمدينةِ (خيوة) التي كانت تابعةً لإقليمِ خُراسانَ الإسلاميِّ، وتقعُ اليومَ في غربِ أفغانستان.

٧- شاهاتُ أرمينيَة :

ابتدأَت دولةُ شاهاتِ أرمينية[1] سنة (٥٨٣هـ-١١٨٧م)، ومؤسِّسُها هو الأميرُ (سقمان القُطبي) في مدينةِ (خِلاط)[2]، وكانَ مملوكاً لـ(قُطبِ الدِّين إسماعيلَ السَّلجوقيِّ) صاحبِ مدينةِ (أذَربيجان)، ومن ثَمَّ قيلَ لهُ (القُطبيُّ)، نشأَ شَهماً، وكانَت مدينةُ (خلاط) لآلِ مَروانَ، وقد ظلَموا فيها، واشتُهر عدلُ (سقمان)، فاتَّفق أهلُ (خلاط) وكاتَبوه، فجاءَ وفتَحوها لهُ وسلَّموها إليهِ.وانتهَت دولتُهم على أيدي الأيُّوبيِّين سنةَ (٦٠٤هـ-١٢٠٧م).

٨- بقيَّةُ الممالكِ الإسلاميَّةِ التي حكمَت في المَشرِق :

نَرى أن نكتفيَ بقائمةٍ نبيِّنُ فيها أسماءَ بقيَّةِ الممالكِ والدُّولِ الإسلاميَّة التي حكمَتْ في المَشرقِ، ذاكرينَ (كراسيَّ مُلكِها) أيْ عواصمَها، وعددَ ملوكِ كلٍّ منها، وسِنيَّ حُكمِهِم، فإليكَها :

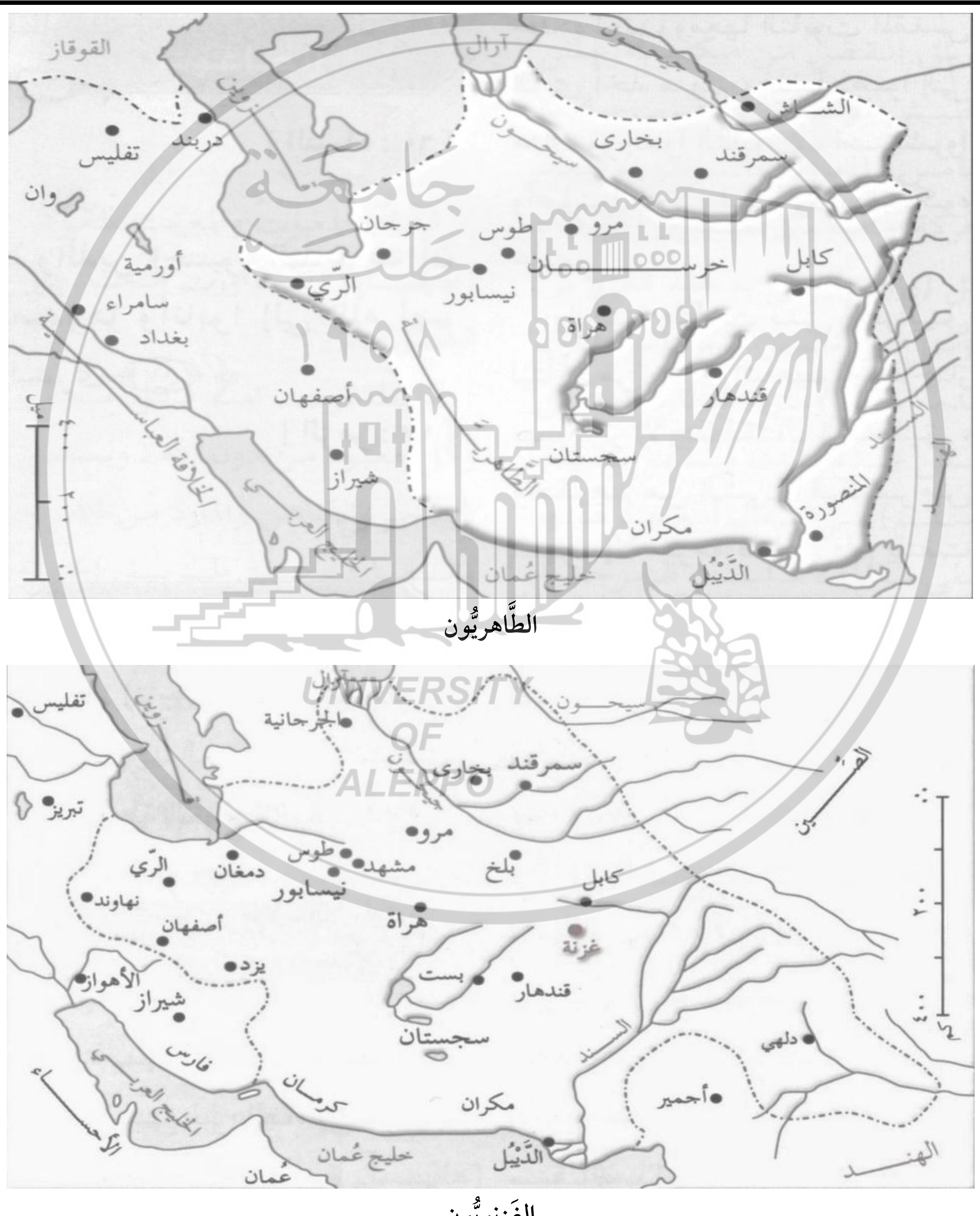
اسم الدَّولة	كرسيُّ ملكها	عددُ ملوكها	سنةُ نشأتها	سنةُ انقضائها
المزيديَّة	الحلَّة (العراق)	٨	٤٠٣هـ-١٠١٢م	٥٤٥هـ-١١٥٠م
الدّلفيَّة	كردستان	٥	٢١٠هـ-٨٢٥م	٢٨٥هـ-٨٩٨م
الساجيَّة	أذربيجان	٤	٢٦٦هـ-٨٨٠م	٣١٨هـ-٩٣٠م
خانات ايلاك	تركستان	٢٤	٣٢٠هـ-٩٣٢م	٥٦٠هـ-١١٦٥م
الحسنويهيَّة	كردستان	٣	٣٤٨هـ-٩٥٩م	٤٠٦هـ-١٠١٥م
الكاكويهية	كردستان	٢	٣٩٨هـ-١٠٠٨م	٤٤٣هـ-١٠٥١م
الدانشمنديَّة	سيواس (تركيًا) وغيرها	٥	٤٩٠هـ-١٠٩٧م	٥٦٠هـ-١١٦٥م
الخانات القتغليَّة	كَرمان (إيران)	٨	٦١٩هـ-١٢٢٢م	٧٠٣هـ-١٣٠٤م
خانات المغول	منغوليا (بين الصين وروسيا) وغيرها	٣٤	٦٠٣هـ-١٢٠٧م	١٠٤٣هـ-١٦٣٣م

(١) - أرمينيَة: كانت تُطلَقُ على مملكةِ آسيا الصُّغرى أيَّامَ الرُّوم وتُسمَّى (أرمينية العُظمى) شرقَ نهر الفُراتِ، وأرمينية اليوم هي الجزءُ الشَّرقيُّ من أرمينية القديمةِ، وهيَ جمهوريَّةٌ مستقلَّةٌ جنوبَ (القُوقاز)، من الغربِ تحدُّها (تركيًا) ومن الشَّرقِ (آذربيجان) ومن الجنوبِ الغربيِّ (إيران)، ومن الشَّمال (جورجيا)، وعاصمتُها (يريفان).

(٢) - خِلاط: اسمٌ قديمٌ لعاصمةِ أرمينيَة اليومَ (يِريفان Eriwan)، تقعُ شرقَ جبل (أرارات) المَشهور في أرمينيَة.

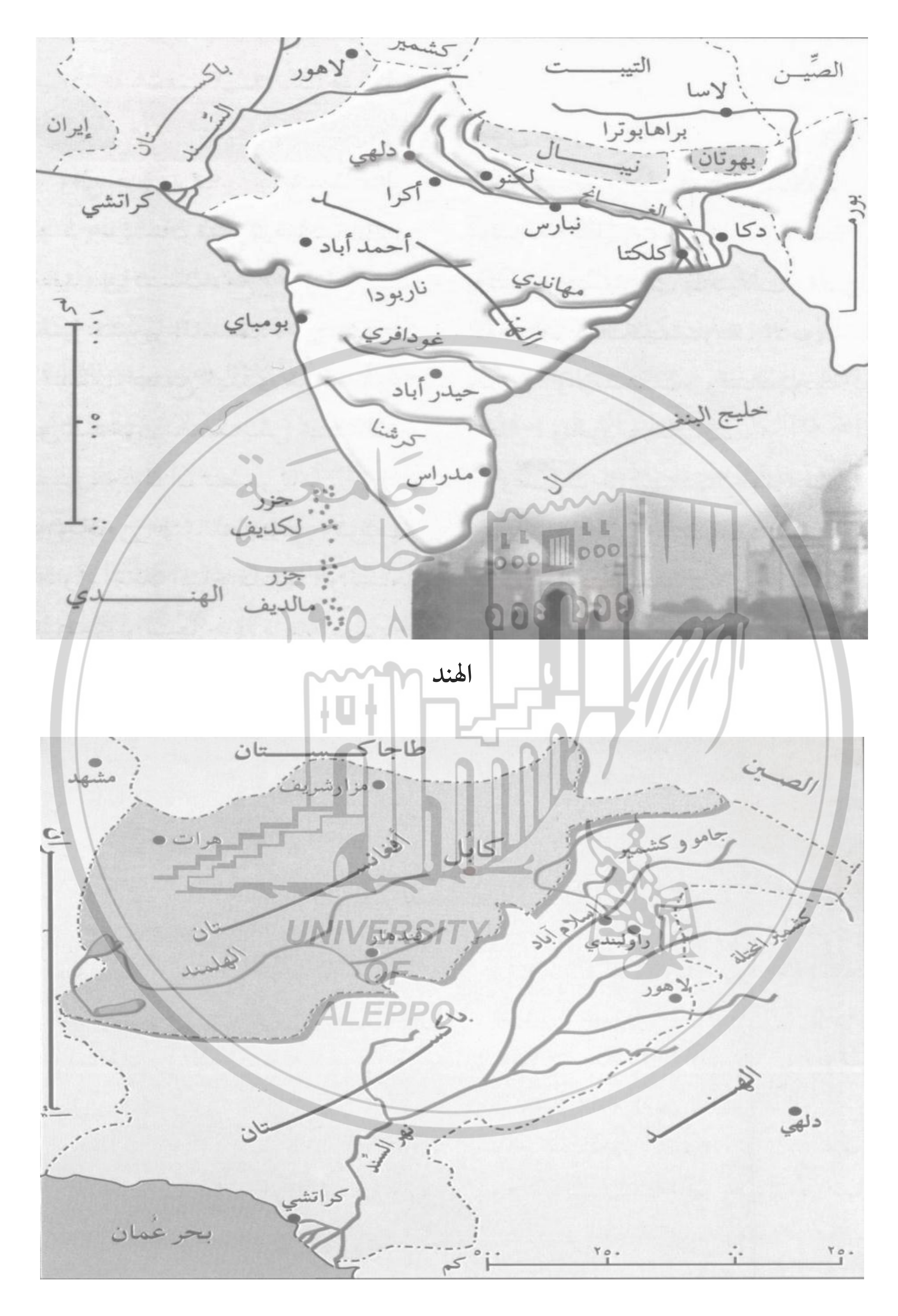
مغول الفُرس	فارس	١٧	٦٥٤هـ-١٢٥٦م	٧٥٠هـ-١٣٤٩م
خانات العشائر الذهبيَّة	قرَه خيتاي (تُركستان)	٤٠	٦٢١هـ-١٢٢٤م	٩٠٧هـ-١٥٠١م
خانات القرم	القرم (أوكرانيا)	٤٦	٨٢٣هـ-١٤٢٠م	١١٩٧هـ-١٧٨٣م
خانات جاغتاي	تركستان	٢٦	٦٢٤هـ-١٢٢٧م	٧٦٠هـ-١٣٥٩م
الجيلاريُّون	العراق وغيره	٦	٧٣٦هـ-١٣٣٦م	٨١٤هـ-١٤١١م
المظفَّرون	فارس وكردستان	٦	٧١٣هـ-١٣١٣م	٧٩٥هـ-١٣٩٣م
السربَداريُّون	خُراسان	١٢	٧٣٧هـ-١٣٣٧م	٧٨٣هـ-١٣٨١م
الكرتيُّون	هَراة	٨	٦٤٣هـ-١٢٤٥م	٧٩١هـ-١٣٨٩م
القراقيونليُّون	أذربيجان وغيرها	٥	٧٨٠هـ-١٣٧٨م	٨٧٤هـ-١٤٦٩م
الآق قيونليُّون	أذَربيجان	١٢	٧٨٠هـ-١٣٧٨م	٩٠٨هـ-١٥٠٢م
شاهات الفُرس	إيران وغيرها	٣١	٩٠٧هـ-١٥٠١م	١٣٤٤هـ-١٩٢٥م
التيموريُّون	تركستان والتَّتار	١١	٧٧١هـ-١٣٧٠م	٩٠٦هـ-١٥٠٠م
الشَّيبانيُّون	تركستان والتَّتار	١٩	٩٠٦هـ-١٥٠٠م	١٠٠٧هـ-١٥٠١م
المنجيُّون	تركستان والتَّتار	٦	١٢٠٠هـ-١٧٨٦م	١٢٨٤هـ-١٨٦٧م
خانات خيوة	تركستان والتَّتار	٣٥	٩٢١هـ-١٥١٥م	١٢٨٩هـ-١٨٧٢م
خانات خوقَند	تركستان والتَّتار	١٧	١١١٢هـ-١٧٠٠م	١٢٩٣هـ-١٨٧٦م
الجانيُّون	إستراخان (روسيا)	١١	١٠٠٧هـ١٥٩٩م	١٢٠٠هـ-١٧٨٦م
سلاطين دِلهي	الهند	٣٨	٦٠٢هـ-١٢٠٦م	٩٦٢هـ-١٥٥٥م
ملوك البَنغال وحكامها	البَنغال (الهند)	٥٥	٥٩٩هـ-١٦٠٣م	٩٨٤هـ-١٥٧٦م
ملوك جانبورالشَّرقيُّون	جانبور (الهند)	٦	٧٩٦هـ-١٣٩٤م	٩٠٥هـ-١٥٠٠م
ملوك مالوا	مالوا (الهند)	٧	٨٠٤هـ-١٤٠٢م	٩٣٧هـ-١٥٣١م
ملوك كُجرات	كجرات (الهند)	١٤	٧٩٩هـ-١٣٩٧م	٩٨٠هـ-١٥٧٢م
ملوك خانديش	خانديش (الهند)	١٢	٨٠١هـ-١٣٩٩م	١٠٠٨هـ-١٥٩٩م
البهمنيَّة	الدِّكَن (الهند)	١٨	٧٤٨هـ-١٣٤٧م	٩٣٣هـ-١٥٢٧م
الشَّاهات العماديَّة	برار (الهند)	٥	٨٩٠هـ-١٤٨٥م	٩٨٠هـ-١٥٧٢م

الشَّاهات النظاميَّة	أحمد نغَر (الهند)	١٠	٨٩٦هـ-١٤٩١م	١٠٠٨هـ-١٥٩٦م
شاهات بريد	بيدار (الهند)	٧	٨٩٧هـ-١٤٩٢م	١٠١٨هـ١٦٠٩م
الشَّاهات العادليَّة	بيجابور (الهند)	٨	٨٩٥هـ-١٤٩٠م	١٠٩٧هـ-١٦٨٦م
الشاهات القُطبية	غُولكُندا (الهند)	٧	٩١٨هـ-١٥١٢م	١٠٩٨هـ-١٦٨٧م
إمباراطورو المغول	الهند	٢٦	٩٣٢هـ-١٥٢٦م	١٢٧٥هـ-١٨٥٩م



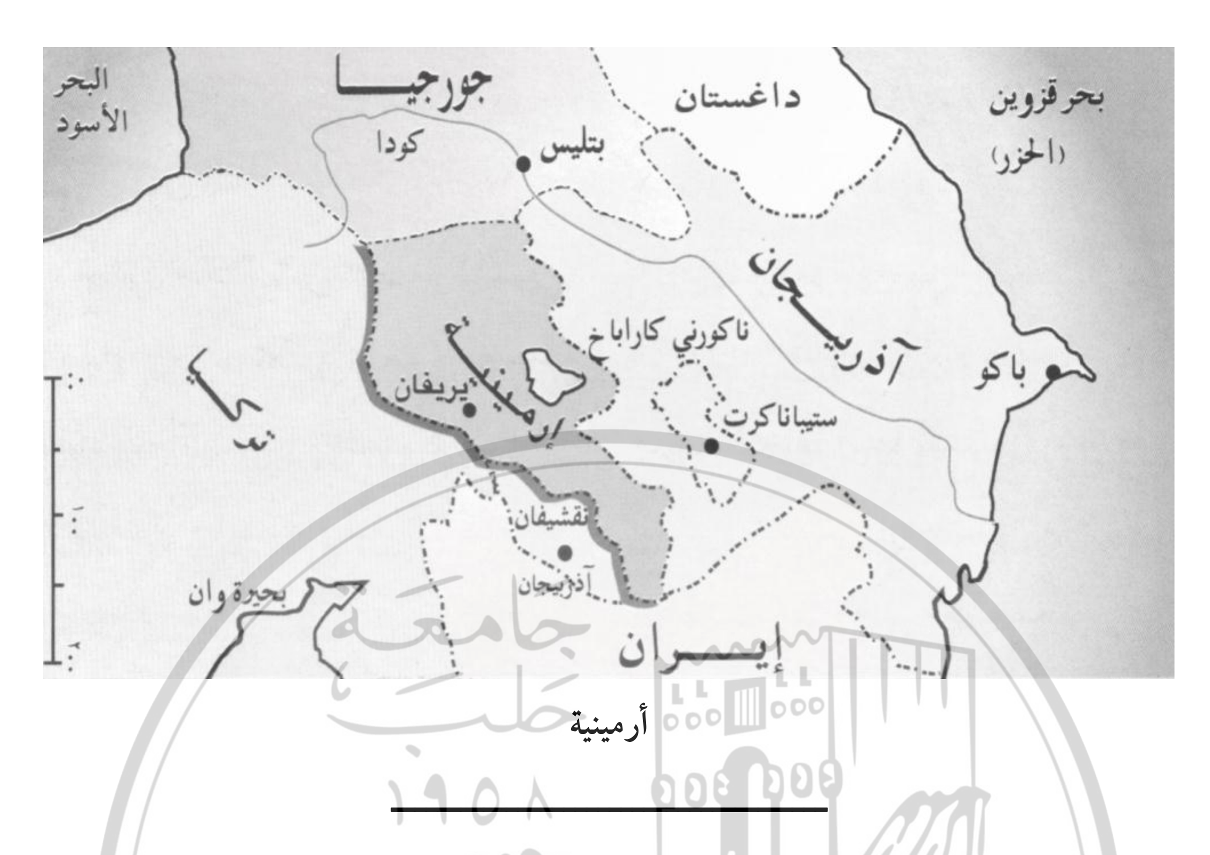
الطَّاهريُّون

الغَزنويُّون



الهند

أفغانستان



أرمينية

* قوائمُ أسماءِ الحكَّامِ في وسَطِ آسيا وجَنُوبِها وشَرقِها *

* السَّامانيُّونَ في بلادِ ما وراءَ النَّهر	
نصرُ بنُ أحمدَ بنِ سامانَ (٢٦١هـ-٨٧٥م)	عبدُ الملكِ بنُ نوح (٣٤٣هـ-٩٥٤م)
إسماعيلُ بنُ أحمد (٢٧٩هـ-٨٩٢م)	منصورُ بنُ نوح (٣٥٠هـ-٩٦١م)
أحمدُ بنُ إسماعيل (٢٩٥هـ-٩٠٨م)	نوحُ بنُ منصور (٣٦٦هـ-٩٧٧م)
نصرُ بنُ أحمد (٣٠١هـ-٩١٤م)	منصورُ بنُ نوح (٣٨٧هـ-٩٩٧م)
نوحُ بنُ نصر (٣٣١هـ-٩٤٣م)	عبدُ الملكِ بنُ نوح (٣٨٩هـ-٩٩٩م)
* السُّبُكْتُكينيَّة (الغَزْنَويَّة) في خُراسانَ والهِند	
سُبُكْتُكين الغَزْنَوي (٣٦٦هـ-٩٧٧م)	جمالُ الدَّولةِ فرخزادُ بنُ مسعودِ بنِ محمود (٤٤٤هـ-١٠٥٢م)
إسماعيلُ بنُ سُبُكتكين (٣٨٧هـ-٩٩٧م)	ظهيرُ الدَّولة إبراهيمُ بنُ عبدِ الرَّشيد (٤٥١هـ-١٠٥٩م)
يَمينُ الدَّولة محمودُ بن سُبُكتكين (٣٨٨هـ-٩٩٨م)	علاءُ الدَّولةِ مسعودُ بنُ إبراهيم (٤٩٢هـ-١٠٩٩م)
جلالُ الدَّولة محمَّد بنُ محمود (٤٢١هـ-١٠٣٠م)	كمالُ الدَّولةِ شيرزادُ بنُ مسعود (٥٠٨هـ-١١١٤م)
شهابُ الدِّين مودودُ بنُ مسعودِ بن محمود (٤٣٢هـ-١٠٤١م)	سلطانُ الدَّولةِ أرسلانُ بنُ مسعود (٥٠٩هـ-١١١٥م)
بهاءُ الدِّين أبو الحسن عليُّ بنُ مسعودِ بنِ محمود (٤٤٠هـ-١٠٤٨م)	يَمينُ الدَّولة بَهرام شاه بنُ مسعود (٥١٢هـ-١١١٨م)
عزُّ الدَّولةِ عبدُ الرَّشيد بنُ محمود (٤٤٠هـ-١٠٤٨م)	معزُّ الدَّولة خُسرو شاه بن بَهرام شاه (٥٤٧هـ-١١٥٢م)
تاجُ الدَّولةِ خُسرو ملك بن خُسرو شاه (٥٥٥-٥٨٢هـ-١١٦٠-١١٨٦م)	

* - الدَّولةُ الغُوريَّة (خراسان والهند)	
أَيْبك قطبُ الدِّين (٦٠٢-٦٠٨هـ-١٢٠٦-١٢١١م)	بَهرام شاه معزُّ الدِّين (٦٣٩هـ-١٢٤٢م)
آرِمْ شاه	مَسعود شاه علاءُ الدِّين (٦٤٤هـ-١٢٤٧م)
التمش شمسُ الدِّين (٦٣٣هـ-١٢٣٦م)	محمود شاه الأوَّل نصرُ الدِّين (٦٦٤هـ-١٢٤٧م)
فيروز شاه الأوَّل ركنُ الدِّين (٦٣٤هـ-١٢٣٧م)	بَلْبَن غياثُ الدِّين (٦٨٦هـ-١٢٨٧م)
رضيًّا (٦٣٨هـ-١٢٤١م)	كَيْقَباذ معزُّ الدِّين (٦٨٦هـ-١٢٨٧م)
*** ملوكُ خوارِزم (الخوارزمشاهيَّة)**	
أنوشتُكين غارتشاي (٤٧٠هـ-١٠٧٧م) إلى (٤٩٠هـ-١٠٩٧م)	سُلطانْشاه محمَّد بنُ أرسَلان (٥٦٨هـ-١١٧٣م)
قطبُ الدِّين محمَّد بنُ أنوشتُكين (٤٩٠هـ-١٠٩٧م) إلى (٥٢١هـ-١١٢٧م)	تَكيش بن أرسلان (٥٩٦هـ-١٢٠٠م)
علاءُ الدِّين أُتسُز بنُ محمَّد (٥٢١هـ-١١٢٧م)	علاء الدين محمَّد الخوارزميُّ بن تَكيش (٦١٧هـ-١٢٢٠م)
أرسَلان بن أُتسُز (٥٥١هـ-١١٥٦م)	جلالُ الدِّين منكبرتي بنُ محمَّد (٦٢٨هـ-١٢٣١م)
*** شاهاتُ أرمينيَة**	
سُقمانُ القُطبيُّ (٤٩٣هـ-١١٠٠م)	سيفُ الدِّين بكتيمور (٥٧٩هـ-١١٨٣م)
ظهيرُ الدِّين إبراهيم شاه أرمَن (٥٠٦هـ-١١١٢م)	بدرُ الدِّين آق سُنقُر (٥٨٩هـ-١١٩٣م)
أحمد (٥٢١هـ-١١٢٧م)	المنصورُ محمَّد بكتيمور (٥٩٤هـ-١١٩٨م)
ناصرُ الدِّين سُقمانُ (٥٢٢هـ-١١٢٨م)	عزُّ الدِّين بَلَبان (٦٠٣-٦٠٤هـ-١٢٠٧-١٢٠٨م)
*** أتابكةُ لورسْتان أو بلادِ اللُّور (الهزارَسبيَّة)**	
أبو طاهرٍ بنُ محمَّد (٥٤٣-٦٠٠هـ-١١٤٨-١٢٠٤م)	ركنُ الدِّين يوسُف شاه الثَّاني بنُ أحمد (٧٤٠هـ-١٣٣٩م)
نصرةُ الدِّين هزارَسْب بن أبي طاهرٍ (٦٥٠هـ-١٢٥٢م)	مظفَّرُ الدِّين أفراسيَاب الثَّاني يوسُف شاه (٧٥٦هـ-١٣٥٥م)
دَكلا بن هزارَسْب (٦٥٧هـ-١٢٥٩م)	شمسُ الدِّين هوشانج بنُ أفراسيَاب الثَّاني (٧٨٠هـ-١٣٧٨م)
شمسُ الدِّين أَلْب أَرغو بن هزارَسْب (٦٧٣هـ-١٢٧٤م)	أحمدُ (٨١٥هـ-١٤١٢م)
يوسُف شاه الأوَّلُ بنُ أَلْب أَرغو (٦٨٧هـ-١٢٨٨م)	أبو سعيدٍ (٨٢٠هـ-١٤١٧م)
أفراسيَاب الأوَّلُ بنُ يوسُف (٦٩٦هـ-١٢٩٧م)	حسينُ (٨٢٧هـ-١٤٢٤م)
نصرةُ الدِّين أحمدُ بنُ أَلْب أَرغو (٧٣٣هـ-١٣٣٣م) .	غياثُ الدِّين (٨٢٧هـ-١٤٢٤م)
*** الأتابكةُ في أذَربيجان**	
شمسُ الدِّين إيلدكز (٥٣١هـ-١١٣٧م)	قزيلُ أرسَلان عثمانُ بنُ إيلدكز (٥٨١هـ-١١٨٥م)
محمَّدُ البَهلوانُ جهانُ بنُ إيلدكز (٥٦٨هـ-١١٧٣م)	أبو بكر بنُ محمَّد (٥٨٧هـ-١١٩١م)
مظفَّرُ الدِّين أُزبكُ بنُ محمَّد (٦٠٧-٦٢٢هـ-١٢١٠-١٢٢٥م)	

*****

المبحثُ الرَّابع:
الدَّولةُ العُثمانيَّة

العثمانيُّون أسرةٌ حاكمةٌ مُسلِمةٌ، تُنسَبُ إلى (عثمانَ بنِ أرطغرل بنِ سليمان شاه بنِ قياألب)، كان (سليمانُ بن قياألب زعيماً لقبيلة (قابي) إحدَى قبائل الغزِّ التركيَّة التي تعيشُ في آسية الوسطى، وقد هاجرَ مع قبيلتهِ إلى (الأناضول) في النِّصفِ الأوَّل من القَرنِ السَّابع الهجريِّ هرَباً من زحفِ التَّتار، وماتَ سليمانُ غرَقاً في نهرِ الفراتِ، ودُفِنَ عند (قلعةِ جعبَر)[1].

كان ابنُه (أرطغرل بنُ سليمان) من القادةِ ذَوي البأسِ، وقد التحقَ بخدمةِ الأميرِ (علاء الدِّين الثَّاني السُّلجوقي) وساعدهُ في الحربِ ضدَّ التَّتار والبيزنطيِّين، فكافأَه السُّلطانُ السُّلجوقيُّ بأن أقطعَهُ بعضَ المناطقِ على الحدودِ البيزنطيَّة، تاركاً لهُ حرِّيَةَ توسيع مُلكهِ على حسابِ البيزنطيِّين.

تُوفِّي أرطغرل عامَ (٦٨٠هـ-١٢٨١م) وخلفَهُ ابنُه الأكبرُ (**عثمانُ**) الذي منحَهُ السُّلطانُ السُّلجوقيُّ لقبَ (بك)، وأجازَ لهُ ضربَ العملةِ باسمهِ.

عملَ عثمانُ على تنظيمِ أمورِ دولتِه وتوسيعِها، فافتتحَ أكثر الإماراتِ الرُّوميَّةِ في آسية الصُّغرى، وحاربَ التَّتار فانتصرَ عليهم.

تولَّى (أورخانُ بنُ عثمانَ) الملكَ بعدَ أبيه سنةَ (٧٢٤هـ-١٣٢٤م)، فأنشأ الفِرقَ (الإنكشاريَّةَ)[2]، وافتتحَ مدينةَ (إزمير)[3] وبعضَ مدنِ آسية.

---

(١) - قلعةُ جَعبر: تقعُ اليومَ في منطقة الجزيرة السوريَّة، على الضفَّة اليُسرى لنهر الفرات، على بعد (٥٣ كم) من مدينة الرقَّة، و(١٣ كم) من مدينة الثَّورة.

(٢) - الإنكشاريَّة أو (يكيجاري)، وتَعني: الجيشَ الجديد .

(٣) - إزمير: بالتركيَّة (İzmir)، الميناءُ الرَّئيسُ لدولةِ تركيَّا اليومَ في جُزئها الآسيويِّ.

وفي عَهدِ ثالثِ سلاطينِ بني عُثمان (مراد الأوَّل بنِ أورخان) فتحَ العثمانيُّونَ مدينةَ (أدرنة)[1]، وجعلَها مرادُ الأوَّلُ عاصمةً للدَّولة، ثمَّ هاجَموا (شبهَ جزيرةِ البلقان)[2]، وألحقوا هزائمَ كبيرةً بالجيوشِ التي قدِمَتْ من نواحي أوروبَّة كافةً لحربِهم، فأضحَت (القُسطنطينيَّةُ) - البيزنطيَّة آنذاك- محُوطةً مِن جهةِ أوروبَّة بأراضي الدَّولة العثمانيَّة.

استطاعَ السُّلطان الرَّابع (بايزيدُ بنُ مراد) الذي تولَّى الملكَ عامَ (٧٩١هـ-١٣٨٩م) ولُقِّبَ بالصَّاعقة؛ استطاعَ أن يقضيَ على بقايا الوجودِ البيزنطيِّ في آسية، وعلى الإماراتِ التي قامَت على أطلالِ دولةِ السَّلاجقة، وحاربَ الدُّولَ الأوروبِّية، وكادَ يفتحُ القسطنطينيَّة لولا جيوشُ (تيمورلنك) التَّتاريَّة التي أخذَت بالانقضاضِ من جهةِ الشَّرق، وقد وقعَ بايزيدُ نفسُه أسيراً بيدِ تيمورلنك بعدَ (معركةِ أنقرة ١٩ذي الحجة ٨٠٤هـ-٢٠ تموز ١٤٠٢م)، وماتَ في الأَسرِ سنةَ (٨٠٥هـ-١٤٠٣م) وعمرُه (٤٤سنة)، ودبَّ الشِّقاقُ بين أولادِه، وتمزَّقت الدَّولةُ حتَّى تولَّى ابنُه (محمَّد جلبي)، ثمَّ خلَفَهُ ابنهُ (مرادُ الثَّاني بنُ محمَّد) عامَ (٨٢٤هـ-١٤٢١م)، فاستعادَ أكثرَ أراضي الدَّولةِ في آسية وأوروبَّة.

تولَّى السُّلطانُ السَّابعُ (محمَّدُ الثَّاني -الفاتح- بنُ مراد) المُلكَ عامَ (٨٥٥هـ-١٤٥١م) فأخضعَ معظمَ أَراضي البلقانِ للسَّيطرةِ العثمانيَّة، ثمَّ حاصرَ القُسطنطينيَّة برَّاً وبَحراً، وافتتحَها في (٢٠جمادى الأولى٨٥٧هـ-٢٩أيار١٤٥٣م)، وجعلَها عاصمةً للدَّولةِ العثمانيَّة، وسمَّاها (إسطنبول)، أي دارَ السَّعادة.

وفي عهدِ محمَّد الفاتحِ هذا سيطرَ العثمانيُّونَ على معظمِ جُزرِ شرقيِّ البحرِ المتوسِّط،

(١) - أدرنة: إحدى مدنِ تركيَّا في أقليم (تراقيا)، تقعُ في أقصَى الجهةِ الشَّمالية الغربيَّة من الجزء الأوروبيِّ للجمهوريَّة التركيَّة، بالقرب من حدودِ بلغاريا واليونان

(٢) - البلقان أو شِبهُ جزيرة البلقان: هي اليومَ منطقةٌ ثقافيةٌ وجغرافيةٌ تقعُ في الجزء الجنوبيِّ من قارَّة أوروبَّة، في شرق شبهِ الجزيرة الإيطاليَّة، وفي الغرب أو الشَّمال الغربيِّ من منطقةِ الأناضول، تُعرَف كذلكَ في بعض المصادرِ بمنطقةِ (جنوب شرقِ أوروبَّة).

وبلغَت جيوشُهم حدودَ إمارةِ (البندقيَّة=فينيسيا) الإيطاليَّة على البحرِ الأدرياتيكي[1].

ومنذُ عهدِ السُّلطان التَّاسِع (سليمِ الأوَّل) حفيدِ محمَّد الفاتح توجَّهَ العثمانيُّونَ تِلقاءَ الشَّرق، فخضَعَت لهم بلادُ الشَّامِ ومصرُ بعدَ معركتَيهما مع المماليك في (مرج دابق ٩٢٢هـ-١٥١٦م)[2]، و(الريدانيَّة) في العامِ التَّالي[3]. كما انضوَى الحجازُ والخليجُ العربيُّ تحتَ سلطتهم، وغدا العراقُ مسرَحاً لمنافسةٍ عسكريَّةٍ حاميةٍ بين العثمانيِّينَ والصَّفَويِّين.

بلغَت الدَّولةُ العثمانيَّةُ عهدَ تأوُّجِها يومَ امتدَّ سلطانُها إلى الشَّمالِ الإفريقيِّ حتَّى حدودِ مُرَّاكش، وإلى اليمنِ في جزيرةِ العربِ، وإلى فيينَّا عاصمةِ النِّمسا في وسطِ أوروبَّة.

كانَ للعثمانيِّينَ دورٌ بليغٌ في حملِ الإسلامِ إلى أوروبَّة، وكانَ لهم اهتمامٌ ظاهرٌ بحضارةِ البلادِ التي افتتحوها، إذْ شجَّعوا على العُمرانِ تشجيعاً لافتاً ورئيساً، إلى أن دبَّ الضَّعفُ في جسدِ الدَّولةِ، ففَشا فيها سوءُ الإدارةِ، ولا سيَّما في البلادِ البعيدةِ عن عاصمةِ الدَّولة، فأخذَت بالتَّراجُعِ والقُصور والتَّقهقُرِ، حتَّى أمسَت أشبهَ بـ(الرَّجلِ المريضِ) الذي تتنازعُ الدُّولُ الأوروبِّيةُ اقتسامَ ممتلكاتِه، وكانَت روسيا القيصريَّةُ أكثرَ هذِه الدُّولِ عداءً للعثمانيِّين.

قامَت منذُ أوائلِ القرنِ التَّاسعَ عشرَ عدَّةُ حركاتٍ انفصاليَّةٍ في أجزاءِ الدَّولةِ العثمانيَّة؛ في ولاياتِها الأوروبِّية والآسيويَّةِ والإفريقيَّة معاً.

وعلى العُمومِ، فإنَّ انحلالَ الدَّولةِ العثمانيَّةِ يُعزَى بحسَبِ المؤرِّخين إلى عدَّةِ عواملَ؛ أهمُّها:

١- فسادُ الجيشِ الإنكشاريِّ.

---

(١) - البحرُ الأدرياتيكي أو بحرُ البَنَادِقِيِّين أو بحرُ البَنَادِقَة: أحدُ أفرُعِ البحر المتوسِّط، يفصلُ شبهَ الجزيرة الإيطاليَّة عن شبه جزيرة البلقان، وسلسةَ جبال الأبينيني الإيطاليَّة على السَّاحل الشَّرقي عن سلسلة جبالِ الألب الديناريَّة (نسبةً لجبل دينارا)، الواقعةِ في جنوب شرق أوروبا، والممتدَّةِ على طول سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك وصربيا وألبانيا والجبل الأسود).

(٢) - مرج دابق: سهلٌ شمالَ حلب في سوريَّة، وقرية دابق من القرى التاريخيَّة التابعةِ لناحية (أخترين) الواقعةِ شمالَ مدينة حلب على مسافة (٤٥ كم).

(٣) - الريدانيَّة اليومَ: إحدى القُرى التَّابعة لمركز المنصورة في محافظة الدَّقَهليَّة في جمهوريَّة مصر العربيَّة.

٢- تدخُّلُ الدُّولِ الأجنبيَّةِ في عهدِ السَّلاطين ضعفاءِ التحكُّمِ والنُّفوذِ.

٣- سوءُ إدارةِ الأقاليمِ والولاياتِ.

٤- التَّراجعُ العلميُّ والتَّعليميُّ.

٥- نشاطُ الجمعيَّاتِ والحركاتِ السرِّيَّة(١).

كانت هزيمةُ الدَّولةِ العثمانيَّةِ في الحربِ العالميَّةِ الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) إيذاناً بانقضاءِ عمُرِها. وفي (تشرين الأوَّل ١٩٢٣م) أَعلنَ المجلسُ الوطنيُّ (الجمهوريَّةَ) في تركيَّا، وانتَخَبَ (مصطفى كمال أتاتورك) رئيساً لها.

وفي عام (١٣٤٢هـ-١٩٢٤م) أعلنَ مُصطفى كمال أتاتورك إلغاءَ منصبِ الخلافةِ، وإخراجَ عبدِ المجيدِ الثَّاني(٢) آخرَ خلفاءِ بني عثمانَ منَ البلادِ(٣).



(١) - انظُر في سياقِ هذه الأسبابِ وغيرِها كتابَ: الدَّولة العثمانيَّة قبلَ الدُّستور وبعدَه: سليم البستاني، القاهرة، مطبعة الأخبار، ١٩٠٨م. وانظر للاستزادة: تاريخ الدَّولة العليَّة العثمانيَّة: لمحمَّد فريد بك: ترجمة وتحقيق: إحسان حقِّي، بيروت، دار النَّفائس، ٢٠٠٣م، والتُّحفةُ الحليميَّةُ في تاريخ الدَّولة العليَّة: إبراهيم بك حليم، بيروت، مؤسَّسة الكتُب الثَّقافيَّة، ١٩٨٨م و: Hourani, Albert: A History of The Arab Peoples, JFS Books, New York, 1991. ولا يخفى على النَّاظر أنَّنا سُقنا كثيراً من أخبار العثمانيِّين وعلاقاتِهم بالممالكِ المُزامِنةِ والدُّول المُجاورةِ في ثنايا المباحث والفصول السَّالفة فلا نزيدُ تفادياً لغائلة التَّكرار.

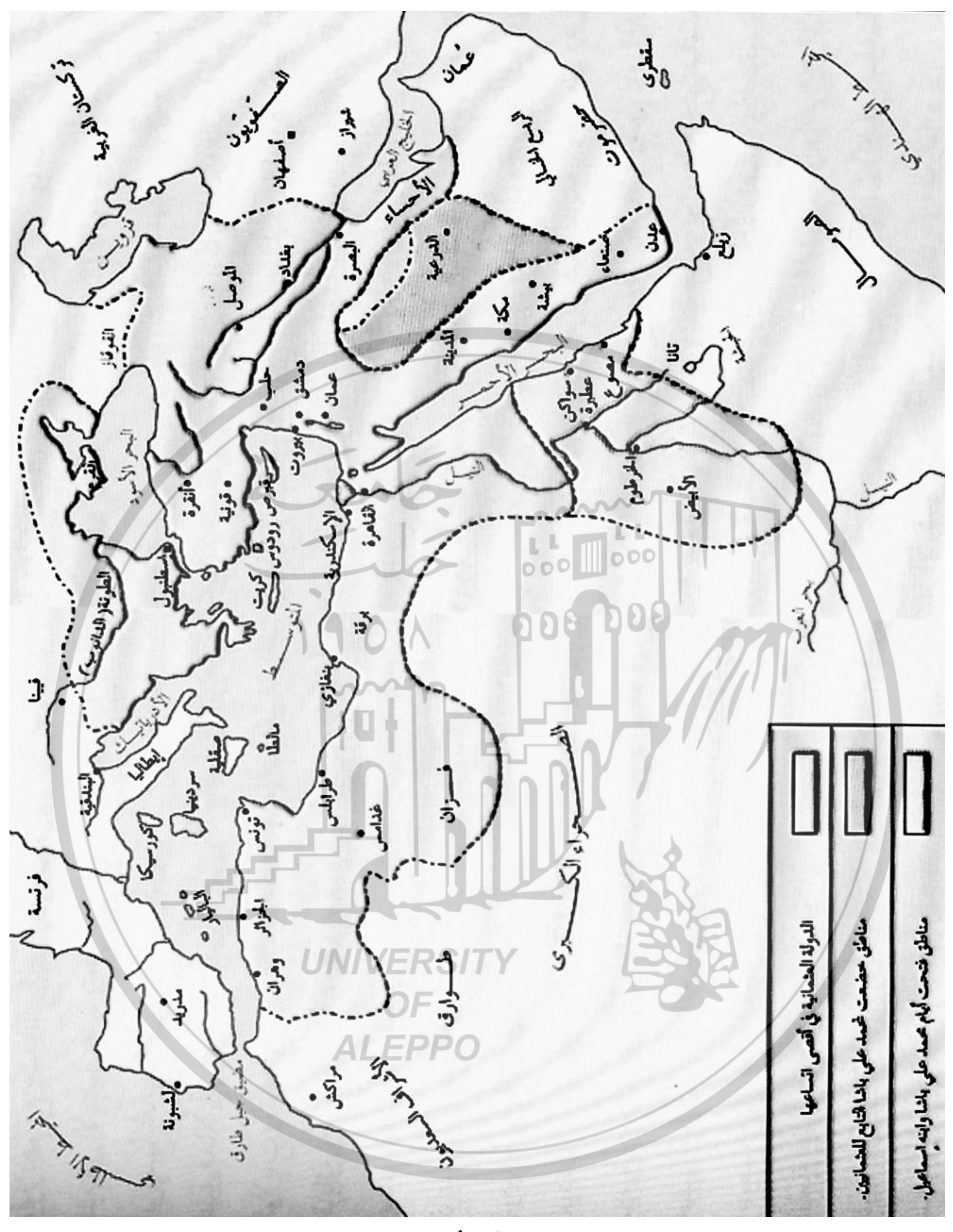
(٢) - تُوفِّي في باريس سنةَ (١٩٤٤م).

(٣) - وللوقوفِ على أهمِّ الأحداثِ والماجَرَيات والمُنجزاتِ في تاريخ الدَّولة العثمانيَّة انظُر: المَسرَد التَّاريخيَّ والحضاريَّ المُثبَتَ آخرَ هذا الكتاب: ص٣٤٧ فما بعدها.

سلاطين آل عثمان

متسلسل	السلاطين ومدة حكمهم
١	عثمان الأول : (١٢٨١ ـ ١٣٢٤م)
٢	أورخـــــان : (١٣٢٤ ـ ١٣٥٩م)
٣	مـــراد الأول : (١٣٥٩ ـ ١٣٨٩م)
٤	بـايـزيـد (الـصّاعـقـة) : (١٣٨٩ ـ ١٤٠٢م)
٥	محمد الأول : (١٤٠٣ ـ ١٤٢١م)
٦	مـراد الـثـاني : (١٤٢١ ـ ١٤٥١م)
٧	مـحـمـد الـثـاني (الفاتح) : (١٤٥١ ـ ١٤٨١م)
٨	بايزيد الثاني : (١٤٨١ ـ ١٥١٢م)
٩	سـلـيـم الأول : (١٥١٢ ـ ١٥٢٠م)
١٠	سليمان الأول (القانوني) : (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م)
١١	سليم الثاني : (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م)
١٢	مراد الـثـالث : (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥م)
١٣	محمد الثالث : (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣م)
١٤	أحمد الأول : (١٦٠٣ ـ ١٦١٧م)
١٥	مصطفى الأول : (١٦١٧ ـ ١٦١٨م) (١٦٢٢ ـ ١٦٢٣م)
١٦	عثمان الثاني : (١٦١٨ ـ ١٦٢٢م)
١٧	مـراد الـرابع : (١٦٢٣ ـ ١٦٤٠م)
١٨	إبـراهـيـم : (١٦٤٠ ـ ١٦٤٨م)
١٩	محمد الرّابع : (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م)
٢٠	سليمان الثاني : (١٦٨٧ ـ ١٦٩١م)
٢١	أحمد الثاني : (١٦٩١ ـ ١٦٩٥م)
٢٢	مـصـطـفـى الـثـانـي : (١٦٩٥ ـ ١٧٠٣م)
٢٣	أحمد الثالث : (١٧٠٣ ـ ١٧٣٠م)
٢٤	محمود الأول : (١٧٣٠ ـ ١٧٥٤م)
٢٥	عثمان الثالث : (١٧٥٤ ـ ١٧٥٧م)
٢٦	مـصـطـفـى الـثـالـث : (١٧٥٧ ـ ١٧٧٤م)
٢٧	عـبـد الـحـمـيـد الأول : (١٧٧٤ ـ ١٧٨٩م)
٢٨	سـليم الثالث : (١٧٨٩ ـ ١٨٠٧م)
٢٩	مـصـطـفـى الـرابـع : (١٨٠٧ ـ ١٨٠٨م)
٣٠	محمود الثاني : (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م)
٣١	عـبـد الـمـجـيـد الأول : (١٨٣٩ ـ ١٨٦١م)
٣٢	عـبـد الـعـزيز : (١٨٦١ ـ ١٨٧٦م)
٣٣	مـراد الـخـامـس : (١٨٧٦م)
٣٤	عـبـد الـحـمـيـد الثاني : (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م)
٣٥	محمد الخامس (رشاد) : (١٩٠٩ ـ ١٩١٨م)
٣٦	مـحـمـد الـسـادس : (١٩١٨ ـ ١٩٢٢م)
٣٧	عـبـد الـمـجـيـد الثاني : (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤م)

ثم أُلغيت الخلافة سنة /١٩٢٤/م على يد كمال أتاتورك



الدَّولةُ العثمانيَّة

*****

* مَسردٌ لأهمِّ الأحداث والماجَريات في التَّاريخ الإسلامي *

العربُ والإسلام	
٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م	الدَّولة الأمويَّة (دمشق).
٥٠هـ/ ٦٧٠م	عقبة بن نافع فاتح إفريقية. تأسيس القَيروان.
٥٤-٥٩هـ/ ٦٧٤-٦٧٩م	حملاتٌ على بيزنطيَّة.
٦٠-٦٤هـ/ ٦٨٠-٦٨٣م	حكم يزيد بن معاوية.
٦١هـ/ ٦٨٠م	استشهاد الحسين في كربلاء.
٦٣هـ/ ٦٨٣م	خروج عبد الله بن الزُّبير في مكَّة.
٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م	حكم عبد الملك بن مروان. بناء مسجد قبَّة الصَّخرة في القدس.
٧٣هـ/ ٦٩٢م	الحجَّاج بن يوسُف يفتح مكَّة ويقضي على ابن الزُّبير.
٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م	حكم الوليد بن عبد الملك. بناء المسجد الأقصى في القُدس والجامع الأمويّ في دمشق.
٩٢هـ-٧١١م	فتح السِّند. محمَّد بن القاسم الثَّقفي.
٩٢هـ-٧١١م	فتح الأندلس. موسى بن نُصير وطارق بن زياد.
٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م	حكم سُليمان بن عبد الملك.
٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧٢٠م	حكم عُمر بن عبد العزيز.
١٠٠هـ/ ٧١٧م	حصار القسطنطينيَّة.
١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م	حكم يَزيد بن عبد الملك.
١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م	حكم هشام بن عبد الملك.
١٠٧هـ/ ٧٢٥م	نشأة المعتزلة.
١١٤هـ/ ٧٣٢م	معركة بَلاط الشهداء.
١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٥٠م	مروان الثَّاني آخر الأمويِّين في دمشق.
١٢٨هـ/ ٧٤٦م	أبو مسلم الخراسانيّ يدعو للعبَّاسيِّين.
١٣٢هـ/ ٧٥٠م	معركة الزَّاب. انهزامُ مروان ومقتلُه. نهاية الأمويِّين في دمشق.
١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م	الخلافة العبَّاسية.
١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م	أبو العبّاس السفّاح أوّل خلفاء العبَّاسيِّين.
١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٦-٧٧٥م	عبد الرَّحمن الداخل أمير قُرطبة أوَّل الأمويين في الأندلس.
١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٦-٩٢٩م	الإمارة الأمويَّة في الأندلس.

١٤٤-٢٩٦هـ/ ٧٦١-٩٠٨م	الرُّستميُّون في تاهَرت بالمغرب.
١٤٥هـ/ ٧٦٢م	المنصور يؤسِّس بغداد ويجعلها عاصمة الخلافة. بناء جامع بغداد.
١٥٠هـ/ ٧٦٧م	وفاة الإمام أبي حنيفة.
١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م	حكم المهديّ.
١٦١-١٦٣هـ/ ٧٧٨-٧٨٠م	ثورة المقنَّع في خراسان.
١٦٧هـ/ ٧٨٣م	البيزنطيُّون يعقدون صلحاً مع العرب ويدفعون الجزية.
١٦٩هـ/ ٧٨٥م	عبد الرَّحمن الداخل يبني مسجد قُرطبة.
١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م	حكم هارون الرشيد. ازدهار الآداب والعلوم والتجارة.
١٧٠-١٨٧هـ/ ٧٨٦-٨٠٣م	خالد بن يحيى البَرمكي وزير هارون الرشيد.
١٧٢-٣٦٣هـ/ ٧٨٨-٩٧٤م	الدَّولة الإدريسيَّة في المغرب.
١٧٩هـ/ ٧٩٥م	وفاة الإمام مالك بن أنس.
١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م	بنو الأغلب في القيروان بإفريقية.
١٨٧هـ/ ٨٠٣م	نكبة البَرامكة.
١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م	حكم المأمون. ازدهار الحركة العلميَّة والفكريَّة في الإسلام.
٢٠٤هـ/ ٨٢٠م	وفاة الإمام الشافعيّ.
٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م	الدولة الطاهريَّة في خُراسان.
٢١١هـ/ ٨٢٧م	الأغالبة يحتلُّون صِقليّة.
٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م	حكم المعتصم. ظهور الأتراك. تغلّب السنّة على المعتزلة.
٢٢١هـ/ ٨٣٦م	تأسيس سامرَّاء.
٢٢١-٢٧٩هـ/ ٨٣٦-٨٩٢م	سامرَّاء عاصمة العباسيين.
٢٢٣هـ/ ٨٣٨م	الأفشين يقضي على بابك الخُرَّميّ.
٢٤١هـ/ ٨٥٥م	وفاة الإمام ابن حنبل.
٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٥م	الدولة الطُّولونية في مصر.
٢٥٤-٢٨٩هـ/ ٨٦٨-٩٠٢م	الدولة الصّفَّارية في فارس.
٢٥٥هـ/ ٨٦٩م	وفاة الجاحظ.
٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م	ثورة الزِّنج في البصرة.
٢٥٦هـ/ ٨٧٠م	وفاة البُخاري المُحَدِّث.
٢٦٠-٣٩٠هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م	الدولة السَّامانية في ما وراء النهر.
٢٦١هـ/ ٨٧٥م	بناء جامع ابن طولون في الفسطاط، وبناء جامع شيراز الكبير.

٢٧٠هـ/ ٨٨٣م	المُوفَّق أخو الخليفة المُعتمد يقضي على ثورة الزنج في البصرة.
٢٧٩هـ/ ٨٩٢م	وفاة البَلاذُري.
٢٩٧هـ/ ٩٠٩م	أبو عبد الله الشيعيّ يدعو للفاطميِّين في إفريقية.
٢٩٧-٣٢٢هـ/ ٩٠٩-٩٣٤م	عُبيد الله المهدي مؤسِّس الدَّولة الفاطميَّة.
٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩-١١٧١م	الفاطميُّون في تونس ثم في مصر.
٣١٠هـ/ ٩٢٣م	وفاة المؤرخ الطَّبريّ.
٣١٦-٣٥٠هـ/ ٩٢٩-٩٦١م	النَّاصر عبد الرَّحمن الثالث أول خليفة أموي في الأندلس.
٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٩-١٠٣١م	الخلافة الأموية في الأندلس.
٣١٧هـ/ ٩٣٠م	القرامطة يدخلون مكة ويحملون الحجر الأسود منها.
٢١٧-٣٩٤هـ/ ٩٢٩-١٠٠٣م	الحمدانيُّون في الموصل وحلب.
٣٢٠-٤٤٧هـ/ ٩٣٢-١٠٥٥م	البُوَيهيون في إيران والعراق.
٣٢٣-٣٥٨هـ/ ٩٣٥-٩٦٩م	الإخشيديُّون في مصر وسورية.
٣٢٨هـ/ ٩٤٠م	وفاة ابن عبد ربّه الأندلسيّ.
٣٥١-٥٨٣هـ/ ٩٦٢-١١٨٧م	الغزنويُّون في إيران وأفغانستان.
٣٥٤هـ/ ٩٦٥م	وفاة المتنبّي.
٣٥٨هـ/ ٩٦٩م	جوهر الصقلِّي يستولي على مصر للمُعزّ الفاطميّ.
٣٥٩-٣٦١هـ/ ٩٧٠-٩٧٢م	تأسيس القاهرة والجامع الأزهر.
٣٦٠-٥٦٣هـ/ ٩٧١-١١٦٧م	بنو زِيري في إفريقية (تونس).
٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢١م	الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطميّ.
٣٨٨-٤٢١هـ/ ٩٩٨-١٠٣٠م	محمود بن سُبُكتكين أشهر الغزنويِّين.
٤١١هـ/ ١٠٢٠م	وفاة الفردوسي مؤلف الشاهْنامه.
٤٢٠-٤٢٢هـ/ ١٠٢٩-١٠٣١م	هشام الثَّالث آخر الحكَّام الأمويين في الأندلس.
٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣١-١٠٩١م	ملوك الطَّوائف في الأندلس.
٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م	وفاة ابن سينا.
٤٢٩-٤٥٥هـ/ ١٠٣٧-١٠٦٣م	طُغرل بك مؤسِّس السَّلاجقة في إيران.
٤٤٣هـ/ ١٠٥٢م	بنو هلال يغزون إفريقية.
٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م	طُغرل بك السلجوقيّ يستولي على بغداد. القضاء على البُويهيّين.
٤٤٨-٥٤١هـ/ ١٠٥٦-١١٤٧م	المرابطون في المغرب.
٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م	وفاة أبي العَلاء المعريّ.

٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م	يوسف بن تاشَفين سلطانُ المرابطين يؤسِّس مرَّاكش.
٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م	وفاةُ ابن حزم.
٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م	تأسيس نظاميتَي نيسابور وبغداد.
٤٦٤-٧٠٢هـ/ ١٠٧١-١٣٠٢م	سلاجقة الروم في آسيا الصُّغرى.
٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م	ألفونس السَّادس يحتل طُليطلة.
٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م	معركة الزَّلاقة. يوسف بن تاشفين يهزم ألفونس السادس.
٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م	الصَّليبيون يستولون على القُدس.
٥٠٥هـ/ ١١١١م	وفاة الغزالي.
٥١٥-٦٦٧هـ/ ١١٢١-١٢٦٩م	المُوحِّدون في المغرب والأندلس.
٥٢١-٥٤١هـ/ ١١٢٧م	عماد الدين زنكي مؤسِّس سلالة زنكي أتابكة الجزيرة والشام.
٥٤١-٥٦٩هـ/ ١١٤٦-١١٧٤م	نور الدين زنكي أتابك حلب والشام.
٥٤٣-٦١٢هـ/ ١١٤٨-١٢١٥م	الغُوريُّون في أفغانستان والهند.
٥٦٧-٦٥٩هـ/ ١١٧١-١٢٦١م	الأيوبيُّون في مصر وسورية.
٥٧٠هـ/ ١١٧٤م	صلاح الدِّين الأيوبي يسيطرُ على دمشق.
٥٨١هـ/ ١١٨٥م	وفاة ابن طُفيل.
٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	معركة حطِّين. صلاح الدِّين يستعيد القُدس.
٥٨٩هـ/ ١١٩٣م	وفاة صلاح الدِّين الأيوبيّ.
٥٩١-٨٧٣هـ/ ١١٩٥-١٤٦٨م	بنو مَرين في فاس.
٥٩٥هـ/ ١١٩٨م	وفاة ابن رُشد.
٦٠٩هـ/ ١٢١٢م	وقعة العُقاب في الأندلس.
٦٢٧-٩٨٢هـ/ ١٢٢٩-١٥٧٤م	بنو حفص في تونس.
٦٣٣-٩٥٧هـ/ ١٢٣٦-١٥٥٠م	بنو زيَّان أو بنو عبد الواد في تِلمسان.
٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م	بنو الأحمر أو بنو نصر في غرناطة. بناء الحمراء.
٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م	وفاة ابن عربي.
٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م	لويس التَّاسع ملك فرنسا في دمياط.
٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م	المماليك في مصر وسورية.
٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م	هولاكو يستولي على بغداد. نهاية الحكم العبَّاسي. مقتل المُستعصم آخر الحكام العبَّاسيين.
٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م	معركة عَين جالوت. المماليك يهزمون المغول.
٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م	وفاة جلال الدّين الرُّومي.

٦٨٠-١٣٤٢هـ/ ١٢٨١-١٩٢٣م	**العثمانيُّون.**
٦٩٠هـ/ ١٢٩١م	المماليك يحتلُّون عكًّا. نهاية الإمارات الصَّليبيَّة في الشَّرق.
٨٠٣هـ/ ١٤٠١م	تيمورلنك يجتاح بغداد.
٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م	تيمورلنك يأسر بايزيد الأوَّل في أنقرة.
٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م	وفاة ابن خلدون.
٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	محمَّد الفاتح يفتحُ القسطنطينيَّة.
٨٧٧-٩٥٧هـ/ ١٤٧٢-١٥٥٠م	الوطَّاسيُّون في فاس.
٨٩٢هـ/ ١٤٩٢م	سقوط غرناطة. نهاية العرب في الأندلس. أسرُ أبي عبد الله آخر ملوك بني الأحمر.
٩٠٧-١١٤٨هـ/ ١٥٠١-١٧٣٦م	الصُّفويُّون في إيران والعراق.

آسيا والإسلام
سُلالاتٌ مختلفة – أتراكٌ ومَغولٌ وفُرسٌ – الدَّولة العثمانيَّة

٩٦٢-١١٨٧م	الغَزنويُّون في أفغانستان وإيران والهند
١٠٣٧-١١٧٥م	السَّلاجقة في إيران والعراق
١٠٥٥م	طُغرُل بك السّلجوقي يستولي على بغداد.
١٠٧١-١٣٠٢م	سلاجقة الرُّوم في آسيا الصُّغرى
١٠٩٧-١٢٣١م	سلالة خُوارزم (شاه خُوارزم).
١١٤٨-١٢١٥م	الغُوريُّون في أفغانستان والهند.
١١٨٨-١٢٢٧م	جنكيزخان مؤسِّس إمبراطوريَّة المغول.
١٢٠٦-١٢٢٧م	توسُّعات جنكيزخان.
١٢٠٦-١٢١٠م	قطب الدِّين أَيبك مؤسِّس سلالة المماليك الأتراك في دهلي (دلهي).
١٢٠٦-١٢٩٠م	سلالة المماليك الأتراك أولى سلالات سلطنة دهلي الإسلاميَّة.
١٢٠٦-١٥٢٦م	سلالات سلطنة دهلي الإسلامية.
١٢١٠م	إيلتتمش المؤسس الفعلي لسلطنة دهلي (دلهي) الإسلاميَّة.
١٢١١-١٢١٥م	جنكيزخان يغزو الصِّين ويستولي على بكين.
١٢٢٦م	بناء قطب مِنار في دهلي.
١٢٢٧م	وفاة جنكيزخان واقتسام امبراطوريَّته بين أولاده.
١٢٢٧-١٢٥٥م	باتوخان، حفيد جنكيزخان، مؤسِّس الأُورطة الذهبية. اجتياح روسيا وشرقي أوروبَّا.

١٢٣١م	اغتيال جلال الدِّين خُوارزمشاه آخر ملوك خُوارزم.
١٢٤٢-١٥٠٢م	الأُورطة الذهبيَّة في جنوبيّ روسيا.
١٢٥٠-١٥١٧م	المماليك في مصر وسورية.
١٢٥١-١٢٦٥م	هولاكو مؤسِّس دولة المغول الإيلخانيَّة في إيران.
١٢٥٦-١٣٣٥م	دولة المغول الإيلخانيّة في إيران.
١٢٥٨م	هولاكو يستولي على بغداد. نهاية الحكم العبَّاسي.
١٢٦٠م	معركة عين جالوت. هزيمة المغول أمام المماليك.
١٢٦٠-١٢٩٤م	قُبلاي خان أمبراطور المغول خلفاً لأخيه مونجك الخان الأكبر. بكّين عاصمة الدولة.
١٢٦٥-١٢٨٢م	أباقا ملك إيران الإيلخانيّ.
١٢٧١م	رحلة ماركو بولو إلى آسيا وإقامته في بلاط قُبلاي خان.
١٢٨١-١٣٢٦م	عثمان الأوَّل مؤسِّس السَّلطنة العثمانيَّة.
١٢٨١-١٩٢٣م	سلالة سلاطين العثمانيِّين.
١٢٨٤-١٢٩١م	أرغون ملك إيران الإيلخانيّ.
١٢٩٠-١٣٢٠م	سلالة خلجي الأفغانيّة السُّلالة الثانية في سلطنة دهلي.
١٢٩١م	نهاية الإمارات الصليبية في الشرق.
١٢٩٥-١٣٠٤م	محمود غازان ملك إيران الإيلخانيّ.
١٣٠٤-١٣١٦م	أُلجايتو خَدابَندَه ملك إيران الإيلخانيّ.
١٣١٦-١٣٣٥م	أبو سعيد ملك إيران الإيلخانيّ.
١٣٢٠-١٣١٣م	سلالة تُغلُق السُّلالة الثَّالثة في سلطنة دهلي.
١٣٢٦-١٣٥٩م	السُّلطان أورخان خلفاً لأبيه عثمان. احتلال بروسة (بورصا).
١٣٢٦-١٣٦٢م	بروسة عاصمة السَّلطنة العثمانية.
١٣٣٩-١٣٥٦م	حسن بُزُرك مؤسِّس سلالة جلائر المغوليّة.
١٣٣٩-١٤١٠م	سلالة جلائر المغوليَّة حكَّام العراق.
١٣٤٧-١٥٢٧م	سلالة بَهمن أولى سلالات الدكَّن الإسلامية.
١٣٥٨-١٣٧٤م	أُوَيس بن حسن بُزُرك حاكم العراق الجلائريّ.
١٣٥٩-١٣٨٩م	السُّلطان مراد الأول العثماني.
١٣٦١م	استيلاء العثمانيِّين على أدرنة.
١٣٦٢-١٤٥٣م	أدرنة عاصمة السَّلطنة العثمانية.
١٣٦٥م	تيمورلنك يبدأ فتوحاته ويسيطر على ما وراء النهر.

١٣٦٨-١٦٤٤م	سلالة منغ في الصين. نهضة عمرانية.
١٣٧٠م	طرد المغول من الصِّين.
١٣٧٠-١٤٠٥م	تيمورلنك ملك المغول. العاصمة سمرقند.
١٣٧٥-١٤٦٨م	سلالة قرَه قويونلي في إيران والعراق.
١٣٨٠-١٤٠٦م	انتصار تُقتمش خان الأُورطة البيضاء على الأُورطة الذهبية واحتلال روسيا.
١٣٨١-١٤١٠م	أحمد بن أويس آخر حكام بغداد الجلائريين.
١٣٨٢-١٦٠١م	سلالة الفاروقيين الإسلامية أو مملكة خانديش في جنوبي الهند.
١٣٨٥-١٣٨٦م	مراد الأول يحتلّ صوفيا وتسالونيكي.
١٣٨٦-١٣٨٧م	تيمورلنك يحتل أصفهان وشيراز وبغداد ويجتاح آذربيجان وجورجيا وأرمينيا.
١٣٨٩م	معركة كوسوفو. مقتل مراد الأول.
١٣٨٩-١٤٠٢م	بايزيد الأول خلفاً لمراد الأول.
١٣٩١-١٥٧٢م	سلالة ملوك غجرات المسلمة.
١٣٩٤-١٤٧٦م	سلالة شرقي في جونبور بالهند.
١٤٠١م	تيمورلنك ينتصر على المماليك ويخرب بغداد.
١٤٠٢م	معركة أنقرة. تيمور لنك يأسر بايزيد الأول.
١٤٠٢-١٥٠٢م	سلالة آق قويونلي في إيران والعراق.
١٤٠٣-١٤١٣م	خلاف بين أولاد بايزيد الأول. سليمان وموسى ومحمد.
١٤٠٥م	وفاة تيمورلنك. اقتسام امبراطوريَّته.
١٤٠٥-١٥٠١م	التَّيموريون المغول في إيران.
١٤٢١-١٤٥١م	مراد الثَّاني سلطان عثماني.
١٤٤٤م	معركة قارنا. انتصار مراد الثَّاني على بولونيا والمجر.
١٤٤٨م	معركة كوسوفو. انتصار مراد الثَّاني على يوحنا هونيادي.
١٤٥١-١٤٨١م	السُّلطان محمَّد الثَّاني الفاتح من كبار سلاطين العثمانيين.
١٤٥٣م	محمَّد الثاني يفتح القسطنطينية. نهاية الأمبراطورية البيزنطية. القسطنطينيَّة عاصمة السَّلطنة العثمانية باسم الآستانة، أو إسلامبول، أو استانبول.
١٤٥٤-١٤٧٨م	أوزون حسن خان آق قويونلي قضَى على نفوذ قره قويونلي في إيران.
١٤٥٦م	يوحنَّا هونيادي المجَري أرغم محمَّد الثاني على فكّ الحصار عن بلغراد. وفاة هونيادي.
١٤٦١م	محمَّد الثاني يستولي على طرابزون. نهاية امبراطورية طرابزون البيزنطيَّة.
١٤٨١- ١٥١٢م	بايزيد الثاني خلفاً لأبيه الثاني. خلعَه الإنكشارية.

١٤٩٧-١٥٠٣م	بناء مسجد بايزيد في استانبول.
١٥٠١-١٥٢٤م	الشَّاه إسماعيل الأول مؤسِّس الدولة الصَّفوية في إيران.
١٥١٢-١٥٢٠م	السُّلطان سليم الأول العثماني.
١٥١٤م	معركة جالديران. انتصار سليم الأول على الشَّاه إسماعيل الأول.
١٥١٦م	العثمانيون يفتحون الشرق. اندحار المماليك في معركة مرج دابق.
١٥١٧م	سليم الأول يفتح مصر. نهاية المماليك.
١٥٢٠-١٥٦٦م	السُّلطان سليمان القانوني. الإمبراطورية العثمانية في أوج مجدها.
١٥٢١-١٥٢٢م	السُّلطان سليمان يحتل بلغراد ورودس.
١٥٢٤-١٥٧٦م	طهماسب الأول شاه إيران.
١٥٢٦م	معركة موهاكس (موهاج). انتصار العثمانيِّين على المجر.
١٥٢٦م	بابر يسيطر على الهند ويقضي على إبراهيم لودي آخر سلاطين دهلي. ويؤسس سلالة المغول في الهند
١٥٢٦-١٨٥٨م	إمبراطورة المغول في الهند.
١٥٢٦-١٧٠٧م	مغول الهند الكبار.
١٥٣٠-١٥٤٠م	هُمايون إمبراطور الهند خلفاً لأبيه بابر.
١٥٣٤م	العثمانيُّون يستولون على بغداد وتبريز.
١٥٣٥م	الامتيازات الفرنسية، أولى الامتيازات الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية: السلطان سليمان القانوني وفرانسوا الأول.
١٥٥٠م	بناء جامع سليمان في الآستانة.
١٥٥٥م	نقل عاصمة إيران من تبريز إلى قزوين.
١٥٥٦-١٦٠٥م	الإمبراطور أكبر، أعظم أباطرة المغول.
١٥٦٦-١٥٧٤م	السُّلطان سليم الثَّاني.
١٥٧٠م	احتلال قبرس.
١٥٧١م	معركة ليبانت بين العثمانيِّين والأوروبيِّين. هزيمة الأسطول العثماني.
١٥٧٤-١٥٩٥م	السُّلطان مراد الثالث.
١٥٧٧-١٥٨٥م	حروبٌ بين الإيرانيين والعثمانيين.
١٥٨٥-١٦٣٥م	فخر الدِّين الثاني المعني أمير لبنان.
١٥٨٧-١٦٢٩م	عبَّاس الأول الكبير شاه إيران.
١٥٩٣م	نقل عاصمة إيران من قزوين إلى أصفهان.
١٦٠٣-١٦١٧م	السُّلطان أحمد الأول. جامع الآستانة.

١٦٠٥-١٦٢٧م	جهانكير المغولي إمبراطور الهند.
١٦٠٦م	ثورة السِّيخ في الهند.
١٦٢٢م	ثورة الإنكشارية على عثمان الثَّاني ومقتله.
١٦٢٣م	الشَّاه عبَّاس يسترجع بغداد من العثمانيِّين.
١٦٢٣-١٦٤٠م	السُّلطان مراد الرابع.
١٦٢٧-١٦٥٨م	شاه جهان إمبراطور الهند. شيَّد تاج محل. خلعه ولده أورنك زيب.
١٦٣٣م	هزيمة فخر الدِّين المعنيّ أمير لبنان وأسره.
١٦٣٨م	مراد الرَّابع يسترجع بغداد من الإيرانيين.
١٦٣٩	الصُّلح بين العثمانيين والإيرانيين.
١٦٤٠-١٦٤٨م	السُّلطان إبراهيم الأول، قتله الإنكشارية
١٦٤٢-١٦٦٧م	الشَّاه عبَّاس الثاني. استعاد قندهار وبلخ من المغول.
١٦٤٨-١٩٨٧م	السُّلطان محمَّد الرابع. عُزل.
١٦٥٦-١٦٦١م	محمَّد كوبريلي صدر أعظم.
١٥٦٨-١٧٠٧م	أورنك زيب إمبراطور الهند، آخر أباطرة المغول الكبار.
١٦٦١-١٦٧٦م	أحمد كوبريلي صدر أعظم.
١٦٦٧-١٦٩٤م	الشَّاه سليمان شاه إيران.
١٦٦٩م	العثمانيون يستولون على كريت.
١٦٧٥م	معركة لفوف (لُفيف أو لويو)، انتصار ملك بولونيا يوحنَّا سوبياسكي على العثمانيين.
١٦٧٦-١٦٨٣م	قره مصطفى العثماني صدر أعظم.
١٦٨١م	الرُّوس يستردون كييف من العثمانيين.
١٦٨٣م	فشل العثمانيِّين في حصار فيينا.
١٦٨٧م	معركة موهاكس (الثَّانية). هزيمة العثمانيين أمام جيوش الإمبراطوريَّة النّمساويَّة.
١٦٨٧م	العثمانيُّون يخسرون المجر. خلع محمَّد الرابع.
١٦٨٧-١٦٩٠م	السُّلطان سليمان الثاني العثماني.
١٦٨٧-١٦٩١م	حرب في الهند بين الإمبراطور أورنك زيب وشركة الهند الانكليزية.
١٦٨٨م	القوات الإمبراطورية النّمساويَّة تستولي على بلغراد في صربيا.
١٦٨٩م	معركة نيش (في صربيا). هزيمة العثمانيين.
١٦٨٩-١٦٩١م	مصطفى كوبريلي صدر أعظم.
١٦٩٠م	مصطفى كوبريلي يستردُّ بلغراد.

١٦٩١-١٦٩٥م	السُّلطان أحمد الثَّاني.
١٦٩١م	معركة سَلَنكمان. هزيمة العثمانيِّين/ الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة ومقتل الصَّدر الأعظم مصطفى كوبريلي.
١٦٩١-١٧٠٢م	حسين كوبريلي صدر أعظم.
١٦٩٤-١٧٢٢م	الشَّاه الإيراني حسين بن سليمان.
١٦٩٥-١٧٠٣م	السُّلطان العثماني مصطفى الثَّاني.
١٦٩٦م	بطرس الأكبر القيصر الرُّوسي يستولي على مدينة آزوف من العثمانيِّين.
١٦٩٧م	معركة زنطة (على نهر تيس). هزيمة العثمانيِّين أمام النِّمسا.
١٦٩٩م	معاهدة كَرلوفيتش. العثمانيُّون يتخلون عن ترانسيلفانيا والمجر.
١٧٠٣م	خلعُ مصطفى الثاني العثماني.
١٧٠٣-١٧٣٠م	السُّلطان أحمد الثَّالث العثماني.
١٧٠٣-١٧٩٢م	محمَّد بن عبد الوهاب مؤسِّس الوهَّابية في نجد.
١٧٠٩م	لجوء شارل الثَّاني عشر ملك السويد إلى تركيا بعد فشله في معركة بولتافا ضد القيصر بطرس الأكبر.
١٧١٠م	ثورة الأفغان على إيران.
١٧١٠م	حرب بين العثمانيين وبطرس الأكبر الذي يطالبهم بطرد شارل الثاني عشر.
١٧١١م	هزيمة بطرس الأكبر أمام العثمانيِّين عند نهر بروت (شرق أوروبَّا).
١٧١٦م	الأمير أوجين (يوجين) ينتصر على العثمانيين في بتروفاردين.
١٧١٧م	سقوط بلغراد بيد الأمير أوجين.
١٧١٨م	معاهدة باساروفيتش. تركيا تتخلى عن بلغراد وصربيا.
١٧٢٢م	وفاة الشَّاه حسين. توسُّع روسي في القوقاز.
١٧٢٤-١٨٥٦م	استقلال سلالة نوَّاب أَوَده الشيعية في الهند.
١٧٢٤-١٧٢٧م	حربٌ عثمانية إيرانية.
١٧٣٠م	خلع السُّلطان أحمد الثَّالث.
١٧٣٠-١٧٥٤م	السُّلطان محمود الأول. حربٌ ضدَّ إيران وروسيا.
١٧٣٠م	نادر شاه يطرد الأفغان من إيران.
١٧٣١-١٧٣٦م	الشَّاه عباس الثالث آخر الصَّفويين.
١٧٣١م	تجدُّد الحرب بين الإيرانيين والعثمانيين.
١٧٣٥-١٧٣٩م	انتصار العثمانيين على روسيا والنمسا.
١٧٣٦-١٧٤٧م	نادر شاه يخلف الصَّفويين في إيران.
١٧٣٩م	معاهدة بلغراد. انتصار العثمانيين على الإمبراطورية الألمانية واسترداد بلغراد.

١٧٤٠م	تجديد الامتيازات الفرنسية للمرَّة الأخيرة.
١٧٤٥م	دعوة محمَّد بن عبد الوهاب.
١٧٥٠-١٧٧٩م	كريم خان زند صاحب شيراز يحكم إيران.
١٧٥١م	حماية صينيَّة على التِّبت.
١٧٥٤-١٧٥٧م	السُّلطان العثماني عثمان الثَّالث.
١٧٥٥-١٧٧٣م	علي بك الكبير في مصر.
١٧٥٧م	استقلال علي بك عن الباب العالي في مصر.
١٧٥٧م	سيطرة الإنكليز على البنغال.
١٧٥٧-١٧٧٤م	السُّلطان العثماني مصطفى الثَّالث.
١٧٥٧-١٧٩٠م	مولاي محمَّد سلطان مراكش.
١٧٥٧م	الوهَّابيون يستولون على الأحساء.
١٧٥٩-١٨٠٦م	شاه عالم الثاني إمبراطور دلهي (دلهي).
١٧٦٣م	معاهدة باريس. فرنسا تتخلى عن الهند لإنكلترا.
١٧٦٨-١٧٧٤	حربٌ روسيَّة عثمانية. روسيا تستولي على مولدافيا والقرم.
١٧٧٠م	تدمير الأسطول العثماني في معركة جشمة.
١٧٧٤م	معاهدة كوجك قينارجي. صلحٌ بين روسيا وتركيا.
١٧٧٤-١٧٨٩م	السُّلطان العثماني عبد الحميد الأول.
١٧٧٩-١٧٩٧م	آغا محمَّد مؤسس سلالة قاجار في إيران.
١٧٨٦-١٩٢٥م	سلالة قاجار في إيران.
١٧٨٧-١٧٩٢م	حربٌ روسيَّة عثمانية.
١٧٨٩-١٨٤٠م	الأمير بشير الثاني الشهابي أمير لبنان.
١٧٨٩-١٨٠٧م	السُّلطان العثماني سليم الثَّالث. أولى محاولات الإصلاح.
١٧٩٠م	استقلال باي تونس.
١٧٩٢-١٨٢٢م	مولاي سليمان سلطان مرَّاكش.
١٧٩٧-١٨٣٤م	فتح علي شاه إيران. توطيد سيادة الدَّولة الإيرانية.
١٧٩٨-١٨٠١م	بونابرت والحملة الفرنسيَّة على مصر.
١٧٩٩م	معركة أبو قير. الأسطول الإنكليزي يدمِّر الأسطول الفرنسي.
١٧٩٩-١٨١٩م	تثبيت سيادة الإنكليز على الهند.
١٧٩٩-١٨٣٩م	رنجيت سنغ سلطان لاهور ومؤسِّس مملكة السِّيخ في أمريتسار (الهند).

١٨٠٣-١٨٠٤م	الوهَّابيون يستولون على مكَّة والمدينة.
١٨٠٤م	ثورة الصِّرب بقيادة (قرَه جورج) على العثمانيِّين.
١٨٠٥-١٨٤٩م	محمَّد علي باشا والي مصر.
١٨٠٦م	الصِّرب يطردون العثمانيِّين من بلغراد.
١٨٠٧م	ثورة الإنكشارية الدَّاخليَّة (على العثمانيِّين).
١٨٠٨-١٨٣٩م	السُّلطان العثماني محمود الثاني.
١٨١١م	محمَّد علي يُبيد المماليك في مصر. مذبحة القلعة.
١٨١٢-١٨١٩م	حملة محمَّد علي على الوهَّابيين في نَجد.
١٨١٢م	معاهدة بُخارست، صلحٌ بين الرُّوس والعثمانيين.
١٨١٨م	إبراهيم باشا يُخضع الوهَّابيين في نَجد.
١٨٢١-١٨٢٩م	الثَّورة اليونانيَّة على الدولة العثمانية.
١٨٢٦م	السُّلطان محمود الثَّاني يُبيد الإنكشارية.
١٨٣٠م	استقلال اليونان.
١٨٣٠م	فرنسا تحتلُّ الجزائر.
١٨٣١م	إبراهيم باشا يدخلُ سوريَّة.
١٨٣٢-١٨٣٩م	حربٌ مصريّة عثمانيّة.
١٨٣٢م	إبراهيم باشا يهزم العثمانيين في قونية.
١٨٣٣م	معاهدة كوتاهية في تركيَّا. صلحٌ بين العثمانيين ومحمَّد علي.
١٨٣٤-١٨٤٨م	محمَّد شاه، شاه إيران.
١٨٣٥-١٨٥٨م	بهادر شاه الثَّاني، آخر أباطرة الهند.
١٨٣٩م	هزيمة العثمانيِّين في نصيبين أمام إبراهيم باشا.
١٨٣٩-١٨٦١م	السلطان عبد المجيد الأول. التنظيمات
١٨٤٠م	معاهدة لندن. تسوية العلاقات العثمانية المصريّة. محمَّد علي يتخلَّى عن سورية ويضمن لسُلالته حكم مصر.
١٨٤٠م	نفي الأمير بشير الثَّاني أمير لبنان إلى مالطة.
١٨٤٠-١٨٤١م	الأمير بشير الثَّالث آخر الأمراء الشهابيِّين في لبنان.
١٨٤٢م	إعادة تنظيم لبنان، نظام القائمْقاميّتين.
١٨٤٣م	محمَّد بن علي السَّنوسيّ يؤسِّس الطَّريقة السَّنوسيَّة في طرابلس الغرب.
١٨٤٤م	علي محمَّد الشيرازي يؤسِّس البابية في إيران.
١٨٤٥-١٨٤٩م	حروب السِّيخ في الهند. الإنكليز يحتلُّون البنجاب وكشمير.

١٨٤٧م	استسلام عبد القادر الجزائريّ في الجزائر.
١٨٤٨-١٨٩٦م	ناصر الدِّين شاه في إيران.
١٨٤٩م	وفاة محمَّد علي والي مصر.
١٨٤٩-١٨٥٤	عبَّاس حلمي الأول (حفيد محمَّد علي) والي مصر.
١٨٥٠م	الفتك بأتباع الباب في إيران.
١٨٥٤-١٨٥٦م	حرب القرم.
١٨٥٤م	اغتيال عبَّاس حلمي الأول والي مصر.
١٨٥٤-١٨٦٣م	سعيد باشا والي مصر.
١٨٥٥م	سقوط سباستوبول (على البحر الأسود) في أيدي الفرنسيِّين والإنكليز.
١٨٥٦م	معاهدة باريس بإنهاء حرب القرم.
١٨٥٦م	خطّ هُمايون (قانون تنظيم دور العبادة). إصلاحات السُّلطان العثماني عبد المجيد الأوَّل.
١٨٥٨م	الإنكليز ينفون بهادر شاه آخر ملوك الهند. الهند مستعمرة إنكليزية.
١٨٥٩م	البدء بشقِّ قناة السُّويس.
١٨٦٠م	فتنةٌ وأحداثٌ داميةٌ في لبنان وسورية.
١٨٦١-١٨٧٦م	السُّلطان العثماني عبد العزيز.
١٨٦١م	إقامة نظام المتصرِّفية في لبنان.
١٨٦٣-١٨٧٩م	إسماعيل باشا والي مصر يتَّخذ لقب (خديوي).
١٨٦٩م	تدشين قناة السُّويس.
١٨٧٠م	ظهور المهديّ محمَّد بن عبد الله في السُّودان.
١٨٧٣-١٨٩٤م	مولاي حسن سلطان المغرب.
١٨٧٥م	المصريُّون يستولون على هَرَر في الحبشة. هزيمة المصريِّين على يد الإمبراطور يوحنَّا.
١٨٧٥م	ثورة الهرسك ضد العثمانيِّين.
١٨٧٦م	ثورة في بلغاريا، وثورة في تركيا.
١٨٧٦م	نفوذ مدحت باشا الصَّدر الأعظم.
١٨٧٦م	خلع السُّلطان عبد العزيز ووفاته. خلَفه السُّلطان مُراد الخامس وعُزل.
١٨٧٦-١٩٠٩م	السُّلطان العثماني عبد الحميد الثَّاني.
١٨٧٦م	الصِّرب والجبل الأسود يعلنان الحرب على الدَّولة العثمانيَّة.
١٨٧٦م	مدحت باشا الصَّدر الأعظم يعلن الدستور.
١٨٧٧م	عبد الحميد يُبعد مدحت باشا ويستأثرُ بالحكم.

١٨٧٧م	فكتوريا ملكة إنكلترا وإمبراطورة الهند.
١٨٧٧-١٨٧٨م	حربٌ روسيّة عثمانية في البلقان. معاهدة برلين. منح الاستقلال لرومانيا والجبل الأسود وصربيا.
١٨٧٨م	تركيًا تتخلَّى عن قبرص للإنكليز.
١٨٧٨-١٨٨٠م	حربٌ أفغانية إنكليزية.
١٨٧٩م	عزل الخديوي إسماعيل باشا.
١٨٧٩-١٨٩٢م	توفيق باشا خديوي مصر.
١٨٨١م	رومانيا مملكة مستقلَّة عن العثمانيِّين.
١٨٨١م	انتشار دعوة المهدي في السودان.
١٨٨١م	تونس محميَّة فرنسيّة.
١٨٨٢م	ثورة عرابي باشا في مصر. هزيمة في معركة التلِّ الكبير. الإنكليز يحتلُّون مصر.
١٨٨٥م	المهدي يستولي على أم دُرمان في السُّودان.
١٨٨٥م	مقتل غوردن باشا. وفاة المهدي السُّوداني، خلفه أبو بكر التَّعايشي.
١٨٩٢-١٩١٤م	عبَّاس حلمي الثَّاني خديوي مصر. عُزل.
١٨٩٤-١٩٠٧م	مولاي عبد العزيز سلطان المغرب.
١٨٩٦م	اغتيال ناصر الدِّين شاه القاجاري ملكِ إيران.
١٨٩٦-١٩٠٧م	مظفَّر الدِّين شاه القاجاري في إيران.
١٨٩٦	معركة عَدوة، انتصار منليك إمبراطور الحبشة على الإيطاليين.
١٨٩٧م	وفاة جمال الدِّين الأفغاني.
١٨٩٨م	كتشنر الإنكليزيّ يقضي على المهديين في أم دُرمان ويستعيد سيطرة مصر على السُّودان.
١٨٩٨-١٨٩٩م	هزيمة التَّعايشي (خليفة المهدي السُّوداني) ومقتله.
١٩٠٥م	وفاة محمَّد عبده.
١٩٠٦م	تأسيس الرَّابطة الإسلاميَّة في الهند.
١٩٠٧-١٩٠٩م	محمَّد علي شاه في إيران.
١٩٠٧م	تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ؛ روسيَّة وإنكليزية.
١٩٠٨م	ثورة رجال (تركيا الفتاة)، إعلان الدُّستور العثماني.
١٩٠٨م	استقلال بلغاريا.
١٩٠٩م	عزل السُّلطان عبد الحميد الثاني.
١٩٠٩-١٩١٨م	السُّلطان العثماني محمَّد الخامس رشاد.
١٩٠٩م	ثورة في إيران. عزل محمَّد علي شاه.

١٩٠٩-١٩٢٥م	أحمد شاه في إيران.
١٩١١-١٩١٢م	إيطاليا تستولي على طرابلس الغرب.
١٩١٢م	حماية فرنسيَّة على المغرب.
١٩١٢-١٩١٣م	حرب البلقان ضد الدَّولة العثمانيَّة.
١٩١٤-١٩١٨م	الحرب العالميَّة الأولى. تركيا تدخل الحربَ إلى جانب ألمانيا.
١٩١٤م	حسين كامل سلطان مصر.
١٩١٤م	الإنكليز يحتلُّون البصرة.
١٩١٥م	معركة السُّويس. معركة الدَّردنيل.
١٩١٦م	استسلام الإنكليز في كوت العمارة بالعراق.
١٩١٧م	الإنكليز يحتلُّون بغداد والقدس.
١٩١٧م	فؤاد سلطانُ مصر خلفاً لأخيه حسين كامل.
١٩١٨-١٩٢٢م	**السُّلطان العثمانيّ محمَّد السَّادس.**
١٩١٨م	الجنرال اَلَّنبي يحتلُّ فلسطين. نهاية الحرب العالميَّة الأولى. هزيمة ألمانيا وتركيَّا.
١٩٢٢-١٩٢٤م	عزلُ السُّلطان عبد المجيد الثَّاني آخر سلاطين بني عثمان، إلغاء منصب الخلافة.



* مَسردٌ لأهمِّ المنجزات الحضاريَّة في التَّاريخ الإسلامي في الآداب والعلوم *

صدر الإسلام والعصر الأموي (٦٢٢م-٧٥٠م)			
القرآن الكريم والحديث الشَّريف. الإعجاز: بلاغةٌ وجزالةٌ وانسجامٌ		**الغزل الحضَري**	
الشِّعر		وضَّاح اليمن	نحو ٧٠٨م
كعبُ بن زهير	نحو ٦٤٥م	عمر بن أبي رَبيعة	نحو ٧١٢م
أبو ذُؤَيب الهُذليّ	نحو ٦٨٤م	كُثير عزَّة	٧٢٣م
أبو مِحجَن الثَّقفي	نحو ٦٥٠م	الأحوص	نحو ٧٢٨
الحُطَيئة	بعد ٦٦٥م	الوليد بن يزيد (الخليفة)	٧٤٤م
حسَّان بن ثابت	نحو ٦٧٤م	**النَّثر والخطابة**	
النابغة الجَعديّ	نحو ٦٨٤م	عليُّ بن أبي طالب	٦٦١م
ابن قيس الرُّقيَّات	نحو ٧٠٥م	زيادُ بن أبيه	٦٧٣م
الرَّاعي	نحو ٧٠٩م	الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي	٧١٤م
الكُميت الأسديّ	٧٤٤م	**الكتابة والتأليف والعلوم**	
شعراء الخوارج		عثمان بن عفان	(جمع القرآن) ٦٥٦م
قَطَري بن الفُجاءَة	٦٩٧م	خالد بن يزيد بن معاوية	(علوم) ٧٠٤م
عِمران بن حِطَّان	نحو ٧٠٣م	ابن شهاب الزَّهريّ	(حديث) ٧٤٢م
الطِّرِمَّاح بن حكيم	٧٢٣م	عبد الحميد الكاتب	(رسائل) ٧٥٠م
المثلَّث الأموي		**الغناء و الموسيقى**	
الأخطل	نحو ٧١٠م	طُويس	٧١١م
جَرير	نحو ٧٢٨م	الغَريض	نحو ٧١٦
الفَرزْدق	نحو ٧٣٣م	ابن سُرَيج	بعد ٧٢٤م
الغزَل البدَوي		حُنين الحِيريّ	نحو ٧٢٨م
قيس بن ذَريح	نحو ٦٨٧	مَعبَد المغنِّي	٧٤٣م
قيس بن المُلَوَّح (أو مجنون ليلى)	نحو ٦٨٨م	جميلة الأمويَّة	نحو ٧٤٣م
جميل بُثينة	نحو ٧٠١م	ابن عائشة	نحو ٧٤٣م
تَوبة بن الحُميِّر	٧٠٤م	يونس الكاتب	٧٥٢م

العصر العبَّاسي (٧٥٠-١٢٥٨م)		
شعراء التَّجديد		
بشَّار بن بُرد	هجاءٌ وشعوبيَّة	٧١٤-٧٨٤م
العبَّاس بن الأحنف	غَزَل	٨٠٧م
أبو نُواس	خمريّات ومُجون	٧٥٧-٨١٤م
مُسلم بن الوليد	ابتكار البديع. التصنيع	٧٤٧-٧٢٣م
أبو العتاهية	زُهديَّات	٧٤٨-٨٢٥م
الحسين بن الضَّحَّاك	خَمريَّات ومُجون	٧٧٩-٨٦٤م
شعراء الاستقرار		
أبو تمَّام	الحماسَة	نحو ٨٤٦م
دِعبِل الخُزاعيّ	هِجاء	٧٦٥-٨٦٠م
ابن الرُّوميّ	وصف، هِجاء	٨٣٦-٨٩٦م
البُحتريّ	الحماسة	٨٢٠-٨٩٧م
ابن المُعتزّ	طبقات الشُّعراء	٨٦١-٩٠٨م
أبو الطَّيب المتنبّي	شاعر الحكمة	٩١٥-٩٦٥م
أبو فراس الحمدانيّ	الرُّوميَّات، الإخوانيّات	٩٣٢-٩٦٨م
الشَّريف الرَّضيّ	الحجازيَّات، الإخوانيَّات	٩٧٠-١٠١٦م
أبو العلاء المَعرِّيّ	زُهد وفلسفة	٩٧٣-١٠٧٥م
ابن الفارض	تصوُّف	١١٨١-١٢٣٥م
شعراء آخرون		
أبو دُلامة	دَعابة ومُجون	نحو ٧٧٨م
والِبة بن الحُباب	غزل ومُجون	نحو ٧٨٦م
العبَّاس بن الأحنف	غزل	نحو ٨٠٧م
ابن حازم الباهليّ	هِجاء	٨٤٦م
ديك الجن	مُجون ولهو	٧٧٧-٨٤٩م
إبراهيم بن العباس الصولي	رِقة وبَلاغة	٧٩٢-٨٥٧م
الظَّاهري	الحب العذري: الزَّهرة	٨٦٩-٩١٠م
ابن دُريد	المقصورة	٨٣٨-٩٣٣م

أبو بكر الصَّنوبري	الرَّوضيَّات	٩٤٦م
أبو القاسم الزَّاهي	مدح أهل البيت	٩٣٠-٩٦٣م
كُشاجِم	مدح سيف الدولة	٩٧٠م
السَّريّ الرَّفَّاء	من شعراء سيف الدولة	٩٧٦م
الوَأواء الدمشقي	مَدح	نحو ٩٩٥م
ابن الحجَّاج	مُجون	١٠٠١م
السَّلامي	مَدح	١٠٠٣م
الببَّغاء	مدح وغزَل ووصف	١٠٠٧م
النَّامي	من شعراء سيف الدولة	٩٢١-١٠٠٩م
البُستي	حِكَم	٩٧١-١٠١٠م
ابن نُباتة السَّعدي	مَدح	٩٣٨-١٠١٥م
صريع الدِّلاء	مُجون	١٠٢١م
مِهيار الدَّيلميّ	تشيُّع	١٠٣٧م
ابن حيُّوس	مَدح	١٠٠٣-١٠٨١م
الطُّغرائيّ	لاميَّة العجم	١٠٦٣-١١٢١م
بهاء الدين زُهير	غزل، رثاء	١١٨٥-١٢٥٨م
شعراء الأندلس والمغرب		
ابن هانئ الأندلسيّ	أشعر المغاربة	٩٣٨-٩٧٣م
ابن شُهَيد	التّوابع والزوابع	٩٩٢-١٠٣٥م
ابن زَيدون	غزل	١٠٠٣-١٠٧٠م
المُعتمد بن عبَّاد	ترسُّل	١٠٤٠-١٠٩٥م
ابن حمديس الصّقلِّيّ	وصف	١٠٥٥-١١٣٣م
ابن عبدون (عبد المجيد)	قصيدة البسَّامة	١١٣٥م
ابن خفاجة	شاعر الطَّبيعة	١٠٥٨-١١٣٩م
ابن قُزمان	موشَّحات	١١٦٠م
ابن سَهل الإشبيليّ	موشَّحات	١٢٥١م
الرُّواة		
حمَّاد الرَّاوية	جمع المعلَّقات	٧١٤-٧٧٢م
المُفضَّل الضَّبِّيّ	المُفضليَّات	نحو ٧٨٦م

خلَف الأحمر	تلميذ حمَّاد	٧٩٦م
الأصمعي	الأصمعيَّات	٧٤٠-٨٣١م
السُّكَّريّ	ديوان هُذيل	٨٢٧-٨٨٨م
الأدب القصصيّ		
بديع الزَّمان الهمذانيّ	المقامات	٩٦٨-١٠٠٧م
الحريريّ	المقامات	١٠٥٤-١١٢٢م
سيرة عنترة		نحو القرن الرابع عشر
ألف ليلة وليلة		نحو القرن الرابع عشر
النثر الفنِّي. الترسُّل		
الجاحظ	أدب الظرف والفكاهة	٧٧٥-٨٦٨م
ابن المُدبِّر	أدب الرِّسالة	٨٩٣م
ابن عبد ربه	العِقد الفريد	٨٦٠-٩٤٠م
ابن العميد	رسائل	نحو ٩١١-٩٧٠م
أبو بكر الخوارزميّ	رسائل	٩٢٨-٩٩٣م
أبو إسحق الصابئ	رسائل	٩٢٥-٩٩٤م
الصاحب بن عبَّاد	سجع وصنعة	٩٣٨-٩٩٥م
التَّصنيف. النَّقد الأدبي		
ابن سلَّام الجُمحيّ	طبقات الشُّعراء	٧٥٦-٨٤٧م
الجاحظ	البخلاء، الحيوان، البيان والتَّبيين	٧٧٥-٨٦٨
ابن قُتيبة	الشِّعر والشُّعراء، عيون الأخبار	٨٢٨-٨٨٩م
المبرَّد	الكامل	٨٢٦-٨٩٨م
أبو الطيب الوشَّاء	الموشَّى	٩٣٦م
أبو بكر الصُّولي	كتاب الأوراق	٩٤٦م
قُدامة بن جعفر	نقد الشِّعر	نحو ٩٤٨م
أبو الفرج الأصبهانيّ	كتاب الأغاني	٨٩٧-٩٦٧م
أبو قاسم الآمديّ	الموازنة بين أبي تمَّام والبُحتريّ	٩٨١م
الجُرجاني (القاضي)	الوساطة بين المتنبِّي وخصومه	٩٤٨-١٠٠١م
أبو هلال العسكري	كتاب الصِّناعتَين: النَّظم والنَّثر	بعد ١٠٠٥م

أبو منصور الثعالبيّ	يتيمة الدَّهر في شعراء أهل العصر	٩٦١–١٠٣٨م
ابن بسَّام الشنترينيّ	الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة	١١٤٧م
ياقوت الحموي	إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب	١١٧٩–١٢٢٩م
ضياء الدين ابن الأثير	المثَل السَّائر في أدب الكاتب والشاعر	١١٦٢–١٢٣٩م
	اللُّغة والمعاجم	
الخليل بن أحمد الفراهيدي	كتاب العَين	نحو ٧٨٦م
ابن سلَّام	الغريب المُصنَّف	٨٣٨م
ابن دُريد	الجَمهرة	٩٣٣م
أبو علي القاليّ	الأمالي، البارع	٩٦٧م
الأزهريّ	تهذيب اللغة	٩٨٠م
الصاحب بن عبَّاد	المحيط	٩٩٥م
الجوهريّ	الصِّحاح	نحو ١٠٠٣م
ابن فارس	المجمل، مقاييس اللُّغة	١٠٠٤م
القزَّاز	الجامع	١٠٢١م
الثَّعالبيّ	فِقه اللغة	١٠٣٨م
ابن سيدَه	المُخصَّص، المُحكَم	١٠٦٦م
الأعلم الشنتمريّ	شرح المعلَّقات	١٠٨٣م
المَيدانيّ	مجمع الأمثال	١١٢٤م
الزَّمخشريّ	أساس البلاغة	١١٤٤م
ابن برِّي	حواشٍ على الصِّحاح	١١٨٧م
	النَّحو (مدرسة البصرة)	
أبو عمرو بن العلاء	من أقدم النُّحاة	٧٧٠م
الخليل بن أحمد	كتاب العَين	نحو ٧٨٦م
الأخفش الأكبر	تفسير الأشعار	٧٩٣م
سِيبَويه	الكتاب	٧٩٦م
يونس بن حبيب	القياس في النَّحو	٧٩٨م
أبو فَيد السَّدوسيّ	الأمثال	٨١٠م
قُطرُب	المثلَّث	٨٢١م
أبو عبيدة	نقائض جرير والفرزدق	نحو ٨٢٣م

أبو زيد الأنصاريّ	النَّوادر	٨٣١م
ابن حبيب	مختلف القبائل ومؤتلفها	٨٦٠م
المازني	التَّصريف	نحو ٨٦٣.
المُبَرَّد	الكامل	٨٩٨م
ابن جِنِّي	سرُّ صناعة الإعراب	١٠٠٢م
النَّحو (مدرسة الكوفة)		
معاذ الهَرَّاء	علم الصَّرف	نحو ٨٠٣م
الروَّاسي	الفَيصل	نحو ٨٠٣م
الكسائي	رسالة في لحن العامَّة	نحو ٨٠٥م
الفرَّاء	الحدود	٨٤٥م
ابن السِّكِّيت	إصلاح المنطق	٨٥٨م
ثعلب	الفصيح	٩٠٤م
نِفْطويه	أَيَّد مذهب سيبويه	٩٣٥م
غلام ثعلب	اليواقيت	٩٥٧م
العلوم الدِّينية: فقه، تفسير، حديث، كلام، تصوُّف		
الحسن البصريّ	تأثر به الصُّوفيون	٧٢٨م
واصل بن عطاء	رأس مُتكلمي المعتزلة	٧٤٨م
الإمام أبو حنيفة	المذهب الحنفيّ	٧٦٧م
الإمام الأوزاعيّ	السُّنن	٧٧٤م
الإمام مالك بن أنس	المذهب المالكيّ	٧٩٥م
أبو يوسف القاضي	الخَراج	٧٩٨م
محمَّد بن الحسن الشَّيباني	الجامع الكبير	٨٠٤م
ابن القاسم	المُدوَّنة	٨٠٦م
ابن وهب	رواية المُوطَّأ	٨١٣م
ابن آدم	الخَراج	٨١٨م
الإمام الشَّافعي	المذهب الشَّافعي	٨٢٠م
النَّظَّام	اعتزال	٨٤٥م
أبو الهُذيل العلَّاف	اعتزال	٨٥٠م
الإمام ابن حنبل	المذهب الحنبليّ	٨٥٥م

الجاحظ	اعتزال	٨٦٨م
الدارميّ	المُسنَد	٨٦٩م
البُخاريّ	الجامع الصَّحيح	٨٧٠م
مسلم بن الحجاج	الصَّحيح	٨٧٥م
أبو داود	السُّنن	٨٨٩م
التِّرمذيّ	الجامع الصَّحيح	٨٩٢م
النِّسائي	السُّنن	٩١٥م
الجُبَّائي	اعتزال	٩١٦م
الحلَّاج	تصوُّف	٩٢٢م
ابن جرير الطَّبري	جامع البيان في تفسير القرآن	٩٢٣م
الأشعريّ	علم الكلام: الإبانة عن أصول الدِّيانة	٩٢٣م
الماتُريديّ	علم الكلام: التَّوحيد	٩٤٤م
النِّفَّري	تصوُّف	٩٦٥م
الثَّعلبي	الكشف والبيان عن تفسير القرآن	١٠٣٥م
البيهقيُّ	السُّنن	١٠٦٦م
أبو جعفر الطُّوسي	الاستبصار، التَّهذيب	١٠٦٧م
فخر الدِّين الرَّازي	التَّفسير الكبير	١٢١٠م
ابن الفارض	تصوُّف	١٢٣٥م
ابن عربي	تصوُّف	١٢٤٠م
	الفلسفة	
الكنديّ	رسائل فلسفيَّة	نحو ٨٧٣م
ابن الطيب السَّرخسيّ	تلميذ الكندي	٨٩٩م
متّى بن يونس	أستاذ الفارابي ويحيى بن عَديّ	٩٤٠م
أبو نصر الفارابي	آراء أهل المدينة الفاضلة	٩٥٠م
يحيى بن عَديّ	تلميذ متَّى بن يونس والفارابي	٩٧٤م
أبو سليمان المنطقي	صوان الحكمة	نحو ٩٨٥م
إخوان الصَّفا	رسائل	القرن العاشر
أبو حيَّان التوحيديّ	المقابسات، الإمتاع والمؤانسة	نحو ١٠١٠م
ابن سينا	الشِّفاء، الإشارات	١٠٣٧م

ابن حزم	طوق الحمامة، الفِصَل	١٠٦٤م
الغزالي	تهافُت الفلاسفة، إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال	١١١١م
ابن باجَّه	تدبير المُتوحِّد	١١٣٨م
ابن طفيل	حَيّ بن يقظان	١١٨٥م
ابن رُشد	تهافت التهافت	١١٩٨م
ابن ميمون	دلالة الحائرين	١٢٠٤م
نصير الدين الطوسي	تجريد الكلام	١٢٧٣م
التَّاريخ والجغرافية		
ابن إسحق	السِّيرة النبوية	٧٦٨م
أبو مِخنَف الأزديّ	أخذ عنه البلاذري والطَّبري	٧٧٤م
سيف بن عمر	مؤرِّخ الفتوح	٨١٥م
ابن السَّائب الكلبيّ	الأصنام	٨١٩م
الواقدي	المغازي النبويَّة	٨٢٢م
ابن هشام، عبد الملك	السيرة النَّبويَّة، التِّيجان في ملوك حمير	٨٢٨م
ابن سعد	الطَّبقات الكبرى	٨٤٥م
البلاذُريّ	فتوح البلدان، أنساب الأشراف	٨٩٢م
اليعقوبيّ	تاريخ اليعقوبي، كتاب البلدان	بعد ٩٠٥م
ابن خُرداذبه	المسالك والممالك	نحو ٩١٣م
ابن جرير الطَّبريّ	تاريخ الأمم والملوك	٩٢٣م
البلخيّ	صور الأقاليم	٩٣٤م
سعيد بن البطريق	نظم الجوهر	٩٤٠م
ابن الحائك الهمْدانيّ	الإكليل، صفة جزيرة العرب	٩٤٥م
الإصطخريّ	صور الأقاليم، مسالك الممالك	٩٥٧م
المسعوديّ	مُروج الذهب	٩٥٧م
ابن حوقل	المسالك والممالك	نحو ٩٨١م
شمس الدِّين المقدسيّ	أحسن التَّقاسيم في معرفة الأقاليم	نحو ٩٩٠م
ابن الفَرَضيّ	تاريخ علماء الأندلس	١٠١٣م
مِسكَويه	تجارب الأمم	١٠٣٠م
أبو نصر العُتبيّ	اليمنيّ	١٠٣٥م

البيرونيّ	الآثار الباقية	١٠٤٨م
صاعد بن أحمد الأندلسيّ	طبقات الأمم	١٠٧٠م
الخطيب البغداديّ	تاريخ بغداد	١٠٧٢م
ابن حيَّان	المُقتبِس في تاريخ الأندلس	١٠٧٦م
أبو عُبيد البكريّ	معجم ما استعجم، المسالك والممالك	١٠٩٤م
الفتح ابن خاقان	قلائد العِقيان	١١٣٤م
عياض القاضي	الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى	١١٤٩م
الإدريسيّ	نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق	١١٦٥م
السَّمعانيّ	الأنساب	١١٦٧م
ابن عساكر	تاريخ مدينة دمشق	١١٧٦م
ابن بَشكوال	الصِّلة في تاريخ أئمة الأندلس	١١٨٣م
عماد الدِّين الكاتب	الفتح القُسيّ في الفتح القدسيّ	١٢٠٠م
ابن الجوزي، عبد الرَّحمن	المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	١٢٠١م
الضَّبِّيّ	بُغية المُلتمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس	١٢٠٣م
ابن جُبير	رحلة ابن جُبير	١٢١٧م
ياقوت الحمَوي	معجم البُلدان	١٢٢٩م
ابن شدَّاد	سيرة صلاح الدِّين	١٢٣٤م
ابن الأثير، عزِّ الدين	الكامل، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة	١٢٣٤م
	الطبُّ	
ابن ماسَويه	النَّوادر الطبيَّة	٨٥٧م
حنين بن إسحق	المدخل في الطب، عشر مقالات في العين	٨٧٣م
ثابت بن قُرَّة	الذخيرة في علم الطبّ	٩٠١م
إسحق بن حنين	الأدوية المفردة	٩١١م
أبو بكر الرَّازي	الحاوي، الجدري والحصبة	٩٢٣م
ابن سينا	القانون في الطبّ	١٠٣٧م
الكحّال (علي بن عيسى)	تذكرة الكحّالين	١٠٣٩م
ابن جزلة	تقويم الأبدان في تدبير الإنسان	١١٠٠م
أبو القاسم الزَّهراويّ	التَّصريف لمن عجز عن التأليف	١١٠٦م
ابن البيطار	الجامع لمفردات الأدوية والأغذية	١٢٤٨م

الفلَك والرِّياضيات والعلوم الطَّبيعيَّة		
جابر بن حيَّان	أسرار الكيمياء	٨١٥م
الخُوارزمي، محمَّد بن موسى	الجبر والمقابلة	٨٤٩م
أبو معشر البَلخي	المدخل إلى علم النُّجوم	٨٨٦م
أبو حنيفة الدِّينَوَريّ	كتاب النَّبات	٨٩٥م
قُسطا بن لوقا البعلبكيّ	المرايا المُحرقة	٩١٢م
أبو كامل، شجاع بن أسلم	الطَّرائف في الحساب، والجبر والمقابلة	٩٥١م
أبو الوفاء البوزجاني	الزيج الواضح	٩٩٨م
الخُوارزمي، محمد بن أحمد	مفاتيح العلوم	٩٩٧م
الكَرخي	الفخري في الجبر والمقابلة	١٠٢٩م
ابن الهيثم	علم المناظر	١٠٣٩م
البِيرونيّ	القانون المسعودي	١٠٤٨م
الخازنيّ	ميزان الحكمة	١١٥٥م
نصير الدين الطوسيّ	شكل القِطاع	١٢٧٣م
الموسيقى والغنائيات		
إبراهيم المَوصليّ		٨٠٤م
ابن جامع المكّي		٨٠٨م
زرياب	أشهر موسيقيّي الأندلس	٨٤٥م
إسحق بن إبراهيم المَوصلي	كتاب النُّدماء	٨٥٠م
ابن المُنجم، يحيى	كتاب النَّغم	٩١٢م
أبو نصر الفارابي	كتاب الموسيقى الكبير	٩٥٠م
أبو الفرج الأصبهاني	كتاب الأغاني	٩٦٧م
بعد سقوط الدَّولة العبَّاسيَّة (١٢٥٨-١٧٩٨م)		
الشِّعر		
الشَّابُّ الظَّريف	لهوٌ ومجون	١٢٨٩م
البوصيريُّ	البُردة	١٢٩٥م
صفيِّ الدين الحِلِّيّ	بديعيَّات	١٣٤٩م
ابن نُباته المصري	ديوان شعر	١٣٦٦م

عائشة الباعونيّة	تصوُّف	١٥١٦م
عبد الغني النَّابلسي	تصوُّف	١٧٣١م
النَّثر والتَّصنيف الأدبي		
الوَطواط	غُرر الخصائص الواضحة	١٣١٨م
شهاب الدين النُّويريّ	نهاية الأرب في فنون الأدب	١٣٣٢م
القَلقَشَنديّ	صُبح الأعشى في صناعة الإنشا	١٤١٨م
الأبشيهْيّ	المُستطرَف في كل فنٍّ مُستطرَف	١٤٤٦م
النَّواجي	حلبة الكُميت	١٤٥٤م
داود الأنطاكي	تزيين الأسواق	١٥٩٩م
بهاء الدين العامليّ	الكشكول	١٦٢٦م
عبد القادر البغداديّ	خزانة الأدب	١٦٨٢م
اللُّغة والمعاجم		
ابن مالك	الألفَّية	١٢٧٤م
ابن منظور	لسان العرب	١٣١١م
ابن آجرُّوم	المقدِّمة الآجُرُّوميّة	١٣٢٣م
ابن هشام، جمال الدِّين	مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب	١٣٦٠م
ابن عقيل	شرح ألفيَّة ابن مالك	١٣٦٧
الفيروزآبادي	القاموس المحيط	١٤١٤م
جلال الدين السُّيوطيّ	المُزهر	١٥٠٥م
جرمانس فرحات	القاموس، بحث المطالب	١٧٣٢م
مُرتضى الزَّبيدي	تاج العروس	١٧٩٠م
العلوم الدِّينية		
البيضاوي	أنوار التَّنزيل	١٢٨٦م
ابن تيمية	تجديد المذهب الحنبليّ	١٣٢٨م
ابن برِّي	الدُّرر اللَّوامع	١٣٣٠م
ابن قيّم الجوزية	اجتهاداتٌ في المذهب الحنبلي	١٣٥٠م
عضُد الدِّين الإيجيّ	المواقف في علم الكلام	١٣٥٥م

خليل بن إسحاق الجندي	المُختصر في الفقه المالكي	١٣٦٦م
ابن الجزَري	النَّشر في القراءات العشر	١٤٢٩م
إبراهيم الحلبي	مُلتقى الأبحر في الفقه الحنفي	١٥٤٩م
التَّاريخ والجغرافية. والعلوم		
ابن العَديم	بُغية الطَّلَب في تاريخ حلب	١٢٦٢م
أبو شامة المقدسي	كتاب الرَّوضتين في أخبار الدولتَين	١٢٦٨م
ابن أبي أُصيبعة	عيون الأنباء في طبقات الأطباء	١٢٧٠م
ابن خلِّكان	وفيَّات الأعيان	١٢٨٢م
القزويني	عجائب المخلوقات	١٢٨٣م
ابن سعيد المغربيّ	المُغرب في حُلى المغرب	١٢٨٦م
ابن العِبري	تاريخ مختصر الدول	١٢٨٦م
ابن عِذاري	البيان المُغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب	١٢٩٥م
أبو الفداء	تقويم البلدان، المُختصر في أخبار البشر	١٣٣١م
ابن فضل العُمري	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار	١٣٤٩م
صلاح الدِّين الصَّفديّ	الوافي بالوفيَّات	١٣٦٢م
ابن شاكر الكُتُبيّ	فوات الوفيَّات	١٣٦٢م
لسان الدِّين ابن الخطيب	الإحاطة في تاريخ غرناطة	١٣٧٤م
ابن بطُّوطة	تحفة النُّظَّار، أو رحلة ابن بطُّوطة	١٣٧٧م
ابن خلدون	مقدِّمة ابن خلدون	١٤٠٦م
المقريزي	السُّلوك لمعرفة دول الملوك	١٤٤١م
ابن عربشاه	عجائب المقدور في أخبار تيمور	١٤٥٠م
حاجي خليفة	كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون	١٦٥٧م

*****

تاريخ الوطن العربي خلال ١٤ قرناً

سنة هجرية | العراق | السعودية | عمان | الإمارات | قطر | البحرين | الكويت | اليمن | الأردن | فلسطين | لبنان | سورية | مصر | ليبيا | تونس | الجزائر | المغرب | موريتانيا | السودان | الصومال | جيبوتي | سنة ميلادية

الوجود البريطاني

العثمانيون

البرتغال

المماليك

قبائل مستقلة

دولة عمان مستقلة

الأيوبيون

الموحدون

المرابطون

الفاطميون

الإخشيديون

الطولونيون

العباسيون

الأمويون

الراشدون

الروم

قبائل متفرقة

الإمبراطوريات والدول التي حكمت الدول العربية بداية من الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا.. حسب الألوان والأسماء :

- الراشدون
- الروم
- الأمويون
- العباسيون
- قبائل متفرقة
- الفاطميون
- الأغالبة
- الزيديون
- بنو يعفر
- الدول الرسمية
- الأدارسة
- بنونجاح
- بنومهدي
- الأيوبيون
- الصليبيون
- السلاجقة
- بنو صالح
- بنو زيري
- بنومرداس
- البربر
- بنو زيان
- الحفصيون
- بنو وطاس
- بنو مرين
- بنو طاهر
- خوارزم شاه
- المغول
- الصفويون
- المماليك
- الحفصيون
- البرتغال
- أبوسعيد
- الشهابيون
- المعنيون
- الحكم الفرنسي
- فلسطين المحتلة
- الصفر
- العيسى
- الطولونيون
- الإخشيديون
- بنو زنكي
- بنو حماد
- المرابطون
- الموحدون
- بنو قتادة
- دولة عمان مستقلة
- العثمانيون
- الحكم البريطاني
- الوصاية الإيطالية
- الأشراف

* الخَاتِمَةُ *

علَى امتدادِ ذلكَ التَّاريخ الطَّويلِ والعَريضِ الذي بسَطناهُ على إجمالٍ يُناسِبُ القصدَ مِن هذا الكتابِ، جَهِدنا في مُقاربةِ الأحوالِ السياسيَّة والحضاريَّة لدولِ الإسلامِ في أصقاعِها المتراميَة، وخصَصْنا تطوُّراتِ الحركةِ السِّياسيَّة بمَزيدِ بيانٍ، وذاكَ أنَّ السِّياسةَ الدَّاخليَّة والخارجيَّةَ كانَت المحرِّكَ الأبلغَ أثراً في التَّاريخِ الذي سُقناهُ، ولا يُنكَرُ ما لِذيولِه من أساليبِ الإدارةِ والاجتماعِ والاقتصاد والثَّقافة مِن أثرٍ كذلك، ولكنَّ نَوْطَ حركة التَّاريخ بعواملِ السِّياسةِ كان الأظهرَ في تاريخِ المسلمين، وفي مجالاتِ هذِه العواملِ على وَجهِ التَّحديد أعوزَ العربَ والمسلمينَ في بعضِ الأَزمان سِياساتٌ رائدةٌ وأنماطٌ مثاليَّة، لِذا ألفيتَهم أحياناً في مجتمَعاتٍ قلِقَةٍ أو قاصِرةٍ عن التَّنامي الحضاريِّ رغمَ اشتدادِ الحركاتِ السِّياسية والعسكريَّة على طُولِ تاريخها، وكانَت النَّتيجةُ أنَّ بلادَهم في بعضِ الأزمنةِ أمسَتْ في تَقهقرٍ وافتقارٍ في المُستوَى العامِّ سنةً إثْرَ سنَةٍ.

وعلَى أنَّ الإسلامَ قد حَباهُم مقاليدَ القوَّة والتقدُّم والرُّقيِّ من قبلُ - وهيَ بإجمالٍ: وحدةُ الأمَّة، وسلامةُ الأخلاق، وجُودةُ الفِكر، وتلازمُ العلمِ والعمل- لكنَّ بعضَهم فرَّطَ في جَنبِ ذلكَ، وبَيْنا كانَت أممُ الإسلامِ وشعوبُه تعملُ وتجتهدُ وتدرسُ وتَصبُو إلى حياةٍ أفضل أخذَت السِّياسةُ وأربابُها وأَوضارُها عليها الطَّريقَ، فشلَّت حركتَها، وبدَّدت أموالَها، وأهدرَت طاقاتِها المادِّية والمعنويَّة (النَّفسيَّة) في مجاري الحكمِ والسِّياسة، وكنَّا قد مرَرنا في كتابنا هذا بدولٍ عظيمةٍ ذاتِ بداياتٍ جليلةٍ، بَيد أنَّها يومَ رهنَت نفسَها للسِّياسة، فكانَت شديدةَ التَّبديدِ في الأموالِ، قليلةَ المبالاةِ بالصَّالحِ العامِّ، توقَّف جُلُّها وتعثَّر بعدَ مسيرٍ قليل، وتحوَّلَ إلى استئثاريَّاتٍ فقيرةٍ يتحارَب أفرادُها على الحُكمِ، إذْ كانَ الوسيلةَ الكُبرى للهَيمنةِ الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة.

في هذه الآناتِ التَّاريخيَّة الحازَّةِ مِن تاريخِ المسلمينَ كانَت أوروبَّة تحاولُ الخروجَ من أَمثالِ تلك الظُّلماتِ والظَّلامات، وذاكَ منذُ أوائل القرن الميلاديِّ الرَّابع عشر، إذْ تنبَّهَ الملوكُ إلى أهمِّية التحضُّرِ والتمدُّن، وقيمةِ نشاطِ النَّاسِ في غيرِ ميادينِ السِّياسة، وما يُمكن أن يعودَ به على

الحضارةِ من قوَّةٍ ثقافيَّةٍ وماديَّة، بل وسياسيَّةٍ أيضاً، فتحيَّزوا إلى جانبِ ذلكَ كلِّه، وساعَفُوهُ وعاضَدوهُ، ومنَحوا النَّاسَ النَّاشطينَ منهُم والغَيورين على حُرمةِ أوطانِهم فُرَصاً ومزايا واسِعةً، فانتعشَت لذلكَ تجارةُ البلادِ وصناعاتُها وثقافاتُها وثرواتُها.

فهؤلاءِ ملوكُ (بيت أَفيز) في البرتغال -مثلاً- سانَدوا التجَّار في القرنِ الخامس عشَر، وشجَّعوهُم على ركوبِ البحارِ والتوسُّعِ في البلادِ واستثمارِ الأموال، فاغتنَت الدُّولُ ونمَت شَركاتُ التِّجارة الكُبرَى وظاهرَتْها الدُّولُ الأوروبيَّةُ حمايةً وحصانةً إلى أنْ تمكَّنَت مِن بَسطِ نفوذِها في أَرجاءِ الأرض، وهذه (شركةُ الهند التِّجاريَّة الإنكليزيَّة) اضطَّلعت بغَزو الهند، وحوَّلَتْها إلى مستعمَرةٍ بريطانيَّة، ووضعَت اليدَ على مصادرِ الخيرِ فيها، حتى إنَّ الإنكليزَ بعد القضاءِ على الفتنةِ الهنديَّة الكُبرى سنةَ (١٨٥٨م) كانوا يحملونَ مِن موانئ الهند كلَّ سنةٍ عشرة آلاف سفينةٍ محمَّلةٍ بمَقاديرَ هائلةٍ من الموادِّ الخام تُشرَى بأَبخس الأثمان، ثمَّ تُصنَّع في إنكلترا ويُعاد بيعُها بأرباحٍ طائلة، فكانَ أن اغتنَت بريطانيا من جرَّى ذلكَ غنًى طائِلاً، تمكَّنت بهِ مِن إنشاءِ الجيوشِ الضَّخمةِ والأَساطيلِ المنيعَة، ولحقَتْ بها في هذا المضمارِ فرنسة وهولندة والبرتغالُ، كذلكَ اندفع الرُّوس يتوغَّلون شرقاً، فاحتلُّوا وسطَ آسية الإسلاميَّ، وواصلوا اندفاعَهم إلى الشَّرق حتَّى بلَغوا المحيطَ الهادي، لِيَعبُروه إلى ألاسكا مِن بعدُ.

وقد استعانَ الأوروبِّيون في ذلك بالبارودِ الذي أَخذُوه عن أهلِ الصِّين، وتناولَه علماؤُهم وصنَّاعُهم بالدَّرسِ والتَّصنيعِ فأنشَؤوهُ خَلقاً آخرَ، فكانَت لدَيهم الأسلحةُ بأنواعِها مِن بنادقَ ومسدَّساتٍ ومدافعَ، مُسخِّرينَ لِذلكَ علومَ الكيمياء والطَّبيعةِ والمعادنِ وفنونَ الهندسة.

وفي أَوائل القرنِ الميلاديِّ التَّاسعَ عشرَ تطوَّر العالمُ إلى قسمَين:

- قسمٍ أوروبِّي وأمريكيٍّ غنيٍّ قويٍّ متعلِّم يَسودُ البرَّ والبحر.
- وقسمٍ فقيرٍ مضطَّربٍ مُنقَسمٍ على نفسِه لا يَدري كيف ولا أينَ يسير.

هذا التَّباينُ الكبيرُ في المُستَوى الحضاريِّ هو الذي أدَّى إلى اتِّساع **(ظاهرة الاستعمار)**، وذاكَ أنَّ دفْقَ القوَّة الغربيَّة على العالم كان دَفقاً طاغياً، أغرقَ كلَّ الأمم الضَّعيفة وابتلعَها،

ووُشكانَ ما أحالَها مستعمَراتٍ ومناطقَ نُفوذ.

وكان مِن المنتظرِ أن تُطيقَ بلادُ الإسلام مقاومةَ موجةِ الاستعمارِ بفضلِ ميراثِها الثَّقافيِّ الجليلِ، ولكنَّ هذا الميراثَ كان في جُملتِه عندَ الشُّعوب لا في دوائر السِّياسة، ولأَجلِ هذا ثبتَت الشُّعوب وثبَتَ فيها دينُها ولغتُها وحضارتُها، أمَّا السِّياسةُ وأهلُوها فضَعُفوا عن المواجهةِ، وأعوزَهم تأييدُ الشُّعوبِ، وأمسَوا زُمَراً مِن المستأثِرين ليسَ غير، فما لَبِثوا أَن ذَوَوا في سُرعةٍ عَجلَى حالَما اصطدموا بالقُوى الغربيَّة المسلَّحةِ بالعلمِ، والمنظَّمةِ سياسيَّاً وعسكريَّاً واقتصاديَّاً واجتماعيَّاً على حدٍّ سَواءٍ، وتلك سنَّةُ الله؛ لا تَعرِفُ المُحاباةَ كما لا تعمَدُ إلى التَّزوير، يقولُ جلَّ شأنُه:

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾(١)، أيْ أنَّ دوامَ حضارةِ النَّاسِ رَهنٌ بمَنطِقَين؛ أوَّلهما أساسٌ للآخَر، ولا تُغني سلامةُ الآخَرِ مع اختلالِ الأوَّل، بلْ لا قيمةَ للآخَرِ دونَ الأوَّل:

١ - **أمَّا الأوَّلُ فَمَنطِقُ (البِئر)**: بما يَرمزُ إلَيه مِن حيويَّةٍ نضَّاخةٍ؛ اقتصاديَّةٍ وثقافيَّة واجتماعيَّة، تَبثُّ في جسمِ الحضارةِ أسبابَ التجدُّدِ والاستمرار.

٢- **وأمَّا الآخَرُ فَمَنطِقُ (القَصر)**: بما يَحكيهِ مِن حالِ السِّياسةِ والحُكمِ إذْ تُشيعُ في دنيا النَّاسِ أَجواءً مِن الحرصِ والتَّعالي والاستئثارِ، وتَتعامَى عَن سَائرِ أسبابِ التَّحضُّرِ ومَداخلِه، فهَل مِن مُستَبصرٍ مدَّكرٍ..؟!، بِذا يَجيءُ التَّعقيبُ الإلهيُّ على تلكَ الآيةِ آنفةِ الذِّكر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٢).

* والحمدُ للهِ الَّذي بنِعمائِه تتمُّ الصَّالحاتُ *

(١) - الحجُّ: ٤٥.

(٢) - الحجُّ: ٤٦.


جامعة
حلب
١٩٥٨
UNIVERSITY
OF
ALEPPO

* ثبَتُ المَصادرِ والمَراجع *

الآثارُ الباقِيَة عَن القُرونِ الخاليَة: أَبو الرَّيحان محمَّدُ بنُ أَحمد الرَّيحانيُّ البيرونيُّ الخوَارِزميُّ (٤٤٠ هـ) ، بغدَاد ، مكتبَة المثنَّى ، د.ت .

أبجدُ العلوم (الوشيُ المَرقومُ في بيانِ أحوال العلوم): صدِّيقُ بنُ حسن القِّنوجي، تحقيق: عبد الجبَّار زكَّار، بيروت، دار الكتُب العلميَّة، ١٩٧٨م.

الأحكامُ السُّلطانيَّة: بو الحسن عليُّ بن محمَّد البصريُّ البغداديُّ، الشَّهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، القاهرة، دار الحديث، ٢٠١٠م.

أخبارُ الدَّولة السَّلجوقيَّة: ناصرُ بن عليِّ الحُسينيّ، باكستان، مطبعةُ لاهور، ١٩٣٢م.

الاستِقصَا لأخبارِ دولِ المغرِبِ الأقصَى: أبو العبَّاس أحمُدُ بنُ خالدٍ النَّاصريِّ السَّلاوي المغربيِّ (١٣١٥هـ)، الدَّار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م.

أطلسُ التَّاريخِ الإسلاميِّ: حُسَين مُؤنس، القاهرَة، دار الزَّهراء للإعلامِ العربيِّ، ط١، ١٩٨٧م.

الإعلَانُ بالتَّوبيخ لِمَن ذمَّ أهلَ التَّاريخ: شَمسُ الدِّين محمَّدُ بنُ عَبدِ الرَّحمن السَّخاوي (٩٠٢ هـ)، دمَشق، مطبعَة التَّرقِّي، ١٣٤٩هـ.

أعمالُ الأعلام فيمَن بُويع قبلَ الاحتلام: لسان الدِّين محمَّد بنُ عبد الله ابنِ الخطيب (ت:٧٧٦هـ)، الدَّار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤م.

إفريقيَة: مارمول كُرفجال، ترجمة: محمَّد حجي، الرَّباط، الجمعيَّةُ المغربيَّةُ للتَّأليفِ والنَّشر، ١٩٨٩م.

أفغانستان: علي مظهر، القاهرَة، مطبعة السنَّة المحمَّديَّة، ١٩٥٠م.

أنسُ الفقيرِ وعزُّ الحقير: أبو العبَّاس الخطيب (ابن قنفُذ القُسنطيني) (ت:٨١٠هـ)، الرَّباط، المركز الجامعيِّ للبحث العلميِّ بالمغرب،١٩٦٥م.

الأنيسُ المطربُ برَوضِ القرطاسِ في أخبارِ ملوكِ المغربِ وتاريخِ مدينةِ فاس:عليُّ بنُ عبدِ الله ابنِ أبي زَرع(٧١٩هـ)الرَّباط، دارُ المنصور،١٩٧٢م.

الأوائِلُ: أَبو عَروبَة الحسَينُ بنُ محمَّد السَّلَمي (٣١٨هـ)، تَح : سَامي أَنوَر جَاهين، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكِتاب، ٢٠٠٦م.

الأَوائلُ: أَبو هلالٍ الحسنُ بنُ عبدِ الله العَسكريُّ (٣٩٥هـ)، بيروت، دار الكتُب العِلميَّة، ١٩٩٧م.

إيران؛ ماضيها وحاضرُها: دونالد ولبر، ترجمة: عبد النَّعيم محمَّد حسَنين، القاهرَة، دار الكتاب المصريِّ ودار الكتاب اللُّبناني، ١٩٥٨م.

إيران في عهد السَّاسانيِّين: آرثر كريستنس، ترجمة: خشاب وعزَّام، القاهرة، لجنة التَّأليف والترجمة والنَّشر، ١٩٩٧م.

باكستانُ دولةٌ سَتَعيش: عمر فرُّوخ، بيروت، دار الكشَّاف للطِّباعةِ والنَّشرِ والتَّوزيع، ١٩٥١م.

البحرُ الزَّاخرُ في تاريخ العالم وأخبارِ الأوائلِ والأواخر: محمود فَهمي باشا المهندِس (١٨٩٤م)، مصر، المطبعةُ الأميريَّةُ ببولاق، ط١، ١٣١٢م.

البَدءُ والتَّاريخ: أَبو زيدٍ أحمَدُ بنُ سَهل البلخيِّ (٣٦٢ هـ)، باريز، مطبَعة بوطرند بشالُون، ١٨٩٩م.

بدائعُ الزُّهور في وقائع الدُّهور: المُسمَّى (تاريخَ ابنَ إياس): محمَّد بنُ أحمد بن إياس الحنفيِّ (٩٣٠هـ)، أكملهُ المؤرِّخُ المصريُّ عبدُ الرَّحمن الجبَرتي (١٢٣٧هـ)، في كتاب (عجائب الآثار)، بيروت، دار الجيل، د.ت.

بدائعُ السِّلك في طبائعِ المِلك: محمَّدُ بنُ الأزرقِ الأندلُسيُّ (٨٩٦هـ)، تَح: محمَّد بن عبد الكريم، ليبيا وتونُس، الدَّار العربيَّة للكتاب، ١٩٧٦م.

البدَايةُ والنِّهايَة: أَبو الفِداء إسماعيل بنُ عَمرو بنِ كَثير الدِّمشقيُّ (٧٧٤هـ)، بيرُوت، مكتبَة المعارِف، د.ت.

البيانُ المُغرب في أخبارِ الأندلُس والمَغرب: أحمَدُ بنُ محمَّد ابنُ عذاري المَرَّاكشي (كان حيَّاً سنةَ ٧١٢هـ)، تح: ويشي ميرا ندا، طبعةُ تَطوان،١٩٦٣م.

تاريخُ الإسلام ووفيَّاتُ المشاهيرِ والأعلام: محمَّد بنُ أحمَد بنِ عُثمان بنِ قَايمَاز الذَّهبيُّ (٧٤٨هـ)، بيروت، دارُ الكتاب العربيِّ، ط١، ١٩٨٧م.

تاريخُ الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة من التَّأسيسِ إلى السُّقوط: وديع أبو زَيدون، عمَّان الأردنّ، الدَّار الأهليَّة للنَّشرِ والتَّوزيع، ٢٠٠٣م.

تاريخُ إيران: شاهين مكاريوس، القاهرَة، مصر، تصوير دار الآفاقِ العربيَّة عن مكتبةِ المُقتطَف في القاهرَة سنةَ(١٨٩٨م)، ٢٠٠٣م.

تَاريخُ الأُممِ والمُلوك: أَبو جَعفَر محمَّدُ بنُ جَرير الطَّبريُّ (٣١٠هـ)، بيرُوت، دار الكتُب العِلميَّة، د.ت.

تاريخُ الحروبِ الصَّليبيَّة: ستيفن رنسيمان، بيروت، دار الثَّقافَة، ١٩٦٧م.

تاريخُ الحضَارة: د. علي شَريعَتي (١٩٧٧م)، تَرجمة: حُسين نَصيري، بيرُوت، دار الأَمير، ط١، ٢٠٠٦م.

تاريخُ حضرَموت السِّياسي: صلاح البكري اليافعي، القاهرَة، المطبعة السَّلفيَّة، ط١، ١٣٥٤م.

تاريخُ الخُلفاء: جلالُ الدِّين عَبد الرَّحمن بنُ أَبي بكر السُّيوطي (٩١١م)، تَحقيق: محمَّد مُحيي الدِّين عبدُالحَميد، بيرُوت، المكتبَة العصريَّة، ١٩٧٩م.

تاريخُ خليفَة بنِ خيَّاط: أَبو عَمرٍو خليفَةُ بنُ خيَّاط العُصفُريُّ (٢٤٠هـ)، بغدَاد، د.م، ١٩٧٧م.

تاريخُ الدُّولِ الإسلاميَّة ومُعجمُ الأسَرِ الحاكمة: ستانلي لين- بول، ترجمة: أحمد السَّعيد سُليمان، القاهرَة، دار المعارف، ١٩٧٢م.

تاريخُ دولةِ آلِ سَلجوق: عماد الدِّين الأصفهانيُّ، بَيروت، ١٩٧٨م.

تاريخُ الدَّولة العليَّة العُثمانيَّة: محمَّد فريد بك المُحامي، ترجمة وتحقيق: إحسان حقِّي، بيروت، دار النَّفائس،٢٠٠٣م.

تاريخُ السَّلاجقة في بلادِ الشَّام: أحمد علي إسماعيل، بيروت، الشِّركة المتَّحدة للنَّشر، ط١، ١٩٨٣م.

تاريخُ الشُّعوب الإسلاميَّة: كارل بروكلمان، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٦، ٢٠٠٥م.

تاريخُ العرَب: فيليب حتِّي، إدوارد جُرجي، جبرائيل جبُّور، بيروت، دار الكشَّاف، ط٧، ٢٠٠٧م.

التَّاريخُ العَربيُّ والمؤرِّخون: مُصطفى شَاكِر (١٩٩٩م)، بيرُوت، دار العِلم للملايين، ١٩٧٩م.

تاريخُ الكُويت: عبد العزيز الرَّشيد (١٩٣٨م)، بيروت، دارُ مكتبةِ الحياة، ١٩٧٨م.

تاريخُ مُختصرِ الدُّول: ابنُ العِبري (غريغوريوس الملطي ت:٧٠٠هـ)، بيروت، المطبعةُ الكاثوليكيَّة، د.ت.

تاريخُ مدينة دِمشق: أبو القَاسم عليُّ بنُ الحسن بنِ هبَةِ الله؛ ابنُ عسَاكِر (٥٧١هـ)، تَح: عُمر بنُ غرامَة العُمَري، بيرُوت، دار الفِكر، ١٩٩٥م.

تاريخُ مصر الحديث مع فذلكةٍ في تاريخِ مصرَ القديم: جُرجي زيدان، القاهرَة، مكتبةُ مدبولي، ١٩٩١م.

تاريخ المغرب وحضارتُه: حسين مؤنس، بيروت، العصر الحيث للنَّشر والتَّوزيع، ط١، ١٩٩٢م.

تاريخُ الموريسكيِّين حياةُ ومأساةُ أقلِّية: أنطونيو دومينغيث أوريث وبيرنارد فانسون، ترجمة: محمَّد بنياية، أبو ظبي، مشروع كلمة، ٢٠١٣م.

التَّاريخُ وكيفَ يفسِّرونه؛ مِن كونفُوشيُوس إِلَى توينبي: ألبان ج.ويدجري، تَرجمة: عَبدالعزيز جَاويد ، الهيئَة المصريَّة العامَّة للكتَاب ط١، ١٩٧٢م.

التَّاريخُ والمؤرِّخون: د. حُسَين مُؤنِس، القاهرَة، دار الرَّشاد، ط٢، ٢٠٠١م.

تَاريخُ اليَعقُوبي: أَحمدُ بنُ أَبي يَعقُوب بنِ جَعفرٍ؛ ابنُ واضِح اليَعقُوبي (٢٨٤هـ)، بيرُوت، دار صَادِر، د.ت.

تاريخُ اليَمن: نجمُ الدِّين عمارَةُ بنُ أبي الحسَن عليِّ الحكَمي اليَمني (ت:٥٦٩هـ)، تح: حسن سُليمان محمود، اليمَن، ١٩٥٧م.

تتمَّةُ البيان في تاريخِ الأفغان: جمال الدِّين الأفغاني (١٣١٥هـ)، ترجمة: محمَّد علي سلامة، مركز الحضارة العربيَّة للإعلامِ والدِّراسات، ١٩٠٥م.

التُّحفةُ الحليميَّة في تاريخ الدَّولة العليَّة: إبراهيم بك حليم مفتِّش أوقاف دمنهور، بيروت، مؤسَّسة الكتُب الثَّقافيَّة، ١٩٨٨م.

التُّحفةُ النَّبهانيَّة في تاريخ الجزيرةِ العربيَّة: محمَّد بن خليفَة النَّبهاني الطَّائي، بيروت، دار إحياء العلوم، المكتبة الوطنيَّة في البَحرَين، ط٢، ١٩٩٩م.

تحقيقُ ما لِلهندِ مِن مَقولةٍ؛ مقبولةٍ في العقلِ أو مَرذولةٍ: لأبي الرَّيحان البِيروني (٩٧٣هـ)، الهند، حيدآباد الدّكن، دائرة المعارف العثمانيَّة، ١٩٥٨م.

تَهذيبُ التَّهذِيب: أَبو الفَضلِ أَحمدُ بنُ عليٍّ؛ ابنُ حجَر العَسقَلانيُّ (٨٥٢هـ)، بيرُوت، دار الفِكر، ١٩٨٤م.

الثَّورةُ العربيَّةُ الكبرى: أمين سعيد، القاهرَة، مكتبةُ مدبولي، ١٩٩٨م.

الثَّورةُ العربيَّة: الكولونيل توماس إدوارد لورنس (لورنس العرَب)، ترجمة : شَعبان بركات، عمَّان، الدَّار الأهليَّة للنَّشرِ والتَّوزيع، ط٢، ٢٠٠٩م.

الجزائرُ الثَّائرةُ: كوليت وفرانسيس جونسون، ترجمةُ: محمَّد علوي الشَّريف وآخَرون، القاهرَة، دار الهلال، ١٩٥٧م.

الحضارةُ الإسلاميَّة في القرنِ الرَّابع الهجريِّ: آدم متز، ترجمة: محمَّد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، لجنةُ التَّأليف والتَّرجمة والنَّشر، ١٩٤٠م.

حضارةُ العرَب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مصر، ١٩٦٩م.

الحضَارَةُ مفهُومَاً إسلَامياً: د. محمُود عكَّام، حلَب، دار فُصِّلَت للدِّرَاسَاتِ والتَّرجَمةِ والنَّشر، ٢٠٠٣م.

خُططُ الشَّام: محمَّد كُرد عليّ (ت:١٣٧٢هـ)، بيرُوت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٦٩م.

الخططُ المقريزيَّة (المواعظُ والاعتبارُ بذكرِ الخُططِ والآثار): تقيُّ الدِّين أحمدُ بنُ عليٍّ المقريزيُّ (ت:٨٤٥هـ) القاهرة، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، د.ت.

خُلاصَةُ الأَثَر في أَعيَانِ القَرنِ الحادِي عشَر : محمَّد أَمينُ بنُ فَضلِ اللهِ المُحبِّي الحنَفِيُّ الدِّمَشقيُّ (١١١١هـ)، بيرُوت ، دار صَادِر ، د.ت .

خُلاصَة تاريخ الأندلُس: شكيب أرسلان، بيروت، دارُ مكتبة الحياة، ١٤٩٣هـ.

خلاصةُ تاريخ تونُس: حسَن حُسني عبد الوهَّاب، تَح: حمادي السَّاحلي، تونُس، دارُ الجنوب، ٢٠٠١م.

خُلاصة تاريخ العرَب: لويس بيير أوجين سيديو (١٨٧٦م)، ترجمة: علي باشا مبارَك، بيروت، دار الآثار، ١٤٠٠م.

دراساتٌ في حضارةِ الإسلام: هاملتون جُب، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٧٩م.

الدَّولةُ العثمانيَّة قبلَ الدُّستور وبعدَه: سليم البستاني، القاهرة، مطبعة الأخبار، ١٩٠٨م.

الدَّولةُ العربيَّة وسقوطُها: يوليوس فلهَوزن، ترجمة: يوسف العش، دمشق، ١٩٦٢م.

الذَّخائرُ والتُّحَف: القلضي الرَّشيدُ ابنُ الزُّبَير (القرنِ الخامسِ الهجريِّ)، تَح: محمَّد حميدُ الله، الكُويت، دائرةُ المطبوعاتِ والنَّشر، ١٩٥٩م.

راحةُ الصُّدور وآيةُ السُّرور: محمَّد بن علي سُليمان الرَّاوندي، طبعةُ القاهرَة، ١٩٢١م.

الرُّوم في سياستِهم وحضارتِهم ودينِهم وثقافتِهم: أسد رستُم، المكتبة البولُسيَّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

سَمطُ النُّجومِ العوالي: عبدُ الملك بنُ حسينِ بنِ عبد الملكِ الشَّافعي العاصميِّ المكيِّ (١١١١هـ)، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٨م.

سِيَرُ أَعلَامِ النُّبَلَاء: محمَّد بنُ أحمَد بنِ عُثمان بنِ قَايمَاز الذَّهبيُّ (٧٤٨هـ)،تَح: أَرناؤُوط وعرقسُوسِي، بيرُوت، مُؤسَّسة الرِّسالَة، ١٤١٣هـ.

شَذَراتُ الذَّهب: عَبدُ الحيِّ بنُ أَحمَد بنِ محمَّد؛ ابنُ العِمادِ الحنبَليِّ (١٠٨٩هـ)، تَح: عَبد القَادِر أَرناؤوط، دمَشق، دار ابنِ كَثير، ط١، ١٤٠٦هـ

الشَّماريخُ في عِلم التَّاريخ: جلالُ الدِّين عَبد الرَّحمن بنُ أَبي بكر السُّيوطي (٩١١م)، تَقديم: د. إبراهيم السَّامرَّائي، بغدَاد، مطبعَة أَسعَد، ١٩٧١م

صبحُ الأعشَى في صناعةِ الإنشا: أحمدُ بنُ عليٍّ القلقَشنديُّ (٨٢١هـ)، القاهرَة، المطبعةُ الأميريَّة،١٩١٩م.

صلةُ الموشَّحات والأزجال بشعر التروبادور: عبد الهادي زاهر، القاهرة، المكتبة الأدبيَّة، د.ت.

طَبقاتُ الحنَابِلَة: أَبو الحُسَين محمَّدُ بنُ أَبي يَعلى الفرَّاء الحنبَلي (٥٢١هـ)،تَحقيق: محمَّد حامِد الفقي، بيرُوت، دار المَعرِفَة، د.ت.

طبقَاتُ الشَّافعيَّة: أَبو بكر بنُ أحمَد، ابنُ قَاضي شُهبَة (٨٥١هـ)، تَح: د. الحافِظ عَبد العَليمِ خَان، بيرُوت، عالَم الكتُب، ط١، ١٤٠٧هـ.

الطَّبقاتُ الكُبرى: أَبو عَبدِ الله محمَّدُ بنُ سَعدٍ بنِ مَنيعٍ البَصريُّ الزُّهريُّ (٢٣٠هـ)،بيرُوت،دار صَادِر،١٩٥٧م.

طبقَاتُ المفسِّرينَ: محمَّدُ بنُ عليٍّ بنُ أحمَد الدَّاوديُّ (٩٤٥هـ)، تَح: سُلَيمان بنُ صالح الخَزي، السُّعوديَّة، مكتبَة العُلُوم والحِكَم، ط١، ١٩٩٧م.
ضُحى الإسلام وظُهر الإسلام: أحمد أمين (١٩٥٤م)، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط١، ٢٠٠٩م.
العالمُ الإسلاميُّ: عُمر رضا كحَّالة (١٩٨٧م)، دمشق، المطبعةُ الهاشميَّة، ط٢، ١٩٥٨م.
العبرُ وديوانُ المبتدأ والخبرِ في أيَّام العربِ والعجمِ و البربر ومَن عاصرَهم من ذَوي السُّلطان الأكبر: عبدُالرَّحمن بنُ خلدُون الحَضرَمي (٨٠٨هـ)، بيروت، دارُ الكتاب اللُّبنانيِّ، ١٩٥٦-١٩٥٩م.
عجائبُ الآثار: عبد الرَّحمن بنُ حسَن الجبَرتي (ت:١٢٣٧هـ)، بيروت، دار الجيل، د.ت.
العربُ في التَّاريخ: برنارد لويس، تَح: نبيه أمين فارسي ومحمود يوسُف زايد، بيروت، دار العلمِ للملايين، ١٩٥٤م.
عيونُ الأنباء في طبقات الأطبَّاء: ابنُ أبي أُصيبعة (٦٦٨هـ)، تح: نزار رضا، بيروت، دار ومكتبة الحياة، د.ت.
غابرُ الأندلس وحاضرُها: محمَّد كُرد عليّ (١٣٧٢هـ)، تقديم: يوسُف أسعَد داغر، بيروت، دارُ ومكتبةُ بيبليون، ط١، ٢٠٠٨م.
الفَخْري في الآدابِ السُّلطانية والدُّوَل الإسلَاميَّة: محمَّد بنُ عليٍّ بنُ طبَاطَبَا؛ ابنُ الطَّقطقي (٧٠٩هـ)، مِصر، المطبعة الرَّحمانيَّة، ١٩٢١م.
الفكرُ العربيُّ ومكانه في التَّاريخ: دي لاسي أوليري، ترجمة: د. تمَّام حسَّان، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦١م.
فَلسفةُ الحضَارة: أَلبرت اشفيتسَر (١٩٦٥م)، تَرجمة: د. عَبد الرَّحمن بدَوي، بيرُوت، دار الأَندلُس، ١٩٩٧م.
الفِهرِسْت: أَبو الفرَج محمَّدُ بنُ إسحَاق؛ ابنُ النَّديم (٣٨٥هـ)، بيرُوت، دار المَعرِفة، ١٩٧٨م.
قصَّةُ الثَّورةِ كاملةً: أنور السَّادات (١٩٨١م)، القاهرَة، سلسلةُ كتابِ الهلال، ١٩٥٧م.
قصَّةُ الحضارة: وِل ديورانت، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٨م.
القضيَّة الفلسطينيَّة: أكرم زعيتر، مصر، دارُ المعارِف، ط١، ١٩٥٥م.
الكافي في تاريخ مصرَ القديم والحديث: ميخائيل شاروبيم (١٩١٨م)، القاهرَة، مكتبةُ مدبولي، ٢٠٠٤م.
الكَاملُ في التَّاريخ: أَبو الحسَن عزُّ الدِّين عليُّ بنُ محمَّد ؛ ابنُ الأَثير الجزَريُّ (٦٣٠هـ)، بيرُوت، دار صَادِر، د.ت.
كتابُ الخَراج: القاضي أبو يوسُف يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الأنصاريُّ (١٨٢هـ)، تح: طه سَعد، القاهرة، المكتبة الأزهريَّة للتُّراث، ٢٠١٠م.
الكُلِّيات: أَبو البقَاء أَيُّوبُ بنُ موسَى الكفَوِي (١٠٩٤هـ) ، بيرُوت ، مؤسَّسة الرِّسالَة ، ط٢، ١٩٩٣م .

لسَانُ الميزَان: أَبو الفَضلِ أَحمدُ بنُ عليٍّ ؛ ابنُ حجَر العَسقَلانيُّ (٨٥٢هـ) ، بيرُوت ، مُؤسَّسة الأَعلَمي للمَطبُوعَات ، ط٣، ١٩٨٦م .

مآثرُ الإنافة في معالمِ الخلافة: شهابُ الدِّين أحمدُ بنُ عليِّ القلقَشَنديُّ (٨٢١هـ)، تح: عبد الستَّار فراج، مطبعةُ حكومة الكويت، ١٩٨٥م.

المُبين في شَرح ألفاظِ الحكَماءِ والمتكلِّمين: سيفُ الدِّين عليُّ بنُ محمَّد الآمديُّ (٦٣١هـ) ، تَح: د. حسَن الشَّافعي ، القاهرَة ، مكتبَة وَهبَة ، د.ت .

المحاكمُ الكُبرَى في قضيَّةِ الاغتيالاتِ السِّياسيَّة: لُطفي عُثمان، القاهرَة، دارُ النِّيلِ للطِّباعَة، ١٩٤٨م.

المُختصَر في أخبارِ البشَر (تاريخُ أبي الفداء): عمادُ الدِّين أبو الفداء إسماعيلُ بنُ عليٍّ الأيُّوبيُّ صاحبُ حَماه (٧٣٢هـ)، بيروت، دار المعرفَة، د.ت.

المُختَصرُ في عِلم التَّاريخ: مُحي الدِّين محمَّد الكَافيجي (٨٧٩هـ)، تَح: د. محمَّد كمالُ الدِّين عزُّ الدِّين، بيرُوت، عالَم الكتُب، ١٩٨٨م.

المَذاهبُ الكُبرى في التَّاريخ: ألبان ج. ويدجيري، تَرجمَة: ذوقان قَرقُوط، بيرُوت، دار القلَم، ١٩٧٩م.

مرآةُ الجنان وعبرةُ اليَقظان: أبو محمَّد عبدُ الله بنُ أسعدٍ بنِ عليٍّ بنِ سُليمانَ اليافعيُّ (ت:٧٦٨م)، القاهرَة، دار الكتاب الإسلاميِّ، ١٩٩٣م.

المُستشفياتُ الإسلاميَّة من العصر النَّبويِّ إلى العصر العثمانيِّ: عبدُ الله عبد الرَّزاق مسعود السَّعيد، عمَّان، دار الضِّياء، ١٩٨٧م.

المُسلمون في الأندلس: رينهارت دوزي، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامَّة، ٢٠٠٢م.

المُعجِب في أخبار المَغرِب من لدُن فتحِ الأندلُس إلى آخرِ عصرِ الموحِّدين: عبدُ الواحِدِ بنُ عليٍّ التَّميميِّ المرَّاكشي: (٦٤٧هـ)، تح: محمَّد سعيد العريان، مصر، نشرُ المجلسِ الأعلَى للشُّؤون الإسلاميَّة، ١٩٦٣م.

مُعجَمُ البُلدَان: يَاقوتُ بنُ عَبدِ الله الحمَويُّ (٦٢٦ هـ)، بيرُوت، دار الفِكر، د .ت.

المغربُ الأقصَى: أمين الرَّيحاني (١٩٤٧م)، ضمنَ الأعمالِ العربيَّة الكاملةِ لهُ (مج٢)، بيروت، المؤسَّسةُ العربيَّةُ للدِّراساتِ والنَّشر، ط١، ١٩٨٠م.

المَغربُ عبرَ التَّاريخ: إبراهيم حركات، مطبعة النَّجاح الجديدة، الدَّار البيضاء، ط٢، ١٩٨٤م.

المُغرِب في حُلى المَغرب: عليُّ بن موسَى؛ ابنُ سعيد المغربي (٦٨٥هـ)، تَح: د. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م.

المفصَّل في تاريخ العربِ قبل الإسلام: جواد علي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.

مُقدِّماتٌ لفَهمِ التَّاريخ العربيِّ: عَبدالله العلَايلي (١٩٩٦م)، بيرُوت، دار الجديد، ط١، ١٩٩٤م.

مُقدِّمةُ ابنِ خلدُون: عبدُ الرَّحمن بنُ خلدُون الحَضرَمي (٨٠٨ هـ)، تَح: علي عَبد الواحِد وَافي، القاهرة، دار نهضَة مِصر، ط ٣، د.ت.

ملُوكُ العرَب: أمين الرَّيحاني (١٩٤٧م)، ضمنَ الأعمالِ العربيَّة الكاملةِ لهُ (مج١)، بيروت، المؤسَّسةُ العربيَّةُ للدِّراساتِ والنَّشر، ط١، ١٩٨٠م.

ملُوكُ المُسلِمين المُعاصرونَ ودولُهم: أمين محمَّد سَعيد، القاهرَة، مكتبةُ مَدبولي، ١٩٩٩م.

المُنتظَم في تَاريخ المُلوك والأمَم: أَبو الفرَج عَبدُ الرَّحمن بنُ عليٍّ ؛ ابنُ الجوزيِّ (٥٩٧ هـ)، بيرُوت، دار الكتُب العِلميَّة، ١٩٩٢م.

المُنجِد: مجموعةٌ من المؤلِّفين، بإشراف لويس معلوف، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٦م.

الموسوعةُ الإسلاميَّةُ المُيسَّرة: بإشراف د.محمود عكَّام، حلَب، دارُ فصِّلَت ودارُ صَحارَى، ط١، ١٩٩٦م.

نتَائجُ الأَفهَام في تَقويمِ العرَب قبلَ الإسلَام: محَمُود باشَا الفلَكيُّ المِصريُّ (١٨٨٥م)، نَقلهُ إلى الفرنسيَّة: أَحمد شفيق (١٨٩٢م)، ثمَّ عرَّبهُ: أَحمَد زَكي أَفندي، جُدَّة، دار المنارة، ١٩٩٢م.

نحو قراءةٍ عربيَّةٍ للتَّاريخ والحاضر: مجموعةُ أبحاث في كتاب، طبعَتْهُ في الأردنِّ مؤسَّسةُ عبد الحميد شومان، ٢٠٠٧م.

نَشأةُ العراقِ الحديث: أ.هنري فوستر، ترجمة وتحقيق: سليم طه التَّكريتي، بغداد، دار الشُّؤون الثَّقافيَّة العامَّة، ١٩٨٩م.

نُصحُ ملُوكِ الإسلامِ بما يجبُ عليهِم مِن حقوقِ آلِ البيتِ الكرام: محمَّد بنُ أبي غالبٍ بنِ السَّكَّاك العِياضي الفاسي (٨١٨هـ)، المطبعةُ الحجريَّةُ الفاسيَّة، د.ت.

نظراتٌ في تاريخ الإسلام: رينهارت دوزي، ترجمة: كامل كيلاني، بيروت، دار ومكتبة بيبليون، ٢٠٠٥م.

نَظمُ السُّلوك في الأنبياءِ والخلفاءِ والملوك: عبدُ العزيز بنُ عبدِ الواحد الملزوزي المكنَاسي(٦٧٧هـ)، الرَّباط، المطبعةُ الملَكيَّة، ١٩٦٣م.

نَفحُ الطِّيب مِن غُصنِ الأندلُسِ الرَّطيب: أَحمدُ بنُ محمَّد المقرِي التِّلمسَانيُّ (١٠٤١هـ)، تَح: د. إحسَان عبَّاس، بيرُوت، دار صَادِر، ١٣٨٨هـ.

النَّوادر السُّلطانيَّة والمحاسن اليوسفيَّة (سيرةُ صلاح الدِّين يوسُف بن أيُّوب بن شَاذي): بهاءُ الدِّين أبي المحاسن يوسُف بنُ رافع المَوصِلي الحلبيُّ، المعروفُ بابنِ شدَّاد (٦٣٢هـ)، تَح: محمَّد درويش، دمَشق، مطبوعاتُ وزارةِ الثَّقافَةِ والإرشادِ القوميِّ، ط٢، ١٩٨٧م.

نهايةُ الأرَب في فُنون العرَب: أحمدُ بنُ عبدِ الوهاب النُّويري (٧٣٢هـ)، القاهرة، دارُ الكتب المصريَّة، ١٩٢٣–١٩٥٤م.

الهلاليُّون أو رحلة بني هلال وآثارُها التَّاريخيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة: د. عبد المجيد بوسماحة، الجزائر، دار السَّبيل، ٢٠٠٨م.

الوَافي بالوَفيَّات: أَبو الصَّفاء صلاحُ الدِّين خليلُ بنُ أَيبَك الصَّفَديِّ (٧٦٤هـ)، تَح: الأَرناؤوط ومُصطَفى، بيرُوت، دار إحيَاء التُّراث، ٢٠٠٠م.

الوحدةُ العربيَّة: محمَّد عزَّة دَرْوَزَة، بيروت، المكتب التِّجاري، ١٩٥٧م.

وفيَّاتُ الأَعيان: شمسُ الدِّينِ أحمدُ بنُ محمَّد؛ ابنُ خِلِّكان (٦٨١هـ)، تَح: د. إحسَان عبَّاس، بيرُوت، دار الثَّقافَة، ١٩٦٨م.

الوهَّابيُّونَ والحجاز: محمَّد رشيد رضا (١٩٣٥م)، مصر، مطبعةُ المنار، ١٣٤٤هـ.

*****

*- مراجعُ بالإنكليزيَّة:

- Armstrong, Karen: Islam: **A Short History**. Modern Library, U.S.A, 2002.

- Arnold, Sir Thomas W**.: The Caliphate**. Oxford, The Clarendon Press, 1924.

- Bloom, Jonathan & Blair, Sheila: **Islam: A Thousand Years of Faith and Power**. Yale University press, U.S.A, 2002.

- Creasy, Edward Shepherd**: History of Ottoman Turks**. London, 1878.

- Esposito, John: **History of Islam**. Oxford University Press, 2000.

- Esposito, John: **Islam the straight path**. Oxford University Press, 1998.

- Gibb, Hamilton: **The life of Saladin; Studies in Islamic History**. Oxford, 1974.

- Hourani, Albert: **A History of The Arab Peoples**, JFS Books, New York, 1991.

- Hourani, Albert & Ruthven, Malise: **A History of the Arab Peoples**. Belknap Press, Revised edition 2003.

- Hughes, Aaron: Muslim Identities**: an Introduction to Islam**. New York, Columbia University Press, 2013.

- Le, S. G: **Baghdad during the Abbasid caliphate: From contemporary Arabic and Persian sources**. Oxford, Clarendon Press, 1980.

- Sonn, Tamara: **A Brief History of Islam**. Blackwell Publishing Ltd, 2004.

- Williams, H. S**.: The historians' history of the world: Parthians, Sassanids, and Arabs. The crusades and the papacy**. New York: The Outlook Company,1904.

- **Encyclopedia Britannica**: Articles: (Abbāsid Dynasty, Abu al-Qasim, Averroes, Andalusia, Civilization, history, Ibn Zuhr, Islamic World, Ottoman Empire, philosophy of history, Umayyad dynasty).

❉❉❉❉❉

التَّدقيقُ العلميُّ

د. محمَّد ماهر قُدسي د. محمَّد شكيران د. محمَّد المحمَّد الحُسين

*

التَّدقيقُ اللُّغويُّ

أ.د. حُسين الصدِّيق

*

***



Aleppo University Publications

Faculty of Sharia

Islamic History

❋

Directed by:

Dr. Ali Mahmoud Akkam

1436 / 2015